

شؤون فلسطينية

رئيس التحرير : الدكتور انيس صايغ

رقم ٣٩

تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧٤

- شهرية فكرية لمعالجة أحداث القضية الفلسطينية وشؤونها المختلفة .
- تصدر عن مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية .

• **يشارك في التحرير :** محمود درويش .

• **سكرتير التحرير :** ابراهيم العابد **مدير التوزيع :** غازي خورشيد .

جميع الآراء الواردة تعبر عن وجهات نظر كاتبها ولا تعكس بالضرورة آراء
منظمة التحرير الفلسطينية ولا المحررين ولا المستشارين ولا الناشرين .

العنوان : بناية الدكتور راجي نصر ، شارع كولومبوساني
(متفرع من السادات) ، رأس بيروت ، بيروت - لبنان ،
ص.ب ١٦٩١ ، تلفون : التحرير ٣٥١٢٦٠ ، التوزيع ٢٢٦٥٨٥ ،
برقيا مرابحات ، بيروت .

ثمن العدد : ٣١/٤ ل.ل. في لبنان ، ٤١/٤ ل.س. في سوريا ، ٤٥. فلسا في الكويت والعراق ،
٤١/٤ ل.ل. في سائر الاقطار العربية .

الاشتراك السنوي (بريد جوي) : ٤٠ ل.ل. في لبنان ، ٥٠ ل.س. في سوريا ، ٥٠ ل.ل. في سائر
الاطار العربية ، ٦٥ ل.ل. في اوربا وامريقيا ، ٩٠ ل.ل. في امريكا واستراليا وآسيا .

الاشتراك السنوي (بريد عادي) : ٥٠ ل.ل. في جميع الدول غير العربية .

المحتويات

٤	شؤون فلسطينية : المحطة ، محمود درويش .
٦	النضال السياسي الفلسطيني : انجازات وأبعاد ومضامين ، فاروق القدومي .
١١	.. وتطل فلسطين من المستقبل ، الدكتور كلوفيس مقصود .
١٧	الكيان الفلسطيني في مواجهة الكيان الصهيوني ، الدكتور الياس شوفاني .
٢٨	((انتهاء حالة الحرب)) بين الدول العربية واسرائيل وآثارها على القضية الفلسطينية ، الدكتور عدنان العميد .
٤٢	الموقف الاميركي من أزمة النفط ومحاولة تفجير منظمة ((الاوبك)) من الداخل ، سمير كنعاني .
٦٠	التعاون العربي - الافريقي وقضية فلسطين ، الدكتور سامي منصور .
٦٦	السابقون ، تسزار سولودار ، ترجمة الدكتور شوقي العمري .
٩٠	الصراع الالكتروني بين الطائفة والدفاع الارضي في الشرق الاوسط ، كمال السعدي .
١٠١	التوجيه العسكري للمجتمع الاسرائيلي ، ايد القزاز .
١١١	الحزب الشيوعي الفلسطيني (١٩١٩ - ١٩٤٨) ، موسى خليل .

١٤٣ فقيدان فلسطينيان كبيران : عبد الحميد شومان ومحمد علي الطاهر ،

بيان نويهض الحوت والدكتورة خيرية قاسمية .

١٦٤ **مراجعات** : معاداة السامية الجديدة ، عبدالاله ابو عياش وجورج

جقمان . تاريخ الاردن المعاصر : عهد الامارة (١٩٢١ - ١٩٤٦) ، هاني

حوراني . حرب اكتوبر - دراسة في الجوانب الاجتماعية والسياسية ،

محمد علي العويني . ميزان القوى العربي - الاسرائيلي (١٩٧٤) ،

المقدم ياسين سويد .

١٨٠ **ثقافة** ، الياس خوري .

١٩٤ **شهريات** : (١) المقاومة الفلسطينية ، عصام سخيني . (٢) القضية

الفلسطينية دوليا . (٣) المناطق المحتلة ، عيسى الشعيبي .

(٤) اسرائيليات ، صبري جريس وعماد شقور وسمير جريس وحنه

شاهين . (٥) القضية الفلسطينية عسكريا ، المقدم الهيثم الايوبي .

جدول بالعمليات العسكرية لقوات الثورة الفلسطينية وآخر بالعمليات

التي اعترف بها العدو الصهيوني من ٩/١٦ - ١٢/١٠/١٩٧٤ ، غازي

خورشيد .

المحطة ..

● لا تذهب القضية الفلسطينية الى الامم المتحدة لتسكن في ملف أو خطاب . فسكانها أرض الصراع . ولكنها ، في ذهابها الى أكثر المنابر العالمية تأثيرا ، تأخذ العالم معها الى أرض الصراع ، وتتسحن الإدراك بمزيد من المعرفة والتأييد .

ولعل قضية أخرى لم تذهب الى هذا المنبر العالمي ، يمثل هذا السحر الذي يرافق القضية الفلسطينية ، في زيارتها الثورية الى هيئة الأمم المتحدة . كأن رمزا حافلا بالمأساة والرفض ، يدق باب العالم لينتقد الصواب من الاتهامات التي صارت عادة .

لقد تحرك السلاح الفلسطيني ، فصارت الحنجرة الفلسطينية قادرة على اصدار الصوت المسموع . كأن دهشة تجتاح النائمين : فلسطين تتكلم . وقد لا ينتبه الذين أصابتهم رعشة الدهشة الى أن كمية العدل المتفجر من قضية فلسطين ، على طرقات العالم والتاريخ ، تجعلها أكبر في توهجها وجرحها من أي منبر واطار .

ان هيئة الامم المتحدة هي التي تطهر بعض خطاياها في دخول فلسطين . شيء من المغفرة تهبه فلسطين للذين ائسروا ، بشكل أو آخر ، في احتواء الظلم لها . ومن هنا أن العالم لا يرحم فلسطين بقدر ما يرحم ذاته في هذا اليوم الفلسطيني الكبير .

تنزل الاسماء المخطئة عن كياناتها الخاطئة . واليوم ، تدخل فلسطين لا لتشارك الخطيئة مقعدا ، بل لتزحزحها رويدا رويدا — بقدر ما يتزاوج السحر مع القوة — لان فلسطين واحدة . عدلها واحد . وحقها واحد . ولهذا ، يكون الجهد الفلسطيني للثبات في مفاهيم الشرعية الدولية . وللحركة المتصاعدة على أرض الصراع ، عملية واحدة مترابطة تبني عملية خروج الخطيئة التدريجي من دائرة الانسانية ومن معادلة العلاقة .

لم تكن فلسطين معتربة عن نيل الاعتراف بحقها بقدر ما كان ميزان العدل الدولي بعيدا عن التطابق والصلاحية . العالم اليوم ليس عالم أمس ، وكل تطور ثوري هو اقتراب مباشر من الحق الفلسطيني . وكل اقتراب من ادراك عدالة فلسطين وسلامتها هو تعميق للعلاقة بين الوعي البشري وبين الضمير . كأن فلسطين محك لصدق الفهم والموقف . كأنها محكمة الضمير .

هل انتصرت فلسطين ؟ ربما . ولكنها أسست قاعدة أخرى لعملية الانتماء الفاعل الى المستقبل . وليس هذا اليوم الا نتاج الصراع الطويل الذي يخوضه الشعب الفلسطيني بكل أشكال الصراع . لقد انتزعت فلسطين صوتها ، وصار العالم يطلب

حضورها الاصيل . وهذا انتصار على الخوف والابادة ومؤسسة الخطيئة التي بنت
كيانها على هذا الغياب .

ان فلسطين تحرر وتبشر . ان تكون هي — ولها ، وان تتعمق هذه القربى — الهوية
المنجزة ببراعة الكفاح ومهارة الايضاح ، شرط غير قابل للتجاهل لان تكون حلا للآخرين
ايضا . وهذه هي دعوتنا : ان تكون بلادنا نقية العرقية والانانية القومية والتعصب .
ان تكون بلادنا أرض البناء والسلام . ان تكون بلادنا أرض المستقبل لا قاعدة المفاهيم
المنقرضة .

الحرية هبة تحرر فلسطين . الحرية لأبنائها ولأبناء الحياة . وبهذا التحرر من
الاعتصاب والكرهية والعرقية تعيد فلسطين القيم الى نقطة توازن . وتسقط خطايا
كثيرة عن الأرض عندما تسقط الخطيئة التي ترتدي أرض فلسطين الآن . وتتسع منطقة
الحرية واليشارة كلما ضاق استعباد فلسطين .

ولهذا يدرك عدو فلسطين معنى كلامها في الامم المتحدة . ويعترف بأن لا مكان
مشارك لفلسطين المقاومة والصهيونية المؤسسة على صدر فلسطين صوتا وكيانا .
لانهما التقيضان التاريخيان . ولم يكن التأكد من عزلة العدو وندرة أصدقائه هو
الشاهد الوحيد على أهمية اكتساب المقاومة الفلسطينية مثل هذه الشرعية الدولية .
ولكن الخوف الصهيوني من أبعاد الحصار الدولي ، ومن دلالة الاعتراف العالمي
بالمقاومة يجب أن يبقى ماثلا أمام تقييم الفلسطينيين لهذه المواجهة القانونية والسياسية
التي صعدت مستوى الصراع الى مستوى مراجعة تاريخ المشروع الصهيوني من
أساسه .

وماذا بعد هيئة الامم المتحدة ؟ ماذا بعد القرار ؟

يظن البعض ان مبنى الامم المتحدة هو محطة على طريق الوصول الى مدينة
الشكوك ! ولكننا نريد ان نعتقد ان الانتصار لا يقود الى هزيمة . ان هذا الانتصار
السياسي حافز لتصعيد الصراع . انه بداية جديدة لمواصلة السير نحو الهدف الكبير .
انه محطة على طريق فلسطين . . . فلسطين الحرية والتحرر والغد .

النضال السياسي الفلسطيني انجازات وابعاد ومضامين

فاروق القدومي

لمناسبة التحرك السياسي الواسع الذي تقوم به القيادة السياسية الفلسطينية في المرحلة الراهنة ، خص الاخ فاروق القدومي (أبو اللطف) رئيس الدائرة السياسية في منظمة التحرير الفلسطينية ، (شؤون فلسطينية) بهذا الحديث .

كانت حرب تشرين الاول ١٩٧٣ نقطة تحول حاسمة في تاريخ القضية الفلسطينية ، فهي بنتائجها وما أسفرت عنه كانت ذات اثر فعال في المواقف الدولية تجاه القضية . فقد لوحظ في اثناء الحرب وبعدها ان كثيرا من الدول ، خاصة الدول الافريقية ، بادرت الى قطع علاقتها الدبلوماسية مع اسرائيل ، وكان هذا الموقف اشارة واضحة الى اتجاه هذه الدول نحو عزل اسرائيل سياسيا على الصعيد العالمي . كذلك فقد كان من نتائج حرب تشرين السياسية انها طرحت من جديد جوهر الصراع في المنطقة ، فقد تركز الاتجاه نحو القضية الفلسطينية باعتبارها هي القضية الاساسية وهي جوهر الصراع ، وان ازمة الشرق الاوسط هي نابعة في الاصل من هذه القضية المركزية التي اساسها العجز وعدم الجدوية في حل القضية الفلسطينية . وبتغيير موازين القوى على جبهة دولتي المواجهة مصر وسوريا بدأ الرأي العام العالمي يتساءل عن حقيقة الصراع وجذوره الاساسية وانتبه العالم الى حقيقة واضحة هي ان الصراع في المنطقة هو صراع بين شعب طرد من ارضه وبين غزاة قدموا الى هذه الارض فاستوطنوا فيها ومارسوا جميع السبل والوسائل لتصفية هذا الشعب وطرده من اراضيه .

وقد لعبت الثورة الفلسطينية دورا اساسيا في توضيح جوهر الصراع هذا والكشف عن جذوره ، فقد كان لقوات الثورة الدور الفعال والمؤثر في حرب تشرين ، فقد تم الاتفاق بيننا وبين قائدي الجبهات في الشمال والجنوب كذلك مع الرئيس السادات على ان تشترك قوات الثورة اشرقا فمعليا في حرب تشرين . وبناء على طلب الرئيس السادات حشدنا عددا من القادة ومن العناصر التي يمكن ان تقوم بدور مؤثر في الجبهة الجنوبية وقد حدث الشيء نفسه في الجبهة السورية حيث تم التنسيق بين القوات الفدائية وقوات جيش التحرير الفلسطيني والجيش العربي السوري . ولم يكن هذا هو الشيء الوحيد فقد كانت لدينا القدرة على العمل والنضال من الجبهة الثالثة ، اعني الجبهة اللبنانية وداخل ارضنا المحتلة . وفي الحقيقة لقد تحمل لبنان كثيرا من اجل ذلك . وعلينا هنا ان نؤكد انه كان من المفروض ان تكون الجبهة الاردنية هي الجبهة الحية غير ان الملك حسين ونظامه العميل رفضا ان تتاح لنا الفرصة للقيام بواجبنا من

هناك على الرغم من الضغط الذي مارسه الرئيسان السادات والاسد على الأردن من أجل القبول بادخال القوات الفدائية الى الساحة الاردنية . لذلك كانت الجبهة الشمالية هي المشتعلة وقد استطعنا بالفعل أن نقوم بأكثر من مئتي عملية وان نهاجم أكثر من اربعين مستوطنة اسرائيلية باعترافات العدو نفسه . وقد استطاعت عملياتنا فسي الشمال ان تريك العدو وتشمل حركته .

كان اذن لهذه الانتصارات العسكرية التي حققتها دولنا المواجهة وقوات الثورة الفلسطينية واشترك هذه القوات اشتراكا فعليا في الحرب الاثر الحاسم في قلب موازين القوى وفي تنبيه الرأي العام العالمي الى جوهر القضية الفلسطينية . وقد استثمرت القيادة السياسية للثورة الفلسطينية المعطيات الجديدة التي أسفرت عنها الحرب لنخوض نضالا سياسيا على الصعيدين العربي والدولي لتثبيت هذه المعطيات . وقد قامت الثورة بعمل باهر خلال الاشهر القليلة الماضية وحققت عددا من الانجازات والمكتسبات السياسية والدبلوماسية . وعلى الرغم من ذلك فعلمنا ان نؤكد ان هذه الانجازات والمكتسبات ما كانت لتتم لولا ان الكفاح المسلح ثابر على الوجود والتصاعد داخل الارض المحتلة . وقد مثلت هذه المكاسب التي حققناها من آن لآخر درجات سلم نرتقي بها لتحقيق أهدافنا المرطية .

لقد حققنا هذه الانجازات في عدد من المؤتمرات الدولية والعربية منها مؤتمر دول عدم الانحياز ومؤتمر القمة العربي ومؤتمر القمة الاسلامي ومؤتمر القمة الافريقي وكان الكسب الاعظم الذي حققناه الاعتراف بالحقوق الوطنية المشروعة للشعب الفلسطيني، بعد أن كانت كلمة فلسطين تستثير « النوازع الانسانية » لا أكثر ولا أقل باعتبار أن هؤلاء الفلسطينيين بحاجة الى كساء وغوث وليس الى وطن . وبجانب هذا الاعتراف بالحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني فقد أكدت هذه المؤتمرات ضرورة استعادة هذه الحقوق . وقد توجت هذه المكتسبات السياسية بالاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية ، في هذه المؤتمرات جميعا ، ممثلا شرعيا وحيدا للشعب الفلسطيني .

بالاضافة الى هذه المؤتمرات الدولية كان توالي اعتراف دول المنظومة الاشتراكية بمنظمة التحرير الفلسطينية واحدا من ابرز مكاسبنا السياسية . اما على الصعيد العربي فقد كان البيان الثلاثي (المصري — السوري — الفلسطيني) الاخير تكريسا للموقف العربي الرسمي تجاه مسألة التمثيل الفلسطيني . فقد ظهر الموقف المصري في هذا البيان على حقيقته بدون رتوش . وان هذا البيان يعني — من جملة مسا يعنيه — ان دولتي المواجهة (مصر وسوريا) والمقاومة الفلسطينية بصفتها الطرف الاساسي في الصراع لا بد لها ان تنسق عملها فيما بينها مما يؤدي بالنتيجة الى مزيد من المكاسب والانتصارات السياسية .

قد يثار تساؤل عن الظروف التي احاطت بالموقف المصري ازاء مسألة التمثيل الفلسطيني . فمن المعروف ان البيان الاردني — المصري المشترك الذي صدر في الاسكندرية في أعقاب محادثات الملك حسين مع الرئيس السادات أعطى للنظام الاردني الحق في مشاركة المنظمة بتمثيل الشعب الفلسطيني ، غير ان البيان الثلاثي الاخير كرس حق المنظمة الوحيد في هذه المسألة . وجوابا على مثل هذا التساؤل نقول انه

ربما كانت لمصر في فترة معينة من الزمن وجهة نظر في هذه المسألة تريد من خلالها ان تحقق شيئا معنا . وكانت في ذلك تثق الى حد بعيد ببعض الاوساط الدولية بأمل تحقيق مزيد من المكاسب . ولكن لو نظرنا الى الامر بعين مجردة وبمزيد من العقل لرأينا ان الامبريالية واسرائيل لن يتراجعا مهما تقدمنا من تنازل وانما هما سيستغلان هذا التنازل ضدنا نحن . ولقد بدا انه لن يكون هناك تراجع امركي او تراجع اسرائيلي والطريق السليم في رأينا هو الحرب الخامسة التي هي الوسيلة لتحقيق المكاسب . وفي الوقت ذاته ظهر ان هناك تغيرات متعددة تدل دلالة واضحة على ظهور فتاعة بأن التقارب المصري - الامركي الزائد عن حدوده هو في الحقيقة تقارب يقوم على أسس واهية في معظم ركائزها ، وان الضرورة تقتضي باستمرار ان يكون ثمة تنسيق بين القوى المواجهة ، اي القوى الثلاثية : مصر وسوريا وفلسطين ، فهي القوى القادرة على التنسيق باستمرار وثبتت قدرتها تلك في حرب تشرين ، وهي القوى التي تعمل وتتحدى بدناميكية على المستويات العسكرية والسياسية والدبلوماسية . كذلك فلقد بدأت تظهر في مصر قوى ضاغطة ذلك ان حرب تشرين قد فتحت أعين الكثيرين على الحقائق الجديدة . من هنا فان العوامل الداخلية والعربية والدولية تجعل من الصعب ان تتجاهل مصر او أي دولة عربية أخرى الدور الرئيسي للشعب الفلسطيني ومنظمة التحرير الفلسطينية كممثل شرعي وحيد لهذا الشعب .

بعد هذا الاستطراد نعود الى الحديث عن المكتسبات التي حققتها الثورة الفلسطينية في الآونة الأخيرة . ولا شك ان طرح القضية على الامم المتحدة هو احد المظاهر الأخرى لهذه المكتسبات السياسية . فمجرد طرحها في الجمعية العمومية يعتبر دليلا واضحا على رغبة الامم المتحدة في دعم الشعب الفلسطيني وتأييده كما هو دليل على الاعتراف بوجود الشعب الفلسطيني كوحدة كيانية مستقلة ، ويمكن ان يكرس هذا الاتجاه اذا استطعنا ان نأخذ قرارا بدعوة منظمة التحرير الفلسطينية الى القاء كلمة بوصفها ممثلة الشعب الفلسطيني في أثناء عرض هذه القضية .

ان النضال السياسي على صعيد الامم المتحدة مهم وأساسي فان صدور قرارات من الجمعية العمومية يعترف بحق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره وبأنه قادر على ادارة شؤونه بنفسه وعلى ضرورة قيام سلطته الوطنية المستقلة على الارض الفلسطينية وفي الوقت ذاته صدور قرارات تدين اسرائيل وتستنكر أعمالها العدوانية ، كل ذلك سوف يثير في ذهن الرأي العام العالمي القضية من أساسها ، تعني قضية فلسطين التي هي جوهر القضايا في الشرق الأوسط والقضية المركزية فيه والتي يعتبر حلها أساسا لحل غالبية المشاكل في الشرق الأوسط . وستتوضح من خلال النقاش كثير من حقائق هذه القضية ، وسيؤكد ذلك الى ان يتعرف الرأي العام العالمي على معطيات هذه القضية .

ان موقف العديد من الدول معنا في الامم المتحدة : الدول العربية ، دول عدم الانحياز ، دول المنظمة الاشتراكية ، الدول الإفريقية والدول الإسلامية ، فهي جميعا وافقت على القرارات التي نريدها بالنسبة للقضية الفلسطينية . بقي دول السوق الأوروبية المشتركة . فهي على الرغم من أنها اعترفت بالحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني الا أننا نريد فعلا ان نسمع رأيها وان نحدد رأيها بشكل مباشر او غير

مباشرة من خلال القرارات التي سوف تتخذها الامم المتحدة في الجمعية العمومية بالنسبة للقضية الفلسطينية او في اداة اسرائيل . ان على دول السوق الاوروبية المشتركة ان تحدد موقفها في هذه المرحلة .

ان هذه المكاسب التي اشرنا اليها يجب ان تكون قاعدة لكسب اخر ينطلق منها . ولا بد ان نبلور جميع مكاسبنا السياسية في وجود سياسي مستقل . وقد أقر المجلس الوطني الفلسطيني هذا الوجود السياسي المستقل وحسم نضالنا السياسي مسألة مصر الارض الفلسطينية . فمن خلال هذا النضال حسبت قضية الاردن وقضية الملك حسين وظهرت الضفة الغربية على حقيقتها فلسطينية وليست اردنية . فقد كان محور النضال الفلسطيني في الاونة الاخيرة مسألة التمثيل الفلسطيني ، فالانسان الفلسطيني يجب الا يفقد هويته الفلسطينية على الرغم من اوضاعه السياسية والحقوقية المتعلقة بتجنسه بجنسية اخرى غير فلسطينية . وقد سجلنا بعض الاهداف في صراعنا مع الحكم الاردني، وصراعنا معه طويل، وطرحننا قضايانا بكل صراحة ووضوح . فنحن نستغرب ان تطالب جهة عربية بأن تمثل الفلسطينيين او جزءا منهم . ولا يمكن ان نسمح بأي حال من الاحوال بأن يقوم النظام الاردني بتمثيل الفلسطينيين مهما كلف الامر لانه بذلك سيكون قادرا على اعادة الاوضاع الى ما كانت عليه في الضفة الغربية . ان التمثيل الفلسطيني يجب ان يكون غير ناقص وقد خاضت منظمة التحرير الفلسطينية معارك ضارية في سبيل ذلك وفي منع ان يشارك الملك حسين في تمثيل الفلسطينيين . وقد حسم البيان الثلاثي هذه القضية حسما بينا عندما أعلن ان منظمة التحرير الفلسطينية هي الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني .

ويقودنا هذا الامر الى مسألة فك الارتباط على الجبهة الاردنية ، ونحن نرفض ذلك رفضا قاطعا ، نرفض ان تقوم السلطة الاردنية بعملية فك الارتباط . فالاردن لم يقاتل ولم يشترك في حرب تشرين . فماذا يعني بالنسبة اليه فك الارتباط ؟ ان النظام الاردني فك ارتباطه في عام ١٩٧٠ عندما تصدى للمقاومة الفلسطينية وصارعها وأخرج وجودها العلني من الساحة الاردنية . من هنا فان عملية فك الارتباط تعني ان يعود النظام الاردني الى التسلط على الضفة الغربية . والاردن لا يمكن ان يتم هذا العمل الا اذا تلقى ضوءا أخضر من الدول العربية وخاصة من دول المواجهة . وقد استطعنا نحن ان نطوق هذا الموقف وان نعزله بالبيان الثلاثي الذي رد بكل وضوح على كل هذه التساؤلات والقضايا المطروحة . ومن هنا نرى أن قضية فك الارتباط هي مسألة تخص الفلسطينيين اساسا وليس الحكم الاردني العميل لان فك الارتباط بالصيغة الاردنية يعني عودة السلطة الاردنية الى الضفة الغربية ونحن نرفض ذلك . ونحن نرى أن فك الارتباط لا يمكن ان يتم بموافقة عربية او باعطاء ضوء أخضر من دول المواجهة — حسب البيان الثلاثي — مهما حاول كيسنجر ذلك . ولكن يمكن ان يتم ذلك باتفاق ثنائي بين الاردن واسرائيل ولكن ذلك سوف يحمل اسرائيل اعباء ضخمة فنحن لن نترك هذه الارض فسوف نقاتل من عليها حتى تصبح السلطة لنا في النهاية .

ان هذه ابرز ابعاد ومضامين النضال السياسي الفلسطيني في الفترة الاخيرة . واذا طرح سؤال عن القرار ٢٤٢ فانا نقول اننا رفضنا التعامل مع هذا القرار لانه يطمس الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني فهو ينظر لقضيتنا على انها قضية لاجئين وليس

قضية وطن وشعب . وبذلك فإن هذا القرار لا يخدم الشعب الفلسطيني ولا مصالحه . وقد أعلننا في المجلس الوطني وبالبرنامج المرهقي أننا نرفض التعامل مع هذا القرار . ونحن نريد تحويل النظرة العالمية والرأي العام العالمي الى قضية فلسطين ، الى نظرة واعية . وفي أي حال فإن الثورة تقاوم بسلحتها وبنادقها وليس من خلال القرارات .

وتظل نقطة أخيرة هي الرأي فيما تردد أخيراً عن إقامة حكومة منفي أو حكومة فلسطينية مؤقتة . ونوضح في البداية أن التعبير الصحيح هو حكومة مؤقتة . أما الموقف منها فمن الضروري أن تجد المكاسب الفلسطينية لها في النهاية قاعدة ارتكاز تحميها وتطورها وتنميها . وفي تصوري أن معظم الثورات التي قامت كانت في النهاية تخرج بحكومة مؤقتة . أما هل يمكن استخدام هذا الشعار الآن فإني أعتقد أنه لا بد من أنضاج الكثير من العوامل حتى نستطيع الجزم — مع أقل ما يمكن من الخلاف في الساحة الفلسطينية — حول إذا كان بإمكاننا أن ننشئ حكومة مؤقتة ، ذلك أنه لا بد أن يكون لدينا وفي أيدينا أساس مادي نركز إليه من أجل أن نقول : نحن نسعى الى حكومة مؤقتة .

وأخيراً نؤكد أن جميع هذه المكتسبات التي حققناها على جميع المستويات هي من أجل القضية الفلسطينية والاعتراف بها وبكيانها السياسي وبمنظمة التحرير الفلسطينية كممثلة وحيدة للشعب الفلسطيني وأن هذه المكتسبات تتعزز بوحدة وجود الثورة متماسكة متضامنة .

.. وتطل فلسطين من المستقبل

الدكتور كلوفيس مقصود

ان الانجاز السياسي الكبير الذي حققته منظمة التحرير الفلسطينية من حيث انها تدخل القضية الفلسطينية مرة ثانية الى صميم المجتمع والوجدان الدوليين يضع الأمة العربية امام خيار لا بد لها ان تقرر وجهة سيرها المستقبلية .

نحن لا نريد ان نعطي لهذا القرار التاريخي حجما أكبر مما هو في الواقع الا انه في كل الحالات يشكل مدخلا لاعادة النظر في القضية الفلسطينية من جذورها ويتيح للممثلين الشرعيين للشعب الفلسطيني ان يحاوروا العالم من أرضية صلبة وهي أرضية الوحدة الوطنية الفلسطينية ومن الموقع الاستراتيجي التاريخي الجديد الذي تمكنت الثورة الفلسطينية ان تتقف عليه وهو رؤيا الثورة بأن الحوار الديبلوماسي — السياسي لا يكون ذا جدوى اذا لم ينبثق من ويتمم الحوار القتالي مع الكيان الصهيوني الجاثم والتهيكلي على ارض فلسطين .

ان الاهمية البالغة لكون الشعب الفلسطيني سوف يظل هذه المرة على العالم بشكل مباشر ويعلن لا عن حقوقه التاريخية والوطنية والشرعية في فلسطين فحسب ، بل عن حقوق هؤلاء اليهود داخل فلسطين وفي العالم ، هذه الحقوق التي فوضتها العقيدة الصهيونية والكيان الذي انبثق عنها من حيث ان الصهيونية عقيدة وكيانا ، سلّخت اليهودي عن الانسان وأوجدت عنده حالة اللاانتماء ، وهكذا تكون اطلالة الثورة الفلسطينية على العالم بعد أيام منطوية على ما تختزنه الثورة من أهلية التمثيل لطاقتات وامكانيات الشعب الفلسطيني ومن حقه في بلورتها وصرورتها ، وما تختزنه من قدرة التصحيح داخل الانحراف والتشويه ، الذي أوجدته وتحاول تكريسه الصهيونية وكيانها الاسرائيلي في واقع اليهودية العالمية .

وهكذا فان الثورة الفلسطينية ككل ثورة أصيلة في التاريخ تؤدي الى استرجاع الحقوق الوطنية والمشروعة ، وتحرر محتجزي هذه الحقوق وخارجيها من النزعة اللانسانية التي أودت بهم ان يتصوروا حقوقا من خلال نفي حقوق الغير .

وهنا أهمية القرار الذي يشكل تطورا جذريا وفقهيا في القانون الدولي وفي العلاقات الدولية من حيث ان العالم في لحظة امتحان وجدانه ادرك ان الثورة الفلسطينية لم تعد في ظرفنا الراهن مجرد حركة تحرير وطنية فحسب بل انها نفذت الى صميم معضلة حضارية ارادت اسرائيل والصهيونية حجب بصيرة العالم عنها ، وهذه المعضلة هي ان اسرائيل حاولت اعادة الحياة للنظريات العرقية والطائفية ، والتي تركز على تأكيد اولوية او بالاحرى اطلاقية ما يفرّق الانسان عن الانسان ، فجاءت الثورة الفلسطينية تؤكد القيم الايجابية الشمولية التقدمية التحررية التي تؤكد ليس فقط اسبقية علاقة الانسان مع الانسان بل التزام الثورة للمنى التفاضلي في التاريخ — اولوية ما يجمع الانسان بالانسان .

ان المجتمع العالمي ادرك ان الصهيونية باغتته عندما طرحت نفسها بديلا للاسامية ، واذ بالعالم يكتشف - على حساب تشرذم ومعاناة وآلام الفلسطينيين - ان الصهيونية والاسامية صنوان يغذيان بعضهما بعضا ويتكلمان على بعضهما بعضا لان الواحدة بدون الاخرى مرفوضة تاريخيا وحضاريا وانسانيا .

ثم تعمدت اسرائيل ان تنترع من العالم ومن الوجدان الانساني اعترافا كاملا غير قابل للمراجعة او التعديل باستثنائية وجودها ، فكان خرق اسرائيل لكل القرارات الدولية والمواثيق والقوانين والشرائع ، ولكل المعايير والمقاييس التي افرزها تطور العقل والمجتمع في العالم ، اجل فكان خرق اسرائيل لكل هذا يجب ان يبقى بمنأى عن العقوبات والروادع التي تملحها انضباطية العلاقات الدولية والتي يملحها التوق والتطلع البشري نحو المزيد من فرص المساواة والعدالة والسلام .

ان اصرار اسرائيل على كونها مستثناة من المحاسبة على جرائمها واعمالها وتجاوزاتها وعدوانيتها ، وعلى عدم امثالها لكل القرارات والاعراف الدولية التي صدرت عن الامم المتحدة ، كان يرتكز على مقدرة فائقة في انجاز اكبر واشمل عملية ابتزاز في التاريخ المعاصر ، وكانت عملية الابتزاز متعددة الابعاد والاوجه ، فالى جانب ان الاصرار على كون اسرائيل حالة استثنائية هو بحد ذاته ابتزاز وتهرب من الخضوع للانماط السلوكية المرعية ، الا ان اسرائيل والحركة الصهيونية العالمية المرتبطة عضويا بها لجأت الى مختلف الاساليب من اجل ان تجعل من عقدة الاثم في الغرب حاجزا امام اقفية الاتصال الفكري والسياسي كأن اسرائيل تريد ان ترسخ في فئاعة الغرب على وجه التخصيص ان اسرائيل تعفي الغرب من الخطايا والجرائم التي حصلت ضد اليهود من جراء اللاسامية والنازية في الماضي اذا تعامى الغرب عن الخطايا والجرائم التي قامت بها الصهيونية واسرائيل ضد الفلسطينيين حاضرا ومستقبلا . هذه المعادلة التي ارادت اسرائيل تثبيتها في الفئاعات العالمية اجمالا والغربية بشكل خاص استهدفت ان توجد مناخا يتيح لاسرائيل ان تلوح الى الغرب مباشرة وبواسطة تحريك منظماتها الصهيونية بخطر اعادة فتح موضوع اللاسامية وعقدة الاثم اذا ما تجرأ الغرب او المجتمع العالمي ان يتساءل او يشكك او ينتقد أي وجه من اوجه التحرك الاسرائيلي ، ناهيك عن مجابهة العدوانية الاسرائيلية .

ان هذا الارهاب الفكري النفسي السياسي الذي قامت به اسرائيل في الساحة العالمية ، كان يعتمد تكثيف الضباب عن بصيرة العالم حتى تتمكن اسرائيل من ان تستمر وتمعن في مزيد التنظيم لارهابها في الساحة العربية .

ثم لازم هذا الابتزاز على الساحة الدولية عملية ابتزاز من نوع آخر وهو ان اسرائيل هي أداة ضاربة تنفيذية لمصالح الامبريالية العالمية في المنطقة . ترتب على ذلك ان اسرائيل ربطت كيانها ومستقبلها بمصير الهيمنة الامبريالية في المنطقة ، ومثلما فعلت الصهيونية منذ نشأتها ، فانها لجأت باستمرار الى التنسيق المحكم مع مراكز العصب الامبريالي في العالم . نسقت قبلا مع الاستعمار البريطاني وعندما انتقل مركز التوجيه للهيمنة الامبريالية من بريطانيا الى الولايات المتحدة ، نسقت الصهيونية ومن بعدها اسرائيل تنسيقا كاملا مع استراتيجيات الاستعمار الجديد في العالم الثالث ، ولا غرو في ذلك فان اسرائيل ككل الكيانات العرقية والطائفية والاستيطانية والاستعمارية مجبولة باللامبالاة لكل التطلعات الاصلية لشعوب العالم الثالث ولشعوب العالم . وعندما يكون الكيان من حيث بنيته العرقية وتفكيره العدواني لامباليا بالمستجد من التطلعات المشروعة، يتحول الى أداة طيعة منفذة وبشكل تلقائي لاهداف كل السياسات المعادية لاماني هذه الشعوب في التغيير والتطور والتحرر .

ومن المفارقات ان اسرائيل المجبولة ، كما أشرنا ، باللامبالاة المطلقة تصبح من حيث السلوك والتصرف متمادية بخرق المعادلات المتفق عليها وبخرق الحقوق البديهية ، فاللامبالاة تعني ان ليس هناك من فرامل تردع النزعة العدوانية المتأصلة في كل الكيانات القائمة على الاغتصاب وعلى اولوية التمييز . هذا أدى باسرائيل منذ نشأتها وقيل ذلك ان تتصرف ازاء عرب فلسطين وعرب خارج فلسطين على أنهم حواجز بشرية أمام ما تبغيه من توسع وأمام ما تتصوره من خريطة لذاتها .

من أجل ان تتمكن اسرائيل من الاستمرار في تنفيذ تصوراتها لجأت الى ان تضع يهود العالم واليهود المتواجدين في فلسطين في سجن فكري هو في بعض تعبيراته اقسى واشد فتكا من السجون العادية . في هذا السجن الفكري قامت المؤسسة الاسرائيلية الصهيونية في زرع بذور الشك والخوف من الغير في نفوس اليهود بحيث ان اليهود المتأثرين بالصهيونية واسرائيل باتوا يشعرون بأن اللايهودية لا تعرّف الا كونها نسب متفاوتة من العداة لليهود ، تمكنت اسرائيل والصهيونية من ارباب من ادعت انها جاءت لانقاذهم فما كان منها الا ان أفقدتهم قدرات التمييز والاستقصاء والتدقيق ، فتحول اليهود الذين امتصتهم الصهيونية في اطر اسرائيل الى مجرد آلات تنفذ بشكل فوري ما خططته الصهيونية وبالتالي نزعته عنهم قدرة التفاعل الانساني ومن ثم قدرة التفاؤل بالانسان .

وحصل التعتيم وأدخلت الصهيونية الكثير الكثير من اليهود في العالم في ظلمة التاريخ لانها تمكنت من ان تتكتمش اسرائيل بأسراها اليهود من خلال رفع التشاؤم من وجهة نظر الى مؤسسة ونمط شامل . فاستشرست اسرائيل بالعدوان لان الصهيونية أفتعت أسراها اليهود بأنهم اذا لم يتهاؤوا للاعتداء فانه سينتدى عليهم وانهم اذا لم يعبثوا ويتوسعوا فانهم سوف يتعرضون لاجترار العدوان على وجودهم ، فصار الغزو عندهم والعدوانية والتماذي في التجاوز وخرق القوانين والحقوق وسائل «دفاعية عن الذات» فالاسرى اليهود في سجن الصهيونية لم يعودوا اسرى فحسب بل عبيدا عملت الصهيونية على تفريقهم من قدرة مواجهة الذات واستشراف المصير لان الخوف والتشاؤم استعبد عقولهم فحصل التخلي عن انسانيتهم .

وهكذا تطل الثورة الفلسطينية على العالم من جديد لا لتكشف التزوير الصهيوني فحسب ولا لتفند الاكاذيب والادعاءات المغلوطة لاسرائيل بل لتمهد لعملية « عتق » الاسرى اليهود من سجن اسرائيل الكبير .

هذه الاطلالة للثورة الفلسطينية ستؤكد ان اسرائيل الصهيونية ترتكز على عقيدة بدائية مخدومة بوسائل عصرية وان فلسطين الديمقراطية العلمانية انعكاس للتفكير المتقدم وان يكن لا يزال مخدوما بوسائل ابتدائية .

ان فلسطين تدخل العالم من خلال وجدانه ، من خلال النور الذي تضيئه دماء الشهداء الذين بوعي كامل وتفاؤل مستقبلي ، اكتشفوا انسانيتهم ، وتناضلوا من أجل تأكيدها وتأكيد ديمومتها ، فكانت الثورة هي المعمودية التي حولتهم من حواجز بشرية الى حواجز قادرة على كبت الطغيان .

ان الثورة الفلسطينية سوف تروي للعالم من منبر العالم لا قصة المشردين ومآسي وآلام اللاجئين بل ستروي قصة المعذبين الذين استلهموا من واقعهم المأساوي قدرة التجاوز على الثأر من أجل ارساء قواعد الثورة . سوف تروي الثورة كيف ان الانتقام هو سلاح الضعفاء في النفوس وكيف ان الثورة من خلال تحرير شعبها وأرضها تحرر اعداءها من العوامل والمؤسسات والافكار والعقائد التي حولت اعداءها الى اعداء .

اطلالة الثورة الفلسطينية على العالم سوف تتجاوز الاطلاقات الديبلوماسية الاعلامية الى ما هو أبعد اثرا وفعلا ، سوف تعطي للعالم فرصة ادخال المستقبل الى الحاضر ليتمكن العالم ان يدفع الحاضر المرفوض الى المستقبل المرغوب ، سوف تعطي الثورة الفلسطينية تصورها للامثل لان الثورة لن تكفي بما هو أفضل ، سوف تطل الثورة الفلسطينية على العالم لتقول ان المستحيل بفعل الثورة الاصيلية يصبح ممكنا وان فلسطين التي حولتها الصهيونية الى نموذج للانتماء يمكن ان تتحول ويجب ان تتحول وبمقدورها ان تتحول الى نموذج لا للتعايش بين مختلف الاعراق والاديان بل الى مجتمع يؤمن بالتنوع من خلال الوحدة ويغلب رغبة النفاذ الى الغير والاكتشاف المتبادل على مجرد التعايش وتكريس الانفصال .

ان مثل هذا المجتمع العلماني الديمقراطي الذي ارتسم في فكر المقاتلين الفلسطينيين ، هو تعبير عن الانسجام الداخلي لتكامل الانسانية فيه .

ان الثورة الفلسطينية تطل على العالم لتواجه اسرائيل مواجهة الملتزم للمناور ، مواجهة المتقدم للمتخلف ، مواجهة المستقبل للمنقرض ، مواجهة الانسان للامتمي .

*

يبقى السؤال ويبقى التحدي ، ماذا بعد الاطلالة ! ماذا بعد الاقتحام الكبير لفكر العالم ! ماذا بعد ان ترسي قضية فلسطين وابعادها المستقبلية في وجدان العالم ! ماذا بعد ما انجزته الثورة الفلسطينية من تثبيت مواقعها في الواقع العالمي المعاصر ! ماذا بعد هذا الاعتراف شبه الكوني لا في شرعية الثورة الفلسطينية ، بل في جدارتها ان تتحمل مسؤولياتها ازاء العالم مظلما تحملتها ازاء نفسها ! ماذا بعد العزلة التي فرضها العالم على المحور الاميركي الاسرائيلي وفي افشال مخطط الابتزاز والارهاب الذي قام به هذا المحور طوال السنوات الماضية من أجل احتواء ومن ثم الانقراض على انطلاقة الثورة ! ماذا بعد اعادة فتح القضية الفلسطينية وافشال محاولات اسرائيل لقفها !

قد لا يكون بمقدورنا ان نقيّم المعنى والابعاد لهذه الاطلالة الفلسطينية على عقل العالم وواقعه ، الا انه من البديهي ان لا نؤخذ بوهج الانتصار المعنوي والسياسي والفكري والاعلامي الكبير للثورة الفلسطينية في هذا الظرف بالذات . من هنا يترتب علينا تنظيم المكاسب التي حققناها على المستوى العالمي وان نتصرف وكان الذي حصل هو نقطة انطلاق جديدة وليس نهاية مطاف . ان مستوى التأييد الذي نالته القضية الفلسطينية يجب ان يترجم الى تغيير في موازين القوى الدولية بحيث تترجح اولوية الحق الفلسطيني لا على العدوانية الاسرائيلية بحسب بل على جذور الاغتصاب الصهيوني ايضا . واذا كان لا مفر من ان تتهرقل اهدافنا الاستراتيجية ، فمن الالم ان تستنزف التعبئة من خلال استغراقنا في تفاصيل المرحلة .

ولعلها مفارقة ان تتواقف اطلالة فلسطين القادمة على العالم مع تصعيد المحاولة الاميركية من أجل تحييد او حتى الغاء فعل هذه الاطلالة التاريخية لفلسطين من خلال استباق النتائج المحتومة لحكم التاريخ على الكيان الصهيوني ، وتثبيت اسرائيل موقعا دائما في الوطن العربي . وما زيارة وزير خارجية الولايات المتحدة هنري كيسنجر الى عواصم المنطقة قبل انعقاد مؤتمر القمة وبعده الا دليل واضح على استعجاله لان يضع أسس معادلات كفيلة بأن توقف اطلالة فلسطين على العالم من النتائج المنطقية لهذه الاطلالة .

وإذا كانت الجهود الدبلوماسية التي قامت بها السياسة الأمريكية منذ حرب تشرين عام ١٩٧٢ لم تتناسب مطلقاً مع الأهداف المرجحة المحدودة التي أعلنت الولايات المتحدة عنها عندما باشرت بدبلوماسيةيتها ، فإن هذا البطء في إعطاء النتائج المطلوبة دليل على ان الولايات المتحدة لا تمارس كل طاقتها التأثيرية لجعل إسرائيل تمتثل لقرار مجلس الامن ٢٤٢ . وتصيح ضروره بقاء الاستنفار العربي بكل قطاعاته قائمة لمجابهة المحور الاميركي الاسرائيلي اما من اجل تخفيف قدره اسرائيل من الامعان بالاستخفاف بالارادة والقرارات الدولية وخرقها لاراضي العرب وحقوق الفلسطينيين حتى تدفع الولايات المتحدة الى ممارسة ضغوطها، واما ان تعاود الامه العربية ممارسة عقوباتها المصدقة على الولايات المتحدة من اجل بلورة ارادتها واستعدادها ، لممارسة ضغوطها الحقيقية على جعل اسرائيل تمتثل للقرارات الدولية بشأن الانسحاب الكامل من كل الاراضي العربية المحتلة وقرار حقوق الشعب الفلسطيني .

ولعل التمييز بين الموقفين الاميركي والاسرائيلي من حيث اختلاف ادوارهما يجب ان لا يغيب عن اذهاننا كونهما مرتبطين عضويًا في محور واحد . لذلك يدخل عامل النفط وعامل علاقات العرب مع الاتحاد السوفياتي في حساباتنا المرجحة القادمة من حيث ان علينا ان نوصل الى الولايات المتحدة بالذات ان عرب النفط وان كانوا ملتزمين بأن لا يتلاعبوا بالواقع المالي العالمي بشكل يؤدي الى تدهور في الحالة الاقتصادية العالمية الا ان عرب النفط في نفس الوقت غير مستعدين أن يروا نفطهم يوزع آلة الحرب الاسرائيلية في المنطقة من خلال استمرار المساعدات الاميركية العسكرية لاسرائيل وتزويدها بالادوات الضاربة للمصالح العربية الثابتة ، اكان في مجال التنمية او التأسيس او التعبئة لاسترجاع حقوق العرب في فلسطين .

والعامل الثاني في هذا المضمار يكمن في ان تستقيم المعادلة العربية السوفياتية بحيث ان لا نتصرف دبلوماسياً وكأننا ننشط استثنائاً امريكياً في الاجراءات التنفيذية لقرارات مجلس الامن لان هذا من شأنه ان يبدو وكأن العرب يساهمون في معاقبة الاتحاد السوفياتي لانه احكم طوقه المبدئي على الصهيونية والاستراتيجية والدبلوماسية على اسرائيل .

لذلك يترأى لنا ان الخطر يكمن في سماحنا للولايات المتحدة بأن تتصور ان تمحورها مع اسرائيل يعطيها اهلية الوساطة لان هذا يعني ان الحقوق العربية بصورة اجمالية والحقوق الفلسطينية بشكل اخص تخضع للجدول الزمني بشكل عام للذي تضعه استراتيجية ومصالح الولايات المتحدة . هذا يعني بدوره مزيد من التباطؤ في امتثال اسرائيل ومزيد من الفرص لتستجمع قواها وتستعيد قدرتها على التحرك وتفك العزلة عن نفسها وتعيد تنظيم معادلاتها . عندئذ نكون اذا ما تداركنا مخاطر الانزلاق في اطار التعامل الاميركي ، نكون قد جعلنا اطلالة فلسطين على العالم نوعاً من التخدير الذاتي بدلا من ان تكون ما هي عليه بالفعل من تنشيط للوجود العربي الفاعل وتنظيم للحياة العربية ، وجعلها هادئة وقادرة على الانجاز .

هذا هو التحدي ، ان اطلالة فلسطين على العالم واعادة فتح القضية الفلسطينية على مصراعها جاء نتيجة التزام الثورة الفلسطينية بخيار القتال ضد الكيان الصهيوني ، وان توسع رقعة التأييد للقضية الفلسطينية وقضية تحرير الاراضي العربية الذي شاهدها في الآونة الاخيرة جاء اثر التزام عرب المواجهة بخيار القتال ، فكان ان تحركت القضية وكان ان اضطرت الولايات المتحدة الى مراجعة ذاتها وسياساتها . والان تقوم دبلوماسية الولايات المتحدة على جعلنا نسقط الخيارات الفاعلة المتوفرة لدينا —

أي خيار القتال والنفط وأهلية منظمة التحرير لتمثيل الشعب الفلسطيني — لأنه إذا نحن استطنا هذه الخيارات نكون قد حولنا الانتصار الكبير الذي أنجزته الثورة الفلسطينية الى هامش في تاريخ القضية بدلا من ان تكون ما هي عليه اطلالة فلسطين على العالم ، أي ان العرب من خلال قضية فلسطين يصنعون التاريخ ويصنعون المستقبل .

ان أهمية الثورة الفلسطينية في هذه المرحلة تكمن في أنها أنضجت مقومات تفكيرها وكأن في ثورتها شرعية الدولة المسؤولة أمام التاريخ وأمام العالم في حين ان اسرائيل « الدولة » تجد نفسها من جراء الاكذوبة الكبرى التي أشاعتها في العالم بأنها مضطرة الى ان تنمرد على العالم وتخرج منه حتى لا تواجه ديمومة ثورة الفلسطينيين والعرب عليها فحسب بل ثورة اليهود على زيفها ، ثورة الاسرى اليهود بغية الخروج من سجن اسرائيل .

على هامش طرح قضية فلسطين في الأمم المتحدة

الكيان الفلسطيني في مواجهة الكيان الصهيوني

الدكتور الياس شوفاني

« ليس يطلب من دولة ان توافق على تصفيتها ، او ان تنتحر » . هذا ما قاله وزير خارجية اسرائيل ، يغثال آلون ، في خطابه ائرسومي ، امام الجمعية العمومية للأمم المتحدة ، في دورتها التاسعة والعشرين ، والتي ادرجت على جدول اعمالها مناقشة قضية فلسطين . وبعد ان اتهم الوزير الاسرائيلي غالبية الدول الاعضاء في المنظمة الدولية بالتواطؤ مع العرب والتحامل « الذي لا يستند دائما الى الموضوعية » ، على اسرائيل ، حذرهما من الاستجابة لطلب منظمة التحرير الفلسطينية دعوة ممثل عنها الى الجمعية العمومية ، لي طرح من جديد قضية فلسطين . واعلن الوزير ، منذرا ومهددا ، بأن قرارا ، تتخذه الامم المتحدة بهذا المعنى « ستعتبره اسرائيل غير ذي صفة شرعية ، ولا يلزمها بشيء قط » .

هذا التحدي للمنظمة الدولية ، التي تجاوزت في السابق ميثاقها من اجل تثبيت دعائم الكيان الصهيوني على حساب اقتلاع الشعب الفلسطيني من أرضه ، وهذا الانفعال الحاد من طلب ممثل الشعب المقتلع ، ضحية قيام اسرائيل ، من المنظمة الدولية اياها ، اعطاه الفرصة لعرض قضيته العادلة عليها ، ورد الفعل العصبي هذا على مطالبة الشعب الفلسطيني ، المغتصب أرضه ، بالاعتراف الدولي بحقه الطبيعي في تقرير مصيره السياسي ، وهذا التزم والتشنج حيال تمثيل منظمة التحرير الفلسطينية لشعبها ، لماذا ؟ .

لدى كتابة هذه السطور ، (١١/١٠/١٩٧٤) ، كانت اسرائيل قد خسرت الجولة الاولى من المعركة السياسية ، التي بادرت اليها منظمة التحرير الفلسطينية ، على صعيد الامم المتحدة ، متخذة تكتيك الهجوم ، كخير وسيلة للدفاع عن وجودها ومستقبلها ، في هذا الطرف الحاسم ، حيث تجري محاولات خطيرة لتقرير مصير المنطقة ، على الاقل لعدد من السنين . فقد جرى التصويت على ادراج القضية ، قضية فلسطين ، في جدول اعمال الجمعية العمومية ، ونال اكثرية كبيرة ، رغم معارضة اسرائيل ، وامتناع حليفاتها الكبرى ، الولايات المتحدة ، عن التصويت على مشروع قرار الادراج . وكذلك ، فمن الان ، يبدو لكيدا ان محاولات اسرائيل المعلنة ، للحؤول دون دعوة ممثل منظمة التحرير الفلسطينية الى الامم المتحدة ليتولى بنفسه ، ودون شراكة طرف آخر ، طرح القضية في جلسة عامة ، وليس في احدى اللجان الفرعية للمنظمة الدولية ، ستبوء بالفشل . فقد ضمن مندوب المنظمة ، الذي عهدت اليه مهمة الاعداد للدعوة ، الاصوات الكافية لاقرار القرار ، عند التصويت عليه ، (١٤/١٠/١٩٧٤) . وبذلك تحتم امداد المواجهة ، بين الغاصب والمغصوب على أرض فلسطين ، الى منبر

المؤسسة الدولية الكبرى . تلك المواجهة التي بدأت فصولها الاولى مع وصول طلائع المستوطنين الصهيونيين الى شواطئ فلسطين ، والتي دأب الغاصب فيها منذ البداية على طمس معالمها ، ونجح الى حد كبير في تشويه وقائعها ، واستطاع لسنين طويلة التحكم بمجرياتها .

وعند مناقشة القضية ، سيقول ممثل منظمة التحرير الفلسطينية كلمة الشعب الفلسطيني ، على مرأى من الملا ومسمع ، بعد ان قيل الكثير جدا عن ان ليس لهذا الشعب وجود بعد . وكذلك فلن يكون مجال لكبت الصوت الفلسطيني او لتشويهه . ولن يستطيع العدو الصهيوني انتحكم بسير المناقشات وتوجيهها كما يتلاءم ومصالحه ، خارجا عن ارادة صاحب القضية الاول . وستبرز مناقشة القضية ، **حين يكون الطرح الفلسطيني نضاليا** ، يتناول القضية من جذورها ، التناقض المطلق القائم بين الوجود الفلسطيني السياسي وبين الكيان الصهيوني . وستكون لطرح كهذا دلالة واضحة على النجاح الذي احرزه الشعب الفلسطيني ، من خلال حركة تحرره الوطني ، في ابراز الشخصية الفلسطينية والتأكيد على حقها في التعبير عن هويتها سياسيا ، وفي الارتفاع بقضية الشعب الفلسطيني من صعيد اللجوء والاحتياجات الانسانية ، الى صعيد حق تقرير المصير السياسي .

ولان كل ما انجزته الصهيونية كان على حساب شعب فلسطين ، فان كل ما يسترده هذا الشعب من حقوق سيكون على حساب الكيان الذي اقامته الصهيونية على أرض فلسطين . فلا عجب اذن ، ان يكون رد فعل اسرائيل ، كما عبر عنه وزير خارجيتها ، متفعلا عصبيا . فالوزير الاسرائيلي يعي تماما مضاعفات بروز الشعب الفلسطيني على ساحة الصراع السياسي في المنطقة ، وتصديه بنفسه لانتزاع حقوقه من أيدي مفتصبيها . وهو لا يخفى عليه ، طبعا ، ما لحق باقران مجتمعه الاستيطاني في مواجهة حركات التحرر الوطني لسكان البلاد الاصليين . وهذا ما يجعله يفقد توازنه عند الكلام عن منظمة التحرير الفلسطينية ، فلا يترك فرصة تفوته دون الافتراء عليها والتشهير بها .

خطاب ألون في الجمعية العمومية

رغم كلامه المنق عن الفلسطينيين ، وما ينتحله من الليبرالية عند الحديث عن احتياجاتهم الانسانية والسياسية ، فان ألون لا يخرج قيد انملة عن الاطر التي وضعتها الصهيونية التقليدية في نظرتها الى الشعب الفلسطيني . فمن كلامه عنهم تفوح رائحة الاستيطان الكريهة . وخطابه في الجمعية العمومية ، كتصريحات اعضاء حكومته الاخرين ، يراد به الايهام بأن قيادة اسرائيل الجديدة قد غيرت وبدلت من مواقفها تجاه الشعب الفلسطيني . وعهدنا بمثل هذا التكتيك ، في السياسة البراغمية التي انتهجتها الصهيونية ، طويل . فالحكومة الاسرائيلية تجتمع لساعات طويلة ، تناقش مسألة الاعتراف « بالكيان الفلسطيني » ، بعد ان يعلن وزير الاعلام فيها عن استعدادها للاعتراف بذلك الكيان . ليخرج رئيسها بالتصريح ان لا اعتراض لديه على ان هناك مشكلة بالنسبة للعرب « الذين كانوا يعيشون ، في الماضي ، في المنطقة التي هي اسرائيل اليوم ، او الذين يعيشون في المناطق التي تحت حكمها الان » . ثم تخرج الصحف الاسرائيلية بمقالات مطولة عن خلاف في وجهات النظر داخل الحكومة ، بين ألون ورايين ، حول السياسة الواجب اتباعها تجاه القضية الفلسطينية . (راجع نشرة م.د.ف. ، مجلد ٤ ، العدد ١٤ ، ١٥) . ولا تمر فترة زمنية وجيزة ، حتى يقف ألون على منصة الأمم المتحدة ، ويردد حرفيا الفقرة الواردة في بيان حكومة رايين ، الذي

نالت على أساسه ثقة الكنيست ، والتي تقول بوجود حل المشكلة الفلسطينية في اطار المفاوضات مع الاردن . ويتضح كذلك ان الخلاف بين رابين وآلون لا يدور حول الاعتراف بكيان فلسطيني مستقل ما ، فكلاهما يعارضه بشدة ، وانما حول أنجع الطرق الواجب اتباعها ، في المفاوضات الدائرة الان على التسوية السلمية في الشرق الاوسط ، لعزل منظمة التحرير الفلسطينية ، وابعادها عن المشاركة في مؤتمر جنيف . فبينما يرى رابين ان تركيز الجهد الاكبر على التوصل الى تسوية مع مصر كفيل بحل المشاكل « الثانوية » على الجبهات الاخرى ، ولصالح اسرائيل ، يرى آلون ان الاسراع في فتح حوار مع الاردن ، بالاضافة الى أنه يتفق مع وجهة النظر الاميركية ، هو أقصر السبل لقطع الطريق على منظمة التحرير الفلسطينية ، وقبل ان تتجذر مواتعها . وعلى هذا الأساس يجب أن يؤخذ كلام آلون في الامم المتحدة .

وآلون ، على حد قوله ، « لا يوافق على حل شامل [للنزاع العربي الاسرائيلي] لا يتضمن تلبية لاحتياجات الفلسطينيين » . وهو كذلك ، ممثلاً لحكومته ، يعترف « بوجود مشكلة الهوية الفلسطينية » . ولكنه ينكر أن تكون اسرائيل هي التي حالت دون تبلور تلك الهوية السياسية او منعت منها التعبير عن ذاتها في كيان سياسي . ولئن كانت راودت الفلسطينيين تطلعات كهذه ، فالآلون يؤكد بأن الدول العربية هي التي احبطتها ، خلال تسعة عشر عاماً من الحكم في الضفة الغربية وقطاع غزة . والا ، فكيف يمكن ، على حد تعبيره ، تفسير ان الفلسطينيين لم يترجموا تطلعاتهم السياسية عمليا طوال تلك السنين . وواضح ان آلون ، بكلامه هذا ، يهدف الى تحريض الفلسطينيين على نقل صراعهم من الساحة الرئيسية ، ومع العدو الاساسي ، الى الساحات الثانوية ، ومع الحكومات العربية ، واكيدا ان آلون لا يطلق هذا الكلام جزافاً ، فهو يثق من انه سيقع على بعض الاذان الفلسطينية الصاغية .

وانتقل آلون في خطابه الى بيت القصيد ، فعاد الى فتح الدفاتر الصهيونية العتيقة ، واخذ يشرح للفلسطينيين درسا في الجغرافية التاريخية : بان الاردن ليس بالحقيقة الاجزاء لا يتجزأ من « فلسطين التاريخية » ، وبأنه قد أصبح اليوم بمثابة « الوطن القومي للفلسطينيين » . ودرس آخر في علم الاجتماع : ان اكثرية الفلسطينيين تحمل الجنسية الاردنية ، وانه من الناحية الاثنية ، يستوي الاردني والفلسطيني ، فما ينطبق على أحدهما ينسحب على الآخر — لا فرق حضريهما او بدويهما . وآلون مستعد للاعتراف « بفلسطينية » الاردن ولكن ليس بفلسطينية فلسطين ذاتها ، والتي عنها انبثقت الهوية السياسية والاثنية التي يدعي الاعتراف بها . وفي اطار « الاردن الفلسطيني » فقط ، يرى آلون امكانية التعبير السياسي عن الهوية الفلسطينية . اما الهوية الصهيونية ، فلا يتم التعبير عنها الا في « فلسطين اسرائيلية » . وآلون ، الذي يتهم الدول العربية باحباط تطلعات الفلسطينيين السياسية ، يتعامى عن كيف اصبحت اكثريةهم تحمل الجنسية الاردنية ، وعما جرى حتى أصبح الاردن « وطنهم القومي » . فاي فرق هناك بين آلون ، الذي ينتمي الى ما يسمى « بيسار الصهيونية » ، وبين يمينها المتمثل في جابوتنسكي وبيغن ، عندما يكون الكلام عن الفلسطينيين ؟ وكلام آلون يذكرنا باقوال بن غوريون ، عام ١٩٢٨ ، في حوار مع « عصابة السلام » . حيث ، بعد ان اعترف بوجود شعب آخر في فلسطين ، وبأن لهذا الشعب حقوقاً متساوية مع المهاجرين اليهود ، قال : « علينا ان نحافظ على حقوق جيراننا العرب وعلى تساويهم معنا . ولكننا نكون نكذب على انفسنا ، اذا قلنا بأن فلسطين بالنسبة للشعب العربي هي الشيء ذاته بالنسبة للشعب اليهودي » . (مذكرات بن غوريون) .

وآلون ، « عن معرفة شخصية بالجمهور الفلسطيني » ، يرفض أن يخلط بين ذلك الجمهور وبين « منظمات الارهاب الفلسطيني » . وبمقاييسه التي اكتسبها من خبرته الطويلة في الارهاب الصهيوني السري ، لا يعتبر آلون منظمة التحرير الفلسطينية حركة تحرر وطني ، تسعى لتحرير شعب مستعبد من الحيف الذي يلاقه على يد غيره من الشعوب ، ولديها جيش سري يقاتل من أجل الاستقلال الذاتي . وانما هي مجموعة « عصابات ارهاب مغامرة ، تبحث عن شعب لتتبناه ، عصابات تسعى لبلورة شعب والتحكم فيه ، عن طريق ابادة شعب آخر — وكل ذلك في حين ان هناك مجالاً لتعايش الشعبين — اليهودي والعربي ، في فلسطين التاريخية ، على جانبي الاردن ، وبحدود بينهما ، تقررهما المفاوضات » . ويطلق الون لنفسه العنان في تعداد « جرائم » المنظمات الفلسطينية ، من قتل للاطفال والابرياء وغيره . وينتهي وزير خارجية اسرائيل الى الادعاء بأن ضحايا عمليات المقاومة الفلسطينية من العرب تزيد عنها من اليهود ، وان الجيوش العربية قتلت من تلك المنظمات أكثر مما فعل الجيش الاسرائيلي .

وليس غريباً ، طبعاً ، على وزير خارجية اسرائيل هذا التشهير بحركة المقاومة الفلسطينية وهذا التشويه لنضالها الوطني ، فالون هو ربيب الصهيونية ، التي كقريناتها من حركات الاستيطان ، لا تنفك تشوه وقائع الواجحة مع سكان البلاد الاصليين ، خاصة عندما يحتدم الصراع بينهما ، ولا يعود بالامكان اخفاؤه . فهي بعد ان تكون قد تجاهلت وجودهم لتغزو بلادهم ، وتعامت عن نضالهم لتسلب ارضهم ، تشوه معالم الصراع معهم ، وتحط من قيمهم الاخلاقية ، بحيث تصورهم دون المستوى البشري ، لتضفي على ما ارتكبته بحقهم طابعاً من الشرعية ، يقوم على اعراف البلاد الام لحركات الاستيطان تلك .

ولكن آلون ، عند الكلام عن الفلسطينيين من على المنصة الدولية ، لا يفوت على نفسه فرصة طرح صنارة ، ولو واحدة ، الى مياه الشرق الاوسط العكرة ، فلعل وعسى . فبينما يهاجم منظمة التحرير ، وينزع عنها صفة تمثيل الشعب الفلسطيني ، وينفي دعم ذلك الشعب لها ، يقول : « اما تفهم لاحتياجات الجمهور الفلسطيني ، فنعم ، واما استجابة لطلبات محترفي القتل ، الذين ينصبون انفسهم « محررين » — فلا » . وعلى الون لا تخفى التناقضات في الساحة العربية ، او حتى الفلسطينية . وهو يذهب الى ابعد من ذلك في مناورته مع منظمة التحرير ذاتها ، فيؤكد بأن اسرائيل لن تعترف بها بسبب ايدولوجيتها ، وهو يعني بذلك « الميثاق الوطني الفلسطيني » ، وبسبب اعمالها ، والمقصود بذلك هو العمل المسلح . وهكذا يوحي آلون بأنه اذا تنازلت المنظمة عن هذين الامرين — فالمسألة فيها نظر . والسؤال الذي يطرح نفسه هنا هو ، لماذا لم تعترف حكومة آلون بالمنظمة او بسابقاتها من المؤسسات الفلسطينية ، حين لم يكن الميثاق بعد ، وقبل أن يقوم الكفاح المسلح ؟ وما هي الضمانة لمثل هذا الاعتراف ؟ اهي التجربة الفلسطينية مع الصهيونية ؟!

الاصرار على حل القضية الفلسطينية من خلال الاردن ، لماذا ؟

في ظاهره ، يبدو الموقف الاسرائيلي ، في اصراره على حل قضية فلسطين في اطار الاردن ومن خلاله ، مليئاً بالمفارقات . فهناك ، على حد تصريحات الرسميين الاسرائيليين ، اعتراف « بالهوية الفلسطينية » ، وبضرورة العمل على ايجاد حل لمشكلتها . وكثيراً ما أعلن المسؤولون في اسرائيل ، ولا داعي للشك في ذلك ، بأنهم لا يرغبون في اضافة مليون عربي من المناطق المحتلة الى سكان اسرائيل . وهم ، كما

يدعون رسمياً ، لا يريدون الإبقاء على عرب المناطق تحت الاحتلال ، الى ما لا نهاية . فلماذا إذن ، وحتى في اطار تسوية سلمية شاملة ، لا يتركونهم وشأنهم ، يقررون مصيرهم بأنفسهم ؟ واذا كانت اسرائيل ستسحب من الضفة الغربية ، في اطار تسوية شاملة فرضاً ، فماذا يعنيها ان تقوم دولة فلسطينية هناك او لا تقوم ؟ ولماذا الاصرار على الا مكان لاكثر من دولتين بين البحر والصحراء ؟ ولماذا التزمت حكومة رابين بالقرار الذي اتخذته في ٢١ تموز (يوليو) ١٩٧٤ ، والذي ينص على التالي : « ستعمل الحكومة من اجل مفاوضات على اتفاق سلام مع الاردن . وسيرتكز السلام على أساس قيام دولتين مستقلتين فقط : اسرائيل وعاصمتها القدس الموحدة ، ودولة عربية اردنية — فلسطينية الى الشرق من اسرائيل ، في حدود تقر بالمفاوضات بين اسرائيل والاردن . وفي هذه الدولة يعبر عن الهوية المستقلة للاردنيين والفلسطينيين ، من خلال سلام وعلاقات جوار جيدة مع اسرائيل » . (نشرة م . د . ف . مجلد ٤ ، عدد ١٥) .

وفي تقديرنا ، ان لهذا الاصرار الاسرائيلي سببين : احدهما يتعلق بالتصور الاسرائيلي للدولة اليهودية المستقبلية ، على الاقل للمستقبل المنظور ، وهو تصور يرتكز على منطلقات صهيونية تقليدية . والثاني يتعلق بالسياسة الاسرائيلية على المدى القصير ، وهي سياسة تملئها ، الى حد كبير ، اوضاع اسرائيل الداخلية .

للمدى البعيد

معلوم ان زعماء الحركة الصهيونية اعتبروا شرق الاردن داخلاً في الرقعة الجغرافية التي منحتم اياها الدول الامبريالية في وعد بلفور . وبذلك أصبح شرق الاردن في نظرهم جزءاً من « الوطن القومي اليهودي » . الا ان التيار الرئيسي في الحركة الصهيونية ، ولاسباب تاريخية وموضوعية معروفة ، جمد مطالبته بالضفة الشرقية للاردن ، مع انه لم يعلن تنازله عنها . هذا في حين ان حزب حيروت ، ما زال السى يومنا هذا يرفع شعار « للاردن صفتان » . وفي السنوات الاخيرة ، خاصة منذ حرب حزيران ، يلاحظ ان كلام زعماء اسرائيل عن ان شرق الاردن هو قسم من « فلسطين التاريخية » أخذ بالازدياد ، وليس أقله خطاب آلون الاخير في الامم المتحدة . وعلى ما يظهر ، فان القيادة الصهيونية ، التي في مراحل الاستيطان الاولى تجاهلت وجود الشعب الفلسطيني عامة واعتبرت « أرض اسرائيل » على جانبي الاردن مسرحاً لنشاطها الاستيطاني ، أخذت مع الزمن ، وفي أعقاب المقاومة الفلسطينية للهجرة اليهودية ، تتبنى فكرة اقتسام « أرض اسرائيل » مع الفلسطينيين ، ولكن دون التصريح بذلك .

وكان طبيعياً ان ترى في شرق النهر الحصة العربية ، وفي غربه اليهودية . وخلال سني الاستيطان ، وفي أكثر من مرة ، حتى قبل قيام اسرائيل ، جرى كلام في مؤتمرات صهيونية عن « نقل » عرب فلسطين الى الضفة الشرقية . وليس أقل ذلك الكلام ما طرحه كاتسلسون — أحد مؤسسي حزب العمل اليهودي وزعيمه لمدة طويلة — في الثلاثينات ، والذي أثار ضجة بين أطراف اليسار الصهيوني وأوساط « عصبة السلام » في حينه . ولكن الظروف التي واكبت قيام دولة اسرائيل ، والتي ليس هنا مجال بحثها ، لم تسمح للقيادة الصهيونية بتنفيذ مخططاتها كاملة . الا انه بعد قيام الدولة ، وفي أكثر من مناسبة ، صدر عن زعماء اسرائيل كلام بهذا المعنى ، ومن بينهم بن غوريون ، وغولدة مئر ، ورايين ذاته . وتحركات اسرائيل حول المشكلة الفلسطينية تدل على انها ما زالت تخطط لزج الشعب الفلسطيني في شرق الاردن ، بينما تستأثر هي في

غربه . وأسلوب اسرائيل في تنفيذ مخططاتها التوسعية ، عن طريق الضم الزاحف ، أصبحت معروفة جيدا . والأساس في ذلك الاسلوب هو الانطلاق من مبدأ ان الارض عنصر ثابت ، بينما السكان عليها هم العنصر المتغير ، وتغيره يعتمد أصلا على ديناميكية الاوضاع السياسية . فالهم اذن هو التحكم في الوضع السياسي بالمنطقة لخلق الديناميكية المناسبة لتنفيذ عملية الضم عند الحاجة . ومن هنا ، فلا بأس ان يبقى السكان العرب على قسم من الارض في فلسطين ، ما دام وضعهم السياسي لا يحول دون « نقلهم » ، بطريقة أو بأخرى ، الى مكان آخر . والكيان السياسي المستقل هو احد أهم العوائق لذلك .

لقد كان أمل اسرائيل الاكبر ، بعد عام ١٩٤٨ ، ان يذوب الفلسطينيون في العالم العربي ، خاصة في الاردن . وما أكثر ما صدر عن الاسرائيليين ، الرسميين وغيرهم ، من أن الفلسطينيين ليسوا أمة ، وانه لم يكن لهم قط استقلال ذاتي ، وانهم لم يبلوروا أبدا حركة قومية مستقلة ، الى غير ذلك من الحجج الواهية في محاولة لاثبات ان العمل الفلسطيني ليس الا تمويها لسياسة عربية عدوانية ، هدفها القضاء على اسرائيل .

ولكن السنوات الاخيرة من العمل الفلسطيني ، والنجاحات التي أحرزتها الثورة الفلسطينية ، أبرزت بكل وضوح ، ليس في اسرائيل فحسب ، بل في العالم أجمع ، الشخصية الفلسطينية المستقلة . ولما لم يعد بالإمكان انكار الهوية الفلسطينية ، وأصبح من دواعي السخرية ادعاء زعماء اسرائيل بالأ وجود للشعب الفلسطيني ، وبأن ذلك المسمى ليس الا بدعة عربية ، عمدت اسرائيل الى تحوير ما كانت تقول عن الفلسطينيين وأخذت تطلقه على الاردن . فاذا به يصبح كيانا مصطنعا ، وانه ليس الا جزءا من فلسطين التاريخية ، وان أغلبية سكانه من الفلسطينيين ، الخ . فعندما فشل تكتيك « أردنة » الفلسطينيين ، تحولت اسرائيل الى لعبة « فلسطينة » الاردن . والمهم ان الجوهر بقي واحدا — وهو انتماء الفلسطينيين الى شرق الاردن ، حتى لو تواجدوا مرحليا غربه .

وطبعي ان ترى اسرائيل بقيام دولة فلسطين مستقلة غربي النهر ما يضع حدا للعبتها هذه ، وانه سيكتف عقبه كأداء في طريق تنفيذ مخططاتها للمستقبل البعيد من « نقل » عرب فلسطين الى شرق النهر . فقيام مثل هذه الدولة سيحذر الشخصية الفلسطينية ، ويكسبها مع الوقت مقومات الانتماء الوطني ، اسوة ببقية شعوب العالم العربي ، في دولها المستقلة . وبالمقابل ، وبموازاة مثل هذه التطورات على الساحة الفلسطينية ، وربما كرد فعل عليها ، ستبرز اتجاهات مماثلة على الساحة الشرق أردنية . فلا يمضي زمن طويل قبل أن يصبح كل واحد من الشعبين ذا شخصية مستقلة تماما ، تثقل على عملية انتقال سكان الضفة الغربية العرب الى الضفة الشرقية « بصورة طبيعية » ، كما انها ستزيد من تصميم الفلسطينيين على الصمود في مواضعهم والدفاع عنها عند الحرب ، خلافا لما جرى في السابق . وهذا ما تريد اسرائيل ان تتفاداه مسبقا ، ان استطاعت الى ذلك سبيلا .

ولا شك في ان اسرائيل ، على حد قولها ، تخشى من ان يؤدي قيام دولة فلسطينية ، في الظروف الراهنة التي يعيشها الفلسطينيون في شتاتهم ، الى تجمع قسم كبير منهم في الضفة الغربية . فلا تليث تلك الدولة ان تنفجر ، تحت ضغط الكثافة السكانية ، مرسلة شظاياها الى ما جاورها من الدول .

للمدى القريب

أما على المدى القريب ، ففتكتاف عوامل عدة في إسرائيل ، تدفعها باتجاه التزمّت حيال المشكلة الفلسطينية ، والتشنج ازاء ما يطرح الآن من حلول لها . ومن أهم تلك العوامل ، التركيبة السياسية للمؤسسة الحاكمة ، في اطار اللعبة الديمقراطية القائمة حاليا هناك . وليس أقل أهمية من ذلك ، هذا اذا افترض ان الحكومة الاسرائيلية قبلت بحل ما ، يستجيب ولو جزئيا لطلبات الفلسطينيين ، كالدولة الفلسطينية مثلا ، تبرير مثل هذا القبول للشعب الاسرائيلي ، واخراجه لجيل الشباب الذي نشأ على الاصول الصهيونية .

مُحكّومة رابين الحالية ، هي حكومة ائتلافية ، تقوم على أكثرية صوت واحد في الكنيست ، من أصل مائة وعشرين . وقد التزمّت هذه الحكومة بخط سياسي تجاه الفلسطينيين (انظر أعلاه) ، أعلنته في بيانها الوزاري الذي نالت على أساسه الثقة . كما تعهدت حكومة رابين بإجراء انتخابات عامة قبل التوقيع على أي اتفاق ، ينطوي على اتخاذ خطوات لمؤسسة في الضفة الغربية ، لاعطاء الجمهور الاسرائيلي فرصة التعبير عن رأيه في الموضوع . ورايين يخشى الدخول في معركة انتخابات في هذا الظرف ، وعلى أساس مسألة شائكة ، كمستقبل الضفة الغربية ، تتضارب فيها الآراء الاسرائيلية بشدة . فهو لم يثبت اقدامه بعد في المؤسسة الاسرائيلية الحاكمة ، ويخيم على حكومته شبح مراكز القوى التقليدية ، التي أصبحت الآن خارج الحكم . وظل دايان الطويل يتابع رابين في جميع تحركاته السياسية ، خاصة ما يتعلق بالناطق المحتلة . وفي داخل الحكومة ، يقع رابين بين مطرقة آلون وسندان بيرس ، حليف دايان . ولربما كان في كلام آلون الأخير ، بعد عودته من نيويورك من انه لا يريد البقاء في حكومة ، تقرر الانتخابات سياستها ، دلالة على تصاعد الخلاف في وجهات النظر داخل الحكومة . واما تصريح رابين الأخير ، من انه مستعد لتنازلات اقليمية في الضفة الغربية الى الملك حسين ، مقابل اعلان الاخير انتهاء حالة الحرب مع اسرائيل ، فهو مناورة مكشوفة ، يقصد بها تدعيم مركز الملك حسين تجاه العالم العربي ، في حين تطرح قضية فلسطين على الامم المتحدة ، وعشية انعقاد مؤتمر القمة العربي في المغرب . وفي تقديرنا ، بأن في الضفة الغربية ستكون مقبرة رابين السياسية ، الا اذا انقذه الملك حسين . ويبدو أن رابين نفسه يعتقد ذلك ، ولذا فهو يتحرك هناك بحذر شديد .

وحكومة رابين لا شك تعلم مدى تمسك الجمهور الاسرائيلي بالضفة الغربية ، ورفضه اعادتها الى ايد عربية ، خاصة ايدي منظمة التحرير الفلسطينية . وهذا التمسك هو نتيجة طبيعية للتعبئة الفكرية التي مارسها الصهيونية على اتباعها ، خلال قرن من الزمن . ولعل لحظة موجزة عن نظرة الصهيونية الى الشعب الفلسطيني تفسر هذا التمسك .

كباقي حركات الاستيطان ، في نظرتها الى سكان البلاد الاصليين ، هكذا الصهيونية ، تجاهلت وجود عرب فلسطين قبل مواجعتهم ، وتعامت عن مقومات تلك المواجهة عندما وقعت ، وشوهت وقائعها عندما قويت ، وانقلبت ، على الجانب الفلسطيني ، الى حركة تحرر وطني . ففي مراحل الاعداد للهجرة الجماعية ، وحتى في بداياتها ، اعتبر المستوطنون الصهيوينيون الارض الفلسطينية خلوا من الشعب ، تارة ماديا وطورا معنويا . فقد غاب الفلسطينيون عن الصورة عند تخطيط زعماء الصهيونية للاستيلاء على الارض . ولئن اعترفوا حينما بحضورهم الجسدي ، فقد غيبوهم حضاريا

أحيانا ، لكونهم ليسوا من الناس — الناس البيض المتحضرين .

ولعل فيما قاله الفيلسوف — الكاتب اليهودي ، احاد هعام ، (١٨٥٦ — ١٩٢٧) ، خير دلالة على ما اتسمت به نظرة المستوطنين الصهيونيين الى عرب فلسطين ، من تجاهل واحتقار . فبعد رحلة قام بها الى فلسطين ، عام ١٨٩١ ، كتب احاد هعام مثلا بعنوان « حقيقة من فلسطين » . وقد جاء فيه ما يلي : « درجنا نحن في الخارج على الاعتقاد بأن فلسطين الان مقفرة تقريبا ، صحراء غير ذي زرع ، ومن أراد شراء الارض بها ، فليأت ويشتر كما يطيب له . . . ودرجنا نحن في الخارج على الاعتقاد بأن العرب جميعا هم من وحوش البراري ، شعب أشبه ما يكون بالحمر ، وانهم لا يرون ما يجري حولهم ولا يفقهونه . . . ودرجنا نحن في الخارج على الاعتقاد بأن الحكومة التركية ضعيفة ومضطربة ، الى حد انها لا تعير اهتماما أبدا لما يجري في فلسطين . واننا بالرثوة ، نستطيع أن نفعل كل شيء ، وكم بالحري اذا كنا تحت حماية ممثلي دول أوروبا » . ومضى احاد هعام ينفي هذه المزاعم ، ولكن هيهات أن يثني صوته المتردد دعاء الصهيونية عن المضي في تنفيذ مشاريعهم الاستيطانية . فمنهم من ذهب الى التخطيط لخلق واقع جديد ، يتفق والمنطلقات الذاتية للصهيونية السياسية . ومنهم من عمد الى تغييب الفلسطينيين حضاريا ، عله يوحى بانعدام التناقض بين المنطلقات الذاتية للصهيونية والظروف الموضوعية في فلسطين . ولعل أبرز الامثلة على التغييب الحضاري ، ما قاله احد منظري « اليسار الصهيوني » الاولين ، بير بوروخوف ، (١٨٨١ — ١٩١٧) .

ففي أحد أهم مقالاته ، « برنامجنا » ، يقول بوروخوف : « وليست لابناء فلسطين صفة اقتصادية أو حضارية مستقلة . فهم منقسمون على أنفسهم ومفتتون ، ليس فقط بسبب تضاريس البلد ، ولا بسبب التمايز الديني فيه ، وانما أيضا لكونه خانا دوليا . وأبناء البلد ليسوا أمة واحدة ، وسيمضي وقت طويل قبل ان يصبحوا كذلك . وهم يستوعبون أي طابع حضاري ، يكون أرفع من مستواهم ، ويأتيهم من الخارج ، بسرعة وسهولة كبيرتين . وليس بمقدورهم التكتل في عملية مقاومة منظمة ضد التأثيرات الخارجية . وهم غير مهئين للتباري على الصعيد القومي — ومباراتهم تأخذ الطابع الفردي أو الشملي . . . وسكان فلسطين سيتكيفون مع أي طابع اقتصادي أو حضاري ، يحتل موقعا يهيمن اقتصاديا على البلد . وهم سيندمجون من الناحيتين — الاقتصادية والحضارية ، بمن يدخل النظام الى البلد ، وبمن يأخذ على عاتقه تطوير قوى الانتاج في فلسطين . والمهاجرون اليهود هم الذين سيتولون تطوير قوى الانتاج في فلسطين . أما السكان المحليون فيها ، فسيندمجون ، على مر الأيام ، اندماجا اقتصاديا وحضاريا ، باليهود . » [التشديد بالاصل] .

ولما لم يعد ادعاء الجهل بالوجود الفلسطيني ممكنا ، بواقع الاصطدام به من خلال تنفيذ عملية الاستيطان ، عمدت السياسة الصهيونية الى التعامي عن ذلك الوجود ، ومحاولة الاستدارة حوله . ولجأت الى التعامل مع المشاكل الناجمة عن الاستيطان من خلال موازين القوى الدولية ، بدلا من التقاهم مع القوى المحلية ، على حد قول الفيلسوف اليهودي مارتن بوبر (١٨٧٨ — ١٩٦٥) . واشترت الاراضي من الاقطاعيين ، غير آبهة بمضير الفلاحين الذين عليها . وبعد ان تحكمت باقتصاد البلد ، تبنت سياسة العمل العبري والسوق اليهودية ، وهي لا تعبأ بحياة السكان المحليين الاقتصادية . هذا قليل من كثير من سياسة التعامي ، التي بلغت ذروتها في كلام بن غوريون ، عندما قال في مناقشة بيان « عصبة السلام » ، عام ١٩٢٨ ، انه لا يرى في فلسطين مشكلة عربية وانما يرى فيها مشكلة يهودية فقط .

ولعل البراعة الصهيونية بلغت أوجها في تشويه طبيعة الصراع الدائر على أرض فلسطين . وما كلام آلون الآخر في الأمم المتحدة ، الا حلقة جديدة من مسلسل طويل في الامتراء على الشعب الفلسطيني ونضاله . فمئذ ان تصاعدت المواجهة بين الشعب الفلسطيني والمستوطنين اليهود الى حد الصدام المسلح ، انبرت الدعاية الصهيونية لطمس معالم النضال الفلسطيني وتشويه وجهه التحرري . فالفلاحون الذين هبوا يقاتلون دفاعا عن وسيلة حياتهم الوحيدة - الارض التي سلبت منهم وأجلوا عنها هائمين على وجوههم ، اصبحوا في نظر المستوطنين انصهانية عصابات من اللصوص ، همها السرقة والتخريب . وقيائل البدو التي حرمت مراعي قطعانها ، تمغزت المستوطنات اليهودية الجديدة ، وصفت بالبدائية والنفور من الحضارة وحياة الانتاج المستقرة ، وبالخروج على شرعة القانون والاعراف المتعدنة . وبذلك صوروا وكأنهم أعداء للمدنية ، التي يحملها معه المستوطن الغربي « الابيض » . وكتائب الارهاب الاولى التي اقيمت لتكون ذراع الاستيطان الضاربة ، سميت على يد المستوطنين « حركة الحراس » ، ايها ما بأنها انما انشئت لتحافظ على ما جناه المستوطنون بعرق جبينهم ، ضد عصابات الفوضى والتخريب . والاضرابات التي قامت احتجاجا على الهجرة اليهودية ، سميت اضطرابات وأعمالا غوغائية ، قام بها الرعاع بتحريض من عناصر مشبعة بالحق والتعصب الديني . وتحركات الشعب الفلسطيني السياسية ، من أجل الحفاظ على بقائه في وطنه ، عزيت الى تحريض اجنبي ، ووصفت بأنها تمويه لحركات عدوانية من خارج الحدود ، الخ . وأخيرا وليس آخرا ، ففصائل المقاومة الفلسطينية في مصطلح وسائل الاعلام الصهيوني ، هي « عصابات من محترفي القتل » ، والاعمال الفدائية ليست الا عمليات « اجرامية » ، والثورة الفلسطينية « عملية للاتحاد السوفياتي » ، والدولة الفلسطينية لن تكون أكثر من « قاعدة روسية في المنطقة » ، الخ . والفلسطينيون لا يريدون من دولتهم على الضفة الغربية الا « لتكون قاعدة ينطلق منها القتل الى قلب اسرائيل » .

وبعد هذا القاموس الصهيوني من « المصطلحات الفنية » للصراع الفلسطيني الاسرائيلي ، وبعد هذا الدأب المستمر على التشويه ، كيف بصانعي السياسة الاسرائيلية في مواجهة شعبهم باتفاق مع الفلسطينيين ، وماذا عساهم يقولون عنه ؟ وكيف تبرر القيادة الصهيونية ، التي ربت أبناءها على هذا التراث من التضليل ، الاعتراف بحقوق الفلسطينيين على الضفة الغربية مثلا ، وليس على يافا وحيفا وغيرها ؟ وماذا سيكون ردها على عروبة الجليل الذي لا تزال اكثرية سكانه من العرب ؟ وماذا سيكون جوابها على الاسئلة التي يثيرها جيل الشباب الاسرائيلي والتي أخذت تحوم مؤخرا حول شرعية الدولة الصهيونية ، بعد أن كانت لا تتعدى سياسة الحكومة ؟ هذا بغض النظر عن التعقيدات النفسية التي يواجهها المستوطنون « البيض » ، لدى ارغامهم على التراجع امام حركة التحرر الوطني « للسود » من سكان البلاد الاصليين . فأمام كل هذه الاعتبارات الداخلية ، تواصل القيادة الصهيونية في اسرائيل الهروب الى الامام .

في الامم المتحدة

لئن فاجأ العرب اسرائيل في حرب تشرين ، فقد فاجأتها منظمة التحرير الفلسطينية بمبادرتها الى طرح قضية فلسطين في الامم المتحدة . وازاء هذا التحرك من جانب الثورة الفلسطينية وفتت اسرائيل موقف الخيار بين أهون الشرين . فمئذ البداية ، كانت هناك قناعة لدى الحكومة الاسرائيلية ، أثبتت صحتها التصويت على ادراج القضية في جدول أعمال الدورة الحالية (٢٩) للجمعية العمومية ، بأنها ستكون أعجز

من أن تحول دون ادراج القضية ومناقشتها في الامم المتحدة ، كبند منفصل ، وقائم بذاته . ولذا فقد اتجهت نحو العمل على افرأغ طرح القضية من أي مجتوى مادي ملموس ، خاصة فيما يتعلق بالاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية كحركة تحرر وطني ، ومن ثم الاعتراف بها كممثلة شرعية ووحيدة للشعب الفلسطيني . ولكن مصادر الحكومة الاسرائيلية المفوضة ، اعترفت مرارا بصعوبة الحؤول دون ذلك ، لما تتمتع به الثورة الفلسطينية من تأييد واسع على الصعيد الدولي ، وما تستطيع أن تجنده من أصوات في الجمعية العمومية لتأييد الحقوق الوطنية المشروعة للشعب الفلسطيني . ولذا ارتأت الحكومة الاسرائيلية أن تصب جهدا كبيرا في محاولة تأجيل البحث الى موعد متأخر ، متذرة بحجة ضرورة الاستمرار بالنشاطات السياسية ، التي تمهد للمرحلة التالية من مفاوضات التسوية .

وازاء هذا الوضع ، عمدت اسرائيل الى العمل من خلال توازن القوى السياسية ، أي ضمان الدعم السيانبي لبعض الدول الكبرى ، دون الاهتمام الكبير بالناحية الدستورية - أي عدد الأصوات الى جانب هذا القرار أو ذاك . ويهم اسرائيل أولا موقف الولايات المتحدة من القضية ومن مسألة طرحها أصلا . وهي تولي موقف دول أوروبا أهمية كبيرة ، خاصة تعليقات تلك الدول على الصياغات المختلفة التي قد تقدم كمشاريع قرارات ، وما ينطوي عليه ذلك من نظرات سياسية ، تعكس آراء تلك الدول في سبيل حل مشكلة فلسطين .

الا أن الولايات المتحدة لم تستجب لطلبات اسرائيل المتلاحقة ، بتقديم تعهد مسبق لها يأخذ صفة الالتزام الملزم بالتصويت ضد مشاريع القرارات التي ستقدم الى الجمعية العمومية ، من ادراج القضية على جدول الاعمال ، الى دعوة ممثل منظمة التحرير ل طرحها ، الى الاعتراف بالمنظمة كممثلة للشعب الفلسطيني . ويبدو ان اسرائيل تخشى استعمال الولايات المتحدة صوتها بالامم المتحدة بشأن القضية الفلسطينية كأداة للضغط على كل من اسرائيل والاردن ، لدفعها باتجاه التحرك نحو تسوية مرحلية على تلك الجبهة . وربما كانت تصريحات رايبن الأخيرة ، باستعداد اسرائيل لتقديم تنازلات اقليمية للاردن مقابل اعلان انتهاء حالة الحرب معها ، صدرت على هذه الخلفية .

ويستشف من أقوال الصحف الاسرائيلية قلقها من أن يؤدي اعتراف الامم المتحدة بالحقوق الوطنية المشروعة للشعب الفلسطيني الى دعوة منظمة التحرير الفلسطينية للمشاركة في المفاوضات على التسوية السياسية الدائرة الان . كما ان هناك تلميحا الى مخاوف من أن تنتهي الامور ، بعد اعتراف واسع النطاق بحقوق الشعب الفلسطيني ، وبالممنظمة كممثلة الشرعية الوحيدة ، الى العمل على طرد اسرائيل من الامم المتحدة . ولذا فانه يتوقع ان تقوم اسرائيل بحملة مسعورة للحؤول دون وصول الفلسطينيين الى بداية الطريق المؤدية الى تلك المرحلة . واكدوا انها ستحاول عرقلة سير المناقشات ، وستعمل على تمييع القرارات التي ستتخذ بهذا الشأن .

وفي مناورتها داخل الامم المتحدة وخارجها ، تستعمل اسرائيل تكتيكا ذا وجهين : احدهما الترغيب والآخر التهيب . فبينما يرفض الآون رفضا باتا امكانية اعتراف اسرائيل بمنظمة التحرير الفلسطينية ، يؤكد اعتراف حكومته « بوجود مشكلة الهوية الفلسطينية » ، وقناعتها بضرورة العمل على حل تلك المشكلة . وفي ذلك استدرج واضح لفئات فلسطينية ، خارج منظمة التحرير ، لتلعب دور البديل ، وتدخل في حوار مع اسرائيل . وفي نفس الوقت ، يخرج رايبن ، بعد اصرار طويل على أن تبدأ المرحلة القادمة من المفاوضات مع مصر ، بتصريحاته المذكورة عن الاردن . واما على صعيد

التهريب ، فتأتي أقوال آلون من ان اسرائيل ستعتبر قرارا ، يصدر عن الامم المتحدة ويعترف بمنظمة التحرير الفلسطينية كممثلة للشعب الفلسطيني ، واية قرارات أخرى مماثلة تعتبرها اسرائيل ضارة بمصالحها الحيوية ، غير شرعية ولا تلزمها بشيء قط . هذا الى جانب التصريحات الكثيرة عن ان مناقشة القضية الفلسطينية في الامم المتحدة ، وفي هذا الظرف بالذات ، ستعرقل سير مفاوضات التسوية السلمية . وفي هذا اشارة واضحة الى المعنيين باستمرار تلك المفاوضات . أما على الصعيد الدعاوي ، لن تترك اسرائيل سهما في جعلتها لا تطلقه على نضال الشعب الفلسطيني وعلى منظمة التحرير وقصائل المقاومة . وهي ، كما يبدو ، تعد حملة اعلامية واسعة النطاق ، تبدأ عند مناقشة القضية في الامم المتحدة .

إيضاح

سقط من خاتمة مقال الاستاذ منير شفيق « فلسطين في الامم المتحدة : خطوة نضالية » الذي نشرناه في العدد الماضي ، رقم ٢٨ ، من شؤون فلسطينية ، ثبت المصادر التي اعتمد الكاتب عليها ، ولم تنتبه المجلة الى هذا الخطأ الا بعد صدور العدد . واذ ننشر فيما يلي ثبت مصادر المقال المذكور ، كما تسلمناه من كاتب المقال في حينه ، نقدم اعتذارنا الى كل من كاتب المقال ومن الاستاذة المذكورين في ثبت المصادر .

مصادر البحث :

- ١ - القرار ٢٤٢ بين التعديل والتبديل - جورج طعمه (النهار ١٣ ، ١٤ ، ١٥ حزيران ١٩٧٤) .
- ٢ - قرارات هيئة الامم حول فلسطين ١٩٤٧ - ١٩٧٢ (بالانكليزية) ، جبع وتصنيف سامي مسلم - مؤسسة الدراسات الفلسطينية .
- ٣ - فلسطين والشرق الاوسط في الجمعية العامة للامم المتحدة . تلخيص لاحداث الدورة الثامنة والعشرين ، د. فايز صائغ ، شؤون فلسطينية ، عدد ٣١ .
- ٤ - قضية القدس في الامم المتحدة ، جورج طعمه (النهار ١١ ، ١٢ كانون الثاني ١٩٧٤) .
- ٥ - ر.أ.أ. ، مركز الابحاث ، ١٥/٨/١٩٧٤ .
- ٦ - « السياسة » الكويتية ، ٢/٩/١٩٧٤ .
- ٧ - الاهرام ، ٢/٩/١٩٧٤ .
- ٨ - الاتوار ، ٣/٩/١٩٧٤ .

«انهاء حالة الحرب» بين الدول العربية واسرائيل وأثارها على القضية الفلسطينية

الدكتور عدنان العمدة

هذه الدراسة هي محاولة للإجابة على السؤال التالي : ما هي الآثار القانونية والسياسية التي ستلحق بالقضية الفلسطينية في حالة اعلان « انهاء حالة الحرب » * بين الدول العربية واسرائيل* ؟. سوف تعتمد الاجابة عن السؤال على المفهوم القانوني لبدا انهاء حالة الحرب كما ورد في قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ لعام ١٩٦٧ وهو القرار الذي يعتبر حالياً الوثيقة الدولية المعتمدة اساساً لإقامة سلم « دائم وعادل » في الشرق الاوسط(١). وعليه فان الدراسة ستدور بالدرجة الاولى ضمن اطار الصيغة القانونية المستعملة في القرار ولن تنطرق الى موضوع اللاشريعة التاريخية او اللااخلاقية السياسية للكيان الاسرائيلي او لبطان الاسس القانونية التي قامت عليها اسرائيل الا بالقدر الذي يخدم متطلبات البحث مباشرة .

تنطلق الدراسة من قناعة مسبقة لان القضية الفلسطينية هي اصل النزاع العربي - الاسرائيلي وان ما سيلحق بها سياسياً سيكون مؤثراً وكذلك متأثراً بمجموعة الخفريات التي ستطرا على النواحي العسكرية والاقتصادية من النزاع بعد ان يتم اقرار انهاء حالة الحرب***.

قرار ٢٤٢ ومبدأ انهاء حالة الحرب

ينص القرار على أن السلام في الشرق الأوسط يجب أن يقوم على مبدئين : **البدا** **الاول** : سحب القوات المسلحة الاسرائيلية من اراض احتلتها اثناء النزاع - النص الفرنسي يستعمل تعبير « الاراضي التي احتلتها » وهو التعبير الذي يعتمد عليه الموقف العربي ويعتبر اكثر انسجاماً مع مبدأ « عدم الاستيلاء على الاراضي بواسطة الحرب » الذي جاء في مقدمة القرار . **والبدا الثاني** : انهاء جميع ادعاءات وحالات الحرب واحترام واعتراف بسيادة ووحدة اراضي كل دولة في المنطقة ، واستقلالها السياسي وحققها في العيش بسلام وضمن حدود آمنة ومعترف بها وحررة من التهديد أو اعمال القوة .

* انهاء حالة الحرب ، اصل التعبير عن الانكليزية
** يشمل تعبير « الدول العربية » في البحث كل من مصر وسوريا والاردن باعتبارها الدول المعنية بقرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ ويشمل في بعض الاحيان لبنان باعتباره من الدول العربية التي وقعت عام ١٩٤٩ على اتفاقيات الهدنة بين الدول المذكورة واسرائيل .
*** سبق لجلة « شؤون فلسطينية » ان بحثت نتائج أي تسوية سلمية في ثلاث اوراق قدمها الدكتور اسعد زروق وتديم البيطار وصالح الدين الدباغ ، نشرت في العدد ٢ - ١٩٧١ .

أن القرار يتحدث بشكل عام عن ضمانات والتزامات متبادلة بين الدول العربية وإسرائيل يترتب عليها منح إسرائيل تعهدات تشمل الاعتراف بسيادتها وبضمان حقها في العيش ضمن حدود آمنة وغير مهددة . ولا يحدد القرار الخطوط التي يجب أن يتم الانسحاب على أساسها ويترك تحديد هذه الخطوط إلى سير المفاوضات بين الأطراف بإشراف ووساطة الأمم المتحدة .

لقد مرت المنطقة بعد إصدار القرار بعدة تطورات عسكرية وسياسية كان من أبرزها ظهور الثورة الفلسطينية المسلحة كقوة جديدة لا يقل وزنها عن وزن أي دولة طرف في النزاع ، وفي أكتوبر ١٩٧٣ جرت مبادره عسكريه (مصريه - سورية) لتغيير ميزان القوى العسكري لمصلحة الدول العربية ولكن المحاولة تجمدت دوليا بإصدار قرار مجلس الأمن رقم ٣٣٨ بتاريخ ٢٢ أكتوبر ١٩٧٣ الذي دعا إلى « وقف إطلاق النار وانتهاء كل نشاط عسكري فوراً . . . والبدء مباشرة بتنفيذ قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ بجميع فقراته . . . ووجوب البدء في مفاوضات فورية تحت رعاية مناسبة بغية تحقيق سلام دائم وعادل في الشرق الأوسط » (٢) .

فالقرار ٣٣٨ إذا هو تكرار للقرار ٢٤٢ ولا يحتوي على أية عناصر جديدة غير « التنفيذ المباشر » و« المفاوضات الفورية » ، وكما أن القرار ٢٤٢ لم يأخذ بعين الاعتبار التطورات التي رافقت القضية الفلسطينية منذ ١٩٤٧ (مشروع التقسيم) فإن القرار ٣٣٨ لم يأخذ بعين الاعتبار التطورات التي حدثت منذ يونيو ١٩٦٧ . فالمعروف أن القرار ٢٤٢ يتطلب إنهاء حالة الحرب على أساس ميزان القوى العسكرية بين الطرفين كما كان عليه بعد حرب يونيو ١٩٦٧ وهو ميزان لا تمثل القضية الفلسطينية بموجبه أكثر من « مشكلة لاجئين يتوجب إيجاد تسوية عادلة لها » كما جاء في الفقرة ب من المادة ٢ من القرار . من هنا يبدو أن إنهاء حالة الحرب بين الدول العربية وإسرائيل على أساس القرار ٢٤٢ ومهما توسعت الأطراف في تفسير مواده ، سوف يؤدي دوليا إلى إخراج قضية فلسطين من نطاق العلاقات العربية - الدولية كما جرى إخراجها من جدول أعمال الأمم المتحدة عام ١٩٥٠ (٢) . فانهاء حالة الحرب يفترض توصل الأطراف إلى اتفاق حول حل أسباب النزاع سواء كانت هذه الأسباب ذات صفة سياسية أو اقتصادية أو اقليمية ، كما يفترض أن هذه الأسباب قد زالت قانونيا وسقطت عنها صفة الشرعية ، وهذا ما سنحاول اثباته في مجرى البحث بعد أن نتوضح أمامنا الآثار القانونية والسياسية لانهاء حالة الحرب بشكل عام أولا وبشكل خاص على القضية الفلسطينية بعد ذلك .

المعنى العام لإنهاء حالة الحرب

إنهاء حالة الحرب بمفهوم القانون الدولي هو التمهيد القانوني لإحلال حالة السلم بين طرفين متنازعين ، ويتطلب ذلك الكف نهائيا عن العمليات العسكرية والامتناع عن اتخاذ الإجراءات الاستثنائية التي كانت تعتبر شرعية بموجب قانون الحرب . ومن هذه الإجراءات على سبيل المثال من الناحية العسكرية استعمال القوة كالتسلح ومرابطة القوات على الحدود ودعم القوات غير النظامية وقوات المقاومة المسلحة والسماح لها بالعمل داخل الأراضي التي يسيطر عليها العدو وتأمين الحماية لها*، ومن الناحية السياسية اللجوء إلى المقاطعة الاقتصادية والحصار وعدم السماح لوسائل مواصلات

* هذه ناحية لم يتطرق إليها القانون الدولي الكلاسيكي إذ أنها لم تبرز إلا في الحروب الحديثة وبالذات منذ الحرب العالمية الثانية ثم أصبحت ظاهرة عسكرية في جميع حروب التحرر الوطني من الاستعمار .

العدو باستعمال الاراضي او الاجواء أو الممرات المائية . وبينما تعتبر الهدنة الاجراءات السياسية مسموحا بها وتكتفي بوضع القيود على الاجراءات العسكرية فقط فان انتهاء حالة الحرب يتطلب الامتناع كليا عن جميع الاجراءات العسكرية والسياسية التي كان مسموحا بها اثناء الحرب . ولما كانت الهدنة مقتصرة على الناحية العسكرية من النزاع فان توقيعها لا يمس بالحقوق السياسية للاطراف . اما انتهاء حالة الحرب فيمس هذه الحقوق مباشرة وتصبح بموجبه من القضايا التي يتفق الاطراف على حلها بموجب احكام القانون الدولي وميثاق الامم المتحدة . فانهاء حالة الحرب يلزم الاطراف بعدم اللجوء الى القوة أو الى أي إجراء من شأنه تجديد حالة الحرب ، كما يتطلب اقراره انشاء علاقات طبيعية اساسها احترام الحدود وتحكيم مبدأ سيادة كل دولة على اراضيها .

ويضع القانون الدولي أهمية قصوى على توقيت ومضمون انتهاء حالة الحرب وعلاقته بالهدنة ووقف الاشتباكات العسكرية . ويرى اللورد ماكثير ان الهدنة الدائمة (العامة) هي بمثابة انتهاء حالة الحرب بشكل عام ولكن ليس بالمفهوم القانوني حيث تظل الحرب قائمة قانونيا ، ويورد ستون بعض الحالات في التاريخ انتهت الحرب فيها بواسطة وقف الاشتباكات وبدون توقيع معاهدة صلح (٤) (السويد وبولندا عام ١٧١٦ ، فرنسا واسبانيا ١٧٢٠ ، روسيا وبروسيا ١٨٠١) .

أما أوبنهايم — وهو من أهم مراجع القانون الدولي بهذا الصدد — فيذكر أن للقانون الدولي موقفين بالنسبة لعلاقة وقف الاشتباكات بانتهاء حالة الحرب ، الموقف الاول يعتبر انه اذا تم انتهاء حالة الحرب لمجرد توقف الاشتباكات العسكرية فانه يحق لاي طرف ضم اراضي طرف آخر بحجة ان هذا الطرف أسقط حقه عنها بموافقته على ايقاف العمليات العسكرية ، والموقف الثاني يعتبر ان انتهاء حالة الحرب لمجرد ايقاف العمليات العسكرية لا يسقط حق أي طرف في الاقاليم التي سقطت تحت سيطرة قوات الطرف الآخر واصبحت تعتبر اراض محتلة ، فهذه الاقاليم لا يمكن اقرار الوضع النهائي لها الا بواسطة معاهدة صلح (٥) . ان الموقف الثاني يعني ان الوضع الاقليمي للنزاع لا يكتسب صفة الشرعية الا بعد توقيع معاهدة الصلح التي يكون انتهاء حالة الحرب أساسا لها وحتى المفاوضات التي تسبق التوصل الى المعاهدة لا يعتبر الدخول فيها اعلانا مسبقا بقواعدها او شروطها ، فالمفاوضات تقع عادة في فترات الهدنة وفي حالة تكافؤ الاطراف عسكريا تحمل المفاوضات امكانيات أفضل للتوصل الى معاهدة صلح ، وتصبح الهدنة في اثنائها فترة زمنية لتجربة قدرة ميزان القوى العسكري على الاستمرار ، دون الاخلال بميزان الحقوق السياسية للاطراف عند توقيع الهدنة .

وهناك في القانون الدولي عدة طرق للتوصل الى انتهاء حالة الحرب (ماكثير) :

١ — **الاستسلام** : بمعنى الخضاع حيث يفترض الغاء الوجود القانوني للطرف الذي يتم اخضاعه أي الغاء سيادة حكومة هذا الطرف عن اراضيها وضم هذه الاراضي الى الدولة المنتصرة بعد ان يتم القضاء على جيش الدولة المهزومة ، وهذه حالة نادرة في التاريخ الحديث ويذكر ماكثير امثلة عليها ما حدث عندما تم اخضاع الحبشة (١٩٣٦) من قبل ايطاليا واخضاع المانيا النازية من قبل الحلفاء (١٩٤٥) .

٢ — **الامتناع عن العمليات العسكرية** : في حالة امتناع الاطراف عن العمليات العسكرية ودخولها مباشرة في اقامة علاقات سلمية دون توقيع معاهدة صلح ، أي الاكتفاء باعلان انتهاء حالة الحرب من طرف واحد واعلان الطرف الآخر بقبوله الوضع الجديد .

٣ — **عقد معاهدة صلح** : تتوصل الاطراف بعد ايقاف العمليات العسكرية الى عقد معاهدة صلح وتتضمن هذه المعاهدة شروط تنفيذها .

٤ — **الوساطة الدولية** : وهي الحالة التي تستطيع فيها اطراف ثالثة أو الامم المتحدة ومجلس الامن القيام بعمل دولي جماعي بموجب المادتين ٣٩ و ٥١ من ميثاق الامم المتحدة(١).

يعتبر (ماكنير) معاهدة الصلح الشكل القانوني الافضل لانهاء حالة الحرب . اما الوساطة الدولية فيعتبرها (ستون) وسيلة حديثة وما زالت تحت التجربة . فالمحاولات التي قامت بها الامم المتحدة في الكونغو وقبرص وفلسطين ما زالت بحاجة الى الكثير من الدراسة للحكم على مدى نجاحها بحيث يمكن اعتبار معاهدة الصلح سواء تمت عن طريق الاطراف مباشرة أو عن طريق الوساطة الدولية هي الوسيلة الوحيدة للتوصل الى انهاء حالة الحرب بسبب الطبيعة السياسية والاعتبارات الاستراتيجية الدولية التي تحيط بالنزاعات المسلحة في عالم اليوم .

معاهدة الصلح

لما كانت معاهدة الصلح تعتبر حلا نهائيا للنزاع ونهاية للحرب بين الطرفين المتنازعين ، فان من أهم ما تتضمنه اية معاهدة هو الاتفاق على الحدود الجديدة للطرفين ، ويسبق تحديد خطوط هذه الحدود سلسلة من الاتفاقيات تتضمن مناطق منزوعة من السلاح وتقاط مراقبة ولجان مراقبة وتنفيذ حيادية ، ويشير (أوبنهايم) الى امكانية احتفاظ طرف من الاطراف ببعض المناطق المحتلة تحت سيطرته ريثما يتم توقيع معاهدة الصلح ، وذلك لاستعمال هذه المناطق للضغط على الطرف الآخر واجباره على قبول شروط العدو . كما يمكن الاحتفاظ بهذه المناطق كضمانة لتنفيذ المعاهدة(٧) . ويعتقد (ستون) ان الطرف الذي يتمتع بمواقع عسكرية أفضل عند توقيع الهدنة يمكنه أن يضع شروطا لمصلحته تكون بمثابة استسلام بالنسبة للطرف الآخر ، ولكنه يعارض هذه الوسيلة باعتبار الاستسلام يشترط تحطيم المؤسسة العسكرية والاقتصادية للطرف الآخر ، وهذا ما لا يمكن حدوثه في عالم اليوم حيث يعتبر حدوثه بموجب القانون الدولي المتطور جريمة حرب لن يسمح المجتمع الدولي بها ، فاذا نشأ عن أي نزاع حديث ضم أو احتلال فهو مؤتمت ويجب ان ينتهي مع نهاية حالة الحرب أي مع توقيع معاهدة الصلح . ولهذا فان (ستون) يعتبر المعاهدة وثيقة معقدة تنطرق الى كل المشاكل الدقيقة التي تؤثر على ماضي ومستقبل العلاقة بين الاطراف ، وتضم بجانب المواد الخاصة مواد عامة مثل وقف القتال والامتناع عن العمليات العدوانية والانسحاب من المناطق المحتلة واعادة الاملاك والتعويض ومنح الضمانات المتبادلة للحدود الجديدة التي يوافق عليها الاطراف(٨) . ويمكن لمعاهدات الصلح أن تكون مفروضة اذا كان هنالك طرف منتصر انتصارا مطلقا وهي حالة نادرة الوقوع في العصر الحديث ، أو أن تكون تفاوضية يصل اليها الاطراف عن طريق المفاوضات المباشرة أو عن طريق الوساطة الدولية للامم المتحدة ومجلس الامن والاطراف الثالثة .

وتظل مسألة الحدود هي عقدة كل معاهدة صلح ، خاصة اذا كانت أسباب الحرب اقليمية وحاصلة بسبب نزاع حول السيادة على اقليم ، فمن خلال معاهدة الصلح يمكن التوصل الى انهاء الحرب على أساس اقليمي لم يكن قائما قبل الحرب .

انهاء حالة الحرب والقضية الفلسطينية

موضوع السيادة على فلسطين : يقول مالميسون انه لغاية الآن اثبتت عملية تطبيق القانون الدولي وقواعد الاتفاقيات الدولية على النزاع العربي — الاسرائيلي فشلها .

كما ان الامم المتحدة كأداة لتنفيذ رغبة المجتمع الدولي أثبتت فشلها أيضا(٩). ان كلام مالميسون قد ثبتت صحته ، فالقضية الفلسطينية تعتبر « حالة قانونية » لا سابقة تاريخية لها . والنزاع العربي - الاسرائيلي يشكل حالة خاصة يجب عند معالجتها بمنطق القانون الدولي مراعاة الظروف التاريخية التي مر بها النزاع ، فاسرائيل « كدولة » تعتبر ظاهرة سياسية لا تنطبق عليها أحكام القانون الدولي ، فهي كيان سياسي لا يوجد له أي امتداد تاريخي مرتبط بباقي كيانات المنطقة . واذا كان هناك ضروره قانونية لتصنيفها سياسيا لأغراض البحث فانه يمكن اعتبارها مرحلة متقدمة من الاستعمار الاستيطاني الذي يعتمد في بقائه واستمراره على الدعم البشري والمالي والعسكري الخارجي (موجات الهجرة وأمدادات المال والسلاح) (١٠). ولما كان الاستيطان بمفهومه الاستعماري هو الاستيلاء غير الشرعي على أراضي الغير ، واقامة مجتمع غير قابل للنمو بالطرق الشرعية عليها ، فان موضوع الارض التي يقوم عليها هذا المجتمع يظل معلقا بنتيجة الصراع مع الاهالي الاصليين ، وبالتالي فان مسألة السيادة على الارض التي تقوم عليها فلسطين ستظل معلقة الى حين حسم النزاع نهائيا بينها وبين الشعب الفلسطيني الذي يعتبر الحكومة الاسرائيلية حكومة تمارس سلطة على أرض لا تملكها وعلى شعب لا تمثله ، ومن هذه الزاوية يعتبر دخول الدول العربية لحسم النزاع حول السيادة على فلسطين عام ١٩٤٨ مسألة تتعلق بنوع التحالف القومي بين الشعب الفلسطيني والشعوب العربية . ويرى العنبتاوي ان حالة الحرب تعتبر قائمة في فلسطين منذ عام ١٩٤٧ اي منذ رفضت الدول العربية مشروع التقسيم فقامت الحرب بينها وبين اسرائيل حول من يملك السيادة على فلسطين ، الاكثرية العربية أم الاقلية اليهودية . وعليه فان الحرب بدأت قانونيا في ١٥ مايو ١٩٤٨ أي يوم اعلان سلطة سياسية اسرائيلية في فلسطين(١١) ، وعليه فان نقطة الخلاف بين الفلسطينيين واسرائيل هي السيادة على فلسطين ، فاذا اعترفت الدول العربية بهذه السيادة لاسرائيل فمعنى ذلك عمليا الغاء السيادة الفلسطينية . وهكذا يبدو ان انتهاء حالة الحرب بين الدول العربية واسرائيل سيكون الخطوة الاولى في عملية الحسم التاريخي لمشكلة السيادة على فلسطين ، بحيث سيعتبر انتهاء حالة الحرب اقرارا ضمنيا من الجانب العربي بوجود سيادة سياسية اسرائيلية على اجزاء من فلسطين وانه لمظهر من مظاهر هذه السيادة قبول الدول العربية لبدأ التعامل مع الكيان الاسرائيلي كدولة تنطبق عليها أحكام القانون الدولي والعلاقات الدولية . ان اقرار مبدأ التعامل بموجب القانون الدولي يعني أكثر من ذلك ، انه يعني ان الدول العربية قد اقرت امكانية حسم موضوع السيادة على فلسطين بالطرق السياسية ودون اللجوء الى القوة ، وتكون قد اقرت بذلك بشرعية السيادة الاسرائيلية على جزء كبير من فلسطين وبالتالي اغلاق باب حق مطالبة أي طرف عربي (أو فلسطيني) بهذا الجزء . وتبقى المسألة المعلقة هي مدى حجم هذا الجزء وماهية الحدود التي سيتم الاعتراف باسرائيل على أساسها .

موضوع الاعتراف باسرائيل : قامت السياسة العربية منذ اعلان بريطانيا وعد بلفور (١٩١٧) وفرض الانتداب البريطاني على فلسطين (١٩٢٢) على أساس عدم الاعتراف لليهود بأي حق لاقامة كيان سياسي على أي جزء من فلسطين ، سواء أطلق على هذا الكيان اسم وطن ديني أو وطن قومي أو دولة اسرائيل . وظلت الدول العربية تواصل عدم الاعتراف بوجود أي مقومات شرعية لدولة اسرائيلية في فلسطين حتى بعد قيام هذه الدولة فعليا عام ١٩٤٨ واعتراف الامم المتحدة بها . وقد اعتمد الموقف العربي على عدة حجج قانونية من أهمها أن اسرائيل قامت على أرض عربية وان حكومة اسرائيل تمثل أقلية يهودية وهي حكومة معادية للاكثرية الفلسطينية التي كانت تعيش

في فلسطين آنذاك، وأن قيام إسرائيل واستمرارها يشكل خرقاً لمبادئ القانون الدولي وميثاق الأمم المتحدة وحتى اعتراف الأمم المتحدة بإسرائيل يشكل بحد ذاته اختراقاً لهذه المبادئ وقد اعتبرت الدول العربية الاعتراف بإسرائيل ضمن أي حدود الغاء لحقوق الفلسطينيين القومية والمدنية ضمن هذه الحدود بحيث يشمل هذا الالفاء حقوق الفلسطينيين الذين تم طردهم من فلسطين أو هؤلاء الذين ما زالوا يعيشون فيها .

لقد ظل موقف عدم الاعتراف بإسرائيل هو الموقف العربي الاساسي من إسرائيل الى عام ١٩٦٧ (حرب يونيو) حيث جرى تعديل على السياسة الخارجية العربية بهذا الصدد على أساس امكانية القبول بتنفيذ قرار ٢٤٢ بشرط انسحاب إسرائيل من الأراضي التي احتلتها من مصر وسوريا والأردن ، وبشرط عدم المساس بالحقوق القومية للشعب الفلسطيني أي عدم المساس بشرعية استمرار الحرب من أجل تحرير تلك الاجزاء من فلسطين التي لا تشملها مادة الانسحاب كما وردت في القرار المذكور . وما زالت منظمة التحرير الفلسطينية برفضها الاشتراك في أية تسويات قائمة على تنفيذ القرار ٢٤٢ تقيم علاقاتها واستراتيجيتها في العمل السياسي على هذا الاساس . وقد عبر البرنامج السياسي المرهلي لمنظمة التحرير الفلسطينية الذي أقره المجلس الوطني الفلسطيني في دورته الأخيرة (٨ يونيو ١٩٧٤) عن الموقف الفلسطيني من القرار ٢٤٢ ، فقد نصت النقطة الاولى من البرنامج المرهلي على ان القرار « يطمس الحقوق الوطنية والقومية لشعبنا ويتعامل مع قضية شعبنا كمشكلة لاجئين ، ولذا نرفض التعامل مع هذا القرار وعلى هذا الاساس في أي مستوى من مستويات التعامل العربية والدولية بما في ذلك مؤتمر جنيف » (١٢) .

بعد حرب اكتوبر ١٩٧٣ جرى تعديل جديد على الموقف العربي من القرار ٢٤٢ وخاصة فيما يتعلق بمسألة انتهاء حالة الحرب والاعتراف بإسرائيل ، بحيث أصبحت نظرة الدول العربية الى إسرائيل على انها حتمية تاريخية يترك أمر التكيف معها الى الزمن ، وبرزت حول هذه النظرة تنظيرات مختلفة تراوحت بين التنبؤ بأن إسرائيل قد بدأت تواجه « ساعة العد العكسي » حيث ستبدأ عملية انهيارها تدريجياً كما حدث لجميع الامبراطوريات التي قامت بقوة التوسع العسكري ، وبين توقع قيام انفجار داخلي في المجتمع الاسرائيلي سيسبب اختفاء مفاجئاً لدولة إسرائيل نفسها . وعلى أساس هذا المنطق أصبح مسألة الاعتراف بإسرائيل جزءاً من المناورة السياسية من أجل الاسراع في عملية فقدان الكيان الاسرائيلي لميزة قدرته على التوسع باعتبار هذه القدرة احدى العوامل المشجعة للهجرة والاقامة في إسرائيل . وبغض النظر عن أهمية الحرب النفسية كأداة من أدوات النزاع العربي - الاسرائيلي ، الا أن مسألة الاعتراف بإسرائيل لا تدخل ضمن هذه الادوات من حيث ضخامة الردود السياسي الذي تنتجته على مجمل القضايا المعلقة بالنزاع ، وخاصة قضية الحقوق القومية للشعب الفلسطيني . ان انتهاء حالة الحرب وما سيؤدي اليه من اعتراف الدول العربية اعترافاً رسمياً بإسرائيل سيؤدي الى الغاء هذه الحقوق ، فاستمرار حالة الحرب كان يضمن على « عدم الاعتراف » بإسرائيل صبغة قانونية باعتبار ان الدول العربية كانت في حالة حرب مع طرف لا يحمل صفة الدولة (١٣) .

موضوع الحدود : تحتل إسرائيل حالياً جميع مساحة فلسطين المعروفة في عهد الانتداب مضافاً اليها مناطق من سوريا ومصر . وينص قرار مجلس الامن ٢٤٢ في جوهره على ان يتم انسحاب إسرائيل من مناطق أو المناطق التي احتلتها في حرب يونيو ١٩٦٧ على أن تصبح الحدود التي ستسحب اليها هي حدودها الدولية التي سنتوم عليها أسس علاقاتها مع الدول العربية والدول الأخرى . وبينما يبدو الموقف العربي

واضحا من حيث تعريفه للخطوط التي يجب أن تعود القوات الاسرائيلية اليها وهي حدود ما قبل ٥ يونيو ١٩٦٧ ، يبدو الموقف الاسرائيلي حول هذه الخطوط غامضا وغير محدد ولكنه واضح بالنسبة لعدم العودة في أي حالة من الاحوال الى حدود ما قبل ٥ يونيو ١٩٦٧ . وينص قرار مجلس الامن بكل وضوح على أن يتم انتهاء حالة الحرب على أساس « حق كل دولة في العيش بسلام وضمن حدود آمنة ومعترف بها وحررة من التهديد وأعمال القوة » . ولما كان المجتمع الدولي (الامم المتحدة) لم يعترف لاسرائيل بأي حدود غير تلك التي أقرها قرار التقسيم لعام ١٩٤٧ وهي حدود أقل بكثير من تلك التي استطاعت اسرائيل الامتداد اليها عام ١٩٤٨ ثم قامت بتوسيعها عام ١٩٥٠ مستغلة عدم مقدرة الجيوش العربية آنذاك حتى على حماية حدود هدنة ١٩٤٩ ، ولما كانت الدول العربية قد رفضت قرار التقسيم ودخلت جيوشها الى فلسطين لمنع قيام كيان اسرائيلي على جزء من فلسطين ولتضع فرض سلطة اسرائيلية على شعبها ، ولضمان حقه في ممارسة تقرير مصيره على أرضه ، فان مشكلة الحدود في النزاع العربي - الاسرائيلي هي مثل مسألة السيادة والاعتراف تعتبر في صميم القضية الفلسطينية . وقد مرت هذه المسألة بنفس التطورات والتغيرات التي طرأت على مواقف الدول العربية من مسألتي السيادة والاعتراف ، ولكن مسألة الحدود اتخذت داخل النزاع شكلا أكثر ارتباطا بالحياة المادية والوضع الاجتماعي التي آلت اليها أحوال الشعب الفلسطيني والشعوب العربية من جراء موجات التوسع الجغرافي للكيان الاسرائيلي ، فاذا اعتبرنا حدود مشروع التقسيم هي الحدود الوحيدة التي يتوجب على أي طرف عربي أن يوافق عليها ويعترف بها كحدود لدولة اسرائيلية في فلسطين يمكن أن يتم انتهاء حالة الحرب على أساسها فان أي حدود أخرى غيرها لا يمكن أن تكون بموجب القانون الدولي حدودا « آمنة وحررة من التهديد » وهذه الحدود تشمل حسب الوضع القائم حاليا المناطق التالية(١٤):

١ - المناطق التي استولت عليها اسرائيل بالقوة من الاراضي الفلسطينية التي كانت مخصصة لقيام دولة عربية بموجب قرار التقسيم رقم ١٨١ بتاريخ ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ وحجم هذه الاراضي يساوي نصف مساحة الدولة العربية المقترحة وقد قامت اسرائيل باحتلالها أثناء القتال الذي دار في فلسطين في الفترة ما بين ١٩٤٨ - ١٩٤٩ ومن ثم قامت بضمها .

٢ - مدينة القدس والتي بموجب قرار التقسيم نفسه كان يجب أن تقوم عليها ادارة دولية باشراف الامم المتحدة . فقد استولت اسرائيل على القدس الجديدة عام ١٩٤٨ وأعلنتها عاصمة لها واستولت على البلدة القديمة وضواحيها العربية عام ١٩٦٧ وقامت بضمها نهائيا .

٣ - الضفة الغربية من الاردن ، شبه جزيرة سيناء ، مرتفعات الجولان وهي مناطق تشكل أجزاء من الاردن ومصر وسوريا وقد احتلتها اسرائيل في يونيو ١٩٦٧ .

٤ - قطاع غزة الذي استولت عليه اسرائيل في يونيو ١٩٦٧ .

لقد قامت عدة محاولات دولية موجهة للدول العربية لاستبدال حالة الهدنة بحالة سلم دائم على أساس الاعتراف « بحدود دولة اسرائيل » وانتهاء حالة الحرب على أساس هذه الحدود ، وكان من أهم هذه المحاولات مفاوضات لوزان التي أجرتها لجنة التوفيق الدولية عام ١٩٤٩ بين مصر وسوريا والاردن ولبنان من جهة واسرائيل من جهة أخرى ، وقد قبلت الدول العربية آنذاك خارطة مشروع تقسيم فلسطين أساسا لهذه المفاوضات ، ولكن اصرار اسرائيل على عدم الانسحاب من المناطق التي استولت عليها وراء هذه الحدود ورفضها تنفيذ قرار الامم المتحدة الخاص بعودة الفلسطينيين

الى أماكن سكنهم التي تركوها اثناء القتال جعلاً مهمة اللجنة مستحيلة . واضطرت اللجنة فيما بعد الى اسقاط مسألة الحدود عن جدول أعمالها واقتصرت اتصالاتها على محاولة اقناع الاطراف باجراء تسوية خاصة بتعويضات اللاجئين عن اموالهم . ولكن الدول العربية رفضت الدخول في أية تسوية نهائية لمشكلة اللاجئين قبل ايجاد تسوية سياسية شاملة مع اسرائيل تكون مسألة الحدود النهائية لاسرائيل أساساً لها . وقد اعتمدت الدول العربية في موقفها هذا على احكام القانون الدولي وقرارات الامم المتحدة ومواد اتفاقيات الهدنة التي نصت على انه « لا يجوز أن يفسر خط الهدنة بأي معنى من المعاني بأنه حد سياسي أو اقليمي وانه لا يمكن بشكل من الاشكال لاي من بنود هذا الاتفاق ان يمس حقوق أي من الفريقين أو مطالبه أو مواقفه في التسوية السلمية النهائية لقضية فلسطين » (١٥) . ولكن اسرائيل كانت تعتبر اتفاقيات الهدنة بينها وبين الدول العربية كافية لانهاء حالة الحرب . وقد أقامت سياستها الداخلية تجاه أملاك الفلسطينيين وتجاه حقوقهم القومية والمدنية على هذا الأساس ، كما أقامت سياستها الخارجية على هذا الأساس ، فقد قدمت شكوى الى مجلس الامن عام ١٩٥٠ بسبب اتخاذ مصر اجراءات خاصة في وجه عبور السفن الاسرائيلية لقناة السويس (١٦) .

لقد اقتصرت مشكلة الحدود بين الدول العربية واسرائيل لغاية ٥ يونيو ١٩٦٧ على حدود فلسطين الجغرافية والتاريخية كما كانت في عهد الانتداب البريطاني وكانت حدود التقسيم هي أساس لاي مفاوضات دولية مقترحة لانهاء حالة الحرب مع اسرائيل ، الا أنه بعد حرب يونيو ١٩٦٧ اكتسبت مشكلة الحدود أبعاداً جديدة عندما استولت اسرائيل على أراضي دول عربية أطراف في النزاع . وقد اعتمد قرار ٢٤٢ خطوط وقف القتال بعد ١٠ يونيو ١٩٦٧ أساساً للمفاوضات حول الحدود ، أي ان القرار منح اسرائيل مركزاً تفاوضياً قوياً لا يعكس الحجم الذي وضعها فيه قرار مشروع التقسيم ، كما انه سلب من الدول العربية ورقة امكانية التفاوض دون المساس بالوضع القانوني الاقليمي الذي كان قائماً في فلسطين عام ١٩٤٨ أو بالحقوق الشرعية للشعب الفلسطيني . فسياسة المفاوضات العربية قبل الخامس من يونيو ١٩٦٧ كانت قائمة على أساس تعيين حدود اسرائيل بشرط عودتها الى حدود التقسيم ووجوب تنفيذها لقرارات الامم المتحدة الخاصة بحقوق الشعب الفلسطيني . أما الوضع الاقليمي كما هو قائم اليوم بعد حرب اكتوبر ١٩٧٣ فإنه بالنسبة للدول العربية ليس أفضل بكثير من الوضع بعد الخامس من يونيو ١٩٦٧ ولا يختلف عنه الا بالقدر الذي يمكن ان يستفاد منه بالمقومات العسكرية والسياسية التي وفرتها المبادرة العسكرية العربية اثناء حرب اكتوبر ١٩٧٣ ومن هذه المقومات زوال ظاهرة التفوق العسكري الاسرائيلي وفعالية عمليات المقاومة الفلسطينية في الداخل .

موضوع حق الشعب الفلسطيني في تقرير المصير : لقد غطى القسم السابق من البحث آثار انهاء حالة الحرب على نواحي السيادة والاعتراف والحدود المتعلقة بالقضية الفلسطينية ومدى ارتباط هذه النواحي بمسألة حق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره ، وهو الحق الذي يشمل ممارسة السيادة القومية على ارضه واختيار الحكومة والنظام ونوع الحكومة وتشكيل المؤسسات السياسية والاجتماعية والثقافية والدينية اللازمة لتقدم أي مجتمع وضمن تطوره واستمراره . ان اقرار انهاء حالة الحرب سيؤدي قانونياً الى قبول سيادة اسرائيل على جزء من فلسطين بحيث تصبح مسألة ممارسة الشعب الفلسطيني لحق تقرير المصير على ذلك الجزء مسألة خاضعة لسيادة وقوانين الدولة الاسرائيلية ، اذ انه ليس باستطاعة الصياغات القانونية مهما بلغت براعة السياسيين في التلاعب لغويًا في تفسيراتها ان تحقق الانسجام بين نقيضين

هما سيادة اسرائيل وحق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره . وقد عملت الدول العربية منذ صدور وعد بلفور (١٩١٧) على ربط القضية الفلسطينية بالمسألة القومية العربية والتحرر من الاستعمار . وكان هذا الترابط من أهم الاسباب التي دخلت الدول العربية من أجلها حروبا مع اسرائيل وتعرضت شعوبها وأراضيها للاحتلال والعدوان أثناءها . ان انتهاء حالة الحرب سوف يؤدي تاريخيا الى اضعاف الترابط بين حقوق الشعب الفلسطيني ومسألة الوحدة العربية والتحرر من الاستعمار او السيطرة الاجنبية بما فيه الاستعمار الاستيطاني في فلسطين . وسوف يؤدي انتهاء حالة الحرب مع اسرائيل الى تغير في مفهوم الدول العربية لحقوق الشعب الفلسطيني بحيث يصبح حجم هذه الحقوق (المساحة التي يمكن ممارستها عليها) هو الاساس وليس نوعها (الترابط بينها وبين قضية الوحدة والتحرر من الاستعمار) . فمنذ دخول الدول العربية في مفاوضات مع اسرائيل عام ١٩٤٩ على أساس الحدود التي أقرها مشروع التقسيم أصبح واضحا ان ممارسة الشعب الفلسطيني لحق تقرير المصير قد تجزأت إقليميا ، فبالنسبة للفلسطينيين الذين دفعهم قيام الدولة الاسرائيلية الى خارج حدود تلك الدولة أصبحت مطالبة الدول العربية بعودتهم الى أراضيهم أو تعويضهم عنها هي التفسير القانوني المبدئي لحق تقرير مصيرهم .

أما ذلك الجزء من الفلسطينيين الذين استمروا في العيش داخل اسرائيل فقد أصبحت مشاكلهم تنحصر في المطالبة بحقوقهم المدنية والانسانية . وبعد حرب اكتوبر والمد القومي الذي أحدثته على صعيد العالم العربي عادت مسألة الترابط بين حقوق الشعب الفلسطيني والوحدة العربية تحتل مكانها أنسابي في تحريك النزاع وبرزت بشدة قضية استعادة الشعب الفلسطيني لحقه في تقرير المصير . ولكن ميزان القوة بين الدول العربية واسرائيل وميزان القوة بين الكتل الدولية قد فرض على الدول العربية تحديد الرقعة الجغرافية التي يمكن للشعب الفلسطيني ممارسة حقوقه عليها دون الاخلال بميزان القوى المحلية والدولية . وحددت تلك الرقعة بتلك الاجزاء من فلسطين التي سيتم عنها الانسحاب الاسرائيلي بموجب المادة الاولى من قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ (مبدأ الانسحاب) . ويجد بعض كبار القانونيين العرب في انتهاء حالة الحرب بين الدول العربية واسرائيل حسب الشروط الواردة في القرار ٢٤٢ الغاء لحق الشعب الفلسطيني في العودة الى المناطق التي احتلتها اسرائيل عام ١٩٤٨ فنجد ان يتم الانسحاب الاسرائيلي مقابل الاعتراف بالحدود الجديدة لاسرائيل واعتراف الدول العربية بها كدولة ذات سيادة في المنطقة سيتم خلق وضع سياسي جديد في المنطقة وهو وضع يحظى على موافقة وضمانات الدول الكبرى والأمم المتحدة والدول العربية وتصبح مسألة تقرير الشعب الفلسطيني لمصيره مسألة خارج اطار الأراضي التي تحت سيادة اسرائيل ، وتصبح من الامور الهامشية التي يدخل بحثها ضمن المسائل التي يمكن الاتفاق عليها بعد انتهاء حالة الحرب وهي أمور يتم ادراجها عادة في البروتوكولات الاضافية الملحقة بمعاهدات الصلح (١٧) . فإذا تم انتهاء حالة الحرب بموجب شروط القرار رقم ٢٤٢ فان حق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره سيتحول في الامم المتحدة الى مسألة يتفق الاطراف على حلها بموجب أحكام قانون السلم والعلاقات الطيبة التي يقرها القانون الدولي وميثاق الامم المتحدة تماما مثل قضايا الاقليات وتنظيم الهجرة ومعاملة الاجانب . ان هذا الاتجاه في معالجة مسألة تقرير الشعب الفلسطيني لمصيره يبدو واضحا في القرار ٢٤٢ حيث لا يأتي ذكر الفلسطينيين في أي مادة من مواده سوى تلك المادة المتعلقة بالحاجة الى « تحقيق تسوية عادلة لمشكلة اللاجئين » وهي مادة يضعها القرار على درجة أقل أهمية من « ضمان حرية الملاحة » وأكثر بدرجة من ضرورة « اقامة مناطق مجردة من السلاح » (راجع نص القرار) .

موضوع المقاومة الفلسطينية المسلحة : يعتبر عدم اللجوء الى القوة او التهديد باستعمالها من اهم القواعد التطبيقية لتنفيذ مبدأ انتهاء حالة الحرب . وتشمل هذه القاعدة ايقاف جميع العمليات والنشاطات العسكرية التي تقوم بها القوات النظامية وغير النظامية — أي العصابات المسلحة وقوات المقاومة سواء كانت جماعات مسلحة أو أفراداً مسلحين — . ولما كانت العمليات العسكرية التي تقوم بها القوات النظامية خاضعة لقرارات السلطة السياسية في الدول المعنية فان الاشارة في معاهدات انتهاء الحرب الى ايقاف عمليات القوات غير النظامية كشرط من شروط تنفيذ المعاهدة ، يعني الزام الدول الموقعة على المعاهدة باتخاذ اجراءات رادعة وممانعة لعمليات هذه القوات وللتنظيمات التي تشرف على تخطيطها وتنفيذها . فموجب انتهاء حالة الحرب يعتبر كل طرف مسؤول عن عمليات القوات غير النظامية العاملة تحت سلطته أو من أراضيه كما يعتبر دعم هذه القوات أو تقديم التسهيلات لها عملاً غير قانوني ويتعارض مع مبدأ احترام سيادة الدول التي توجه هذه القوات عملياتها اليها . وحتى اتفاقيات الهدنة بين الدول العربية واسرائيل لعام ١٩٤٩ — والتي لا تشكل بموجب القانون الدولي انتهاء لحالة الحرب — تضمنت على نصوص واضحة قائمة على مبدأ وضع حد للنشاطات العسكرية للقوات غير النظامية ، فقد نصت الفقرة الثانية من المادة الثالثة من هذه الاتفاقيات على انه « لا يجوز لاي فئة من القوات البرية أو البحرية أو الجوية بما في ذلك القوات غير النظامية أن ترتكب اي عمل حربي أو عدائي ضد قوات الفريق الآخر ، ولا يجوز لها لاي غرض كان أن تتخطى أو تعبر خط الهدنة » .

ان التزامات الدول العربية بشأن حظر عمليات القوات غير النظامية بعد انتهاء حالة الحرب ستفوق التزاماتها بموجب الهدنة ، فانهاء حالة الحرب بموجب القرار ٢٤٢ تصف الحدود بين الدول العربية واسرائيل بأنها « حدود آمنة ومعترف بها وحررة من التهديد وأعمال القوة » وقد سبق لمجلس الامن ان حدد نوع الشروط والالتزامات التي يجب ان تتقيد بها الدول العربية واسرائيل تجاه مثل هذه الحدود وذلك في القرار رقم ٥٦ بتاريخ ١٩ اغسطس ١٩٤٨ المتعلق بتعليمات المجلس بشأن اول هدنة بين الدول العربية واسرائيل ، فقد نصت هذه التعليمات على ما يلي (١٨):

١ — كل طرف مسؤول عن أعمال القوات النظامية وغير النظامية العاملة تحت سلطته او في اراض تحت سيطرته .

٢ — كل طرف ملتزم باستكمال كل ما لديه من وسائل لمنع أعمال انتهاك الهدنة من قبل اشخاص أو جماعات تخضع لسلطته او قائمة على ارض تحت سيطرته .

٣ — كل طرف ملتزم بالاسراع في المحاكمة ، وفي حالة الادانة بمعاقبة اي او جميع الاشخاص الذين يقعون تحت سلطته ولهم علاقة بخرق الهدنة .

ان الوضع الذي ستستقر عليه الحدود العربية — الاسرائيلية بعدد انتهاء حالة الحرب سيكون أكثر ممانعة واصعب اختراقاً على المقاومة الفلسطينية المسلحة من الوضع الذي تقره الهدنة ، « فحدود السلم » سوف تشمل بجانب التعهدات الخاصة بالناحية العسكرية تعهدات سياسية تتعلق بتبادل المنافع الاقتصادية الناتجة عن حرية تنقل الاشخاص والسلع والاموال عبر الحدود وهي منافع ناتجة عن التطور الطبيعي الذي ستمليه العلاقات السلمية بين الدول المعنية بحيث ستنتج سياسة هذه الدول الى اتخاذ الاجراءات الكفيلة بحماية هذه المنافع . وقد حرصت اسرائيل بعد موافقتها على وقف اطلاق النار بموجب القرار ٣٣٨ (٢٢ اكتوبر ١٩٧٣) على أن تتضمن جميع الاتفاقيات الممهدة لانهاء حالة الحرب بينها وبين الدول العربية على مواد خاصة بمنع

اي طرف ثالث في النزاع (المقاومة الفلسطينية) من اختراق « حدودها » ، فلو اخذنا مثلا التصريحات والبيانات التي صدرت عن اسرائيل والولايات المتحدة بعد توقيع اتفاق فصل القوات على الجبهة السورية او بعد زيارة الرئيس نيكسون لاسرائيل نجد ان هذه البيانات اكدت بشكل ملحوظ على حماية حدود اسرائيل من العمليات العسكرية لقوات المقاومة الفلسطينية (وان لم تذكر بالاسم) فبعد يوم من توقيع اتفاق فصل القوات بين سوريا واسرائيل اعلنت الحكومة الاسرائيلية انها تلقت مذكرة من حكومة الولايات المتحدة تؤكد فيها « عدم اعتبارها للاعمال التي تقوم بها اسرائيل ضد الفدائيين العرب خرقا للاتفاق » (١٩) . أما البيان الأمريكي - الاسرائيلي المشترك الذي صدر على اثر المحادثات بين الحكومة الاسرائيلية والرئيس نيكسون فقد كان اكثر وضوحا حول هذه النقطة فقد نص ، انه « من واجب كل دولة ان تمتنع عن تشجيع وتنظيم قوات غير نظامية او جماعات مسلحة من ضمنها مرتزقة ، بهدف التسلسل الى اراضي دول اخرى . وان الطرفين يدينان ايضا اعمال العنف والرعب التي تؤدي الى وفاة ابرياء » (٢٠) . ان هذه الصياغة عندما تتحول الى صياغة قانونية كذلك المستعملة في الاتفاقيات والمعاهدات بين الدول ستعني ان جميع نشاطات المقاومة المسلحة ستعتبر خرقا وانتهاكا لما سيتم الاتفاق عليه ضمن حالة انتهاء الحرب ، لهذا فان اسرائيل حريصة على ان تتعهد الدول العربية بالعمل على حظر كل نشاطات المقاومة الفلسطينية ، اي ان اسرائيل مستطلب من الدول العربية معاملة المقاومة الفلسطينية بنفس الطريقة التي تعاملها هي بها ، او بنفس الطريقة التي تعامل بها الدول العربية اي جماعة من « العصابات المسلحة » التي تعتبرها الدول في الاحوال العادية خطرا على مواطنيها وتهديدا لامنها وسيادتها .

خلاصة

اذا اردنا البقاء في اطار ما هو معقول قانونيا في النزاع العربي - الاسرائيلي فانه لا مناص من الاستنتاج بان انتهاء حالة الحرب بين الدول العربية واسرائيل لا يمكن ان يتم الا عن طريق معاهدة صلح ، تكون تكريسا لميزان الخسائر والارباح في الحروب الاربعة التي وقعت بين الطرفين خلال ربع قرن . وسوف تتضمن المعاهدة وثائق موقعة تحدد التزامات الدول العربية تجاه سيادة اسرائيل وحدودها الجديدة ، وسوف تستمد قوتها الازامية من ارادة الدول الموقعة عليها بالاضافة الى الضغوط الدولية للولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي وللرغبة المعنوية للمجتمع الدولي ممثلا بالامم المتحدة (٢١) . ان مؤتمر جنيف للشرق الاوسط القائم على اساس القرار ٢٤٢ يهدف في النهاية الى عقد مثل هذه المعاهدة على ان تشمل قواعدها وبنودها مستقبل القضية الفلسطينية . سواء اشترك طرف فلسطيني في المؤتمر او لم يشترك ، فاذا اشترك فسوف يصبح طرفا قانونيا في المعاهدة تنطبق عليه احكامها وبنودها واذا لم يشترك يصبح طرفا خارجا على المعاهدة ويتوجب على باقي الاطراف تحديد علاقاتها معه بما تقتضيه شروط انتهاء حالة الحرب ، وسوف تنطبق عليه شروط المعاهدة بفعل قوة القانون وبالادوات الضاغطة المتوفرة لدى الدول من اجل تطبيق هذه الشروط وفق تفسيراتها ومصالحها . ويوجد حاليا ثلاثة اتجاهات دولية لانتهاء حالة الحرب بين الدول العربية واسرائيل :

الاتجاه الاول : ايجاد صيغة قانونية لمعاهدة صلح على اساس مبادئ وشروط القرار ٢٤٢ واعتبار القضية الفلسطينية « مشكلة لاجئين يتوجب على الاطراف ايجاد تسوية عادلة لها » .

الاتجاه الثاني : اشراك منظمة التحرير الفلسطينية طرفا في المعاهدة باعتبار الشعب الفلسطيني طرفا في النزاع وباعتبار قضية فلسطين السبب الرئيسي للحرب ،

ويقترح اصحاب هذا الاتجاه اجراء تعديل على القرار ٢٤٢ يعكس الوزن الذي تحتله المقاومة الفلسطينية المسلحة في النزاع ، ولا يستبعد ان يؤدي هذا الاتجاه الى اجراء المفاوضات ضمن اطار اوسع من اطار قرار ٢٤٢ بحيث يضم الاطار الجديد جميع قرارات الامم المتحدة ومجلس الامن الخاصة بالشعب الفلسطيني والقضية الفلسطينية منذ ١٩٤٧ (٢٢) .

الاتجاه الثالث : ان يتم التوصل الى المعاهدة تدريجيا بحيث تبدأ اسرائيل بالانسحاب من المناطق العربية التي احتلتها في حرب يونيو ١٩٦٧ مقابل اعتراف الدول العربية بها كدولة يهودية ذات سيادة واستقلال ، ويتبع ذلك قيام دولة فلسطينية على الجزء الفلسطيني من الارض التي سيتم عنها الانسحاب - الضفة الغربية ، القدس الشرقية ، وقطاع غزة - وتكون لهذه الدولة نفس الحقوق في السيادة والاستقلال وعليها نفس التعهدات والالتزامات الخاصة بالدول الموقعة على المعاهدة .

من الواضح ان الاتجاه الاول يضع القضية الفلسطينية عند المفترق الذي وصلت اليه عام ١٩٤٨ ، اما الاتجاه الثاني ففي احسن الاحوال سيكون تكرارا للوضع كما كان عليه قبل ٥ يونيو ١٩٦٧ واعتبار مسألة اللاجئين الفلسطينيين كقضية سياسية ، اما الاتجاه الثالث فهو اكثر واقعية بالنسبة لما يمكن للقانون الدولي تحقيقه على ضوء ميزان القوى الحالي في المنطقة بين الاطراف بما فيها الطرف الفلسطيني . ولما كان القانون الدولي لا يخلق حالات جديدة ولكنه يحكم في حالات قائمة او يفسرها بالعودة الى عناصرها ومقوماتها فان معاهدة الصلح بين الدول العربية واسرائيل ستكون تكريسا لوضع لم تستطع الاطراف تغييره باستعمال القوة ، لهذا فان المركز العسكري الذي يتمتع به كل طرف عند بدء المفاوضات هو الذي يحدد نوع الشروط التي يمكن لهذا الطرف قبول انتهاء حالة الحرب على اساسها ، وتكون المفاوضات حوارا قانونيا يحاول كل طرف من خلاله تخفيض مكاسب الطرف الآخر الى الحد الذي يمكن قبوله دون تعريض المفاوضات للفشل والعودة الى التهديد بالحرب . وتلعب الناحية الاقليمية - المناطق المحتلة - وجود سكان تحت الاحتلال دورا هاما في عملية مقايضة المكاسب الاقليمية بتعهدات سياسية لم يكن الطرف الآخر ليوافق عليها في حالة تكافؤ القوى العسكرية . ومن هنا يأتي حرص اسرائيل على ابقاء عنصر التفوق العسكري قائما لصالحها على طول الخط وطوال فترة المفاوضات بحيث يتم انتهاء حالة الحرب في ظل القوة الاسرائيلية وبحيث تصبح اي مطالب عربية اقليمية (مسألة الانسحاب) او سياسية (مسألة حق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره) رهينة بالارادة الاسرائيلية وحدها ، وربما تلجأ اسرائيل تحت الضغوط الدولية الى الاكتفاء باعلان قبولها بسيادة الدول العربية على بعض المناطق المحتلة دون الانسحاب منها وذلك بحجة وضع النيات العربية موضع التجربة بينما تحتفظ في هذه الاثناء بحق الاستمرار في بناء المستعمرات واقامة المشاريع في تلك المناطق . اما موضوع تنفيذ قرارات الامم المتحدة ومجلس الامن الخاصة بحقوق الشعب الفلسطيني ، فان اسرائيل سترفض ان يكون تنفيذ هذه القرارات شرطا لاقدام الدول العربية على انتهاء حالة الحرب معها ، وهنا ستلجأ الاطراف الى الصياغات القانونية المبهمة لتخفيض وزن هذه القرارات باعتبار ان تنفيذها بحدافيرها سيؤدي الى نفس المعادلة السياسية التي تم توزيع السيادة الاقليمية بين الاطراف على اساسها .

مما لا شك فيه ان عملية التراكم التاريخي للاحداث منذ ١٩٤٧ هو الذي جعل القرار ٢٤٢ يبدو اليوم اقرب الصيغ القانونية انطباقا على ميزان القوى في المنطقة ، وهو الذي جعل الظروف التي اوجدتها حرب اكتوبر ١٩٧٣ تبدو للدول العربية افضل

الظروف نسبيا لقبول المفاوضات من أي ظروف سابقة . ان انتهاء حالة الحرب على أساس هذه الظروف سوف يؤدي الى توزيع السيادة على فلسطين بين كيان اسرائيلي وكيان فلسطيني وهي حالة قانونية لا تتماشى مع النوايا والدوافع الحقيقية للدول العربية او لاسرائيل او للدولة الفلسطينية ، فالدول العربية ستظل تجد في اسرائيل كيانا متعارضا مع تطلعاتها نحو الوحدة السياسية ، واسرائيل ستجد ان الاعتراف القانوني بها لا قيمة له بالنسبة لحجم التحفظات والمطالب العربية الاقليمية والسياسية، والدولة الفلسطينية ستظل النظرة الفلسطينية لها مرتبطة بما ستحققه بالنسبة الى هدف اقامة دولة فلسطينية ديموقراطية على مجمل اراضي فلسطين . لهذا فان انتهاء حالة الحرب دون اعتبار الدوافع الحقيقية التي ادت الى الحرب (الحقوق القومية للشعب الفلسطيني) سيجعل من اي معاهدة سلم مجرد صياغة قانونية دون اي مضمون سياسي . ولو أخذنا من اجل المقارنة اتفاقية انتهاء الحرب في فينتام (٢٢) التي وقعها كل من الولايات المتحدة وجمهورية فينتام الجنوبية وجمهورية فينتام الديمقراطية والحكومة المؤقتة لجمهورية فينتام لوجدنا انها تنص في مقدمتها على « ان الاطراف المشتركة في مؤتمر باريس تهدف الى انتهاء الحرب واعادة السلام الى فينتام على اساس حق الشعب الفينتامي في تقرير المصير » . ومع ان الفقرة الثالثة من المادة الثالثة من الاتفاقية تنص على ان تتوقف القوات النظامية وغير النظامية التابعة لجميع الاطراف في جنوب فينتام عن النشاطات الهجومية ، الا ان القاعدة التي جاءت في مقدمة الاتفاقية بالنسبة الى حق تقرير المصير للشعب الفينتامي تظل هي المقياس الذي يحدد مدى تقيد الاطراف بأحكام الاتفاقية وشروطها . ومع ما تحمله المقارنة بين القضية الفلسطينية والقضية الفينتامية من فروق واختلافات سواء من ناحية اسباب النزاع او من ناحية مواقف الاطراف الا ان ما ينطبق على نتائج انتهاء حالة الحرب يظل في القضيتين واحدا وهو ان اي سلام غير قائم على مراعاة الدوافع التي ادت الى اللجوء للقوة سيظل سلاما لا يمثل الارادة الحقيقية للقوى المحركة للنزاع وسيكون سلام دول وحكومات لا سلام شعوب ومجتمعات . ان الاستنتاج الاهم لهذه الدراسة هو التالي : ان انتهاء حالة الحرب على اساس القرار ٢٤٢ وتحت ظروف التوسع والاحتلال الاسرائيلي يعني انتهاء القضية الفلسطينية قانونيا على الاقل في هذه المرحلة من مراحل النزاع ولذلك رفضت المقاومة الفلسطينية التحرك السياسي على اساس هذا القرار .

International Conflicts», Sydney 1959, p. 39-51.

٥ — انظر L. Oppenheim, «International Law», Vol II, Edited by H. Lauterbach 5th Edition 1951, p. 599.

٦ — تنص المادة ٢٩ من الميثاق بان مجلس الامن هو الذي يقرر حالات تهديد السلام او الاخلال به ما يقرر حالات العدوان ويتوم بوضع الخطوات اللازمة للمحافظة على السلم والامن العالمي . وتنص المادة ١٥ على ان المجلس يستطيع اتخاذ الخطوات اللازمة للمحافظة على السلم والامن العالمي .

٧ — اوينهايم المرجع السابق .

٨ — ستون المرجع السابق ص ٦٢٨ تابع .

١ — العرض الكامل للقرار في « قرارات الامم

المتحدة حول فلسطين ١٩٤٧ - ١٩٧٢ »

مؤسسة الدراسات الفلسطينية - بيروت

١٩٧٢ ص ١٢٢ .

٢ — نمه القرار في « السياسة الدولية » العدد

٣٥ يناير ١٩٧٤ ص ٢٠١ .

٣ — راجع دراسة للدكتور جورج طعمه « كيف

طويت قضية فلسطين في جدول اعمال الامم

المتحدة » ، في اعداد « النهار » ١٣ و ١٤ و ١٥

يونيو ١٩٧٤ .

٤ — انظر Lord McNair A.D. and A.D.

Watts «The Legal Effects of War» Cambridge 1966, p. 13-15.

Stone Juluis, «Legal Controls of In-

- (الفقرة ٢ من المادة الخامسة من اتفاقية الهدنة المصرية - الاسرائيلية لعام ١٩٤٩ والفقرة ٢ من المادة الثانية من اتفاقيات الهدنة اللبنانية - الاسرائيلية) انظر النص الكامل لاتفاقيات الهدنة بين الدول العربية وامرائيل في كتاب « اتفاقيات الهدنة العربية - الاسرائيلية - نصوص الامم المتحدة » . منشورات مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، بيروت ١٩٦٨ .
- ١٦ - ستون - المرجع السابق ص ٦٤٢ .
- ١٧ - من اصحاب هذا الرأي القانوني والمؤرخ الفلسطيني هنري كتن .
- انظر Henry Caatan, «*The Palestinians and the Geneva Conference*».
- دراسة قدمها هنري كتن لندوة الحقوقيين الدوليين التي عقدت في جنيف في يناير ١٩٧٤ بدعوة من لجنة « المسيحيين من اجل فلسطين » .
- ١٨ - قرار الهدنة رقم ٥٦ (١٩٤٨) بتاريخ ١٩ آب (اغسطس) ١٩٤٨ . انظر قرارات الامم المتحدة حول فلسطين . المرجع السابق ص ١٠٦ .
- ١٩ - من حديث لهارون ياريف (وزير اعلام اسرائيل) في « لا سويس » الصادرة بجنيف ١ يونيو ١٩٧٤ .
- ٢٠ - النص الكامل للبيان في « النهار » ١٨/٦/١٩٧٤ .
- ٢١ - حول دور الدولتين الكبريتين في اقرار الحل انظر مالبسون المرجع السابق .
- ٢٢ - قرارات الامم المتحدة حول فلسطين - المرجع السابق .
- ٢٣ - انظر النص الكامل للاتفاقية في *International Legal Materials - Current Documents*, Vol. XII, No. 1, Jan. 1973. The American Society of International Law, Washington.

٩ W.T. and S.V. Mallison, «The Role of International Law in Achieving Justice and Peace in Palestine-Israel».

قدمت هذه الدراسة امام ندوة الحقوقيين الدوليين التي عقدت في جنيف لبحث موضوع « الحقوق الانسانية في فلسطين » في يناير ١٩٧٤

نشرت الدراسة مجلة *Journal of Palestine Studies*, Vol III, No. 3, Spring 1974.

١٠ - بخصوص موضوع الاستعمار الاستيطاني راجع كتاب الدكتور جورج جبور حول المقارنة بين طبيعة هذا الاستعمار في جنوب افريقيا وفي الشرق الاوسط .

George Jabbour, «*Settler Colonialism in Southern Africa and the Middle East*», Palestine Research Center, Beirut 1970.

١١ - انظر د. منذر عيناوي « واجبات الاطراف الثالثة في الحروب المعاصرة » مركز الابحاث الفلسطيني - بيروت ١٩٧١ ص ١١ (مقدمة الكتاب) .

١٢ - القرار رقم ١ - البرنامج السياسي المرهني لتنظمة التحرير الفلسطينية المقرر من المجلس الوطني الفلسطيني في دورة انعقاده الثانية عشرة المنعقد في القاهرة من ١ - ٨/٦/١٩٧٤ .

١٣ - ندوة القاتونيين العرب (الجزائر ٢٢ - ٢٧ يوليو ١٩٦٧) : « القضية الفلسطينية » مؤسسة الدراسات الفلسطينية بيروت ١٩٦٨ ص ٩٥ .

١٤ - حول هذه النقطة انظر Henry Cattan, «*Palestine, The Arabs and Israel*», London 1969, p. 242.

١٥ - تكررت هذه المادة في جميع نصوص اتفاقيات الهدنة بين الدول العربية المعنية واسرائيل

الموقف الاميركي من ازمة النفط

ومحاولة تفجير منظمة « الاوبك » من الداخل

سمير كنعاني

يبين مؤشر اتجاه جملة التطورات والاحداث المتعلقة بالمنطقة العربية أن خطاب الرئيس الاميركي جيرالد فورد في حفل افتتاح « المؤتمر العالمي التاسع للطاقة » (٢٣ — ٢٨ ايلول) والذي ضمنه تهديدات بأوخم العواقب وتلويح باستخدام القوة وانذار بقطع المواد الغذائية عن الاقطار العربية المنتجة للنفط ان لم تنصاع للمطالب الاميركية بتخفيض أسعار النفط الخام الخ . . . يسجل هذا الخطاب درجة أشد حدة في لعبة عض الاصابع بين الامبريالية الاميركية وحلفائها وتوابعها المحليين وبين قوى حركة التحرر الوطني العربية ، كما انه يسجل مرحلة جديدة في الهجمة الامبريالية الاميركية على حركة التحرر الوطني العربية لسلبها البقية الباقية من منجزات حرب ٦ تشرين علي جميع الجبهات وفي شتى الميادين .

ويمكن في هذا الصدد ابداء الملاحظات الاولية التالية :

أولاً : ان خطاب الرئيس الاميركي هذا لم يكن مجرد زلة لسان أو شطحة قلم ، بل سبقه ورافقه ونلاه سيل من التصريحات والخطابات لمسؤولين امريكيين عديدين تصب جميعها في الاتجاه ذاته . فالرئيس الاميركي نفسه كان قد عبر عن آراء مماثلة ، وان كانت أخف لهجة ، في خطابه في الجمعية العمومية للامم المتحدة في ١٨/٩/١٩٧٤ ، كذلك تضمن خطاب وزير الخارجية الاميركي في هذه الهيئة الدولية في ٢٣/٩/١٩٧٤ آراء مطابقة لآراء رئيسه ، بل انه استخدم العبارات والكلمات ذاتها في بعض الاحيان ، وقبل هذا وذاك ، أورد وزير المالية الفرنسي جان بيار فوركاد في تصريحاته عن نتائج اجتماعات وزراء مالية الدول الراسمالية الخمس الكبرى (امريكا واليابان والمانيا الغربية وبريطانيا وفرنسا) في الاسبوع الاول من ايلول الماضي في بلدة سان سور مارن الزيفية قرب باريس قوله : « لقد قررنا أن نجعل اقتصادياتنا أقل اعتمادا على الطاقة النفطية التي لها تأثير تعطيلى من شأنه خلق عدم استقرار » . ونسب لزميله وزير المالية الاميركي قوله : « لسنا متفائلين . . . نحن مصمومون » (١) .

ومن جهة أخرى عقب مساعد وزير الخارجية الاميركي للشؤون الاقتصادية توماس اندروس في ٢٤/٩/١٩٧٤ على خطاب رئيسه التهديدي المشار اليه بقوله : « ان حكومة الرئيس فورد تنوي ان تطالب من الكونغرس سلطة اتخاذ الترتيبات المناسبة لمواجهة اية أزمة نفطية جديدة » ، وأضاف انه « لا يوجد نص محدد بما تتضمنه هذه السلطة ، ولكنها يحتمل أن تشمل التقنين وزيادة الاسعار وتخفيض الحد الاقصى لسرعة السيارات وتخفيض التدفئة في البيوت والمكاتب وفرض ضرائب » (٢) .

وفي ٢٨/٩/١٩٧٤ أعلن جون سكالى المندوب الاميركي لدى الامم المتحدة في مؤتمر ضم ٤٠ دولة صناعية ونفطية « ان على الدول المنتجة للنفط أن تتحمل العبء الرئيسي

في مساعدة الدول المتضررة من ارتفاع أسعار النفط « وأعاد سكاني الى الازهان بهذا الصدد خطابي فوررد وكينسجر(٣) .

اما جون سوهيل رئيس وكالة الطاقة الامريكية الاتحادية فكان اصرح هؤلاء جميعا اذ وجه في الاسبوع ذاته تحذيرات مباشرة الى الاقطار المنتجة للنفط زعم فيها ان « سياسة هذه البلدان قد وصلت الى مرحلة باتت تهدد البقاء القومي للولايات المتحدة » واضاف : « هنالك نقطة تفقد عندها الشروط التي يشحن بموجبها النفط طابعها التجاري وتجعل منها مسائل تتعلق بصميم الوجود القومي » وقال : « لا بد من اعادة النظر بما يسمى قواعد اللعبة التي كانت عادلة بالنسبة للمنتجين والمستهلكين » . واضاف انه يعتزم الدعوة الى ندوة للبحث في « قواعد اللعبة للاهتمام للخطوات التي تستطيع الولايات المتحدة اتخاذها بالاشتراك مع بلدان اخرى مستهلكة »(٤) .

وبطبيعة الحال ، رافقت هذه الخطابات والتصريحات حملة اعلامية مسعورة لتحريض الراي العام على الشعوب العربية وحقوق سيادتها على ثرواتها النفطية وهي استمرار للحملة الاستعمارية الغوغائية المتواصلة منذ رفع اسعار النفط لأول مرة بعد حرب ٦ تشرين الاول .

ثانيا : ان خطاب الرئيس الامريكي هذا وجملة الخطابات والتصريحات الاخرى الخ ... قد جاءت في وقت كان يعتقد فيه في « كامب ديفيد » قرب واشنطن مؤتمر لوزراء الخارجية والمال للدول الرأسمالية الخمس الكبرى (امريكا ، اليابان ، المانيا الغربية ، بريطانيا ، فرنسا) وهو المؤتمر المكمل لاعمال مؤتمر وزراء المال للدول الخمس ذاتها الذي عقد في ضاحية ريفية لباريس في الاسبوع الاول من شهر ايلول (سبتمبر) . والغاية من هذا المؤتمر ، رغم السرية والكتمان الشديدين ، باتت مفضوحة اذ استهدفت منه الولايات المتحدة الامريكية عقد صفقة مع منافساتها الرأسماليات الاخرى لحل التناقضات القانونية التي ما زالت قائمة بينها من مخلفات التصدع الذي اصاب صفوفها عقب حرب ٦ تشرين عندما حاولت بريطانيا ادوارد هيث وفرنسا ديغولية جوبير عقد صفقة مع الاقطار العربية على حساب المصالح النفطية والاقتصادية الامريكية . كذلك ان مؤتمر « كامب ديفيد » هذا هو استمرار لقرارات ومنجزات « مؤتمر واشنطن للطاقة » في ١١ شباط الماضي والذي جمعت فيه الولايات المتحدة وزراء خارجية ١٢ دولة رأسمالية اخرى (اقطار السوق الاوروبية المشتركة التسع والنرويج واليابان وكندا) . والغاية التي تستهدفها الولايات المتحدة من ذلك هي خلق جبهة موحدة الصفوف من الدول الرأسمالية الكبرى ، باعتبارها الدول الرئيسية المستوردة للنفط ، لمجابهة الاقطار المصدرة للنفط واخضاعها للمخطط الاستعماري الاحتكاري وسلبها المنجزات التي حققتها بعد حرب تشرين والتي تمثلت في زيادة عائداتها من نفطها ، واستعادة بعض حقوق سيادتها على ثروتها النفطية مثل : رفع نسبة مشاركتها في ملكية شركات النفط العاملة في اراضيها الى ٦٠ ٪ ورفع نسبة الضريبة التي تحصلها من الشركات على النفط المستخرج الخ ...

ويبدو ان امريكا قد احرزت نجاحا كبيرا في اقامة مثل هذه الجبهة الرأسمالية الاستعمارية ضد مصالح الاقطار المصدرة للنفط لا سيما وأن امريكا ، وبمؤازرة القوى الصهيونية ، قد تخلصت من خصومها السياسيين في اوروبا الغربية الذين راودتهم فكرة عقد صفقة مع الاقطار العربية على حساب المصالح الاستعمارية الامريكية وهم جوبير والديغوليون في فرنسا وادوارد هيث وحزب المحافظين في بريطانيا والهر فيلي برانت في المانيا الغربية . وستكشف الشهور القريبة القادمة مدى ابعساد الصفقة السياسية والاقتصادية والعسكرية التي ينطوي عليها تشكيل هذه الجبهة ، لا سيما

وأن أبحاث هذه المؤتمرات قد احيطت بقدر كبير من السرية والكتمان .

ثالثا : أن خطاب الرئيس الامريكى التهديدي هذا انما يلقي ضوءا جديدا على لهجة التصلب والغطرسة التي اتسمت بها تصريحات رئيس الوزراء الاسرائيلي اسحق رابين بعد عودته من محادثاته في واشنطن (١٠ - ١٣ ايلول) مع اركان البيت الابيض . ومعنى هذا ان الجبهة الاستعمارية - الصهيونية المتحدة تخطط للالتفاف حول جميع مكتسبات حرب ٦ تشرين وتنفيسها في شتى الجبهات وعلى جميع الاصعدة .

رابعا : ان نبرة ومضمون خطاب الرئيس الامريكى المشار اليه انما يفيد بأن الرجل قد أخذ كلية بالمنطق الصهيوني في سياسته المتعلقة بمعالجة التمرد الجزئي لبعض الدول المصدرة للنفط على المشيئة الاستعمارية الامريكية . فمئذ ان اتخذت الاقطار المصدرة للنفط قرارها الاول برفع اسعار النفط في ١٦ / ١٠ / ١٩٧٣ ثم قرار وزراء النفط العرب بتخفيض الانتاج كسلاح سياسي ضاغط أخذت ابواق الصهيونية في اسرائيل وفي الاقطار الغربية تدعو كتلة الاقطار الراسمالية الغربية الى **اولا :** تشكيل جبهة واحدة موحدة من هذه الاقطار للضغط على الاقطار العربية اقتصاديا وسياسيا وعسكريا . **وثانيا :** حجب المواد الغذائية عنها . **وثالثا :** وقف التعامل معها على صعيد التكنولوجيا والمعدات والسلع الصناعية والاسلحة ومقاطعتها مقاطعة جماعية .

ولكن عندما دب الصراع والتنافس بين دول اوربا الغربية وبين الولايات المتحدة الامريكية بعد حرب تشرين لم تكن الظروف ملائمة لانتهاج هذا السبيل الذي بشرت به الفئات الصهيونية . ويبدو ان الظروف قد نضجت الان لتجريب هذه الخطط الصهيونية - الاستعمارية .

خامسا : ان تهديدات الرئيس الامريكى جيرالد فورد ووزير خارجيته هنري كيسنجر وبطانتهم للدول العربية المنتجة للنفط انما تأتي في وقت بلغ فيه التضخم في الولايات المتحدة مستوى حادا هو ١١٫٢ بالمئة في اسعار المواد الاستهلاكية ، وفي وقت تعقد فيه الحكومة الامريكية ورجال الاعمال الامريكيين مؤتمرات واجتماعات على مستويات عدة للبحث عن حلول لمعضلة التضخم الاقتصادي المتفاقمة علما بأن الرئيس الامريكى جيرالد فورد قد جعل مكافحة التضخم في قمة الاولويات بين القضايا الرئيسية التي وعد الجمهور الامريكى انه سيتصدى لها خلال مدة ولايته ، وحيث ان معضلة التضخم الاقتصادي هذه كامنة في صلب النظام الراسمالي الاحتكاري الامريكى ولا سبيل لتخفيفها الا بنهب ثروات الشعوب الاخرى او بتغيير هذا النظام الراسمالي من اساسه ، فان الرئيس الامريكى اختار ان يجعل من الاقطار المنتجة للنفط ولا سيما الاقطار العربية منها كبش فداء امام انظار الجمهور الامريكى المتذمر من استفحال التضخم الذي يلتهم مداخيلهم ويخفض مستوى معيشتهم ويمتنع جميع الزيادات في الاجور التي يحققونها . وبعبارة اخرى ان الرئيس الامريكى بصفته رأس هذا النظام الراسمالي الاحتكاري الاستغلالي المسؤول الوحيد عن التضخم لا بد وأن يبحث عن ضحية يحملها مسؤولية هذا التضخم . وقد آثر الرئيس الامريكى ان يحول نعمة جماهير العاملين والمستخدمين الامريكيين نحو الاقطار المصدرة للنفط وبالذات نحو العرب لكي لا يتسنى لجماهير العاملين والمستخدمين الامريكيين المستغلين هؤلاء ان يكتشفوا هوية المسؤول الحقيقي عن تفاقم التضخم الا وهو الطبقة الراسمالية الاحتكارية الامريكية الحاكمة ذاتها ، فبذلك تبقى رؤية هذه الجماهير الامريكية لواقع مجتمعها غائمة مشوهة ويتم استعدادها على الشعوب العربية في عملية تهيئة لخطة

استعمارية عدوانية على هذه الشعوب ان لم تدعن للمشيئة الامريكية في نهب ثرواتها .

لقد بين تقرير اعده خبراء « اينسي » انه لا ينتج من مضاعفة سعر النفط سوى ارتفاع بنسبة ١٢٪ في اسعار المستهلك المنزلي و ١٢٪ في اسعار الاستعمال النهائي و ١٢٪ في اسعار الصادرات في قطر صناعي مثل فرنسا « (٥) » واذا اعتبرنا هذه النسب ضئيلة فان مساهمة ارتفاع اسعار النفط في التضخم الاقتصادي في الولايات المتحدة الامريكية لم تتجاوز نسبة ٢٥٪ من هذا التضخم حسبما بين مراسل صحيفة « الصندي تايمز » اللندنية في واشنطن وليم شوكروس في رسالة تناولت بالتحليل اسرار تهديدات الرئيس الامريكي جيرالد فورد وبطانته لعرب النفط (٦) .

أضف الى ذلك أنه اذا كان ارتفاع اسعار النفط قد أسهم في تفاقم حدة أزمة الغلاء والتضخم فان المسؤولية في ذلك انما تقع على عاتق شركات النفط الاحتكارية التي استغلت الموسم ورفعت اسعار المنتجات النفطية بدرجة فاقت بكثير نسبة ارتفاع اسعار النفط الخام وبذلك حققت شركات النفط ارباحا خيالية زادت لدى بعض الشركات على نسبة ٢٠٠٪ عما حققت في الفترات المماثلة من السنة السابقة . وبالتالي فان المسؤولية ايضا تقع على عاتق الرئيس الامريكي جيرالد فورد نفسه وعلى عاتق نظرائه في الاقطار الرأسمالية الغربية الأخرى الذين يعضون النظر عن تلاعبات الاحتكارات النفطية ويسمحون لها بتحقيق هذه الارباح الفاحشة . وعلاوة على ذلك فان حكومات الاقطار الرأسمالية الغربية تفرض رسوما وضرائب على المنتجات النفطية تفوق كثيرا ما تحصله الدول المنتجة للنفط من عائدات من كل برميل تنتجه شركات النفط من أراضيها . وبناء عليه ، فان حكومات الاقطار الغربية الرأسمالية وشركات النفط الاحتكارية التي تنتمي لهذه الاقطار والطبقة الرأسمالية المتحكمة باقتصاديات هذه الاقطار هي المسؤول الوحيد عن ارتفاع اسعار منتجات النفط ومشكلة الغلاء والتضخم الاقتصادي ، وهي التي تقوم بتصدير هذه الآفة الخائفة الى مجتمعات اقطار العالم الثالث التي وصلت اوضاعها الاقتصادية الى حافة الانهيار والانسحاق والمجاعة .

سادسا : لقد جاء خطاب الرئيس الامريكي المنذر بالويل والثبور لعرب النفط ان لم يستجيبوا لطلبات السيد الامريكي بوضع ثروة بلادهم النفطية نهبا حلالا للعم سام وشركاه في وقت بدأت فيه أعمال الجمعية العمومية للامم المتحدة حيث قضايا التضخم والغلاء والنهب الاستعماري لثروات شعوب العالم الثالث والاضاع الاقتصادية والاجتماعية المتردية في بلدان العالم الثالث بين البنود الرئيسية على جدول أعمال هذه الدورة استطرادا لأعمال الدورة الخاصة للجمعية العمومية للامم المتحدة حول المواد الخام التي عقدت بمبادرة من الرئيس الجزائري هواري بومدين في شهر نيسان الماضي ، وحيث يتحفز مندوبو اقطار العالم الثالث لشن هجمة شعواء على النهب الاستعماري الذي تمارسه البلدان الرأسمالية الرئيسية . وكذلك جاء خطاب الرئيس الامريكي هذا في وقت تنعقد فيه في نيويورك اجتماعات هامة لصندوق النقد الدولي والبنك الدولي وغيرهما من الهيئات الدولية لمعالجة الوضع النقدي والاضاع المالية المتردية وما تجره من مضاعفات على شعوب العالم الثالث الفقيرة بوجه خاص ، وبطبيعة الحال ، كانت المناسبة التي اطلق فيها الرئيس الامريكي تهديداته هي افتتاح « المؤتمر العالمي التاسع للطاقة » في مدينة ديترويت ، وهو توخى من ذلك القاء تبعات الاستغلال والنهب الاستعماري السذي يعتمر شعوب العالم الثالث على كاهل الاقطار المصدرة للنفط ، وبذلك يصطاد عصقورين بحجر واحد ،

فهو من جهة يؤلب جميع الناس بما في ذلك حتى ابناء اقطار العالم الثالث ضد الاقطار المنتجة للنفط التي هي في واقع الامر جزء من هذا العالم الثالث المتخلف ، كما انه من جهة اخرى يبعد السهام عن حكومته وبقية حكومات الاقطار الرأسمالية الاستعمارية المسؤول الوحيد عن هذا البلاء . والرئيس الامريكى يصنع ذلك وفق المبدأ الاستعماري الشهير « فرق تسد » . وبطبيعة الحال ، ان شيوخ النفط العرب يسهلون للرئيس الامريكى مهمته لانهم بدل ان يوظفوا مداخلهم النفطية الهائلة في تنمية مجتمعاتهم ومجتمعات الاقطار العربية ، وان يخصصوا حصة جيدة من فائض هذه المداخل لمساعدة شعوب اقطار العالم الثالث في محنتها ، فانهم اختاروا ان يودعوا القسم الاعظم من مداخلهم النفطية الهائلة في ديار الاعداء في اقطار الرأسماليات الغربية ، وبوجه خاص في الولايات المتحدة الامريكية التي يتوعدهم رئيسها ويهددهم بأوخم العواقب ، وبذلك يكونون قد اختاروا ان يكونوا في صف القوى المعادية لهضمة مجتمعاتنا العربية وتقدمها مثلما اختاروا ان يكونوا في صف القوى الاستعمارية المعادية لحركة التحرر العالمية على نطاق العالم بأسره .

هذا هو الاطار العام الذي اطلق فيه الرئيس الامريكى وبطانته تهديداتهم بأوخم العواقب للاقطار العربية المنتجة للنفط ، **فالى من وجهه الرئيس الامريكى تهديداته بصورة مباشرة ؟ وما الذي استهدفه من هذه التهديدات ؟** لقد وجه الرئيس الامريكى خطابه الى اطراف عدة في منظمة الاقطار المصدرة للنفط وفي المنطقة العربية ، وهو يأمل في نهاية المطاف ان يصل الى الغاية التي ينشدها وهي اعادة المنطقة العربية وبما فيها من ثروات نفطية كبيرة مزرعة مباحة للنهب الاستعماري بصورته السافرة التي عرفتها المنطقة طوال السنوات الماضية قبل حرب ٦ تشرين ، وضمانه هذا النهب هي وأد قوى حركة التحرر الوطني العربية . وهو غير قانع بالمستوى الراهن من النهب الاستعماري للثروات العربية من حيث ان الاقطار العربية ، حتى المتحررة منها ، لم تخرج موضوعيا حتى الان من دائرة الاقتصاد الرأسمالي الاستعماري العالمي ، بل يبدو انه يتطلع الى استسلام عربي تام على الصعيدين السياسي والاقتصادي .

اما الاطراف التي يخاطبها مباشرة فهي :

اولا : وجه التهديد الى الاقطار النفطية العربية المنحجرة مثل الجزائر وليبيا والعراق التي تظهر العزم على المضي قدما بمعركة النفط لاستعادة كامل حقوقها في سيادتها التامة على ثرواتها النفطية ، وجعل هذه الثروة عمادا لهضمة اقتصادية واجتماعية وثقافية شاملة لمجتمعات هذه الاقطار تكون بالتالي ضمانا لاستقلالها وتحررها السياسي التام . من ريفة التبعية الاستعمارية والالحاق . والرئيس الامريكى هو في مركز يتيح له ان يستشف المضامين الحقيقية التي ينطوي عليها مثل هذا الاتجاه . ذلك ان ثروة النفط العربي كانت حتى الان اضخم احتياطي اقتصادي في حوزة قوى الرأسمالية العالمية والاستعمار العالمي مما وفر لهذه القوى رصيذا ضخما لحل ازماتها الدورية واتاح لها الاحتفاظ بمواقمها الاقتصادية القوية وابقاء ميزان القوى العالمي العام لصالحها الى حد ما حتى الان . ويلاحظ وزير الخارجية الامريكى هنري كيسنجر بحق ، حسبما اوردت صحيفة « النيويورك تايمز » الامريكية في ١٩٧٤/٩/٢٨ ، ان تفاقم الازمة الاقتصادية في المجتمعات الرأسمالية واستمرار تفاعلاتها المنطقية قد تؤدي الى تمزيق البنية السياسية للمجتمعات الغربية وانهايار سياسي يشمل اوربا الغربية والولايات المتحدة واحتمال استيلاء الشيوعيين على السلطة في بعض الاقطار الغربية . كذلك اوردت هذه الصحيفة تحذيرات وجهها رئيس الوزراء الاسرائيلي اسحق رابين الى كيسنجر خلال زيارته الاخيرة لواشنطن (١٣-١٠ ايلول) بأنه « اذا

استمرت اسعار النفط في الارتفاع فان الديمقراطية في اوربا الغربية مهددة بالزوال وان ايطاليا تعتبر مثلا على ذلك» (٧) .

وبعبارة اخرى ان قوى المعسكر الاستعماري الغربي قد تتحمل مسألة زيادة أسعار النفط عن معدلات النهب التي كانت سائدة حتى حرب ٦ تشرين ١٩٧٢ طالما أن هذه الزيادة لم تتجاوز حدا معيناً وطالما ان العائدات التي تجنيها الاقطار المصدرة للنفط تضخ معظمها في الدورة الاقتصادية لهذه الاقطار ، وبالذات في اقتصاد زعيمة هذا المعسكر الولايات المتحدة الامريكية ، اي أن تصبح هذه العائدات تحت الوصاية التامة لامريكا تستثمرها وتحركها على الوجه الملائم لها . بيد ان الاتجاهات التي تبديها بعض اقطار النفط العربية المتحررة كالجنازير وليبيا والعراق من حيث عدم الاكتفاء بالمطالبة بتحقيق ارتفاع مطرد في اسعار الخام تتحرك طردياً بنسبة ارتفاع التضخم في الاقطار الرأسمالية الغربية وعكسياً مع انخفاض القيمة الشرائية لعائدات الاقطار المنتجة للنفط . ان اتجاه هذه الاقطار العربية المتحررة للمضي قدماً في تغيير طبيعة علاقات الانتاج التي ظلت تحكم قطاع النفط في هذه الاقطار بالغاء نظام الامتيازات النفطية الاستعماري وعدم الاكتفاء بمبدأ المشاركة في هذه الامتيازات بل السير قدماً نحو تأميم انتاج النفط وتخليص ثرواتها النفطية من برائن الشركات الاحتكارية الاستعمارية ، وبعد ذلك استثمار المداخل الكبيرة المتزايدة من هذه الثروة النفطية في الانفاق على برامج سريعة لتنمية مجتمعات هذه الاقطار اقتصادياً واجتماعياً وثقافياً وذلك للانتقال بها بسرعة صاروخية من عالم التخلف والفقر والجهل وتحويلها الى مجتمعات متطورة مرفهة ، وبذلك تتحرر ارادتها السياسية وتخلص من دورة اقتصاد اقطار الرأسماليات الغربية الاستعمارية .

ان وزير الخارجية الامريكي هنري كيسنجر وغيره من اركان الامبريالية الامريكية يرون في هذا الاتجاه الذي تسير فيه بعض اقطار النفط العربية المتحررة ظاهرة خطيرة تصيب مجمل النظام الرأسمالي العالمي وبالتالي النظام الاستعماري العالمي في موضع قاتل . وهذا تماماً ما عناه جون سوهيل رئيس وكالة الطاقة الامريكية الاتحادية في تصريحه الذي اشرنا اليه آنفاً حين قال عن اتجاهات الاقطار العربية النفطية المتحررة هذه : « ان سياسة هذه الاقطار قد وصلت الى مرحلة باتت معها تهدد البقاء القومي للولايات المتحدة » (٨) . ولهذه الاقطار العربية ذاتها وجه الرئيس الامريكي فورد تهديده الصريح حين قال : « لقد خاضت الدول الحرب عبر التاريخ من اجل المصادر الطبيعية كالمياه والغذاء او من اجل ممرات ملائمة في البر او في البحر » (٩) . والعرب لديهم هذه المصادر الطبيعية وتلك الممرات . ان خطاب فورد هذا هو نسخة عن عنقريات انطوني ايدن عام ١٩٥٦ ، فهل يكون أسعد حالاً منه ؟

ثانياً : ان خطاب الرئيس الامريكي ينطوي على مناورة تشجيع للتيار الذي يمثله وزير النفط السعودي احمد زكي اليماني داخل منظمة الاقطار المصدرة للنفط «أوبك» . فمعلوم ان الشيخ احمد زكي اليماني يجهر بمواقف المعارضة الصريحة لاية زيادة في اسعار النفط الخام ، بل انه لم يمل طوال الشهور الماضية من الدعوة لتخفيض اسعار النفط هذه ، وهدد من اجل تحقيق هذه الغاية بزيادة انتاج السعودية من النفط بزيادة كبيرة بحيث يغرق سوق النفط العالمي فيزيد العرض على الطلب بزيادة كبيرة ، وبالتالي يدفع الاسعار نحو الانخفاض . وبالفعل زادت السعودية انتاجها من النفط من حوالي ٦ ملايين برميل في اليوم قبل رفع حظر النفط العربي عن امريكا في ٣/١٨/١٩٧٤ الى ما يزيد على ٨,٥ مليون برميل في اليوم في شهر ايار الماضي . وكذلك صادقت السلطات السعودية على برنامج توسيعات الانتاج الذي قدمته لها شركة

« الأرامكو » ، وهو يهدف الى رفع انتاج ارامكو من النفط الى معدل ١١٢ مليون برميل في اليوم قبل نهاية العام القادم ١٩٧٥ (١٠) كمرحلة في تنفيذ البرنامج الجنوبي الذي وضعته الاحتكارات الاستعمارية لرفع انتاج السعودية الى معدل عشرين مليون برميل في اليوم بحلول العام ١٩٨٠ . ان انفضاح المخاطر الكامنة في موقف احمد زكي اليماني هذا على مستقبل الاقطار المصدرة للنفط ومداخيلها قد جعله في موضع عزلة شديدة ، لا سيما وانه تبين ان الصراخ الذي علت به اصوات الدوائر والصحف الاستعمارية بشأن ارتفاع اسعار النفط هو كاذب ومفتعل لان شركات النفط استغلت الازمة وحقت ارباحا قياسية زادت على ٤ دولارات في البرميل الواحد من النفط الخام عدا عن ارباحها من كل برميل من عمليات النفط المتمة - النقل والتكرير والتصنيع والتوزيع - وهي ارباح لا تنقل عن ارباحها من النفط الخام ، بل ان وزير المالية الايراني جمشيد اموزيغار قال ان ارباح شركات النفط اصبحت تتراوح بين ١٢ الى ١٣ دولارا في كل برميل من النفط الذي تشتريه من الدول المنتجة بسعر يتراوح بين ٧ الى ٨ دولارات (١١) . ومن جهة أخرى ، كانت صحيفة « نيويورك تايمز » قد علقت على موقف اليماني في مؤتمر « الأوبك » في كيتو (١٥ الى ١٧ حزيران الماضي) حيث حدثت مجابهة حقيقية بين اليماني والاعضاء الآخرين بسبب اصراره على تخفيض اسعار النفط ، فقالت « نيويورك تايمز » : « ان السعودية قد استخدمت قوتها كأكبر مصدر للنفط في العالم لتمنع مؤتمر « أوبك » في كيتو من اتخاذ قرار بزيادة اسعار النفط زيادة كبيرة » . وأضافت الصحيفة ان « السعودية تسعى لان تقوم الولايات المتحدة بدور أكثر فعالية لاقناع حليفها ايران والدول الاخرى بتخفيض اسعار النفط » (١٢) . وعلى سعيد آخر كان مسؤول سعودي آخر هو الشيخ عبد الهادي طاهر محافظ مؤسسة « بترومين » قد صرح في نيسان الماضي بأن « الاسعار الحالية للنفط تعتبر عالية بمقاييس الامريكيين والسعوديين والعالم » واستعدى السلطات الامريكية لممارسة ضغوطها على الاقطار الاخرى المصدرة للنفط فقال : « ان التدابير السعودية وحدها لن تكفي لتخفيض اسعار النفط » (١٣) .

وعلى سعيد آخر ، ادى تصاعد التضخم الاقتصادي في الاقطار الرأسمالية الغربية المستوردة للنفط بنسبة زادت أحيانا على ٢٠ ٪ منذ مطلع هذا العام في بعض الاقطار كإيطاليا الى انخفاض القيمة الشرائية لعائدات الاقطار المصدرة للنفط التي تقبض أثمان نفطها بالدولارات . هذه الحقائق جميعها وغيرها تثبت ان لا مبرر لدعوى وزير النفط السعودي .

فالغرض الذي استهدفه الرئيس الامريكي جيرالد فورد من خطابه العنصري هو خلق حالة من الفزع لدى حكام بعض الدول الاعضاء في منظمة الاقطار المصدرة للنفط « أوبك » ان لم يكن لديهم جميعا ، بحيث يستجيبون الى دعوة الشيخ احمد زكي اليماني لهم لزيادة انتاج النفط وتخفيض اسعاره . ولذلك لم يكن غريبا ولا عجيبا ان الشيخ اليماني لم ير في خطاب الرئيس الامريكي أية تهديدات واعتبره دعوة محبة للتعاون . فقد نقلت وكالة الصحافة الفرنسية على لسانه تعقيبا على خطابي جيرالد فورد وهنري كيسنجر فقالت : « ان اليماني لا يرى في ذلك تهديدات بالمواجهة ، بل دعوة للتعاون فقط ، وانها دعوة لاجراء حوار مع الدول المنتجة يمكن ان تكون فرصة للمساومات » (١٤)!! .

وتجريا لاي التباس يمكن ان يتولد في اذهان الرأي العام حول المضامين الحقيقية لخطاب الرئيس الامريكي ، سارعت المصادر الامريكية الى تهيئة ساحة المسؤولين السعوديين من أية مسؤولية عن أسباب الشكوى . وجاءت شهادة حسن السلوك

الأمريكية على لسان جيمس أكينز السفير الأمريكي في جده الذي أعلن في اجتماع لغرفة التجارة العربية - الأمريكية في شيكاغو أنه « لولا السعوديين لكانت أسعار النفط العالمية أعلى بنسبة ٥٠ في المئة عما هي عليه الآن » . وأضاف : « ان السعوديين أرادوا خفض أسعار النفط لكنهم لم يلقوا تأييدا لطلبهم من الدول الأخرى الاعضاء في منظمة الاقطار المصدرة للنفط « أوبك » (١٥) .

ثالثا : انطوى خطاب الرئيس الأمريكي كذلك على اشارات تحذير ونصح مبطنة بالتهديد الى تلك الاقطار المتأرجحة بين الموقف الوطني الصلب الذي تقفه الجزائر والعراق وليبيا وبين الموقف السعودي - وهي اقطار مثل الكويت وأبو ظبي والبحرين وأندونيسيا الخ . . . - وهذا ما عناه الرئيس الأمريكي حين قال : « ان الخطر واضح وقاس ، ولكنني على أي حال متفائل ، ففوائد التعاون واضحة كما ان أخطار المواجهة واضحة ، وهذا ما يجعلني متفائلا ومتشائما في آن واحد » (١٦) . واقع الامر أن حملة التهويل والتخويف هذه التي شنها الرئيس الأمريكي ويطانته موجهة بالدرجة الاولى الى مثل هذه الاقطار المتأرجحة بين نظرنا لطبيعتها بنيتها السياسية وأوضاع الفئات الحاكمة فيها والتي جعلها عرضة للتهويل والتخويف من دولة لها سجلها الحافل بعمليات الابتزاز والعدوان الخالي من كل روح بالمسؤولية . فهذه الاقطار هي حلقة الضعف الاساسية في منظمة الاقطار المصدرة للنفط واليها وجه الرئيس الأمريكي سهامه التهويلية على أمل أن تخاف وتضطرب فتدعن للمطالب الأمريكية الابتزازية . والمأمول في هذا الصدد ألا يكون اعلان وزير المالية والنفط الكويتي بأن سعر « اعادة الشراء » لنفط حصة المشاركة الكويتية اعتبارا من ١٠/١٠/١٩٧٤ سيكون ١٠ر٤٧ دولارا للبرميل بدلا من ١٠ر٩٥ دولارا للبرميل (١٧) ، وهو الاعلان الذي جاء بعد خمسة أيام فقط من خطاب الرئيس الأمريكي ، أول مظاهر الخضوع للتهديدات الابتزازية الأمريكية . فمعلوم أنه منذ بدأ العمل « باتفاقيات المشاركة » عام ١٩٧٢ ، وهي الاتفاقيات التي بدأت بمشاركة الحكومة بحصة ٢٥ ٪ من شركة النفط العاملة في أراضيها جرى العرف على أن شركة النفط العاملة لها الاولوية في أن تشتري من الحكومة حصتها من النفط أو كميات من هذه الحصة على أن يحتسب سعرها على اساس ٩٣ ٪ من السعر المعلن الذي يساوي ١٤ ٪ من السعر الذي يتم الاتفاق عليه بين الحكومات المنتجة وشركات النفط العاملة على أنه سعر السوق للنفط الخام . ولكن في شهر تموز الماضي أصرت الحكومة الكويتية على احتساب سعر كميات من النفط مقدارها . . . ٧٠٠ برميل في اليوم رغبت شركتنا « غلف أويل » الأمريكية و« برينيتش بتروليوم » البريطانية المالكتان لشركة نفط الكويت بشرائها على اساس ٩٤ر٨ ٪ من السعر المعلن بدلا من ٩٣ ٪ من السعر المعلن فقط (١٨) ، ولكن اعلان وزير المالية والنفط الكويتي بتخفيض سعر « اعادة الشراء » من ١٠ر٩٥ دولارا للبرميل الى ١٠ر٤٧ دولارا فقط يعني الرجوع الى نسبة ٩٣ ٪ ، وهذا يكتسب أهمية خاصة نظرا لان المراجع الرسمية الأمريكية والبريطانية كانت قد أثارت في حينه ضجة كبيرة حول رضوخ شركتي « غلف أويل » و« برينيتش بتروليوم » لشروط الحكومة الكويتية برفع نسبة سعر اعادة الشراء من ٩٣ ٪ الى ٩٤ر٨ ٪ .

فالمأمول ألا يسيطر الذعر على اقطار الحلقة الضعيفة الاعضاء في منظمة « أوبك » فترضخ هذه الاقطار للتهديدات الابتزازية الأمريكية وبذلك تتحقق آماني الاستعماريين الأمريكيين بانقسام صفوف اعضاء منظمة أوبك الى فريقين : فريق يصمد ويتصدى للتهديدات الأمريكية قوامه الجزائر والعراق وليبيا وفريق ينصاع للمشيئة الأمريكية وبذلك تتفجر منظمة أوبك من داخلها وتستفرد الاحتكارات الاستعمارية بأعضائها

الواحد تلو الآخر بحيث تسترجع هذه الاحتمالات مواقعها التي خسرتها بعد حرب ٦ تشرين وتستعيد سيطرتها السابقة على مقدرات اقطار النفط وثرواتها النفطية وتعود لتتحكم بها كما تشاء فتتهب من ثرواتها ما طاب لها النهب .

رابعا : ان خطاب الرئيس الامريكى فورد موجه كذلك في بعض جوانبه ومغازيه الى الرئيس المصري السادات ، اذ يقول له بصورة غير مباشرة : « كيف تريدني ان احل لك مشكلتك مع اسرائيل اذا لم تساعدني في حل مشكلتي مع عرب النفط ؟ وعليك الا تتوقع مني ان انشط في استخدام نفوذي السياسي لدى قيادة اسرائيل للاستجابة لمطالبك طالما لم تبادر أولا الى اظهار نشاط أكثر في استخدام نفوذك السياسي لدى عرب النفط للتجاوب معي في قضية تخفيض أسعار النفط وزيادة انتاجه ووضع عائداته تحت تصرفي أستثمرها كما أشاء لصالح الاقتصاد الامريكى » . وهذا تماما هو ما عناه هنري كيسنجر حين قال في خطابه في الجمعية العمومية للامم المتحدة في صدد دعوته الى تخفيض أسعار النفط : « ان ما ارتفع بقرار سياسي يمكن ان يخفض بقرار سياسي » (١٩) . واقع الامر أن وزير الخارجية الامريكى هنري كيسنجر صاحب « دبلوماسية الموك » الذي أظهر نشاطا كبيرا من أجل تحقيق فك ارتباط القوات على الجبهتين المصرية والسورية لتأمين حدود اسرائيل الجديدة مما جعل بعض الاوساط الحاكمة العربية تعلق عليه آمالا عظيمة لتخليصها من ورطة المواجهة مع اسرائيل وبالتالي توفير المناخ المناسب لهذه الاوساط لعقد صفقة مع واشنطن على حساب حركة التحرر الوطني العربية ، وهو امر لا تقوى عليه طالما ظل النزاع العربي - الاسرائيلي محتدما ملتبها . . . ان هنري كيسنجر هذا بعد أن فرغ من هذه المرحلة التي أظهر خلالها الوجه الناعم للامبريالية الامريكية ، أخذ يظهر الآن لمن راهنوا عليه الوجه الآخر الحقيقي للامبريالية الامريكية ، فقد جاء دور التركيع والاضخاض لفرض المشيئة الامريكية كاملة . فقد غدا جليا الآن أن الثمن الامريكى لارجاع شيء من الارض العربية التي تحتلها اسرائيل هو أن يصبح الوطن العربي كله - بأرضه وأهله وثرواته - مزرعة مستباحة للامريكيين وشركاتهم . وبالتالي فان خطاب الرئيس الامريكى فورد يشتمل على الابتزاز السياسي لدول المواجهة العربية مثلما يشتمل على الابتزاز العسكري والاقتصادي لدول النفط العربية . ولعل هذا هو ما عناه السيد عبدالرحمن العتيقي وزير المالية والنفط الكويتي حين قال في صدد رده على تهديدات فورد وكيسنجر : « ان واشنطن وقد أتمت فك الارتباط قد عمدت الى اقامة أمر واقع في المنطقة يخالف أهداف حرب تشرين الاول » . وأضاف : « ان الولايات المتحدة تعزم الرجوع عن الوعود التي قطعتها في المنطقة مختلفة اسبابا تحاول أن تظهرها معقولة ومشروعة » (٢٠) !!

نخلص من هذا كله الى القول ان على الاقطار المصدرة للنفط ، ولا سيما العربية منها ، ألا تدع تهديدات الرئيس الامريكى فورد توهن من عزيمتها في استعادة كامل حقوقها وسيادتها الوطنية على ثروتها النفطية ، وتخليص ثروتها الوطنية هذه من نهب الشركات الاحتكارية الذي طال عليه الزمن وذلك بتأمين مصالح هذه الشركات تأميمها شاملا وناجزا . ان تهديدات فورد هذا هي تهويشية في طبيعتها ، وهو يعلم حق العلم أن موازين القوى العالمية وطبيعة عصرنا لم تعد تسمح للاستعماريين الامريكان أن يمارسوا سياسة رعاة البقر تجاه حقوق الشعوب القومية وثرواتها الوطنية . ان الاستعماريين يعلمون حق العلم أن عجلة الزمن لا تعود الى الوراء ، وان المكتسبات التي حققتها الاقطار المصدرة للنفط بعد حرب تشرين لم يعد هنالك سبيل للرجوع عنها . ولذلك ، فان تهويشات فورد انما يتوخى منها شل ارادة الاقطار المصدرة للنفط عن

مواصلة سعيها لبسط يدها على كامل ثروتها النفطية الوطنية . وهو يهدف أيضا الى المحافظة على ما تبقى من مصالح الاحتكارات النفطية في هذه الاقطار قبل أن تمتد اليها روح التغيير والثورة فتعصف بها وتنتهي عملية نهب واستغلال تجاوزت حدود الوصف . ويهدف فور ذلك الى تخويف الاقطار المصدرة للنفط ، ولا سيما العربية منها ، لكي ترضخ لمشيئة أمريكا الاستعمارية فتوظف عوائدها النفطية في أمريكا لكي تكون هذه التوظيفات هناك بمثابة رهائن تحول بين أي حكومة وطنية قد تأتي بها الايام وتأميم مصالح شركات النفط الاحتكارية في ذلك القطر . والرئيس الأمريكي غير قانع بقيام الاقطار المصدرة للنفط بتوظيف أموالها النفطية الهائلة في أمريكا فقط ، وهذا ما هو جار الآن على قدم وساق ، بل هو يريد أن تكون للسلطات الأمريكية تقرير كيفية توظيف هذه الاموال وفي أية قطاعات وحقول وتقرير الشكل الذي تستخدم فيه هذه الاموال . وبعبارة أخرى أنه يريد أن تستعيد أمريكا من الدول المصدرة للنفط باليد اليسرى ما تدفعه ثمن مستورداتها النفطية باليد اليمنى . وهو لا يريد ذلك فحسب ، بل يريد أيضا أن تستأثر أمريكا بنصيب الأسد من عائدات الاقطار المصدرة للنفط وذلك على حساب اقطار أوروبا الغربية التي تتطلع بدورها الى استعادة جزء كبير مما تدفعه ثمن مستورداتها النفطية على هيئة ودائع واستثمارات وتوظيفات في اقتصادها ، وكانت مسألة تقسيم هذه العائدات التي يطمحون باستعادتها من الاقطار المصدرة للنفط هي المادة الرئيسية على جدول أعمال مؤتمر الوزراء والمال للدول الرأسمالية الخمس الرئيسية الذي كان منعقدا في « كامب ديفيد » في الوقت الذي القى الرئيس الأمريكي خطابه المشار اليه في مؤتمر الطاقة العالمي التاسع .

والتر ليفي :

مهندس استراتيجية المجابهة النفطية الأمريكية

ان المتمعن في نصوص خطابي كل من الرئيس الأمريكي فوردي ووزير خارجيته هنري كيسنجر المشار اليها يتبين أنه ليس فيهما أفكار مبتكرة ، فالآراء التي ردها تتداولها الدوائر الاستعمارية الأمريكية والصحافة المعبرة عن هذه الدوائر منذ شهور . ولعل الاساس النظري للموقف السياسي الذي عبر عنه فوردي وكيسنجر في خطابيهما مستمد في جملته من التحليلات والدراسات التي نشرها الخبير الصهيوني والتر ليفي الذي يعد أشهر الاختصاصيين الأمريكيين في سياسة اقتصاديات النفط . ففي دراسة له كان قد نشرها في شهر نيسان الماضي نبه الأذهان الى أن « منظمة الاقطار المصدرة للنفط » (أوبك) تواجه مشاكل داخلية خطيرة قد تعرضها للانقسام بسبب تضارب المصالح بين أعضائها(٢١) . وهو يرى أن « الانشقاق في صفوف الدول المنتجة للنفط قد يؤدي الى هبوط كبير في أسعار النفط في السنوات الأخيرة من هذا العقد » . وهو يعتقد أن « عودة الانسجام والوئام بين أعضاء الأوبك من شأنها أن ترفع الأسعار من جديد مما يؤدي الى تفاقم الفوضى الاقتصادية والنقدية بين الدول المنتجة للنفط والمستهلكة له على حد سواء » ، وهو يرى أن الدول المستهلكة للنفط مضطرة بسبب غلاء الأسعار الى تبني برامج نقشفية طويلة المدى ، إذ سيكون من الصعب عليها في السنوات القادمة أن توفر المال اللازم لشراء المستوردات الضرورية من النفط . أما مشكلة الدول المصدرة للنفط على المدى الطويل فهي تأبين نمو عائداتها النفطية في عالم سيلجأ بصورة متزايدة الى النقشف في استهلاك الطاقة » . وتتكهن دراسة ليفي هذا بأن « ارتفاع الأسعار سيدفع الدول المستهلكة للنفط الى تخفيض استهلاكها الى الحد الأدنى الذي يسمح باستمرار النمو الاقتصادي والعمليات الصناعية » . وترى الدراسة ان « هذا

التكشف سيؤدي الى انخفاض الاستهلاك الى درجة أن النمو في انتاج النفط قد يزيد على النمو في الطلب ؛ وعندئذ ، ستلجأ الدول المصدرة للنفط الى خفض انتاجها أكثر فأكثر للحصول على أسعار أعلى . بيد ان قدرة البلدان المنتجة للنفط ورغبتها في مثل هذا التخفيض تتفاوت . فالقطار التي تحتاج الى مقادير كبيرة من رؤوس الأموال (نظرا لعدد سكانها الكبير نسبيا وتوفر موارد خام بحاجة الى تطوير لديها) مثل ايران والجزائر وأندونيسيا وفنزويلا والعراق ستجد من الصعب عليها ، بل من المستحيل أن تلجأ الى تخفيض انتاجها من النفط ، وبالتالي تخفيض عائداتها منه ؛ وهكذا ستلعب الدول الاخرى مثل السعودية والكويت وأبو ظبي القليلة السكان والمحدودة في مواردها الخام الدور الرئيسي في تقرير مستقبل انتاج الشرق الاوسط ، وبالتالي الامدادات العالمية من النفط » . وبالنسبة لاحتمال اشتعال نيران المنافسة والصراع بين الاقطار المصدرة للنفط ، ترى دراسة ليفي هذه انه « اذا ما هبطت عائدات السعودية والكويت وأبو ظبي الى ما دون التوقعات المرتقبة فسيكون ذلك باعثا لها على زيادة انتاجها مما يضر بالاقطار المنتجة الاخرى ويؤدي بالتالي الى انخفاض أسعار النفط » .

اذن الخطة الاستعمارية حسبما شرحها والتر ليفي واضحة ، انها تقوم على اللعب على التناقضات الثانوية القائمة بين أعضاء منظمة أوبك لتفتيت عرى وحدتها وتضامنها باعتبارها لها مصلحة واحدة مشتركة ، ومن ثم الانقراض عليها واحدة تلو الاخرى . ويرى ليفي ومعه الدوائر الاستعمارية أن الحلقة الضعيفة داخل صفوف منظمة الاوبك التي سيركزون عليها نيرانهم هي على وجه التحديد السعودية والكويت وأبو ظبي . وبطبيعة الحال ، اقطار أخرى لم يذكرها ليفي لانها اقل أهمية من حيث انتاجها النفطي وهي قطر وعمان والبحرين .

ان ما يستدعي اليقظة والحذر الشديدين هنا هو أن والتر ليفي هذا لم ينسج تحليلاته هذه في فراغ بل استمد مادتها من استقراء جملة معطيات واقع الاقطار المصدرة للنفط هذه واستشف صيرورتها في منظر مستقبلي . فهناك جملة من المعطيات التي تشكل محاذير على الاقطار المصدرة للنفط ان تتوقاها لكي تفسد على الدوائر الاستعمارية احلام يقظتها في رؤية هذه الاقطار متنافرة متخاصمة مصدعة الصفوف تتراكم كل واحدة منها لطلب الحماية في كنف هذه الدولة الاستعمارية او تلك . فمن هذه المحاذير :

أولا : كان وزير النفط السعودي المعارض الوحيد في وجه الزيادة الثانية لاسعار النفط التي أقرها المؤتمر الوزاري لمنظمة « الأوبك » في طهران في ٢٣/١٢/١٩٧٣ . أما في المؤتمر الوزاري التالي « لأوبك » الذي عقد في جنيف (١٦ الى ١٨ آذار ١٩٧٤) فقد طالب اليمني باصرار بتخفيض أسعار النفط رغم ان اللجنة الاقتصادية لاوبك المؤلفة من مجموعة من الخبراء الفنيين لدراسة اوضاع السوق كانت قد أوصت برفع الاسعار المعلنة للنفط بحوالي ١٠ ٪ . وازاء تهديدات اليمني اضطرت « الأوبك » الى تجميد أسعار النفط لفترة الربع الثاني من السنة (٢٢) . بالإضافة الى ذلك ، استبق الشيخ اليمني مؤتمر الاوبك في كيتو (١٥ الى ١٧ حزيران ١٩٧٤) بالمطالبة بتخفيض السعر المعلن للنفط الى ٩ دولارات للبرميل مما يخفض قيمة العائدات التي تتقاضاها الحكومات من الشركات الى حوالي ٥٥ دولار للبرميل بدلا من ٧ دولارات كما هو الحال عليه بموجب السعر المعلن الحالي (٢٢) . وازاء تهديدات الشيخ اليمني بزيادة انتاج النفط السعودي بمعدل ٣ ملايين برميل في اليوم للضغط على الاسعار نحو الانخفاض تم الاتفاق على تجميد أسعار النفط لفترة الربع الثالث من السنة على التوالي وذلك وعيا من الاقطار الاخرى لخطورة الموقف الذي كاد ينذر بتفجر منظمة « أوبك » وانهارها . واكتفي في مؤتمر كيتو بزيادة نسبة الضريبة التي تحصلها

الحكومات من شركات النفط العاملة في أراضيها بنسبة ٢ ٪ من السعر المعلن للنفط ، علما بأن الاتجاه لدى معظم أقطار النفط الأخرى كان رفع نسبة الضريبة هذه من ٥٥ ٪ الى ٨٧ ٪ بهدف امتصاص الأرباح الزائدة التي تجنيها شركات النفط من بيع النفط العائد لها بموجب حصتها في ملكية عمليات الإنتاج (٢٤) . وقد استنكفت السعودية عن تحصيل هذه الزيادة الضئيلة في نسبة الضريبة . أما في الاجتماع الأخير للمجلس الوزاري لمنظمة الأوبك الذي عقد في فيينا في ١٢ و ١٣ أيلول الماضي فكان الجو العام للاجتماع أفضل بكثير من جو مؤتمر كيتو المشحون في شهر حزيران الماضي بفضل « الجهود الجزائرية التي نجحت في اقناع السعودية بالتخلي عن مساعيها لتخفيض الاسعار مقابل تخلي الدول التي تدعم زيادة الاسعار ، ولا سيما ايران ، عن تشدها في رفع الاسعار خلال الفصل الأخير من هذه السنة » (٢٥) . وكانت اللجنة الاقتصادية لمنظمة أوبك قد أوصت برفع أسعار النفط بنسبة ١٤ ٪ كتعويض عن التضخم الحاصل في الدول الرأسمالية المستوردة الرئيسية للنفط ، ولكن المجتمعين وفقوا بتحويل الزيادة المرجوة الى الوجهة الصحيحة وذلك بزيادة معدلات الضريبة والريع الذي يحصل من شركات النفط العاملة « بنسبة اجمالية مقدارها ٣٥ ٪ أي بزيادة تبلغ ٣٣ سنت أمريكي في البرميل ، وبذلك ارتفع معدل الضريبة من ٥٥ ٪ الى ٦٥٫٧٥ ٪ وارتفعت نسبة الريع من ١٤٫٥ ٪ الى ١٦٫٦٧ ٪ ، وتمثل نسبة الزيادة هذه للربع الأخير من السنة نفس نسبة الارتفاع السنوي للتضخم في الدول الصناعية لعام ١٩٧٤ بكامله ، والتي قدرتها اللجنة الاقتصادية لمنظمة « أوبك » بنسبة ١٤ ٪ » (٢٦) . ان هذه الزيادة في نسبة الضريبة المحصلة من شركات النفط العاملة أتاحت للدول المنتجة للنفط تعويض الخسارة في عائداتها النفطية الناجمة عن ارتفاع معدل نسبة التضخم في الاقطار الرأسمالية بنسبة ١٤ ٪ كما أنها ، في الوقت ذاته ، أتاحت للاقطار المنتجة لتقليم أظافر شركات النفط قليلا بتقليل نسبة أرباحها الفاحشة ، لا سيما وأن شركات النفط الاحتكارية أصبحت تهدد بالتهام شركات النفط الأجنبية المستقلة مثل شركة « اينى » الإيطالية و « الف/ايراب » الفرنسية و « هيسبانويل » الإسبانية كما أنها هددت أوضاع شركات النفط الوطنية التابعة لحكومات الاقطار المصدرة للنفط وذلك لان شركات النفط الاحتكارية مالكة الامتيازات النفطية القديمة أصبحت تحصل على النفط الخام بسعر ٧ دولارات بينما الشركات المستقلة يكلفها شراء النفط الخام حوالي ١١ دولارا وبذلك أصبحت شركات النفط الوطنية وشركات النفط المستقلة في وضع لا يؤهلها لمنافسة شركات النفط الاحتكارية من حيث أسعار منتجاتها في الاسواق ونسبة الربح الذي تجنيه منها ...

لقد كان موقف السعودية في مؤتمر فيينا في أيلول الماضي أقل « انشقاقية » من مؤتمرات أوبك الماضية حسبما بسطه وزير المالية والنفط الكويتي عبد الرحمن سالم العتيقي لصحيفة « الرأي العام » الكويتية اذ قال : « ان السعودية توافق على الزيادة من حيث المبدأ ، ولكنها ترى أن تكون مقرونة بتخفيض السعر المعلن ، وهذا ما لم يوافق عليه الحاضرون ، كما أن السعودية في كلا الحالين لا تريد وضع الاتفاق موضع التطبيق لانها في حالة مفاوضات مع الشركات المالكة للامتياز ولا تريد أن تدخل عرضا جديدا في أسلوب التطبيق قبل أن تصل مع الشركات الى اتفاق نهائي » (٢٧) .

نخلص من هذا كله الى ان منظمة « أوبك » قد اجتازت في الشهور الماضية أزمات عصيبة كادت أن تعصف بها بسبب تفرد السعودية بالدعوة الى تخفيض الاسعار . وأهمية السعودية هنا هي انها تنتج وحدها من النفط زهاء ربع ما تنتجه الدول أعضاء منظمة أوبك مجتمعة بما فيها السعودية ذاتها ، كذلك ان غزارة حقول نفط السعودية

وضخامة الاحتياطي لديها تجعلها قادرة على زيادة انتاجها بمعدل عدة ملايين من البراميل في اليوم في غضون شهور معدودة وبذلك تغرق السوق بالنفط وترغم الاسعار على الانخفاض ، وهذا ما اشار اليه والتر ليفي في دراسته المشار اليها آنفا ، وهذا ما تتمناه الدوائر الاستعمارية وتجهد لتحقيقه . وخصوصا ان اسعار النفط الخام المحققة في السوق الحرة انخفضت فعليا منذ مطلع هذا العام اكثر من خمسة دولارات للبرميل لفائض العرض على الطلب بمعدل زاد ثلاثة ملايين برميل في اليوم .

ثانيا : لقد أظهرت اجتماعات منظمة « أوبك » خلال الشهور الماضية ان التناقض السياسي بين ايران والسعودية هو تناقض عميق وان كان ما زال تناقضا ثانويا وليس تناقضا رئيسيا ، وان الخلافات والمواجهات بين ممثلي ايران والسعودية في مؤتمرات « الاوبك » والتي اتسمت بالتحدي وتصلب المواقف حول اسعار النفط هي واجهة لخلاف سياسي أعمق قد يكون في المستقبل مصدر خطر على وحدة صفوف منظمة « أوبك » . وببساطة وايجاز ، يتمحور التناقض والخلاف بينهما أساسا في الدور الذي تعد كل منهما ذاتها لكي تلعبه في منطقة الخليج العربي ومدى علاقة ذلك بالاستراتيجية الامريكية تجاه المنطقة . فالاستراتيجية السياسية الامريكية تجاه منطقة الشرق الاوسط قبل حرب ٦ تشرين والتي أشرف هنري كيسنجر على صياغتها كانت تقوم على ركيزتين محليتين أساسيتين هما اسرائيل وايران وقوى مساعدة لهما مثل تركيا والحيشة . وبعد حرب تشرين ، وبسبب التغيرات في موازين القوى ، حاولت السعودية ومصر ابعاد كل من اسرائيل وايران من المكانة التي احتلتها في الاستراتيجية الامريكية . وبدا أن لهذا التطلع السعودي - المصري ما يبرره في الشهور القليلة التالية لحرب تشرين . أما الآن وبعد سقوط نيكسون وتغير صورة الأوضاع في المنطقة بشكل انعكس على موازين القوى فان هذا الرهان يجتاز مأزقا عسيرا ، ولعل اعتدال موقف السعودية في معارضة زيادة نسبة الضرائب على شركات النفط في مؤتمر الاوبك الاخير في فينا (١٢/٩/١٩٧٤) هو نوع من ممارسة الضغط على الرئيس الامريكي الجديد جيرالد فورد .

أما كيف ولماذا يتخذ الصراع السعودي - الايراني على الفوز بالمكانة الاولى في الاستراتيجية الامريكية تجاه المنطقة اتجاهين متعاكسين في الجبهة النفطية فمرد ذلك معطيات نفطية وسياسية معينة . فبالنسبة للمعطيات النفطية فتمثل في أن الغاية الاساسية من الاستراتيجية السياسية الامريكية تجاه المنطقة هي الحصول على النفط ، والحصول عليه بكميات كافية وكذلك بأرخص كلفة ممكنة . وفي هذا الصدد توجد في يد حكام السعودية ورقة رابحة تتفوق على أوراق ايران الاخرى . فمن المعلوم أن باطن أرض المملكة العربية السعودية يكتنز بأضخم احتياطي للنفط في العالم ، فالاحتياطي النفطي الثابت لديها يزيد على ١٣٠ مليار برميل أي أكثر من خمس الاحتياطي النفطي الثابت في العالم . وهي تتنافس الان مع الاتحاد السوفيتي على احتلال المرتبة الاولى في انتاج النفط ، وواقع الامر أن طاقة الانتاج لديها حاليا تزيد على عشرة ملايين برميل في اليوم ، كما ان غزارة حقولها النفطية جعلت من الممكن أن تعد شركة الارامكو لرفع انتاجها الى معدل ٢٠ مليون برميل في اليوم بحلول عام ١٩٨٠ . ان ايران لا تستطيع أن تتنافس السعودية في هذا المضمار لأن الاحتياطي النفطي الثابت في ايران هو أقل من نصف نظيره المتوفر لدى السعودية ، وكذلك ، أن طبيعة حقول النفط الايرانية من حيث أن كثيرا منها حقول قديمة استنفدت القسم الاعظم من طاقتها الانتاجية كما ان بعضها الآخر لا يجاري الحقول السعودية في غزارته وبذلك يتعذر على ايران أن ترفع انتاجها خلال السنوات القليلة القادمة بوتيرة سريعة هائلة كالسعودية،

فبرنامج توسيعات الانتاج الايراني الموضوع قبل التطورات النفطية الاخيرة كان يتوخى رفع انتاج ايران في عام ١٩٨٠ الى ثمانية ملايين برميل في اليوم ، وهذا اقل بمليونين برميل من طاقة الانتاج المتوفرة حاليا لدى السعودية . وبالتالي فان السعودية ، وليس ايران ، هي التي لديها النفط الكثير الذي تحتاجه امريكا لتلبية احتياجات استيرادها المتصاعدة التي كان من المقرر لها قبل التطورات النفطية الاخيرة ان تبلغ بطول عام ١٩٨٠ حوالي عشرين مليون برميل في اليوم .

ولكن امريكا ايضا تريد النفط رخيصا . وفي هذا المجال ايضا تتوافر لدى السعودية فرصة أفضل للمضاربة على ايران في تلبية احتياجات امريكا النفطية والفوز بالود الاول لديها . ان مطامح شاه ايران كما عبر عنها مرارا هي ان يستثمر موارد الثروة النفطية في تنمية المجتمع والاقتصاد الايراني بحيث يجعل من ايران في غضون خمسة عشر عاما او ما الى ذلك احدى الدول الخمس الكبرى في العالم . وايران هي ، بعكس السعودية ، لديها طاقة بشرية كبيرة كما لديها مواد اولية وفيرة ، بيد ان تحويل ايران الى احدى الدول الخمس الكبرى في العالم ، حسبما يطمح الشاه ، يتطلب استثمار كميات هائلة من الاموال لتطوير هذه الطاقة البشرية والمواد الاولية ، ولذلك فان حاجة ايران لتنمية مواردها المالية هي اشد بكثير من حاجة السعودية . وحيث ان شاه ايران لا يستطيع ان ينافس السعودية في زيادة انتاج النفط ليتفوق عليها في حجم الموارد المالية المتوفرة لديه ، فانه يحاول ان يعوض ذلك بواسطة رفع أسعار النفط فيتوفر له بهذا السبيل الحجم المطلوب من الاموال التي يتطلبها استثمار ما لدى ايران من طاقة بشرية ومواد اولية ، بينما ترى السعودية ان من مصلحتها ان تعيق سبيل ايران في الحصول على جميع الموارد المالية التي تصبو اليها لكي تبقى وتيرة تطوير موارد ايران البشرية ومن المواد الاولية في نطاق الاحتواء وقابلة للضبط ، في حين ان بميسور السعودية ان تحصل على وفرة في الاموال حتى مع انخفاض أسعار النفط وذلك عن طريق زيادة انتاجها .

ربما كانت هذه الفكرة كمحاولة لسبر اغوار اسرار التعاكس في الاتجاهات الايرانية والسعودية من حيث أسعار النفط رفعا وتخفيضا مفرطة في عقلانيتها . وقد يكون حافز حكام السعودية لزيادة انتاج نفطهم وتخفيض أسعار النفط هو مجرد الاستجابة لرغبة الامريكيين للفوز برضاهم وودهم الاول على حساب ايران ، بيد ان المؤشرات تبين ان هذا الصراع بين ايران والسعودية داخل الخيمة الامريكية مرشح للاستمرار والتفاعل في المستقبل المنظور . ويبدو ان كفتيهما متعادلتان . فبتوفر الطاقة البشرية والمواد الاولية لدى ايران يتسنى لها ان تصبح اثقل من السعودية في حسابات الاستراتيجية العسكرية الامريكية في المنطقة ، في حين ان وفرة النفط لدى السعودية تتيح لها ان تحتل مكانة افضل في حسابات الاستراتيجية الامريكية الاقتصادية . واغلب الظن ان الامبريالية الامريكية ستحاول ان تستثمر هذا التنافس القائم بين حكام السعودية وشاه ايران داخل الخيمة الامريكية لصالحها بحيث تقيهما معا داخل حظيرتها السياسية فتحصل من السعودية وبجهودها على النفط وفيرا ورخيصا نسبيا بينما يكون لها في ايران قوة عسكرية استراتيجية ضاربة فعالة عند الحاجة . ولكن هل سيتمكن مخطوطو ومنفذو السياسة الامريكية من المحافظة على هذا التوازن الدقيق القائم بين احتياجاتهم من كل من السعودية وايران فيحافظوا على البلدين معا داخل حظيرتهم ؟

خلال الشهور المشحونة التي انقضت منذ حرب اكتوبر مرت غترات لعب خلالها كل من حكام السعودية وايران ورقة فرنسا للضغط على امريكا . السعودية لوحست

لفرنسا بصفقة نفط مقابل تكنولوجيا مقدارها ٨٠٠ مليون طن من النفط في غضون عشرين عاما لم يقدر لها ان تشهد النور حتى الان ، أما شاه ايران فمعد خلال الشهور القليلة الماضية مع فرنسا صفقة أولية : نفط مقابل تكنولوجيا وبالذات مفاعلات نووية قيمتها اكثر من ثلاثة الاف مليون دولار . وقد تكون هذه مجرد دفعة أولى على حساب زغرعة امريكا للفت انتباهها والفوز بوجها الاول .

وبناء عليه ، فان الصراع السعودي الايراني الجاري ضمن الخيمة الامريكية هو احد البؤر الاساسية التي ستحاول الامبريالية الامريكية ان تنفذ من خلالها لثشق صفوف اقطار منظمة « الأوبك » وابقاء نفط هذه المنطقة احتياطيا لصالح قوى الرأسمالية والاستعمار العالميين .

ثالثا : ان نقطة الاختبار الاساسية ، في غضون السنوات القليلة القادمة ، لدى نجاح الاقطار المصدرة للنفط في تقوية جبهتها وصلابة موقفها هي اتفاقاتها على تنسيق انتاجها من النفط وفق برنامج منصف لكل منها على أساس احتياجاتها المالية وأوضاع ثروتها النفطية من حيث ضخامة الاحتياطي النفطي لديها او ضالته الخ . . . ذلك ان تسابق الاقطار النفطية على زيادة انتاجها بوتيرة سريعة حسبما جرى في السنوات الخمس عشرة الماضية . فمثلا كان معدل ارتفاع انتاج النفط في منطقة الشرق الأوسط خلال الفترة ١٩٦٨ - ١٩٧٢ هو ١٢٥٪ في السنة في حين ان الزيادة السنوية في استهلاك اقطار العالم (عدا الكتلة الاشتراكية) من النفط كانت ٧٥٪ والزيادة في استهلاك الطاقة بوجه عام بنسبة ٥٦٪ سنويا (٢٨) . فبسبب هذا التسابق في الانتاج بين الاقطار المصدرة للنفط والذي شجعت عليه شركات النفط الاحتكارية المتحكمة بسياسات الاقطار المصدرة للنفط آنذاك زاد عرض النفط في الاسواق على الطلب فتدنت اسعاره حتى ان الاحتكارات النفطية عمدت الى تخفيض اسعار النفط الخام بنسبة ١٨٪ في عام ١٩٥٩ ثم مرة اخرى بنسبة ١٨٪ كذلك في عام ١٩٦٠ ، فانخفض بذلك دخل الاقطار المنتجة للنفط الى ٧١ سنت امريكي فقط من البرميل الواحد (٢٩) مما دعا بعض هذه الاقطار الى تأسيس منظمة أوبك في عام ١٩٦٠ لبحث السبل للمحافظة على حقوق الاقطار المصدرة للنفط . ان تسابقا كهذا في الانتاج بين الدول المصدرة للنفط يجعلها جميعا في موقف ضعف ويكون سببا لان يدب الخلاف فيما بينها وبالتالي لا تنخفض اسعار النفط فحسب بل تعود الاقطار المصدرة للنفط وسياساتها رهينة في يد شركات النفط الاحتكارية حسبما كان عليه الحال طوال السنوات الماضية قبل حرب ٦ تشرين . وان مما يبعث على القلق في هذا الصدد انه توجد لدى بعض الدول الاعضاء في منظمة « أوبك » برامج طموحة لزيادة انتاجها زيادة كبيرة في غضون السنوات القليلة القادمة . فكما أسلفنا هنالك مخطط لدى السعودية لرفع معدل انتاجها بحلول العام ١٩٨٠ الى ٢٠ مليون برميل في اليوم ، كذلك تعتزم ايران زيادة معدل انتاجها اليومي الذي يتوف حاليا على ٦ ملايين برميل في اليوم الى ما معدله ٨٥ مليون برميل في اليوم في عام ١٩٧٧ ، بينما يعتزم العراق زيادة انتاجه البالغ حاليا حوالي ٢ مليون برميل في اليوم الى زهاء ٣ مليون برميل في اليوم قبل نهاية العام القادم ١٩٧٥ (٣٠) .

ان هذه البرامج والمخططات لزيادة الانتاج في هذه الاقطار كانت قد وضعت قبل حرب ٦ تشرين والتطورات النفطية التي تلتها . وفي ذلك الوقت كان الطلب العالمي على النفط سائر نحو الازدياد بسبب رخص اسعاره بدرجة ملموسة بالنسبة الى جميع مصادر الطاقة الاخرى بما في ذلك الفحم الحجري ، ناهيك عن مزايا النفط الاخرى

من حيث سهولة نقله وتنوع منتجاته وشدة احتراقه ويسر استخدامه ونظافة احتراقه مما يجعله أقل تلويثاً للبيئة . أما الآن فإن الطلب على النفط أخذ ينحسر تدريجياً نظراً لارتفاع أسعاره . فبالإضافة إلى الإجراءات التشخيصية التي اتخذتها الاقطار المستهلكة للنفط خلال الشهور التالية لحرب ٦ تشرين بسبب اضطراب ورود الامدادات النفطية، فإن ارتفاع أسعار النفط حالياً جعل هذه الاقطار تضع الخطط وتشجع الناس على الحد من استهلاك النفط والطاقة بوجه عام ، ثم ان هذه الاقطار تضع الخطط الآن للحد من الاعتماد على النفط في سد احتياجاتها المتزايدة من الطاقة واستبداله بمصادر طاقة أخرى كالفحم الحجري والطاقة الكهرومائية والطاقة النووية . ولكن ، من غير المحتمل أن تحقق هذه الخطط نجاحاً كبيراً في الاستغناء عن النفط حتى عام ١٩٨٠ ، بل سيظل النفط حتى عام ١٩٨٠ هو مصدر الطاقة الرئيسي في العالم ثم تأخذ اهميته في التراجع ببطء بعد ذلك حتى مطلع التسعينات عندما سيصبح ذا منزلة ثانوية بالنسبة لمصادر الطاقة الأخرى البديلة (طاقة نووية وكهرومائية) ومصادر الطاقة البتكره كالطاقة الشمسية وطاقة الرياح وحرارة الأرض الجوفية الخ ويقدر خبير النفط والتر ليفي انه لو أتملت اجراءات الاقطار المستوردة للنفط في تخفيض نسبة زيادة استهلاكها للطاقة من ٥٦٪ سنوياً كما كانت عليه خلال الفترة ١٩٦٨ — ١٩٧٢ إلى ٤٦٪ سنوياً فإن الحاجة من نفط الشرق الأوسط سترتفع من معدل ١٨ مليون برميل في اليوم عام ١٩٧٢ إلى معدل ٢٣ مليون برميل يومياً عام ١٩٧٥ ثم إلى ٢٩ مليون برميل يومياً عام ١٩٨٠ ، وهذا يعني ان الزيادة السنوية لمستوراداتها من نفط الشرق الأوسط ستكون خلال هذه الفترة (١٩٧٤—١٩٨٠) بمعدل ٦٣٪ سنوياً (٣١) . أما اذا كانت خطط التنقيب في الاقطار المستوردة للنفط تخفض معدل النمو في استهلاكها من الطاقة إلى ٣٣٪ ، فإن حاجتها من نفط الشرق الأوسط سترتفع إلى ما معدله ١٩ مليون برميل في اليوم فقط عام ١٩٧٥ ثم ما تلبث ان تتخفف إلى ١٨ مليون برميل في اليوم في عام ١٩٨٠ ، اي ان متوسط النمو السنوي لاحتياجات الاقطار المستوردة من نفط الشرق الأوسط ستكون ٠١٪ سنوياً فقط خلال الفترة (١٩٧٢ — ١٩٨٠) (٣٢) .

ومن جهة أخرى بدأت اقطار السوق المشتركة الأوروبية تعد الخطط والبرامج للتنقيب في استهلاك الطاقة وتقليل اعتمادها على النفط الذي أخذت مستوراداته ترهق موازين مدفوعاتها وتوقعها في ازمت مالية شديدة الوطأة . « فيفيد تقرير أعدته لجنة السوق الأوروبية المشتركة أن بإمكان اقطار السوق أن تخفف من اعتمادها على النفط المستورد بحيث يصبح في عام ١٩٨٥ يشكل ٤٠٪ من إجمالي الطاقة المستهلكة في دول السوق الأوروبية بدلاً من مستواه الحالي الذي يبلغ ٦٠٪ » (٣٣) . ويضيف التقرير المذكور ان « على اقطار السوق الأوروبية المشتركة أن تشجع في الوقت ذاته استهلاك الكهرباء بحيث ترتفع حصتها من إجمالي استهلاك الطاقة بحلول العام ١٩٨٥ من ٢٥٪ إلى ٣٥٪ والغاز الطبيعي من ١٢٫٧٪ إلى ٢٥٪ والطاقة النووية من ١٫٥٪ إلى ١٧٫٥٪ » (٣٤) .

إزاء هذا كله ، اذا مضت الاقطار المصدرة للنفط في الشرق الأوسط قدماً في تحقيق برامج توسيعات الإنتاج لديها حسب المخططات التي كانت قد وضعت قبل حرب ٦ تشرين ، فإن كميات النفط المنتجة في الشرق الأوسط ستزيد خلال الفترة (١٩٧٤ — ١٩٨٠) بمعدل سنوي يزيد على ١٥٪ ، ومثل هذا الأمر يخلق فائضاً كبيراً في كميات النفط المعروضة في الأسواق على الطلب مما يؤدي حتماً إلى انخفاض أسعار النفط بنسبة هذا الفائض وبالتالي انخفاض عائدات الاقطار المصدرة من نفطها .

ان هذا الواقع يدعو الدول الاعضاء في منظمة « أوبك » الى مباشرة تنسيق جهودها لبرمجة انتاجها بصورة عقلانية ومنصفة لكل منهما . فمثلا ان الانتاج الحالي لكل من السعودية وايران هو مرتفع بدرجة قد تدعو المصلحة المشتركة للدول الاعضاء في منظمة « الأوبك » الى تخفيضه . ولذلك ، ان خططها السابقة لرفع انتاجها بنسبة كبيرة فيه انتهاك لحق شقيقاتها الاخرى الاعضاء في منظمة « أوبك » مثلما انه يضر بمصالح جميع أعضاء « الأوبك » بما فيه مصالحها هي نفسها . في حين ان العراق مثلا الذي لديه طاقة بشرية كبيرة نسبيا ومصادر مواد اولية هائلة تتطلب موارد مالية وافرة لتطويرها ما زال معدل انتاجه دون ٢ مليون برميل في اليوم علما بان لديه احتياطي نفطي هو الثاني في ضخامته بعد السعودية ، ولذلك ، فان له حقا مشروعا في زيادة انتاجه من النفط لتتوفر له من عائداته الموارد المالية الضرورية لتطوير طاقته البشرية ومصادر مواده الأولية من زراعة وثروة معدنية الخ اسوة بايران والسعودية . ولذلك فان برمجة انتاج الاقطار المصدرة للنفط بصورة منصفة تقتضي الاخذ باعتبارين في تقدير كمية الانتاج المسموح بها لكل منها ، **أولهما** : مدى احتياجات ومتطلبات ذلك القطر من الموارد المالية في ضوء مستلزمات تطوير طاقته البشرية ومصادر مواده الأولية . **وثانيهما** : مدى ضخامة الاحتياطي النفطي لديه . فالعراق على هذا الاساس ينبغي له ان تتساوى طاقة انتاجه من النفط مع مستوى انتاج ايران البالغ ٦ ملايين برميل في اليوم ، لان احتياطي العراق من النفط اكبر بنسبة ملموسة من احتياطي ايران ، في حين ان عدد سكان ايران اكثر من سكان العراق .

بفضل سياسة برمجة للانتاج عقلانية كهذه تستطيع الاقطار المصدرة للنفط ان تغلق على نفسها بابا واسعا يمكن ان تنفذ منه الدسائس الاستعمارية لتفريق صفوفها والسيطرة عليها جميعا .

رابعا : ولعل مما يشكل نقطة ضعف واضحة في صفوف دول منظمة الاقطار المصدرة للنفط ستسعى الدوائر الاستعمارية للتسرب داخل الأوبك من خلالها هي البنية السياسية والاجتماعية الهشة لبعض الدول الاعضاء مما يجعلها مكشوفة امام ضغوط ودسائس الاستعماريين . ولذلك ستسعى الدوائر الاستعمارية للتسرب من خلال هذه الشغرة لتصديع صفوف « الأوبك » من الداخل بحيث يتجه اعضاؤها اتجاهات متضاربة فتنفجر . ولكن ، في نهاية المطاف تظل المملكة العربية السعودية هي مركز الثقل الرئيسي داخل منظمة « أوبك » ، ويتوقف على اتجاهاتها ومواقفها في المستقبل مدى صمود هذه المنظمة في وجه الهجمة الامبريالية .

من أجل « أوبك » متحدة وقوية :

ان السبيل الوحيد امام الدول الاعضاء في منظمة « أوبك » للصمود في وجه الضغوط والدسائس الاستعمارية التي لن تتوقف يقتضي منها :

اولا : ان تبقى صفوفها مرصوفة وان تنسق مواقفها السياسية بحيث تعامل الاقطار الرأسمالية المستهلكة للنفط ككتلة واحدة وبموقف واحد . ولا شك ان معالجة شذوذ عضو او اخر بالحكمة والروية يفوت على الاستعماريين دسائسهم في بعض المناسبات . وخلال الشهور الماضية لعبت الدبلوماسية الجزائرية دورا هاما في التوفيق بين موقف السعودية وايران داخل الأوبك مما حفظ لهذه الاقطار وحدة منظماتهم حتى الان .

ثانياً : ان لا تدعن للتهويشات الاستعمارية والا تستكين امام تهديداتها ، بل عليها أن ترضي قدما لاستعادة جميع حقوقها في ثروتها الوطنية من شركات النهب الاستعماري ، وأن تتصرف بمواردها المالية وفق مصلحتها .

ثالثاً : أن تستثمر مواردها المالية في تنمية مجتمعاتها واقتصادها وفي تنمية اقتصاد شعوبها والمجتمعات العربية ومساعدة اقطار العالم الثالث بسخاء وخلق جبهة واسعة من الانصار .

رابعاً : ان تسلك مناورات محسوبة لشق صفوف معسكر الدول الرأسمالية فلا تدعها تتكفل ضدها في جبهة واحدة موحدة .

خامساً : ان تنظم حملة اعلامية واسعة موجهة للقطاعات العريضة في المجتمعات الرأسمالية وكذلك لاقطار العالم الثالث لفضح أكاذيب وتهويشات الاستعماريين والشركات الاحتكارية وبث الحقائق والمعلومات على أوسع نطاق لاطهار المسؤول الحقيقي عن ارتفاع أسعار منتوجات النفط والتضخم الخ .

- ١ - صحيفة « النهار » البيروتية، في ١٩٧٤/٩/٩ .
- ٢ - صحيفة « السفير » البيروتية ، في ١٩٧٤/٩/٢٥ .
- ٣ - « السفير » ، في ١٩٧٤/٩/٢٩ .
- ٤ - « السفير » ، في ١٩٧٤/٩/٣٠ .
- ٥ - الاب جان دوكربيه « لعبة النفط الدولية » مجلة البترول والغاز العربي ، آب ١٩٧٤ نقلًا عن مجلة « انتربريز » الفرنسية ، ٨-١٤ تشرين الثاني ١٩٧٣ .
- ٦ - انظر « السفير » ، في ١٩٧٤/١٠/١ .
- ٧ - انظر « السفير » ، في ١٩٧٤/٩/٣٠ .
- ٨ - المصدر ذاته .
- ٩ - « النهار » في ١٩٧٤/١٠/٢ .
- ١٠ - نشرة « عالم النفط » في ١٩٧٤/٤/٦ .
- ١١ - « عالم النفط » في ١٩٧٤/٣/٢٣ .
- ١٢ - « عالم النفط » ، في ١٩٧٤/٦/٢٢ .
- ١٣ - « عالم النفط » ، في ١٩٧٤/٤/٦ .
- ١٤ - « السفير » في ١٩٧٤/٩/٢٦ .
- ١٥ - « النهار » ، في ١٩٧٤/١٠/٢ .
- ١٦ - « السفير » ، في ١٩٧٤/٩/٢٤ .
- ١٧ - « السفير » ، في ١٩٧٤/٩/٢٩ .
- ١٨ - « عالم النفط » ، في ١٩٧٤/٧/٢٧ .
- ١٩ - « السفير » ، في ١٩٧٤/٩/٢٤ .
- ٢٠ - « السفير » ، في ١٩٧٤/٩/٣٠ .
- ٢١ - انظر نشرة « عالم النفط » ، في ١٩٧٤/٤/٢٠ .
- لهذه الفقرة والفقرات التالية .
- ٢٢ - « عالم النفط » ، في ١٩٧٤/٣/٢٣ .
- ٢٣ - « عالم النفط » ، في ١٩٧٤/٦/٢٢ .
- ٢٤ - « عالم النفط » ، في ١٩٧٤/٦/١٥ .
- ٢٥ - « عالم النفط » ، في ١٩٧٤/٩/١٤ .
- ٢٦ - « عالم النفط » ، في ١٩٧٤/٩/٢١ .
- ٢٧ - المصدر ذاته .
- ٢٨ - والتر ليفي « التعاون النفطي العالمي او الفوضى العالمية » ، انظر مجلة « الشؤون الخارجية » الامريكية ، عدد تموز ١٩٧٤ .
- ٢٩ - الاب جان دوكربيه « لعبة النفط الدولية » ، انظر مجلة البترول والغاز العربي ، عدد آب ١٩٧٤ .
- ٣٠ - المصدر ذاته .
- ٣١ - والتر ليفي : « التعاون النفطي العالمي او الفوضى العالمية » ، مجلة « الشؤون الخارجية » الامريكية ، عدد تموز ١٩٧٤ .
- ٣٢ - المصدر ذاته .
- ٣٣ - مجلة «النفط» Petroleum Economist عدد نيسان - ابريل ١٩٧٤ .
- ٣٤ - المصدر ذاته .

التعاون العربي الافريقي وقضية فلسطين

الدكتور سامي منصور

ان قيام الملك حسين — ملك الاردن — ببيع السلاح الى الحكم العنصري في جنوب افريقيا مسألة لا يجب أن تعالج بالصمت العربي المشوب بالخجل ، ولا بالاعتذار المملوء بكلمات النقد للحكم الهاشمي . فلا الصمت ولا الاعتذار يمكن أن يعالج مسألة على مثل هذا القدر من الخطورة والحيوية ، بل هي تحتاج الى معالجة صريحة وموضوعية تضع النظام الهاشمي في موقعه الصحيح من العرب امام الدول الافريقية بوجه خاص والعالم الثالث بوجه عام .

● فرئيس وزراء الاردن نفى نفيًا قاطعًا أمام الدول العربية ان الاردن باع سلاحا الى الحكم العنصري في جنوب افريقيا ثم اعترف لبريطانيا بأن الاردن فعل ذلك فعلا ووعد بالأيتكرر ذلك . وهو أمر لا بد أن يكون واضحا بهذه الصورة .

● ان صفقة السلاح قد تمت في وقت يطرق فيه العرب كل الابواب بحثا عن السلاح ، والحرب دائرة مع اسرائيل .

● الصفقة تمت مع دولة كانت ولا زالت أحد مصادر الدعم الاساسي لاسرائيل بعد الولايات المتحدة ، فهي تقدم لاسرائيل الطيارين والصواريخ والمجندين ، والاردن الهاشمي يقدم لها السلاح — ! — وهي عدو افريقيا الاول ، بينما دول افريقيا تقف مع العرب .

● ان جنوب افريقيا هي الصورة الافريقية لاسرائيل . فهي استعمار استيطاني لمهاجرين من دول الاستعمار ، تستولي على الارض وتبذل كل الجهد لابادة الشعب صاحب الارض ، وتجد الدعم العسكري والمالي من الولايات المتحدة .

وبذلك فان ما ارتكبه النظام الهاشمي في الاردن من جرائم ليست فقط استمرار في خط خيانة الامة العربية ، وطعن جديد للشعب الفلسطيني ولكنه ايضا غدر بالتعاون العربي الافريقي .

فاذا لم تسارع الحكومات العربية لمعالجة هذه الجريمة بوضوح مع الدول الافريقية ، فان اسرائيل سوف تتحرك بسرعة أملا في عودة العلاقات السياسية بينها وبين الدول الافريقية ، خاصة وان هناك من الدول الافريقية ما أجبره الواقع على قطع العلاقات مع اسرائيل مسaire للسلوك الجماعي الافريقي ، وتنتظر مثل هذه الدول أي فرصة أو مبرر لاعادة علاقاتها مع اسرائيل مثل كينيا التي تكاد تأخذ موقف « الملكي أكثر من الملك » . وسلوك الاردن الهاشمي يعطي الفرصة لمثل هذه النظم .

والحقيقة ان التعاون العربي الافريقي ثروة لا بد من المحافظة عليها من التبديد بل وقوة للعرب لا بد من دعمها لتزداد رسوخًا . فلا بد من النظر اليه في إطار :

أولا : انه جزء أصيل من المعركة بين العرب والاستعمار ممثلا في الصهيونية . فاسرائيل قد أدركت منذ البداية أهمية الساحة الافريقية فركزت دبلوماسيتها لضرب

المصالح العربية فيها . ونجحت بعض الوقت وكان من المستحيل أن يستمر هذا النجاح بمجرد أن انكشف الوجه الاستعماري لها أمام الدول الأفريقية . وبالتالي فهزيمة الصهيونية على ساحة أفريقيا هي جزء أصيل من هزيمتها على الأرض العربية .

ثانياً : أنه في النهاية رصيد دعم للنضال الفلسطيني . والنضال ليس فقط بالسلاح ولكنه بالعمل السياسي والإعلامي . ويكني أن نعرف أن المؤامرة الأمريكية لمحاولة وضع النضال الفلسطيني في الأمم المتحدة تحت اسم الإرهاب ، وذلك في الدورة الماضية — ٢٧ — للجمعية العامة قد فشلت بفضل ادراك الدول الأفريقية لأبعاد المؤامرة . وانتهت المناقشة بأن أقرت الجمعية العامة بأغلبية ٧٦ صوتاً ضد ٣٥ وامتناع ١٧ مشروع القرار الذي تبنته دول العالم الثالث وفي مقدمتها المجموعة الأفريقية باعتبارها أكبر المجموعات الدولية في الأمم المتحدة وأهم ما فيه « إعادة تأكيد حق تقرير المصير والاستقلال لكل الشعوب التي تعيش في ظل الاستعمار والعنصرية والأشكال الأخرى من السيطرة . وتسجل حقها في النضال المسلح ، وخاصة نضال حركات التحرير في ضوء ميثاق الأمم المتحدة » . وسجل مواقف أفريقيا على هذا الطريق طويل . . ولا بد أن نحرص عليه .

ثالثاً : أن أفريقيا هي العمق الاستراتيجي لأي حرب عربية مع إسرائيل — ولا يزال الباب مفتوحاً لجولات حربية أخرى — ، وخاصة وأن هناك دولاً مثل « أثيوبيا » تعتبر شريكة مع العرب في مدخل البحر الأحمر الجنوبي ، كما أنها العمق الاستراتيجي لأي عمل سياسي بحكم ما لها من ٤٢ صوتاً في الأمم المتحدة . فافريقيا لها وجود أن كان الحديث والاحتكام للسلاح وهي أيضاً موجودة أن كان العمل في مجال السياسة والدبلوماسية .

فإن أدركنا أهمية ذلك لا بد أن يكون واضحاً في الأذهان أن الموقف الأفريقي الجماعي في ظل آثار حرب أكتوبر يواجه بعض المخاطر : فالفرصة المتاحة للعمل العربي الأفريقي يندر أن تتاح في كل وقت وأي وقت . فيقدر ما هي فرصة ذهبية إلا أنها أيضاً في اعتقادي فرصة أخيرة فإن ضاعت فإن خروج العمل العربي من أفريقيا سوف يكون بلا عودة على الأقل لسنوات طويلة .

كما أن إسرائيل تقف على الأبواب الأفريقية في يقظة ومتابعة لموقف التحرك العربي ، وهي تنتظر أي خطأ أو تخاذل لتعود . فإن عادت فهي بلا شك سوف تبقى هذه المرة لسنوات طويلة .

ثم إن الاهتمام بأفريقيا لا يجب أن يوضع وكأنه موضة مثل موضة الأزياء تنتشر حيناً وتختفي أحياناً أخرى . ولا يجب النظر إليه فقط باعتباره مسألة استراتيجية بل أنه في الواقع الدماء التي تجري في شرايين الاقتصاد العربي إذا أراد العرب لاقتصادهم أن يبقى شاباً مع الأيام ، حيوية في مواجهة الزمن .

فخطأ تصور أن دولة — أي دولة — مهما عظم حجمها مثل الولايات المتحدة يمكن أن تكون بديلاً للدعم الأفريقي للعرب .

وأكثر ما يعكر المناخ المتاح للتعاون العربي الأفريقي اليوم : بيع الأردن للسلاح إلى الحكم العنصري في جنوب أفريقيا ، وازمة الطاقة وما خلفته من مشاكل للدول الأفريقية .

ومن الواضح حتى الآن أن العمل العربي على المستوى السياسي مدركاً لأبعاد الموقف وعقباته . وقد تبلور ذلك في قرار مؤتمر القمة العربي بالجزائر في نوفمبر ١٩٧٣ بدعم التعاون العربي الأفريقي وإنشاء بنك عربي أفريقي برأسمال قدره ١٩٥

مليون دولار . وفي نفس الوقت — وبالتحديد قبل مؤتمر الجزائر بأيام — قررت منظمة الوحدة الافريقية انشاء جهاز التعاون الاقتصادي العربي الافريقي .

وتتابعت القرارات ، وبقي أن تتحول الى خطة عمل متكاملة وليست مجرد عون لمواجهة أزمة . فالدول العربية المنتجة للبتترول قررت تقديم ٥٠ ٪ من القروض التي طلبتها الدول الافريقية لمساعدتها على اجتياز الازمات التي نتجت عن ارتفاع اسعار البترول بعد القرار العربي بحظر البترول في حرب أكتوبر . وكانت منظمة الوحدة الافريقية قد اقترحت على الدول العربية الثمانية أن تقدم دفعة أولى في حدود ٢٥ ٪ من هذه القروض ، إلا أن الدول العربية قررت رفع الدفعة الأولى الى ضعف المطلوب بعد أن تبين أن جملة المبلغ لا يتجاوز ٩٠ مليون دولار فقط .

ولكي تبدو المسألة في حجمها الطبيعي لا بد من توضيح مدى الخسائر التي تعرضت لها الدول الافريقية بسبب رفع اسعار البترول وهي دول صديقة وحليفة للعرب في معركتهم . فنجد مجموعتين من الدول الافريقية .

مجموعة أولى وهي ١١ دولة لديها مصافي بترول ولكنها تستورد البترول الخام لعمل هذه المصافي . وباستمرار اسعار البترول على ما وصلت اليه في العام الماضي وهو ١٢ دولاراً للبرميل فإن هذه الدول سوف ترتفع قيمة وارداتها البترولية بحوالي ٢٤٢ ٪ عما كانت عليه في العام الماضي أي ترتفع من ١٨٥ مليون دولار ١٩٧٣ الى ٦٣٤ مليون دولار هذا العام .

والمجموعة الثانية وهي ٢٢ دولة وهي التي تستورد البترول بعد تكريره سوف يكون عليها أن تدفع هذا العام أكثر من ٤٢٧ مليون دولار بعد أن كانت تدفع ١٦٦ مليون دولار لنفس الكمية في العام الماضي أي بزيادة ١٥٧ ٪ في خلال عام واحد .

وبذلك سوف يكون على ٢٢ دولة افريقية المستوردة للبتترول دون أن يكون لديها أي مورد بترولي ذاتي أن تدفع ما يزيد عن مليار دولار — ألف مليون — للبتترول هذا العام مقابل ٤٠٠ مليون دولار لنفس الكمية في العام الماضي .

وهكذا نجد أن الدول الافريقية قد دفعت ثمناً لمعركتنا مع الدول التي تقف وراء إسرائيل . وكان لا بد من معالجة المشكلة بسرعة وخاصة وأن إسرائيل استفلت ذلك في حملة اعلامية مسعورة مدعومة بكل أجهزة الاعلام الامريكية لكسر حلقات التعاون العربي الافريقي .

واليوم يواجه العرب تحدياً سافراً من الولايات المتحدة بعد أن هدد الرئيس الأمريكي فوررد الدول العربية المنتجة للبتترول . وإذا كانت الضجة التي أثارها تهديد فوررد قد جعلته يتراجع عن تهديده وأن لم يكن قد تنازل عنه فإن ذلك يكشف من جديد أهمية التعاون العربي الافريقي .

فإن استطاع العرب من خلال هذا التعاون تكوين جبهة الدول المنتجة للمواد الأولية بين العرب وافريقيا لكانت قوة اقتصادية عملاقة تكفي لمواجهة مثل هذه التهديدات الامريكية فافريقيا ليست كما يتصور البعض هي الفقر والتخلف بل هي في الاساس كنز مملوء بالثروات . وهذه بعض الامثلة : أن نسبة ما تنتجه افريقيا من المواد التالية بالنسبة الى الانتاج العالمي (عام ١٩٧٠) هو : الكوبالت ٦٦٣ ٪ ، الماس ٧٦ ٪ ، الذهب ٨٠٦ ٪ ، الفوسفات ٢٣٠ ٪ ، النحاس ٢٠٥ ٪ ، الحديد ٩ ٪ . هذا الى جانب احتكار نسبة هائلة من انتاج عدد من المحاصيل الزراعية مثل الكاكاو والقطن والذرة والقمح ، مع عدم اغفال مصادر الطاقة من فحم وكهرباء وبتترول .

وقد حدث لهذه الثروات نفس ما حدث للبتروال العربي من استنزاف بلا حساب ورفع أسعار تعود أغلبها الى الشركات الاجنبية وتدفع ثمنها الدول المنتجة . . . وعلى سبيل المثال نجد أنه في العام الماضي تضاعفت أسعار القمح ٣ مرات ، وقفزت أسعار النحاس في سوق المعادن بلندن من ٥٠٠ جنيه استرليني للطن في بداية ١٩٧٣ الى ٨٥٠ جنيه في نهاية نفس السنة ثم الى ١١٢٩ جنيه في مارس من العام الحالي . كما ارتفعت أسعار التصدير من ١٦٠٠ جنيه الى ٢٧٠٠ جنيه ثم ٣٦٥٠ جنيه في نفس الفترة . **وبلغ التشابه الى حد أن حتى الدول المستهلكة لثروات افريقيا هي نفسها الدول التي تستخرج هذه المعادن من باطن الارض مثلما هو الوضع تماما في البتروال العربي .**

فان أضفت ذلك الى ما لدى العرب من مصادر البتروال لظهر مدى ضخامة حجم التجمع الافريقي العربي في مواجهة استغلال الدول المستهلكة للمواد الاولية وفي مقدمتها الولايات المتحدة .

والغريب انه رغم كل هذه الثروات وما لم يستغل بعد أكبر ، فان افريقيا تعاني الكثير والعرب يستوردون الكثير بشروط غير منطقية . فنحن في حاجة الى القمح وافريقيا لديها اراض زراعية تفوق طاقتها دون استغلال وكثير منها يصلح للتوسع في زراعة القمح ويكفي لاحتياجات ليس العرب فحسب بل والعالم الثالث كله . ومثال القمح يمكن أن يقال عن كثير من المجالات ويمكن منعاً لضياع خيوط الموقف وسط التفاصيل تركيز الخيوط في خطوط رئيسية يمكن أن تأتي تحتها كل الامثلة والتفاصيل من الطرفين . . العربي والافريقي .

فتجد أن افريقيا تحتاج لاستغلال ما لديها من امكانيات وثروات الى :

١ — الاموال التي تقدم بلا شروط سياسية أو قيود على استقلالية كل دولة . هذا من الوجه السياسي اما الاقتصادي فهي اموال لا تتحول الى عملية استنزاف مستمر لثروة افريقيا تحت شعار الربح المطلق ، وتكرر بذلك قصة الاستغلال لافريقيا وان كانت هذه المرة تحت رايات الاستقلال السياسي . وليس معنى ذلك ان الاموال المطلوبة يجب أن تكون مساعدات او منح بل على العكس هي يمكن ويجب ان تكون اما قروضا بفوائد محدودة تحقق ربحا مقبولا لاصحابها كما تؤدي دورها الاقتصادي لافريقيا واما أن تكون استثمارات سوف تحقق مؤكدا معدلات ربح معقولة ويتوفر لها جو الامان طالما هي لا تتحول الى عملية الاستنزاف والاستغلال .

٢ — خبرة فنية تستطيع أن تحقق للانتاج المطروح مستوى فنيا معقولا يفى بالفرض المطلوب . وتتعدد مجالات النقص في الخبرة ابتداء من الزراعة وانتهاء بالصناعة بل وفي كل المجالات حتى في مجال العلوم الانسانية من اعلام وتعليم وثقافة الى عمل الاحصاءات والتعدادات السكانية . فافريقيا التي تشهد بشرا يموتون من الجوع الى حد ان دولة مثل اثيوبيا فقدت خلال السنوات الثلاث الماضية ما يصل الى ١٠٠ الف انسان بسبب الجوع ، ومع ذلك فان نصيب الفرد من الارض الزراعية هي ثلاثة أضعاف نصيب الفرد في أوروبا . والمراعي المتاحة للماشية سبعة أضعاف ما هو متاح في أوروبا ومع ذلك فالثروة الحيوانية في القارة البالغة الفقر .

والمهم أن تحصل افريقيا على هذه الخبرة دون مبالغة في الاجر او القيمة . فأوروبا وأمريكا تقدمان لدول افريقيا الشباب من أحدث خريجي المعاهد الزراعية الذين يفتقرون الى الخبرة على أنهم خبراء . ويحصل الواحد منهم على اضعاف أجر الافريقي . وليست المسألة فقط في الاجر ولكن في الدور السياسي الذي يقوم به أهل الخبرة من التجسس أو التخريب الاقتصادي والثقافي ، وما الى ذلك من ادوار تجعل افريقيا في

حاجة الى مصادر للخبرة الفنية تخدم افريقيا باخلاص وصدق في معركة الانتاج .
ولا بد من اشارة سريعة من باب التذكير في هذا المجال ان اسرائيل تسربت الى افريقيا من هذا الباب ، وقد شاهدت على سبيل المثال ان السنغال مزرعة امريكية ضخمة قامت من خلالها اسرائيل بتقديم نظام للري تدرب عليه بعض الافريقيين للتغلب على مشكلة نقص المياه ، مع ان لدى العرب في هذا المجال خبرات بلا حدود !

٣ - قوى عاملة بشرية في المجالات التي تفتقر فيها الدول الافريقية الى ما يكفيها من هذه الايدي ، بشرط ان تعيش في ظل نفس الظروف الافريقية حتى لا تتحول الى عزلة تجعلها طبقة عليا يلفظها المجتمع الافريقي بعد فترة . فلا بد ان تعايشه بنفس شروطه . وليس من المعقول ان يأتي الرجل الابيض من مجتمعات متقدمة ويعيش الحياة الافريقية بينما نحن ابناء نفس القارة نرفض ان نقدم هذه القوى العاملة لافريقيا .

وللانصاف فان افريقيا تحتاج الى قوى عاملة في كل المجالات وعلى كل المستويات من مزارعين الى عمال صناعة الى مدرسين ومهندسين وأطباء . فافريقيا باستثناء ثلاث دول هي مصر ونيجيريا والجزائر تواجه نقصا في السكان الى حد ان الدعوة الى تحديد النسل في دولة مثل السنغال او زائير يمكن ان تكون كارثة بشرية . فيكفي ان نعرف ان هناك ١٠ دول افريقية يتراوح معدل كثافة السكان فيها بين ١ - ٣ أشخاص فقط في الكيلومتر المربع . وهناك ١١ دولة يرتفع فيها هذا المعدل الى ٤ - ١٠ أشخاص فقط . وطبعا تعتبر هذه الخلطة السكانية تعبيرا عن العجز الهائل في القوى العاملة في كل المجالات بالاضافة الى مشكلة التعليم التي تجعل من القدرات الصالحة للعمل ندرة . ففي موزمبيق مثلا التي سوف تحصل على استقلالها في منتصف العام القادم نجد ان عدد حملة المؤهلات العالية فيها لا يتجاوز عشرة فقط بينما حملة المؤهلات المتوسطة في حدود ١٠٠ شخص . ومطلوب انتاج وتسيير الدولة . وطبعا سوف تقوم البرتغال بسد هذا النقص وبالتالي تهدد الاستقلال الوليد .

وتحت هذه الخطوط الثلاثة يمكن ان تجتمع كل صورة الموقف الافريقي والمنافذ التي يتسلل منها الاستعمار للعودة مرة اخرى الى القارة الغنية بالثروات بينما مواطنوها يعيشون في الفقر والجوع والمرض .

وفي مواجهة ذلك نجد الصورة العربية محددة بهذه الخطوط :

١ - اموال عربية طائلة وغير مستثمرة بطريقة اقتصادية صحيحة حيث تترك معظمها مجرد ارضة لدى البنوك الاوروبية وغيرها تستغلها البيوتات المالية في مشاريعها ومعظمها ضد مصالح العالم الثالث كله ، ولا تتقدم لاصحابها الا فوائد الودائع المالية العادية ، بل وحيانا لا تحسب نتيجة المغالطة !

وقد ذكر تقرير لوزارة الخزانة الامريكية ان الدول المنتجة للبتترول استثمرت في الولايات المتحدة ٧ مليارات من الدولارات كان منها ٤ مليارات في سندات حكومية والباقي ودائع في البنوك ، بينما استثمرت في اوروبا ٥ مليارات كلها ودائع ، وانها استثمرت بنفس الاسلوب ٣ مليارات دولار في كل دول العالم الثالث .

كما جاء في تقرير لبنك امريكي ان الاحتياطيات المتراكمة لدول اوبك قد ترتفع الى ٦٥٠ مليار دولار سنة ١٩٨٠ ثم الى ١٢٠٠ مليار دولار سنة ١٩٨٥ . وهذا امر غير منطقي لان دراسة علمية لمجالات الاستثمار الزراعي او الصناعي او حتى التجاري في افريقيا تؤكد ان معدل العائد منها اضعاف معدلات العائد من السندات والودائع .

حتى مسألة الامان فان رأس المال العربي المستثمر في افريقيا قد يكون أكثر امانا من

استثماره في أمريكا وأوروبا حيث حكومات يمكن أن تجهد هذه الأرصد إذا وجدت في حركتها بادرة خطر .

فإن أضفنا إلى ذلك القيمة السياسية للاستثمار لاكتملت الصورة . فاستثمار هذه الأرصد في أفريقيا يدعم العلاقات العربية الأفريقية ويحقق جبهة قوية وراء العرب في نضالهم من أجل حقوقهم الضائعة بينما استثمار هذه الأموال في أمريكا ليست له قيمة بدليل أنه لم يستطع حتى أن يجعل أي حكومة أمريكية تقف ولو على الحياد في الصراع العربي الصهيوني بل على العكس تماما تقف موقف العداء .

وصحيح أيضا أن العرب أنفسهم ما زالوا في حاجة إلى استثمار الأموال العربية في المشاريع العربية إلا أنه الأصح أن هذه الأموال العربية أكبر من طاقات الاستثمار المتاحة في العالم العربي كله في الوقت الحاضر ، ويمكن توجيهها إلى مجالات تحقق الكسب الاقتصادي والسياسي في نفس الوقت بدلا من منحها قروضا إلى اليابان أو الولايات المتحدة !

٢ - أن لدى الدول العربية خبرات فنية غير مستغلة ، ويمكن تصديرها إلى من في حاجة إليها . وقد لا تكون هذه الخبرات على نفس المستوى من الخبرة العالمية ، ولكنها بقدر من التدريب والأعداد الخاص يمكن أن تقدم لأفريقيا ما تحتاجه في هذه المرحلة وخاصة إذا كانت بشروط مقبولة ، ومن مصادر صديقة تبني ولا تهدم .

وقد يقال أن الدول العربية في حاجة إلى هذه الخبرات ، فإن كان ذلك صحيحا فيمكن تصديرها حاليا طالما هي غير مستغلة بل ومهدورة حقيقة بلا إنتاج . وإلى أن تتاح لها المجالات يمكن ترك دول أفريقيا تستفيد منها .

٣ - أيد عاملة فائضة تمثل عبئا اقتصاديا على كثير من الدول العربية . وكثير منها قوى معطلة تبحث عن أي عمل ، وفي أي مجال حتى لو لم تكن مؤهلة له . ولا أظن أنني في حاجة إلى نشر جدول بالقوى العاملة المعطلة والزائدة في العالم العربي في كل المجالات بينما دول أفريقيا تستجير بنا أن نلبي طلبها من هذه القوى !

وواضح من مقابلة ما تحتاجه أفريقيا بما لدى العرب أنه في قدرة الدول العربية فعلا أن تصنع الكثير في أفريقيا وتكسب أيضا الكثير بل وأكثر من كل عائداتها المستثمرة في سندات وأسهم في الغرب إلى جانب الكسب السياسي وهو أغلى من كل شيء لأنه في الأساس دعم للنضال الفلسطيني من أجل استعادة حقوقه .

ومثل ذلك يحتاج إلى توقيع على أعلى المستويات حيث تركيز السلطة واضحا ولا بد من أن تعطى القيادات إشارة القبول لكوارها الإدارية والسياسية لتحول ذلك إلى خطة عمل وأن تشرع في تنفيذها فورا .

ولعل ذلك ما دفع الصومال في مؤتمر القمة الأفريقي بمقديشو في يوليو الماضي إلى دعوة إلى عقد مؤتمر قمة عربي أفريقي مشترك . وقد وافقت الدول الأفريقية من حيث المبدأ على فكرة المؤتمر وتركت للجامعة العربية دراسة الاقتراح فإن قبلت الدول العربية تبدأ منظمة الوحدة الأفريقية مع الجامعة العربية في الأعداد له . وفي ظني أنه مؤتمر يجب أن ينعقد بأسرع ما يمكن بشرط أن يحسن الأعداد له بحيث لا يتحول إلى تظاهرة سياسية بل إلى مؤتمر عمل تعرض عليه خطط ومشاريع للامر بتنفيذها فورا ، إذا كان هناك أدراك حقيقي بأهمية التعاون العربي الأفريقي ، وأرادة صادقة لتحويله من مجال القرارات السياسية إلى دائرة الواقع .

السابقون

للصحفي السوفيتي تسزار سولودار
ترجمة الدكتور شوقي العمري

سلسلة مقالات للصحفي السوفيتي تسزار سولودار نشرتها له مجلة « اوغونوك »
السوفيتية الواسعة الانتشار . وقد نشرت هذه السلسلة في اعداد متوالية خلال
شهرى ابريل ومايو من هذا العام . وهي تتحدث عن اوضاع اليهود السوفيت الذين
تخلوا عن جنسيتهم السوفيتية وهاجروا الى (اسرائيل) وبعدها شاهدوا حقيقة
المواقع الاسرائيلي تمكنوا من الفرار من جحيم اسرائيل وهم يقيمون الان في
فيينا وينتظرون مصيرهم المجهول .

[١]

المهاجرون : الابناء يدينون الاباء

— اقترب القطار من رصيف محطة السكك الحديدية الغربية لمدينة فيينا . وكالعادة ،
اندفع الناس من العربات . . . وكان هناك خمسة أشخاص قفزوا على الرصيف متقدمين
الجميع . لم يستقبلهم أحد . ولم يكن من الصعب أن يقسراً الانسان في عيونهم تلك
السعادة الغامضة لأبناى ربما لم يعتقدوا بعد بأنهم قد تخلصوا من شيء قاهر ورهيب .
— أين قابلت أناسا بمثل تلك العيون ؟ ألم يكن ذلك ربيع عام ١٩٤٥ عند مشارف
برلين المحاصرة ؟ . . . لقد كان اليوغوسلافيون والدانمركيون والهولنديون الذين حررتهم
القوات السوفيتية من أظبية التعذيب الهتلرية يسرون منهكين ، وقد لمعت عيونهم
بالأماني السعيدة حيث أنهم سيلتقون عما قريب بوطنهم !

ولكن مثل هذه الثقة لم تكن ولن تكون عند أولئك الناس الذين شاهدتهم ذلك المساء
على رصيف محطة سكة حديد فيينا . لقد أدركوا شيئاً واحداً فقط ، أدركوا أنه لا توجد
هناك أية قوة تستطيع أن تعيدهم الى اسرائيل التي فروا منها بطريق غير مباشر
مستخدمين بذلك حيلة متعددة .

— فهل سيقبلهم الوطن الذي غادروه « بدون تفكير » على حد تعبيرهم ؟ . — كلا ،
انهم لم يغادروا الوطن ، وانما خاتوه . والآن فقط ، وبعد هذا التأخير المميت ، بدأ
يعترف كل من الميكانيكي لازار تشودنوفسكي والصراف ييغا شفاترسمان ، وهما من
مدينة كييف مهد صباى ، بأنهما بتخليهما عن جنسيتهم السوفيتية في سبيل الهجرة الى
اسرائيل قد خانا الوطن السوفيتي .

لقد أمضيا أول ليلة لهما مع عائلتيهما في مدينة فيينا على رصيف المحطة . وكانا
ينظران بكل خوف . . . نحو البوليس الذي كان يتمشى هناك ذهابا وايابا . شاهدتهما
عميلان من الفرع المحلي للوكالة الصهيونية . هذا الفرع الذي يوحى وكأنه يقوم بأعمال
الهجرة فقط ، مع أن موظفيه في حقيقة الامر ، يراقبون كل يهودي يجد نفسه على

الأراضي النمساوية . لم تبد على ملامحها إلا أية بشاشة أو مجاملة، كما حدث ذلك منذ سنة ونصف عندما استقبلا هنا في فيينا هؤلاء الكييفيين السابقين المتوجهين إلى «أرض الميعاد» .

وهما الآن يندران لازار الفوفيتش ويهددانه بغضب قاتلين :

— لا تطلب الصفح من أجل استعادة الجنسية السوفييتية . في فيينا توجد جالية صهيونية ثرية ، وتستطيع أن تجد لك مسكنا وعملا . عليك أن تعود لنفسك . بكل تأكيد ستثوب إلى رشك ، وترجع إلى إسرائيل . وإذا كنت لا ترغب في ذلك ، لا سمح الله ، فهناك بلاد كثيرة على هذا الكوكب . سيساعدونك في الوصول إلى استراليا ، كندا ، نيوزيلاندا . أو ربما سييسم لك الحظ وتجد نفسك في أمريكا . فقط لا تتشاجر معنا ، ولا تذهب إلى القنصلية السوفييتية .

ولكنني منذ الصباح الباكر ، شاهدت من جديد في القسم القنصلي لسفارتنا تشودنوفسكي وسفارتسمان . لقد جاء مع بزوغ الفجر إلى أبواب القنصلية لكي يأخذ مكانهما في أول الطابور عندما يحين موعد الاستقبال .

— سألتها : أين العفش ؟

— عشرات الحقائق التي وصلت معنا إلى مطار اللد تلاشت . اضطررنا أن نبيع كافة الأشياء التي أخذناها معنا من كييف ، والا لما استطعنا طوال الحياة أن نسدد ديوننا . آه ، كم كانت كثيرة تلك الديون التي سجلت على كل واحد منا في الدفتر الأزرق . لقد علمت أن هذه الوثيقة تعطي للمقادمين الجدد إلى إسرائيل من الرجال والنساء . ومنذ تلك اللحظة تبدأ عملية استعبادهم القاسية التي أمعن التفكير فيها .

— قابلت خلال عدة أسابيع أكثر من مائة من المواطنين السوفييت السابقين الذين فروا من إسرائيل بعد وصولهم إليها بقليل مثل تشودنوفسكي وسفارتسمان . أن المهاجر . . كلمة مرة . أما المهاجرون . . فهم أولئك الذين يسعون للخلاص من الكارثة المؤلمة التي لا تطاق . من الغزو العسكري المعادي . من الفاجعة الطبيعية المدمرة . من العدوى الرهيبة التي لا ترحم . والناس الذين التقيت بهم . . فروا أيضا من الكارثة التي لا تحتمل . من الصهيونية الشريرة المشبعة روحها بالشر والعدوان . من الشوفينية الجنونية المغطاة بالستار الديني . من الجفاف الروحي واللامبالاة اللانسانية التي يتميز بها مجتمع فيه الإنسان للإنسان ذئب . لقد فروا من الغربية . واتضح لهم أن دولة إسرائيل التي بشروهم بأنها «الوطن الجديد» ما هي إلا غربة مرة .

ها هم الآن يبكون . يستغيثون كي يرجعوهم للوطن . ويعدون بأنهم على أتم الاستعداد لان يكفروا عن خطاياهم بأي ثمن نتيجة تخليهم عن الجنسية السوفييتية . وهم موافقون على العيش في أي زاوية من البلاد السوفييتية . أنهم قلقون ليس على مستقبلهم ، وإنما على مستقبل أطفالهم .

— لقد استمعت إلى الكثيرين : « لا أفكر بنفسي ، أريد فقط أن أرجع الطفل إلى الوضع الطبيعي . هل من المعقول إن أستسلم لواقع يفرض على طفلي أن يتعلم التلمود من خلال العصا ! وانني لا أستطيع يوم السبت ، وهو يوم الراحة الوحيد أن أخذه إلى المناطق الخضراء ، فقد منع «الحاخاميون» سير المواصلات العمومية في أيام السبت . ثمة أمر ، فسوف يستدعونه خلال سنوات للالتحاق بجيش المعتدي ! » .

— ولكن ، لست أدري لماذا صمت هؤلاء الذين استمعت إلى استغاثاتهم ، ولم

يحدثوني عن أهم شيء . فهم لم يذكروا لي مثلا كيف ان الاطفال واجهوهم مرارا بهذه الاسئلة :

— « لماذا يا ابي شوهدت حياتي ؟ ، لماذا ابعثتني عن الوطن الذي يجب ان اصبح فيه انسانا حقيقيا ، والقيت بي في الغربة المقيته ، حيث كل شيء هنا بغيض ومكروه » .
فهذا هو سيميا لوشنير الطفل الذي بلغ من العمر ثلاثة عشر عاما كتب يقول بالحرف الواحد الى والده عندما حاول ذات مساء ان يهرب من عسقلان الى قبرص ، ومن هناك يركب الباخرة السوفيتية ويعود الى مدينته اوديسا التي تؤرقه في المنام وفي اليقظة :
« الابناء يدينون الآباء » .

[٢]

صانعو التسقاء

— بأي شيء فكرتم حينما قررتم مغادرة الوطن العزيز ؟ . . استمعت الى اجوبة مختلفة على سؤالي هذا . وكان البعض يجيب من مرض عقلي ، وحتى من حمى معدية غريبة في نوعها . لقد قالوا لنا ، اولئك الذين تطوعوا بنصحنا : « اسرائيل ، اسرائيل ، اسرائيل » فقط . ان كلارا روزنتال فلدشر وهي من مدينة بلتسي المولدافية تعلن ان سفرها الى اسرائيل كان حصيلة تلك الرسائل التي كانت تصل من اسرائيل وتحدث عن « الحياة الزرقاء » على « ارض الاجداد المقدسة » .

« لقد ادركت بعد ان تجاوزني الوقت كثيرا احد الاسباب الحقيقية التي كانت وراء ظهور هذه الرسائل منذ الساعات الاولى لوصولي الى الارض الاسرائيلية . لقد قابلت مدرسة الموسيقى ماريا لازارفا فايستسمان المعروفة لدى جميع البلتسيين — نسبة الى مدينة بلتسي بجمهورية مولدافيا السوفيتية — ، بصعوبة عرفتها . . لقد شاخت خلال فترة قصيرة . . واستسلمت للمقادير . انها تعطي دروسا خصوصية في الموسيقى من حين لآخر . لان المدارس الموسيقية في اسرائيل توجد في العاصمة فقط . وكل درس من هذه الدروس يبلغ بها حتى ذروة الدموع . فآباء التلاميذ يرون متجردين من أية لياقة ان من حقهم اعطاء التوجيهات للمدرسة ، ومراقبة وقت حضورها وخروجها بالساعة .
— سألتها : اذا لماذا كتبت في رسائلك تقولين انك تعيشين في اسرائيل حياة باهرة ؟
لقد تناقلت الايدي رسائلك ، وقضت على الكثيرين من الناس ! » . امتقع لون المدرسة ، وضغطت على قلبها بشدة « اني اشعر بالعار تجاه زملائي . اتذكركم . . لقد كنت انسانة في بلتسي ، وكنت اسير مرفوعة الرأس ، وكان الآباء والتلاميذ ينتسمون لي .
اما هنا في اسرائيل فلقد أصبحت تافهة ، ولست مرفوعة من أحد ، واستسلمت أخيرا للمقادير . احسن بالعار لانني اعترف بذلك » .

وآخرون اجابوا على سؤالي موضحين خطاهم المدمر من خلال مشاعر يشوبها الاستنكار . قال لي ابرام بتيلاشيفلي الذي يبلغ من العمر ثمانية وعشرين عاما ، والذي كان فيها مضي . . في تفليسي يعمل ميكانيكيا لتصليح أجهزة الراديو « لقد قضى الشيوخ علينا نحن الشباب . . وحركت تلك الرسائل التي كانت تصل من اسرائيل المشاعر القومية والدينية . بيد ان القاء الذنب على الشيوخ امر غير عادل أيضا . كذلك لم يخطر على البال ان هذه الرسائل مزورة ، وقد املت املاء ، وان اكثرها يحتوي على لكاذيب ساذجة . ولكن كانت هناك أيضا رسائل لم تبعث الفرحة على الاطلاق . فبمن تثق ، وبمن لا تثق . كثيرون هم الذين صدقوا ولكن كيف ! »

أما ريفا موسكوفيتش التي غادرت لأتفيا ووصلت منذ عدة شهور الى اسرائيل فقد كتبت الى ابنها تقول : « يجب الا تغادر ، فلن تستطيع العيش هنا » . لكن الابن حتى التخمة كان قد امتلأ بالوعود الصهيونية . وكان جوهر رده على أمه على النحو التالي : « لا حاجة لي تلك الام التي تنقص من أرض الآباء المقدسة » . وهكذا يغادر لأتفيا الى اسرائيل . وعند وصوله لم يتمكن من رؤية أمه ، لانها كانت قد فرت من هناك .

ويطلب لييزر شايفيتش رسالة من أخيه الذي يعيش في اسرائيل . في هذه الرسالة ينصحه بدون أية موارد أن يبقى في « بوكوفين » مدينته الغالية . ولكن لييزر ينقل محتوى الرسالة الى جاره قائلا : « لقد كان أخي دائما خبيثا معي . أعلم أنه سعيد هناك ، ولا يريد لي أن أكون سعيدا مثله . ولكني لست غيبيا . ومع ذلك فسوف أسافر ! »

وأخرون لم يجيبوا على سؤالي ، بكل بساطة انهم لم يتجاسروا أن يقولوا بماذا فكروا آنذاك عندما تخلوا عن جنسيتهم السوفييتية . لقد كانوا يتشدقون بكل صراحة ، أثناء مغادرتهم الاتحاد السوفييتي ، عن الشهد الذي ينظرهم هناك ، ويتعطش يتصيدون كل كلمة كاذبة من الاذاعات المعادية . والآن بعد أن فات الاوان أدرك موسى مانوسفيتش غيتبرغ . . المهندس المتخصص في صناعة المعادن ، الذي ترك زوجته وابنه البالغ من العمر خمسة عشر عاما في دنبروبتروفسك :

« لقد قارن أحد الحقوقيين الغربيين المعروفين عملية ارسال المعلومات المعادية الى دولة أجنبية بعملية ارسال القذائف المدفعية . أية حقيقة تفرزها هذه الكلمات ! » لقد أدرك الكثيرون هذه الحقيقة ولكن بصورة متأخرة جدا .

أما الميكانيكي أبرام غيرشوفيتش غيتس من ريفا سابقا . . فقد صرخ الآن بصوت مسحوق : « اللعنة عليك يا « صوت اسرائيل » وعلى جميع أصوات الاذاعات الاخرى الكاذبة ! فك من الشقاء حملت للناس » . ويضيف على الفور بثبرة حزينة . . بالطبع ، انها أصوات غريبة ، أصوات سامة ، ولكن من الضروري أن يكون للانسان رأس على كتفيه . أما أنا ففي لحظة من اللحظات فقدت رأسي .

— ومع ذلك بماذا فكر هؤلاء الناس عند مغادرتهم الوطن العزيز ؟ . .

من الاجوبة التي تذكرتها على سؤالي البسيط هذا كلمات الاوديسي عامل الاحذية روفيم الفوفيتش بلوفشستين ، الذي فر من اسرائيل مع ابنه البالغ من العمر الثامنة عشر عاما ، والذي كان من المفروض أن يستدعى للخدمة في الجيش الاسرائيلي :

— « بماذا فكرت عند مغادرتي اوديسا ؟ . . عن مأساتي آنذاك لم افكر . بدأت افكر متأخرا ، وفقط في اسرائيل ، عندما أعلنوا لابني « أنت جندي جيشنا في المستقبل ، وملزم أن تربني نفسك على الحقد ضد العرب » ولاول مرة فكرت وأنا في حالة فزع ، ما الذي ارتكبته ؟ . . والى أين جئت بولدي ! . . وأدركت ، كلا ، ان اسرائيل لا يمكن أن تصبح لي وطني الثاني ! »

عند مناقشة مسألة « الوطن الثاني » الذي نتحدث عنه بسخاء الدعاية الصهيونية تذكرت كلمات الكاتب السوفييتي الوطني الرائع ليف أبراموفيتش كاسيل :

— « لا يمكن أن يكون هناك اي وطن ثان لاولئك الذين تربوا في ظل النظام السوفييتي . يوجد فقط وطن واحد للانسان السوفييتي . تذكروا . . واحد فقط ! » .
والآن . . وأنا أستمتع بصبر الى شكاوى وأنين الفارين من « أرض الميعاد » ، كثيرا

ما أتذكر كلمات ليف كاسيل الغاضبة عن « الوطن الثاني » . لقد اقتنعت أكثر فأكثر أن جميع مآسيهم وأحزانهم هي نتيجة حتمية لكونهم خائوا ووطنهم .

— تحدثت مع بعض الذين التقيت بهم في فيينا مرتين وأحيانا ثلاث مرات . كثيرون رجوني أن أتعرف على مذكراتهم . كيف يتكلمون . . اعترافات . . لقد اقتنعوا جميعا . . كل على طريقته الخاصة . . عبر الذاكرة . . وأحيانا من واقع التجارب القاسية ، اقتنعوا بأن نظام الحياة الرأسمالي الذي يعج بنظريات التفوق العنصري ليس لهم . . وليس لابنائهم أيضا .

— وددت لو أن روحي مالت الى الاعتقاد بأنهم جميعا بلا استثناء أصبحوا ضحايا الدعايات الصهيونية الكاذبة التي انفلتت من عقالها . — كلا ، لقد اتضح أن بعضهم كانوا ضحايا انطباعاتهم الوهمية الخاصة عن المجتمع الرأسمالي . وبالدرجة الاولى اولئك الوصوليين الذين داعبهم الخيال « بتكوين مناصب » .

ان رومان كانتسوباشفيلي الطباخ السابق لاحد أشهر المطاعم « ريتسا » على ضفاف البحر الاسود يفيض بالرغبة للعودة الى جورجيا . فعراضه المتعددة . . المكتوبة والشفهية ، تمتلئ بالحقائق الحزينة والتفاصيل ، التي حولت حياته في اسرائيل الى عذاب ، وبلا معنى . انني ميال . . ويمكن القول انني أثق بكلمات كانتسوباشفيلي الحميمة عن أشواقه الى زوجته التي انفصل عنها كلمح البرق لكي يذلل صعوبات سفره الى اسرائيل . الا انه لا يستطيع ان يكتب تلك المشاريع الزائلة التي زاحمت آنذاك رأسه . . ونخرت قلبه . وبما أنه طباخ ماهر . . وانسان يتمتع بصحة جيدة ، وعامل نشيط . . داعبت خياله امكانية تطوير مؤهلاته وانتشاره « خارج الحدود » .

أما ميخائيل برانزبورغ . . وهو موسيقي . . يعيش في مدينة موسكو . . ويبلغ من العمر خمسة وعشرين عاما . . فقد أفتنع نفسه بأنه يستطيع « خارج الحدود » فقط ! أن ينقن اتقاننا كاملا العزف على الآلات الموسيقية وان يصبح قائدا شهيرا للاوركسترا . وعندما قرر ان يترك زوجته وابنته الصغيرة همس في اذن الكسندر كوفمان المهاجر الى اسرائيل قائلا : « وجه لي دعوة من قريب مزيف » . وعلى الفور وصلت الدعوة بتوقيع غامض « سومبولينسكي زاغافا » . — هل « سومبولينسكي زاغافا » رجال أم نساء ؟ — وهل هو توقيع ابن عم اسطوري ؟ أم ابنة خالة وهمية لا وجود لها ؟

يعتقد المهاجرون الفارون من « أرض الميعاد » والمقيمون في فيينا بأن الحظ قد ساعد برانزبورغ ، لانه قبل سفره الى اسرائيل كان قد التقى بالعديد من الناس الذين فروا من هناك . . وتحدث معهم . وبعد هذا الحديث رفض ان يهاجر .

[٣]

سقوط الاوهام

— ان كل من هاجر الى اسرائيل هو صهيوني راسخ العقيدة . وهؤلاء المهاجرون الصهيونيون اطلقوا على انفسهم « المناضلين » وحتى « المنتصرين » . ولم يخفوا عن المواطنين السوفييت — وهم يفخرون بذلك — آراءهم المعادية ، وراحوا علانية ينشرون الافتراءات الصهيونية عن طبيعة حياتنا . واخذوا . . وبعد ، ما زالوا في طريقهم الى اسرائيل يعلنون على الملأ بأن الحظ قد واكبهم لانهم غادروا البلاد السوفييتية . وهذا ما دعا السلطات الاسرائيلية — التي تشاركهم الرأي — الى ان

تخلق لهم ظروفًا ملائمة . . فمنحتهم على الفور جوازات سفر دائمة .

اعتاد الاسرائيليون ان يسموهم « المثاليين » وهم يختلفون عن « الماديين » او الذين يسمون « الواسطيين » ، بأن « المثاليين » في البداية أخذوا ينظرون بكل عجزفة لاولئك « الماديين » « الواسطيين » المتعطشين بشكل مسافر « لحياة المتعة » والذين عزموا على ان يقتنوا « الرأسمال » ويحافظوا بسذاجة عليه .

في نفس الوقت . . حدث هذا منذ وقت قريب . . اخذ « المثاليون » أيضا . . وهم من أحط السفلة يواظبون على المجيء الى عتبات القنصلية السوفيويتية في فيينا . مثلا : الليننغرادي الحقوقي السابق غريغوري سولومونوفيتش غيرتليب وزوجته صوفيا موسيفنا فايسمان التي تضع البرامج الدراسية لعلم الرياضيات قوبلا في اسرائيل بكل افتخار ، وذلك في شهر مارس عام ١٩٧١ من قبل « اخوتهم في صهيون » . وهذه المجموعة « اخوتهم في صهيون » التي يشرفان عليها باعتراف غيرتليب نفسه . . من مهامها الاساسية نشر وترويج الادب الذي يقنع اليهود بأن مكانهم هو اسرائيل .

لقد قوبل غيرتليب في اسرائيل . . وهذا أمر طبيعي . . بكل ترحاب . وكان أحد المختارين الذين قابلتهم غولدا مئير باستمرار ، واستقبلهم كذلك العديد من الوزراء . لقد أرسلوه الى باريس وروما ليقوم بشن حملة ضد الاتحاد السوفيويتي في سبيل « الدفاع عن اليهود السوفيويت » . وعومل بخلاف أكثرية رفاقه ، بأن أعطوه على الفور شقة جيدة ، وكذلك وفروا له ولزوجته العمل المناسب .

مقط ، في شهر ديسمبر . . اقتنع غيرتليب تماما ، بأن الواقع الاسرائيلي مؤلم ويتناقض مع مثله الصهيونية ، ومن ثم اتخذ قراره بمغادرة « أرض الميعاد » . ترك العمل . ولكنه كان يعلم ، انه ليس بإمكانه أن يفصح عن رغبته بالعودة الى الاتحاد السوفيويتي . فأخذ يستخدم اسلوب التمويه . وبدأ تدريجيا يتحدث عن السفر الى اقربائه في أوروبا الغربية . وفي ربيع عام ١٩٧٢ ، تخلى غيرتليب عن كل ممتلكاته التي أحضرها معه من مدينة ليننغراد ، وفر مع زوجته وطفله الصغير البالغ من العمر خمس سنين . . من البلاد التي كان يحلم فيها طوال عشرين عاما .

— لماذا ؟ . .

— ان اعتراف غيرتليب المتعدد الصفحات يعطي جوابا يحتوي على أكثر من مدلول . « لم نكن محتاجين من الناحية المادية » . هكذا يعترف غيرتليب على الفور بالوضع الاستثنائي الذي خلقه له الاسرائيليون الصهيوينيون . نعم ، حالة استثنائية للغاية . فاذا انطلقنا من الارقام الحسابية الدقيقة . . أرقام غيرتليب نفسه ، فان متوسط دخل الفرد الاسرائيلي لا يسمح له ان يعيل أسرة ، وخصوصا اذا كان لهذه الأسرة حتى طفل واحد . وكذلك اذا لم يكن رب الأسرة محتالا . . ولم يلجأ الى الخداع . . ولم يعيش على نقود الآخرين .

— فاذا كان بعض المهاجرين الذين حكم عليهم النظام الاسرائيلي ان يحيوا حياة فقر مدقعة قد أثرت عليهم الى حد ما ، الحقيقة المادية . . فان قرار غيرتليب قد نجم عن اسباب أخرى تماما : — فما هي هذه الاسباب ؟ . .

« ان اسرائيل هي عبارة عن دولة انتفت فيها منذ أمد بعيد أية مثل للصدائسة والعلاقات العادية بين الناس . فكيف والحالة هذه يمكن أن تنشأ علاقات بين صاحب العمل الذي يمتلك المصنع . . والفيلا . . وثلاث — أربع سيارات ، وبين اليهودي القادم من مراكش او العراق والذي يمتلك شقة صغيرة — وفي كثير من الاحيان لا يمتلك

حتى مثل هذه الشقة الصغيرة — ، وقيم مع خمسة أو ستة أطفال في حسي حقير « للسود » ؟ — وكيف يمكن أن تنشأ علاقات أيضا بين ذلك البيروقراطي الذي يعمل في دائرة ما ، والذي يحلم أن يظل في مكانه هذا حتى التقاعد .. وهو يعلم تماما .. أن طرده من وظيفته عمليا غير ممكن هذا من ناحية ، وبين المهاجر الجديد القادم من الاتحاد السوفييتي الذي يذهب عشرات المرات « للمقابلة » من أجل العمل .. وينتقى دائما نفس الجواب « سافلانوت » (الصبر) ، و (كل شيء سيكون حسنا) ؟

ان غيرتليب يورد الحديث التقليدي الذي يدور بين موظف الدائرة الحكومية المكلف بالاهتمام بالقادمين الجدد ، وبين مواطن سوفييتي سابق :

« — لا يوجد عمل ، ولا يتوقع قريبا . ولكن كل شيء سيكون حسنا .

— كيف يمكن أن يكون كل شيء حسنا ، اذا كان مكتب العمل لا يجد لنا عملا ؟

— الواسطة ضرورية .. وكل شيء سيكون حسنا .

— لا توجد لدي شقة .

— الصبر . ولكن لماذا تريد ان تقيم في حيفا ؟ اسكن في « ديمون » .

— في « ديمون » لا يوجد عمل للهندسين .

— ولكنك ستنتزع بأظافرك لك سكنا .

— فليذهب السكن الى الشيطان ، اذا كان المهندس لا يستطيع ان يجد له عملا هناك على الاطلاق .

— ولكن هل من الضروري أن تعمل مهندسا ؟ — جميعكم تأتون الى هنا وتطلبون .. تطلبون .. اعطونا عملا وسكنا » .

وفي نهاية اعترافه يدلي غيرتليب بهذا التصريح المر : « انه لأمر صعب ان يعترف الانسان وهو في سن الأربعين ، بأن حياته كلها كانت عديمة الجدوى ، ومكرسة لمثل كاذبة . ولكن من وجهة نظري .. يجب أن تكون الحياة مروعة لكل واحد صدمه الواقع الاسرائيلي — كمثلي أنا — ولا يجد لديه القوة والشجاعة ليحدث اليهود الآخرين عن كل شيء ، وعن كل ما يحدث هنا » .

هذا وان بنتسيون غريغوريفتش توفيين صديق غيرتليب الذي ينسجم مع آرائه ، قد استقبل هو الآخر في اسرائيل بأذرع مفتوحة . لقد علموا هناك .. بأنه منذ زمن بعيد .. قد أعلن وبشكل واسع عن رغبته للاقامة في اسرائيل .. وللابد . وتوفيين هذا يختلف عن الاكثريه من المواطنين السوفييت السابقين بأنه يتمتع بشهرته كصهيوني . ولهذا .. وبدون أي تحقيق معه .. تسلم عملا يتعلق بالسفر من حين لآخر الى الموانئ الغربية . وها هو الان بعد ان غادر اسرائيل يقول بكل ألم : « لا ابالغ اذا قلت بأنه غالبا ما داهم شعورنا في اسرائيل احساس بأننا فعلا اناس سابقون » .

— ولا يتوقف توفيين عن ارسال التماساته من أجل السماح له بالعودة الى الاتحاد السوفييتي . ومما يثير الدهشة حقا ، تلك الثقة .. أو بالاحرى الثقة بالنفس التي تبدو في التماسات وتوسلات غالبية المهاجرين بالسماح لهم بالعودة . حتى الكبار منهم والذين حنكتهم تجارب الحياة .. يتصورون .. وبكل سذاجة ، بأنه عند أول طلب لهم .. على الفور .. سيرتفع امامهم حاجز الحدود .

« أجل ، التخلي عن الجواز السوفيتي .. هو سد .. ولكني اريد استرجاعه ! .. »
كذلك اجراءات الطلاق التي اتخذتها بحق زوجتي التي لم توافق على هجرتي الى
اسرائيل .. هي الاخرى سد .. ولكني على استعداد ان اعود اليها ! .. نعم ،
تخلت عن اطفالي .. ولكني موافق على ان اصبغ ابا لهم من جديد ! .. »
— وتطير الرسائل عبر أرجاء مدن الاتحاد السوفيتي وتحتوي على مثل هذا
المضمون :

« زوجتي العزيزة ! لقد ادركت الان ، انني احببتك ، واحبك انت لوحيدك ... »
« والداي العزيزان ! لقد ادركت الان .. كم فعلتما في سبيلي » .
« اطفالي الاعزاء ! لقد ادركت الان .. انني لا أستطيع العيش بدونكم ... »
— من الطبيعي ، انني لا أستطيع ان اكتب عن جميع المهاجرين الذين قابلتهم في
فينا .. مع انني تحدثت مع الكثيرين منهم .. واكرر .. أكثر من مرة .

[٤]

الحقائق فقط .. والوثائق فقط

يجتهد الكثيرون منهم في ابداء التوبة والغفران ، ولكن يبدو من الصعب الثقة في
ذلك . فانا لا أستطيع ان اتق في هذا الحماس الخطابي لاحد العاملين السابقين في
الحقل التجاري في مدينة تيفليسي . فاذا كان سابقا قد عمل سفره من الاتحاد
السوفيتي منطلقا من ضرورة « لم شمل » العائلة « الوهمية الكبيرة » ، فانه الان
يندفع بعواطفه قائلا لا يمكن ان توجد معاداة للسامية في الاتحاد السوفيتي ، ومع
ذلك لم يستطع ان يعيش مع اقربائه وسط قوميته .

لقد شاهد هذا الموقف بعض المواطنين السوفييت السابقين وهم من مدينة جورجيا
.. وابعدوه خارج الباب .. عند ذلك ، سألت زوجته :

— هل استمعت الى صراخ زوجك .. ولماذا كان يصرخ .. ؟

لقد خطر على بالي .. أنه في اسرائيل كان يصرخ ايضا وبمثل هذه الحرارة — كم
كان صعبا علي ان اعيش في جورجيا . أو أنني مخطيء ؟

— صمتت المرأة طويلا . بيد انها نظرت بنحد الى المهاجرين الاخرين واجابت —
موجهة كلامها لهم — :

— هل هو الوحيد فقط ؟ ألم يتندر كل واحد منكم بالخرافات عن الحياة الصعبة
لليهود في جورجيا .. ؟ — لماذا تصمتون ؟ قولوا للكاتب ، انني أكذب ! تكلموا . !
بالطبع ، لم يقل لي احد منهم هذا الكلام .. والتقيت بمهاجرين اخرين من اسرائيل ،
وكانوا من السذاجة بحيث انهم اعتقدوا بأن اقوالهم المعادية للسامية ، وتهجمهم ،
وضحكاتهم الشريرة على اناس من قوميتهم يمكن ان تكون تبريرا لتخليهم المشين عن
الجنسية السوفيتية .

ومع ان هؤلاء الناس لم يتمكنوا في واقع الامر من استيعاب طبيعة الحياة في
اسرائيل ، ولا يريدون مهما كان الثمن ان يرجعوا الى اسرائيل ، اجدني لا أستطيع
ان اروي هنا حكاياتهم التي قيلت لي بصورة مثيرة . اقول هذا .. وأنا اعلم ان ما
سمعته أما كان مدعما بالوثائق ، وأما كان عبارة عن حكايا رواها الكثيرون .. واقول
بضمير نظيف : ان كل واحد قابلته في فيينا .. وأفضى الي باحزانه وامانيه ، كان

يعلم أنه يتحدث مع كاتب يعمل في مجلة « أوغونيك » ، وأنا بدوري أنقل للقراء بكل دقة كل ما قيل لي ، وما شاهدته وسمعته .

من الصعب حقا . . أن تكون قاصا . . وأن تكون عديم الاحساس عندما تنظر اليك دالي . . الطفلة الصغيرة التي بلغت من العمر اثني عشر عاما بعينيها الجزعتين المنطقتين ، وياشى شامبلا شغلي — سبعة عشر عاما — بنفس تلك العينين . لقد غادرا اسرائيل بلا أمهما التي جاءت بهما من سوخومي . ففي تاريخ ٩ ابريل عام ١٩٧٣ قطعت ميديكو شامبلا شغلي شرياتها . . ثم شنقت نفسها . لقد يتمت ولديها بهذا العمل . ان دالي ذات العينين الكبيرتين . . لم تشك . . بأن دموع أمها الجامعة . . قد أصبحت آخر القطرات لديها . . وبعدها فاض بها كأس الصبر .

كانت دالي تبكي . . لقد فرت من المدرسة وقالت لامها : « لن أعود للمدرسة بأي حال » . لم تحتل دالي احتقارات المدرسة الدينية التي أكدت بحزن منافق مفتعل بأنها شديدة الاسف لان كافة اليهود الجورجين قاصرون . وبطاعة عمياء ايد المدرسة زملاء دالي في الدراسة ، وهم من المجتهدين ومن ذوي الاخلاق الحميدة الذين ينتمون الى عائلات « سابروف » القديمة والمميزة .

وبمثل تلك الطريقة استقبل في مدينة اشكلون يوري كوفريغار (عمره خمسة عشر عاما) . لقد كان ينتظر يوري في أوكرانيا مستقبلا كبيرا في مجال الرياضيات ، وكان من المتوقع ارساله الى مدرسة خاصة . أما في مدينة اشكلون فلقد علم الصهاينة الشبان بكل ازدرأ ان يوري ينتمي الى مجموعة « الكفار وغير المطهرين » ، ونشروا هذا الخبر في انحاء المدينة كلها . أنذر المدرسون والدي يوري بأنهم لا يحتملون وجود غير مطهرين في مدرستهم .

— من الصعب . . طبعا ، ان لا يستسلم الانسان لعواطفه عندما يندفع نحوه فيضان الدموع . . ومع ذلك فسوف أتماسك وسأحافظ على أن أكون مندوبا صحفيا . . مسجلا . . ووثائقي . . وهكذا تتكلم الحقائق فقط . . والارقام فقط . . والوثائق فقط التي تختفي وراءها المصائر الحقيقية للناس الذين ظلّموا أنفسهم عندما هاجروا الى الغربية .

وللحقيقة ، فان الكثيرين منهم لا يفهمون . . ولا يريدون ان يفهموا جوهر المسألة التي ينطوي عليه معنى التخلي عن الجنسية السوفيتية . وعلى مسمعي دار ذلك الحوار بين اثنين من الفازين من اسرائيل وهما طبيبان :

— « اني لا أستطيع ان اصدق — صرخ بغضب الطبيب الاصغر سنا — ، لقد سألوني عند وصولي الى مطار اللد :
— منذ متى أصبحت ملحدا . . ؟

— يا أسفاه ! — أجاب الطبيب الذي يكبره — نحن نستحق ذلك . — فماذا تعني الكلمة الانجليزية « ديسيدنيت » . . ؟ انها تعني متخلي . ونحن تخلينا عن الوطن العزيز . . تخلينا عن الشعب الذي ترعرعنا . . وتعلمنا . . وعملنا معه .
— فلماذا نستغرب اذا . . ؟ لانهم في اسرائيل راوا فينا ملحدين !

— « ومع ذلك لا أحد يملك الحق في أن يتهمني بالاحاد — بصراحة اكد الطبيب الشاب — وخصوصا بعد ان ندمت ! »

— استمعت اليه . . وفكرت : يبدو ان هذا الشاب لم يفهم ، ان الاصل ليس في المصطلح ، وانما في التخلي عن الوطن !

[٥]

الدفتـر الازرق

وما يكاد القادم الجديد ، تطأ قدماه الارض الاسرائيلية ، حتى يتسلم على الفور الوثيقة الضرورية التي سبق وورد ذكرها وهي « الدفتـر الازرق » المشئوم .
وبكل بساطة . . . وبصور مختلفة . . . ولكن بحقد واحد . . . فان كافة المهاجرين يطلقون على هذه الوثيقة « الدفتـر الاسود » او رخصة الاستعباد .

لقد تصفحت كثيرا من هذه الدفاتر . . . ولاحظت انها مدونة على نمط واحد :

— « ثمن تذكرة الطيران من فيينا الى مطار اللد » .

« تأمين الغفش » .

« توصيل الغفش » .

« معونة مالية حتى لحظة ايجاد مصدر للرزق » .

« ثمن العلاج بعد ستة شهور من الوصول الى البلاد » .

« اعطاء مهلة لدفع اجرة الشقة » .

« سلفة فورية » (بالطبع ، مع الفوائد . — س . س . نس) .

ان هذه الاشياء المدونة وما يشبهها هي شكل من اشكال الاهانة .

ويكفي فقط ان يشتم العميل السوخنوتوفسكي بأنه ظهرت لدى شخص ما الرغبة في مغادرة البلاد ، حتى تظهر فجأة في دفتـره الازرق كتابات جديدة لم تكن مدونة في السابق . ويتم هذا على النحو التالي : يدعى الشخص على الفور لعدة دوائر . . . وهناك يوجهون اليه انذارا :

— هل عليك ديون . . . ؟

— لاي شيء هذا . . . ؟ ولماذا . . . ؟

لكي يقال مثلا ليوسف شامبلا شفيلى . . . وهو اب الولدين اللذين فقدا امهما في اسرائيل :

— نسينا ان نسجل في دفتـرك الازرق قيمة ١٨٠ ليرة كتأمين على عفشك .
وعليك ان تدفعها . . . !

وعندما يخاطبون الانسان بصيغة المفرد « أنت » ، فهذا على اية حال ، ليس مبعثه الود : كما ان التفاهم في الدوائر « بالايديش » او بالروسية ممنوع على الاطلاق .
شيء لا يصدق : فاللغة التي انتجت الاعمال الادبية العظيمة لشلوم عليخيم ، ومينديلي موخير سفريم ، والتي كتب بها دافيد برغلسون ، وليف كفيتكو ، والتي يكتب بها اليوم الكتاب اليهود التقدميون اصبحت بالنسبة للدولة اليهودية لغة قاصرة . . . او تكاد تكون لغة معادية للدولة !

— فما هي الاضافات الجديدة التي تضاف بسرعة الى دفتـر ديون كل واحد يفكر بسفادرة اسرائيل . . . ؟

سألوا في « الوكالة » مثلا كلا من دافيد ويفغيني كوغريغار :

— أنسيتما . . . كم زجاجة من مرطبات الليمون شربتما في قصر شيونانو ؟ نحن بالضبط نتذكر . وطبقا لذلك صار من المفروض ان نسجل لكما هذا في « الدفتـر الازرق » .

أما اسحق مانشينكير .. فلقد اسرعوا في ادارة المدرسة بتذكيره :

— لقد تعلم ابنك عندنا في الصف الثاني ، وعليك ان تدفع مبلغ ٢٦٠ را ليرة .
أوه .. آسف .. لقد أخطأت ، المطلوب ان تدفع ٩٨٤ ليرة فقط ، لقد اتضح ان ابنك
تعلم في الصف الاول .

ومثل هذا المبلغ اضيف الى « الدفتر الأزرق » الخاص بالسيدة فريدة ت . فهذه
المرأة لم تتمكن حتى الان من تسديد ديونها ومغادرة اسرائيل . لهذا فليس من حقي
ان انشر اسمها بالكامل ومكان عنوانها . فلنحاول ان نتأكد لماذا يطلبون من فريدة ت .
ان تدفع على تعليم ابنتها ٩٨٤ ليرة ؟

— لقد بقيت عدة ايام حتى بداية العام الدراسي . ولاول مرة مستذهب ابنتي الى
المدرسة . يجب ان احبك لها فستانا جديدا ! . لقد اقتضت فريدة مبلغ ٣٠٠ ليرة
مع فوائدها من مراب صغير يقيم في نفس الشارع الذي تقيم هي فيه . بالاضافة الى
الفستان الجديد .. اشترت فريدة من المبلغ ايضا حقيبة لابنتها الصغيرة .. ودفاتر ..
وقلم حبر .

— يا أسفاه ..! هذا اول يوم دراسي لها .. وهو يحمل دائما .. ذكرى مدى
الحياة . ولكنه حمل لطفاتي ومشاعر حزينة . لقد أجلسوها .. وهي في فستانها
المدرسي الجديد .. على الأرض القذرة .. وليس وراء مقعد الدراسة .

ولاول مرة في الحياة .. فتحت دفترها .. على الأرض فتحتة . نعم .. على
الأرض ! ، فان النقود التي ضحى بها « الامريكي الخير » لبناء مدرسة جديدة عصرية
.. لم تكف لشراء الاثاث .. في الوقت الذي اهدرت فيه تسعة الاف ليرة لرسم صورة
« حامي الفنون » وبناء لوحة من البلاط كتبت عليها قائمة خدماته امام « الاشقاء
الاسرائيليين » .

[٦]

نساء كافرات

ان اقرباء ايتسي غير شوفيتش ميرسون الذين وجهوا له الدعوة ، لم يكلفهم ذلك
اكثر من مائتي ليرة تقريبا . ثمة امر .. فما هي حاجة « اسرائيل العظمى » لرجل
« غير عظيم » ..! لقد كان بإمكان ميرسون ان يعيش حياة حسنة في ريفا . فهو
يتلقى شهريا معاش التقاعد نتيجة اصابته في الحرب الوطنية ، ويقوم في نفس الوقت
بأعمال خفيفة في شركة « سادانس » .

ولكن الاقرباء في اسرائيل عذبوا امه العجوز بالحاجهم الكاذب :

— هل تستطيعين ان تموتي قريرة العين وانت تعلمين بأن ابنك ايتسي متزوج من
لاتيشكا (لاتفية) ؟ — الا تستطيعين ان تلبى ارادة عقيدتنا وتفصليهما عن بعض ..؟
حاولت العجوز .. بشمتى الطرق اقناع الذين يحيطونها من الاسرائيليين المشبعين
بالروح الدينية ، مذكرة اياهم بأن ايتسي يعيش مع زوجته عشرين عاما . ونتيجة
لرعايتها له — بالتحديد — لم يعد يلزم فراش المرض . انه ملزم تجاهها . غير ان هذه
الايضاحات الانسانية لم تحرك اولئك « المؤمنين » المتعصبين . وفي نهاية المطاف
اجبروا العجوز على ان تكتب لابنتها بأنها على حافة الموت ، وتود من ابنها الغالي ان
يغلق عينها بعد نهايتها . على الفور سافر الابن الى امه . وصل .. ولكن اي عار
سيلحق بالابن الاسرائيلي . لقد وصل مع زوجته التي تنتمي الى عقيدة اخرى . فلم

ترض الزوجة ان تترك زوجها يسافر للمهجر البعيد وهو نصف أعمى .

— وحدثت فضيحة على الشارع .

— لم يدع الاقرباء ايتسي « وزوجته الكافرة » ان يخطوا عتبة الباب . وبلا رحمة .. طلبوا منه :

— أطردوا ! ، انفصل عنها .. ولا داعي للقلق .. فورقة زواجها لا قيمة لها هنا على الاطلاق !

لكن ميرسون حاول ان يوقظ ضمائر الاقرباء :

— « هل من المعقول ان اتخلى عن زوجتي ؟ لقد عشنا معا اكثر من ربع قرن ! ثم كيف يمكنها ان تعيش وحيدة في هذه الغربة ؟

وكان جواب الاقرباء عمليا وهادئا :

— لن تضيع . يمكنها ان تصبغ وجنتيها ، ثم ترتدي تنورة قصيرة ، وستحصل على النقود من ممارسة البغاء .

في اليوم التالي .. ميرسون وزوجته حاولا ان يغادرا اسرائيل على الفور . ولكن « الدفتر الأزرق » المشؤم الذي حصل عليه من « السوخنوت » « الوكالة » سجلت فيه مجموعة الديون المطلوبة منه : — ثمن تذكرة الطائرة من فيينا الى اسرائيل ، وثمان الغداء في « مصحة السجن » ، لقد اعتادوا هنا في فيينا ان يسبوا هذه المصحة « قصر شيوتاو » . ولكي يبدأ الانسان أبسط الامور الحياتية للوجود ، حاول ميرسون ان يجد عملا . حزن عليه صاحب محل صغير ، ووافق على أن يعينه حارسا ليليا . بطبيعة الحال بمرتب ضئيل . وبكل سعادة وافق ميرسون .

ولكن اقرباءه لم يدعوه بسلام . فلقد أنذروا صاحب المحل قائلين : هل ترضى لنفسك ان توافق على أن يعمل عندك يهودي دنس نفسه بزواجه من كافرة ؟

وهكذا فان ايتسي لم يعمل .

لقد أنقذته « الكافرة » من الجوع في بلاد « المؤمنين » . لم تساورها مشاعر الاحتقار من اي عمل ، حتى لو كان هذا العمل هو أسوأ الاعمال .. واضناها .. وبالاجرة اليومية .

— وعندما قابلت ميرسون في فيينا سألته : كيف تعيش في هذه المدينة .. ؟ « لو لم تكن زوجتي — دمعت عيناه — لما كنت الان موجودا بين الأحياء » ..

— ومنذ بضعة أيام مضت .. وجدت نفسي في بيت حزين .. معروف في مالتسغاس . في هذا البيت تكدست مجموعة كبيرة من المهاجرين . وكان يحيطه الضجيج وبكاء الكبار والصغار . لحت في عيون الاطفال حزنا اكبر من عمرهم . وفي ركن ما من الغرفة .. وقفت امرأة ليست شابة .. وكانت صامئة . لقد كانت زوجة ميرسون .

سألتها : كيف تستطيعين في فيينا أن توغري لك ولزوجك الطعام . ببساطة أجابت : — لا يخيفني أي عمل يومي .. فأنا فلاحه .. وانتظر بصبر قرار السلطة السوفيتية . انني أمل أن يصفحوا عنا . ويبدوا لي .. أن ذنبي شديد الوطأة علي .. فلقد غادرت لاتفيا الغالية .. وبطلب خاص مني تخلت عن جنسية بلادي . هناك حيث تعلمت .. وحيث أصبحت انسانية . وتنفست الصعداء منهية كلامها : لا يمكنك أن تتصور كيف أهانونا وسخروا منا في اسرائيل !

والى جانب هذه المباحج العادية « لارض الميعاد » فان عائلة ميرسون مرت بتجارب قاسية عنيفة مع الصهيونيين المتعصبين نتيجة الزواج المختلط .

يمكن الحكم عن الدرجة القسوى لمثل هذه الصعوبات من خلال الكلمات التي استمع اليها ممثل الطائفة المحلية في مدينة ديمونه من القادمين الجدد : — يمكن علاج الزواج المختلط باجراء عمليات جراحية : عملية البتر الى نصفين .. ورمي النصف الكافر ! . ولهذا السبب ، على ما يبدو ، فان زميل ميرسون يوسف بودكامن في البداية لم يعلن ان له زوجة « لاتفية » في ريفا . غير ان اقرباءه الاذكفاء نصحوه بأن يلعب على هذا الوتر ، وبهذا ، كما يقال ، يمكنه ان يحقق منصبا :

« انشر رسالة في احدى الجرائد ، بأنك جئت الى اسرائيل وليس هذا فحسب .. وانما ايضا لكي تنفصل والى الابد عن زوجتك « الكافرة » . فهذا سيلفت اليك الانتباه . وبامكانك حتى الانضمام الى احد الاحزاب التي لها تأثير » .

لقد اسعد الحظ بودكامن حيث أنه وجد عملا في مجال تخصصه كيميائيكي لتصليح وضبط آلات النسيج . وهذا قلما يحصل . ففي مدينة المجدل ، ارسلوا مثلا الفتاة خايمين التي أنهت مدرسة السكك الحديدية الى مصنع للاسلاك . أما فيلداشروف فلقد ارسلوه للعمل في مزارع الحمضيات . لقد حاز مؤهل بودكامن العالي على رضا صاحب شركة النسيج .. وبهذا ارادوا منعه من مغادرة اسرائيل باصرار ، الى جانب تهديدات « السوخوتوفسكيين » وانذاراتهم الشريرة الموحية بأن كل من يعود للاتحاد السوفيتي من اسرائيل تنتظره عقوبة اقصاها عشر سنوات في السجن . وعلى هذا المنوال أخذوا التأثير على بودكامن : « انهم الآن وصايا على مصرك ، وخلال عدة سنوات ستشرف أنت بنفسك على مصائر الآخرين . فليك أياذ ذهبية . وفي نهاية الامر ستفتح لك في اسرائيل عملا خاصا » .

لم يهتم يوسف بهذه الوعود .. لقد كان هناك أمر هام يثيره : — كيف استطاع ان يستسلم لواعظ المستشارين « الاقرباء » بأن زوجته اللاتفية لا يمكن ان تكون له صديقة وفيه لانه يهودي .. وان بإمكانه ان يجد مثل هذه الزوجة الوفية فقط في اسرائيل . — لقد أوحى له الاقرباء :

— « عمليا عندنا فقط الزوجة جزء لا يتجزأ عن الزوج . وحتى لو أصبحت أرملة ، فانها لا تملك الحق في ان تتزوج بدون موافقة شقيق الزوج أو اقربائه ! » . وصارت الخاطبات تتزاحمن حول بودكامن . دعوته الى اجتماع للصهيونيين مؤكدين له انه يوجد بينهم كثيرات من النساء الوحيدات . وأرسل مكتب الزواج المعروف باسم « غولدا » والذي تعلن عنه الصحافة الاسرائيلية بشكل واسع الى يوسف أحد عملائه المتطفلين . وفر بودكامن من اسرائيل .. فر وهو في ذهول كامل تاركا وراءه السادة الاقرباء المتعصبين .

والآن ، فان بودكامن يكرس أوقات فراغه في مراسلة زوجته . فهي تعمل في أحد مصانع ريفا التي تشكل أهم الانجازات الصناعية لريفا . وفي غرفة قذرة في مالتسغاس .. استأجر بودكامن احدى زواياها .. وراح يقرأ الرسائل التي تصله من زوجته .. من ريفا .. ويعيد قراءتها من جديد .. وما يكاد ينتهي من إعادة قراءتها ، حتى يبدأ في نفس اللحظة بالاجابة عليها .. بكتابة رسائل مطولة . ويظل بلا نهاية يوجه النصائح الى زوجته عن كيفية اسراع عودته الى الاتحاد السوفيتي .

« هل تعلم : قال لي يوسف بودكامن وهو يلتقط أنفاسه — أحيانا .. بجوار المنزل عند مالتسغاس يقبض علي السوخنوتوفسكيون وعملاء المنظمة الصهيونية في فيينا ، ويحاولون اقتاعي ، بأنه حتى لو عدت الى الاتحاد السوفييتي ، فلا مجال .. فانني سأحاكم . انهم لا يعلمون بأنني قد حكمت على نفسي .. وبنفسى .. أقتسى .. وأبشع حكم .. »

[٧]

ماما .. من هذه الحالات ؟

في ذلك المساء الربيعي ، خرج ايغور اسراييليفيتش زلوتسكي .. وهو مهندس في الأربعين من عمره ، عمل سابقا في الغيبرو السينمائي المسكوفي .. الى شوارع تل أبيب وهو في حالة نفسية ليست على ما يرام . منذ لحظة أخبروه بأن عليه أن يتوجه في الصباح الباكر الى مدينة نتانيا لدراسة كورس اللغة العبرية ولدة ستة شهور في مدرسه « الألبان » المحلية .. الخاصة بتدريس العبرية للقادمين من الاتحاد السوفييتي — أنك محظوظ — ، بخفة قال موظف المكتب لزلوتسكي ، فلقد كان عليك أن تنتظر أكثر من أسبوع للذهاب الى « الألبان » . في الحقيقة .. يجب علي أن أحذرك — بثقة استمر الموظف مواصلا كلامه — بأن مدير مدرسة « الألبان » في نتانيا اتصل بنا تليفونيا أكثر من مرة لكي نحاول الاقتال من ارسال القادمين من الاتحاد السوفييتي وذلك :

أولا : انهم بنفسياتهم السوداء يثرون الاعصاب .

ثانيا : ان السيد المدير .. ببساطة .. لا يحترم اليهود السوفييت . وأنت .. مصيبتك أدهى .. فأنت من مدينة موسكو نفسها . فحاول أن تخلق لديه انطبعا جيدا .

— ولكن طابع الحياة الاسرائيلي .. في تلك اللحظة ، كان قد خلق عند زلوتسكي انطبعا كريها ، بحيث أنه لم يفكر الآن على الاطلاق بمدير مدرسة الألبان في نتانيا .

استسلم زلوتسكي لافكاره القائمة ، وأخذ يتمشى على كورنيش « اليركون » ، حتى أنه لم يشعر بالطر الذي أخذ يتساقط .. ويطارد المارة . وفجأة قطع الطريق على زلوتسكي شخص ما . رفع ايغور اسراييليفيتش عينيه .. قرأى أمامه امرأة ليست شابة ، وقد غطت وجهها بالمساحيق ، وكان فستانها مفتوحا بشكل فاضح . حاولت استشارته بابتسامتها : « تعال معي — سمع زلوتسكي صوتها الحزين — .. سأخفف عنك ، — قالت له بالايديش — : فمومسات تل أبيب ، وهن لا يعتبرن من الوجوه الرسمية — يشعرن أنه ليس من الضروري دعوة « الزبون » بالعبرية » .

وما كاد زلوتسكي يستفيق ، حتى سمع صوتا آخر منافسا ولكنه أكثر شباهيا :

— هذا الشاب الجميل ليس في حاجة لمثل هذه العجوز الشمطاء ! سيذهب معي ، وتأبظت بالفعل ذراع زلوتسكي ! في تلك اللحظة أسرع امرأتان أخريان نحوه ! . ولكن زلوتسكي سحب يده بحدة ، وأخذ يعدو بعيدا .. تلاحقه كلمات بذئبة يستحيل نشرها عند ترجمتها حرفيا الى الروسية . فقط .. فان تلك المومس الشابة التي حاولت اللحاق بالزبون الذي أفلتت من بين يديها صرخت :

— « يبدو أنك الآن مشغول . تعال الى هنا مساء الجمعة .. سأكون بانتظارك ! » . لقد أوضحوا فيما بعد لزلوتسكي أن مساء الجمعة هو ساعات « زحمة » وتكاد تكون غريدة في نوعها بالنسبة للمومسات على شاكلة تلك المومس التي حاولت اللحاق بزلوتسكي على الكورنيش . ففي هذه الساعات .. حتى منتصف ليل السبت .. كل

شيء يتجهد على الشوارع الاسرائيلية . فالخاضعون لقوانين الدين .. والمالكون .. يغلقون المطاعم ، والمخازن ، والمسارح . وتتوقف الأوتوبيسات عن السير . ممنوع العمل . لهذا فان المومسات يحاولن الى أقصى حد الاستفادة من هذه الساعات .

— الذي يحدث اذن .. ان القواعد الدينية تسري على كل شيء .. ما عدا « البغاء » . وهذا ما دعا أورمان أحد سكان مدينة طشقند السابقين لأن يستغرب . ففكروا ! — كيف يمكنني أن أوضح لابنتي البالغة من العمر ثمانية عشر عاما ؟! — هل أقول لها ان « البغاء » منتشر هنا عندكم ؟!

— غمز بخبث حلاق تل أبيبي ، وهو من المقيمين القدامى ، محاولا تهدئة الطشقندي الساذج قائلا :

— قل لابنتك .. انه حتى في الكتب المقدسة ورد الحديث عن العشيقات . صحيح .. ولكن أعطوهن « الأتمشة الغالية » والاحجار الكريمة الثمينة بدل الليرات . وما يتعلق بيوم السبت فان الكتب المقدسة منعت الاتصال بأية امرأة ما عدا الزوجة والجارية . وما يخص المومسات فلم يذكر شيء عنهن .

لقد اندهشت لبياشور من مدينة كيشينوف لاستسلام وخضوع الاسرائيليات لواقع البغاء الذي يزداد نموا وانتشارا .

— ليس بالإمكان عمل أي شيء . فالرجال هم الرجال ، هذا ما سمعته ليايا أكثر من مرة . ان المومس في نهاية المطاف ليست هي السعادة المرجوة . ولكن الاسوأ من هذا بكثير أن يكون للرجل عشيقة . فهذا سيكلف الزوجة والاطفال ثمنا غاليا .

— فما هو مصدر هذا الصبر الاستسلامي لدى كثرية الاسرائيليات لهذه الظاهرة التي تعتدي على بنيانهن العائلي ؟ يمكن الاجابة على هذا السؤال من خلال الاعترافات ذات الطابع الوثائقي لنائب الكنيست غروسمان . في هذه الاعترافات يبين أن وزارة الاديان — وهي أكثر الدوائر الحكومية الفعالة — تشرع قوانين دينية وحشية تخدم تعاليم التلمود فيما يتعلق باستقلال النساء عن الرجال . ويشير غروسمان الى انه يوجد عدد ليس بالقليل من النساء الارامل اللواتي سقط أزواجهن في حرب الايام الستة ، وهن على استعداد لان يخسرن كل ما لديهن ويدفعن فدية لأقرباء الميت في سبيل أن يحصلن على موافقة أهل الزوج بالزواج مرة ثانية . وتعرضت الوثيقة — السالفة الذكر — للوضع المتساوي للنساء اللواتي هجرهن أزواجهن ، ولا يمكن حق التفكير في تكوين عائلة جديدة ، وعن الحالة المزرية التي تعامل بها النساء، وبشكل خاص الارملة التي لا تملك أطفالا . فمن الناحية القانونية لا يحق لها أن تتزوج من شقيق الزوج الميت .

أما المرأة التي تتمتع بالتعليم العالي فبإمكانها أن تصبح مستقلة أكثر من غيرها . فمثلا هذا الاعلان المنشور في جريدة « هارتس » بتاريخ ١٧ أغسطس من العام الماضي يعطي جوابا مقنعا :

« ابنتي جميلة جدا .. عمرها سبعة وعشرون عاما .. مطلقة .. تعليمها عالي .. طولها ١٦٠ متر ، تملك شقة خاصة وسيارة . نفتش لها عن انسان جيد .. حائز على التعليم العالي ، ولا يتعدى من العمر الخمسة والثلاثين . نرجو الكتابة اليينا على العنوان التالي : رآعان ، صندوق بريد ١٢٨ » .

— ان الحديث عن التعليم العالي للباحثة عن الزواج يثير فقط السخرية المريعة . انه اعلان يستهدف منه التجارة المريحة . ومع ذلك فان وزارة الاديان تواصل التأكيد

على أن المعنويات الثابتة للمجتمع الاسرائيلي لا يهددها البغاء ، وانما الزواج المختلط ، والذي يعتبر من الامور العادية بالنسبة لعائلات المواطنين السوفييت السابقين .
وتدل الابحاث الاجتماعية على ان عدد المراهقات اللواتي يتصلن بالمومسات يزداد عاما بعد عام بشكل حاد .

لقد حدث فسي مدينة هرتسليه ان مجموعة من الشبان المحليين ساورتها الرغبة في أن تضحك وبصورة مزاح وبأدب على رجل مسن من مواطني تشرنوفيتش السابقين ، جاء الى مدينة هرتسليه لعمل ما . سأل الرجل المسن هذه المجموعة عن فندق متواضع يمكنه أن يبيت فيه ليلته وبأقل التكاليف . تعاطف معه الشبان . . واصلوا الضيف الغريب الى أرخص فندق في المدينة . شكرهم الرجل المسن . . ودخل الى ردهة الفندق . في نفس اللحظة التي وصل فيها أحاطت به مجموعة من النساء نصف العاريات .

نظر الرجل المسن مذعورا الى شخص هرم استند على الرواق . . ويبدو من هيئته اما أن يكون صاحب الفندق أو المسؤول فيه .
— سأل بدوره الرجل المسن : هل تريد غرفة لوقت قصير ؟ . . او لتمضية الليل كله ؟ . .

لقد أدرك الرجل المسن ، أن هؤلاء الشبان المازحين قادوه الى بيت للدعارة يتخفى تحت اسم فندق .

حدثني الكثيرون من المهاجرين عن مثل هذه الصور وما يشابهها . ولم يكن مبعث حديثهم السخرية . . ثمة من الذين هاجروا الى اسرائيل اصطحبوا معهم فتياتهم الشابات . يمكن والحالة هذه . . ان يتصور الانسان الحالة النفسية لآباء وأمهات الفتيات اللواتي حرمن من امكانية التعليم والعمل .

— لم أستطع أن أبقى ابنتي طوال اليوم حبيسة الجدران الاربعة القذرة — بحزن يتذكر أورمان — وكاد قلبي أن يتجدد عندما قالت لي أنها تريد الخروج للتنزه ! ليس من السهل أبدا تربية الاطفال في مثل هذه البيئة . فماذا كان بإمكان كلارا روزينتال أن تجيب على أسئلة ابنتها تانيا التي أخذت تنهال عليها :

— « ماما . . من هذه الخالات اللواتي يدخن ؟ — ولماذا يقفن على الشارع في الامسيات ؟ . . — ولماذا يحاولون الإمساك بيد كل رجل عابر ؟ . . — وهل بناتهن لا يخفن وهن لوحدهن في البيت ، عندما تكون أمهاتهن على الشارع ؟ . . »

وماذا كان بإمكان تلك الام التي جاءت من تشرنوفيتش أن تقول لطفلتها ذات الاثني عشر عاما ، عندما جرى أمام عينيها ذلك الحادث :

— كان القطار مسافرا من بئر السبع الى حيفا . . وكان ممتلئا بالمسافرين . وفي إحدى العربات كانت مجموعة من المجندات الاسرائيليات الشابات ، وقد ارتدين الملابس العسكرية . اثرن انتباه الطفلة . . فأخذت تنظر باعجاب الى أزرار ملابسهن ، والى الشارات على ستراتهن الرسمية . اما الكبار ومن ضمنهم زلمان خاييموفيتش شابتيغان فلقد أذهلتهم أشياء أخرى : لقد أخذت هذه الفتيات الاسرائيليات يمارسن بشكل مسافر مع الركاب الشبان . . أمام عيون الصغار . . أعمالا مبتذلة . وفيما بعد انفردن مع هؤلاء الشبان في إحدى الكابينات . وأخذ كل شاب وفتاة يتبادلان الدخول الى الكابينة والخروج منها بالدور ، مما دفع أحد الركاب وكان رجلا مسنا . . بعد أن فقد قدرته على التماسك أن يصرخ بغضب : « أية وقحات أفتن . . على الاقل كان يجب

ان تخجلن امام الصغار » . وهنا تدخلت امرأة شابة لم تتشأ أن تنقطع عن الكتاب الذي كان يشدها :

— ما العيب في هذا ! .. ان الفتيات المجندات يمكن ان يسمحن لانفسهن بذلك . فهن نادرا ما يحصلن على اجازة . والشئ الرئيسي ، انهن يحملن مهمن وسائل مائعة للحمل .. لا تستطيع شراءها في الصيدليات العادية . واذا أمكن الحصول عليها .. اوه ! .. فان سعرها يחדش .. ولا يسمح لنا بشرائها .

[٨]

احزان كبيرة للقلوب الصغيرة

عنوان المستلم : مدينة بئر السبع ، شيكون والد (رامبان) ، ٤٤٤ ، أومانسكايا مايا .
عنوان المرسل : تل أبيب ، مكتب سكرتارية رئيسة وزراء دولة اسرائيل .
بأصابع مرتعشة فتحت مايا الظرف المنتظر . وأخذت عيناها تسابقان السطور . ولكنها سرعان ما أرخت يديها بضعف .

— فما الذي اضطر الصرافة أومانسكايا التي غادرت كييف الغالية مع ابنتها .. اللجوء الى السيدة غولدا مثير شخصيا ؟

ان ابنة مايا عمرها أربع سنوات .. وهي ضعيفة .. أصابتها نزلة شديدة .. وبعدها وقعت مريضة في حالة خطيرة . نقلت مايا ابنتها الى المستشفى .. وهي تعلم ان القادمين الى اسرائيل يحصلون على حق الامتياز في العلاج خلال السنة ثهور الاولى من وصولهم .

رقدت الطفلة في المستشفى .. وبعد مرور ستة أيام استدعوا أمها :

— ابنتك عندها مرض مزمن .

خذيها للبيت .

صعقت الام .. الى أين ستأخذ طفلتها المريضة .. وهي لا تملك حتى شقة في المعنى البسيط لهذه الكلمة . الصئع .. والطقس يتغير كل يوم : والرياح .. والشتاء البارد .. والنزلة تهدد الطفلة بمضاعفات خطيرة .

رفضت أومانسكايا أن تأخذ ابنتها من المستشفى وهي لا تزال مريضة . عند ذلك استدعت ادارة المستشفى الشرطة . وعلى الفور طردوا الطفلة المريضة من مبنى المستشفى .

ان جميع الذين لجأت اليهم هذه الام التي تكاد تجن من الالم ، حركوا أيديهم فقط : لا يوجد علاج مجاني في المستشفى للأمراض المزمنة .. النظام هو النظام !
التجأت أومانسكايا هذه المرة الى الكنيسة — البرلمان الاسرائيلي — ووصلها الجواب .. وردد بالضبط نفس الكلام الذي سمعته المرأة في الدوائر المحلية .

الجيران نصحوا مايا :

— اكتبى الى غولدا مثير شخصيا ! فهي ليست رئيسة وزراء فقط .. انها أم . مستنجب لوضعك الذي لا مخرج منه .. وستساعدك .

فليكن ، ان الام « ساعدت » الامهات . لكن مكتب سكرتارية السيدة مثير أخبر

أومانسكايا ، أن السيدة رئيسة الوزراء للأسف لا تتدخل في صلاحيتها امكانيات وضع استثناءات خارجة عن اطار القواعد الموجودة .

وفي دهاليز وزارة الصحة ، حيث توجهت مايا أومانسكايا . . شاهدت رجلا مسنا . حزينا . . كانوا يجرونه وخيبة الأمل في عينيه من غرفة الى غرفة . - فما الذي جاء به الى هنا ؟ . . من بائع في المجر الى الوزارة .

لقد استوطن البائع مع عائلته في احدى المقاطعات القريبة من البحر الميت . ولم يمض وقت قصير ، حتى مرض له ولدان دفعة واحدة . شخص الاطباء المرض :

- الطقس المحلي يؤثر تأثيرا مميتا على الولدين . ويجب أن يقميا في منطقة خضراء .
- وأضاف أحد الاطباء بثقة : باخلاص أقول ، أن نظام الاوعية الدموية لقلبي الولدين لا يتلاءم مع طقس بلادنا .

كتب الاب طلبا وجهه الى مؤسسات الهجرة جاء فيه : اما أن تنتقلوني الى احدى المدن الخضراء ، واما أن تسمحوا لي بمغادرة اسرائيل . وضحكوا عليه بشكل يثير الحنق :

- كم أنت ذكي ! لقد قالها قبلك البارون روتشيلد ان الارض التي اختاروها لدولتنا طقسها رديء . وفضل البارون روتشيلد أن تقوم دولة اسرائيل على أراضي أوغندا . لكن الآن لا تكن ذكيا أكثر من اللازم : فما دمت قد هاجرت الى اسرائيل ، فالرجاء من فضلك أن تعيش هناك ، حيث توجد اسرائيل .

- ان ولدي يمكن أن يصبحا مقعدين - تضرع الاب - .
- عليك أن تحصنهما ضد المرض - نصحوه - ولا تربيهما بطريقة رتيقة .
وهكذا ، فان أب الولدين المريضين ، تماما مثل مايا أومانسكايا ، لم يجد أي تأييد في وزارة الصحة .

- يقول بارييس ليفت أن اكرثية الآباء والامهات الذين هاجروا الى اسرائيل مع ابنائهم يناقشون الامر هكذا : ان الابناء لا يعتادون على الطقس بسرعة . . ولكنهم سيعتادون عليه فيما بعد بسهولة . وسيكون عليهم التعود على الطقس . ولكن اتضح أن الامر أصعب من هذا التصور ، وعلى الأخص بالنسبة للأطفال الذين ولدوا في بلد اشترافي ، فانه يصعب عليهم التعود على الطقس المعنوي لاسرائيل .

ان يوري ماميستفالوف الذي ولد بتاريخ ١٢ ابريل ١٩٦١ ، من الطبيعي أن يفخر بأنه يحمل اسم أول رائد للفضاء . . أخضع الفضاء الكوني في يوم عيد ميلاده .

لقد أصابت الصبي خيبة أمل لانهم في المدرسة الاسرائيلية قالوا له بأن اسمه ليس اسما يهوديا ! واقترحوا عليه أن يختار له اسما جديدا يهوديا حقيقيا . يوري بالطبع رفض . عند ذلك قالت له المدرسة :

- في صفي اسمك سيكون يوركو وليس يوري . ذعر الصبي . . ولم يذهب للمدرسة لعدة أيام .

وهكذا تغير اسما ايغور وأوليغ التوأمين البالغين من العمر أحد عشر عاما الى ايغال وايلي . وبانفعال سأل الصغيران الكبار :

- هل اسمائنا مثرة للخجل ؟ . .

ان الاطفال الذين جاءوا من البلاد السوفييتية ينظرون بغرغ غير خفي الى اترابهم

الذين يدرسون في المدارس الدينية . فمظهرهم الخارجي يوحي بانطباع شرير . فالاولاد ملزمون ان يرتدوا سترات وطواقي . أما البنات غيرتدين — حتى في الحر — فساتين حتى الركبة . . وكلسات طويلة . بيد ان المدارس الداخلية التي أنشئت تابعة تماما للمدارس الدينية . لذلك فان بعض العائلات مضطر من الناحية المادية الصرفة ان تلحق ابناءها في مثل تلك المدارس . وهذا يثير لدى الاولاد الاحتجاج وخيبة الامل . فعندما علمت ريتاشور بانهم سيرسلونها للدراسة في مدرسة دينية اصابتها نوبة عصبية . وكلم سالت في الخريف الماضي من عيون الصغار الدموع المريرة . هؤلاء الصغار الذين جيء بهم من الاتحاد السوفييتي « الى ارض الاباء » ، ومع ان آباءهم قادرين ماديا ، فان السلطات الاسرائيلية أنشأت على الفور « مدرسة البن داخلية » خصيصا لهؤلاء الصغار . لقد ورد في الاعلان الرسمي بأن المدرسة أنشئت « لتعليم الاطفال من سن ٦ حتى ١٤ سنة اللغة العبرية والديانة اليهودية » .

لقد وعدوا الآباء الذين سلموا أطفالهم للعبودية الدينية ببعض المنافع المادية . واستجابوا لهذه الاعلانات المغرية .

ان مثل هذه الحقائق يشير الى ان السلطات الدينية في اسرائيل تسعى باصرار مع مواطنيها الجدد ، ومنذ السنين الاولى للطفولة لعزلهم عن الانسانية كلها ، وعن الحياة الموضوعية . وتتألق على الذاكرة الكلمات المعبرة للكاتب الديموقراطي اسحق ليببوش برتس : « لا نريد ان تلقى من الايدي رايات الانسانية جمعاء . . ولا نريد ان نزرع لا النبات الشوفيني المتوحش ، ولا اكاليل الشوك المتعصب للفلسفة الطفيلية » . ويمكن الحكم على هذا النبات الشوفيني الذي يترعرع في اسرائيل من خلال الاهانات المذلة التي تتعرض لها الامهات « الكافرات » ، وذلك لكي تعتبرن ان اولادهن ولدن من يهودية . وانهم يتمتعون بنفس الحقوق التي يتمتع بها المواطن الاسرائيلي .

لقد قابلت لوبوف غوردينا التي كانت سابقا تقيم في ريفا امرأة شابة هي الاخرى تقيم في اسرائيل اضطرتها الظروف ان تستحم في حمام طقوسي امام عيون بعض ممثلي « الرافينات » . وبعد هذا الرسوم المهين والذي بدونه يستحيل اعتناقها للديانة اليهودية . . شابت المرأة .

ان الشبان السوفييت من لاتفيا ، واوكرانيا ، وجورجيا لا يستطيعون على الاطلاق ان يستسلموا لغياب اللغة الروسية من البرنامج المدرسي . وبأسف حزين . . تتبعه الدموع . . يتذكرون الكتب الروسية الغالية التي تركوها في الوطن . فهذا صبي من طشقند جاء الى ننانيا وحمل معه « يوميات صياد » لايفان نورغينيف . وبدأت زيارة الشبان الصغار المقدسة اليه ، أولئك الذين حرمهم آباؤهم — مثله — من الوطن . رجوه ان يعطيهم الكتاب ولو لليلة واحدة . . ولو لعدة ساعات . وعرضوا عليه ان يدفعوا له رهنا للكتاب .

ولكي يخفف اسحق فانشنكر من لوعة ابنته ليزا البالغة من العمر ثلاثة عشر عاما ، للغة الروسية اشترى لها نسخة من جريدة « تريبونا » التي تصدر باللغة الروسية . تهتم ليزا بالرياضة . . وبدأت على الفور قراءة العرض الانتقادي لكرة القدم . وخلال عدة دقائق أعادت الجريدة الى والدها وهي منفعلة : لو انني في الفصل الخامس كتبت مثل هذا الكلام املاء لاخذت خازوقا ثمينا ! هذه ليست جريدة روسية انها جريدة الاخطاء اللغوية .

ان الطلبة الاسرائيليين لا يتقنون في حكايات القادمين الجدد من الشبان عن المدرسة السوفييتية . وعن معسكرات الاشبال ، وعن المتع ، وعن تمضية الفراغ . لقد أخذت

ليزا غانسكر تحدث زميلاتها في الفصل : « كنا كل شهر نذهب مع كافة تلاميذ فصلنا الى المسرح لنشاهد احدى المسرحيات في الحفلة الصباحية . وكم اود أن أعرف ما هي المسرحيات التي يعرضها مسرحنا « ت. يو. ز » ، وهو المسرح الذي كنا نتردد عليه باستمرار ! » .

يعتقد الطلبة أن ليزا تشوه الكلام ، وأنه لا يوجد أي مسرح خاص بالاطفال ولا في أي مكان . ولقد حدثوا مرشد الصف عن كذب ليزا . وعندما جاء المرشد الى الصف « طمان » تلاميذه ببشاشة :

— ليزا لا تكذب . انها ببساطة خيالية كبيرة .. تخيل .. تتخيل ، ثم بعد ذلك تبدأ تعتقد بتخيلاتها . لا بأس .. سينزاح عنها هذا الوهم . وناقشت ليزا .. وبرهنت .. ثم احتدت .. ولكن الصف كله أخذ يضحك عليها .

ان الصغار الذين جاءوا الى اسرائيل من البلدان الاثترابية لم يستطيعوا أن يتقبلوا الآراء الجديدة لمثل تلك الكلمات : « اضراب » ، « المالك » ، « بورصة العمل » ، وتثيرهم اللامبالاة التي تنتهجها المدرسة تجاه الحقائق . وهي من وجهة نظرهم حقائق تزلزل .

لقد حدث في مدينة حولون أن ضرب أحد الشيوعيين المحليين بوشاية من صاحب المصنع ، عندما دعا العمال الى الاضراب . علم بالأمر اثنان من الشبان الذين جاءوا الى اسرائيل من الاتحاد السوفييتي . واقترحا على زملائهم كتابة رسالة باسم الصف كله وارسالها الى الجريدة . وعندما رفض اقتراحهما .. عانيا كثيرا . والذي ألمهما اكثر أن أبناء العمال خشوا تأييد اقتراحهما .

وهكذا يتشوه تصور الشبان عن الواجبات الاخلاقية ، ويتسمم وعيهم ، وتفسد روحهم . وبلا انقطاع يصغي الشبان الى حديث الكبار عن الحرب — ان هذا القتل يؤثر عليهم . — الحرب ! ساعة العقاب ! الانتقام !

هذه النداءات الشريرة يذيعها راديو اسرائيل . وهي تنعكس على صحة ومعنويات الصغار .

وبالنسبة لشبابنا الذين ولدوا على الارض السوفييتية ، فان كلمة « السلام » تكاد تكون أول كلمة يسمعونها . ان كلارا روزينثال تشارك برأيها ، — « في المدرسة حدثهم عن السلام .. وعن النضال في سبيل السلام قرأوا في مجلات الأطفال .. وسمعوا من الراديو والتليفزيون . وفجأة كل شيء متناقض تماما : الحرب ، الحرب ، الحرب ! وصار يلاحظ أن الأطفال يضطربون عصبيا . انهم يتذكرون حكايات الآباء عن المذابح الهنترية .. صفارات الانذار .. الغارات . لقد قال طفل لأمه وهو من مدينة كيشينوف مذكرا اياها ان تستعلم بسرعة أين يوجد اقرب ملجأ في باردسكاتسيه . وللعلم لقد توصل الاطباء الى أن الكثيرين من المهاجرين الكبار يمرضون بحالات عصبية . ولكني أوكد — ويمكن القول ان الذي يتحدث في داخلي ليس الطبيب فقط ، وانما الام أيضا — أن هذا يمس الأطفال بصورة خاصة » .

ان الطبيب النفساني يوسف غريغوريفنتش بورشتين الذي لم يعلم بحديثي مع كلارا روزينثال يؤكد تماما ، ويطور استنتاجاتها : — ان الكثير من الرجال المضطهدين لم يتوقعوا هذا الواقع الاسرائيلي الصعب ، لهذا فانهم يقعون فريسة الكتابة .. وهذه الكتابة قادتهم اكثر من مرة للانتحار . لقد أدت الى انتحار سميون لاديجنسكي — من مدينة موسكو — ، وكابلان — وهي ايضا من مدينة موسكو — ، ومجموعة نساء من

جورجيا . الاطفال كذلك صاروا يتأثرون بصورة او باخرى من اولئك الذين يسببون لهم الاسى : — ارتفاع الاثارة ، مرض عدم الثقة ، خوف بلاوعي امام الوسط المحيط . وهذه هي الطفلة الصغيرة داليكو شاميلاشفيلي تتحدث مدعمة تماما استنتاجات الطبيب :

— أتدرون .. ان الاطفال في اسرائيل ، لا ادري لماذا .. يخافون كثيرا من الضباط فهم يسرون بخيلاء .. وملامح الغضب على وجوههم .. ولا ينظرون لاحد . في البداية أخذت اضحك على صديقاتي الجديديات قائلسة : — عندنا لا احد يخاف حتى من الجنرالات انفسهم ! فيما بعد حاولت ان لا اتع تحت نظرات الضباط ... وسبق لي ان سمعت من المهاجرين الكبار ، ان الضباط يتمخثرون في الشوارع بكل غطرسة وعجرفة وكأنهم بذلك يريدون الاشارة الى طائفتهم العظيمة . لقد عبرت داليكو عن ذلك بطريقة الخاصة :

— « الضباط يسرون ، كما لو ان الحرب ناشبة » .

تذكرت .. كلمات الطفلة المؤثرة التي انتحرت امها في المهجر الاسرائيلي ، عندما كنت اصغي الى الخطاب الذي يهز المشاعر للسكرتير الغمام لمجلس السلم العالمي روميث تشاندرا في ختام المؤتمر العالمي للقوى المحبة للسلام في موسكو :

— لقد عرض تشاندرا — الشخصية البارزة في الحركة العالمية من اجل السلام — امام القاعة عدة الاف من البطاقات المرسله الى المؤتمر . ومنشورات موقعة بحروف مرسومة . ببساطة .. وبشكل معبر .. قال روميث تشاندرا .. ان الاطفال في الكثير من بلدان العالم يشعرون بشكل عفوي بخطر الحرب المروعة .. وبصورة مؤلمة تؤثر عليهم .

ومثل هذا الشعور يعتبر صفة مميزة للاطفال في اسرائيل . انهم يشعرون بغيوم الحرب السوداء وقد انعقدت فوق هذه البلاد . انهم يضيعون حياة الشباب السعيدة . ولا يعرفون الطفولة الحقيقية .

وحتى على اصغر الصغار ، تنصب المستحدثات المبررة لنمط الحياة الاسرائيلية — فماذا تستطيع الام ان تجيب على سؤال ابنتها الضئيلة :

— (ماما) .. لماذا لا تأخذيني الى روضة الاطفال ؟ ان الام لا تستطيع ان توضح لابنتها ان مبالغ اقامة الطفل في روضة الاطفال في اسرائيل لا يقدر عليه في اسرائيل غير الاءاء الميسورين .

— وسؤال « لماذا ؟! » يردده عشرات الاطفال .

— لماذا لم تشتروا لي هنا حتى الان ولا اية لعبة .. ؟ ولا اي كتاب .. ؟

— لماذا لم اذهب هنا .. ولا مرة .. الى عيادة الاطفال .. ؟ هل تذكرين .. ؟ قالت لي الطيبه .. اذا لم اذهب اليها وحنجرتي سليمة .. فان حنجرتي ستمرض ..

— لماذا بعنا التلفزيون الذي كان في بيتنا .. ولم نشتر هنا بعد تليفزيونا جديدا .. ؟ — يجب ان اشاهد برنامج « تصبحون على خير ايها الاطفال » .

— ماذا سيغال لهؤلاء الاطفال الذين كانوا ينتمون منذ زمن ليس ببعيد — والحق يقال — الى « طبقة » مميزة هي الوحيدة من نوعها في الاتحاد السوفيتي .

— وهم الان بلا انقطاع .. يشعرون .. في المهجر الاسرائيلي بالاهانات اثر الاهانات .. ولكن الاحزان الكبيرة تشحذ قلوبهم الصغيرة المرهفة .

مصر دينا بريسلاف

رجل وامرأة .. مسنان .. نحيلان .. يقومان بأخر محاولة لهما لتأخير السيارة . ولكن السائق يدير موتور السيارة .. وينطلق بها على شوارع فيينا المزدحمة بالسيارات متجها نحو المطار .

ينظر الرجل والمرأة طويلا نحو السيارة المختفية .. بلهفة ينظران .. فلقد أخذوا منها ابنتهما الوحيدة . ومنذ حوالي اربعة شهور فر ايلي ابراموفيتش مع زوجته وابنته من اسرائيل التي بسببها تركوا وطنهم ريغا . في عاصمة لاتفيا السوفيتية عمل بريسلاف مديرا لأكبر مخزن للادوات المنزلية . لقد قال هذا بفخر للموظفين الاسرائيليين العاملين في قسم الهجرة في مطار « اللد » . وسمع الجواب : — ابحت لك عن مهنة جديدة . فليس لدينا هنا ما يمكن ان تديره . ولم يطل بحث بريسلاف عن مهنته الجديدة . فخلال ثلاثة اسابيع اصبحت بريسلاف « حمالا » . كذلك دينا .. الفتاة الضعيفة .. الواهية الصحة .. ذقت من روعة هذا التخصص . في الحقيقة لقد حلت دينا بالدراسة .. ولكن حلها كان صعب المنال . فمجانية التعليم في اسرائيل تنطبق على الاطفال الذين لم تبلغ أعمارهم الرابعة عشرة .

قالت دينا لوالدها بفجعة : — « هل تذكر .. ؟ لقد حذرتك من هذا الوضع .. عندما كنا في ويغا !

وأجبتني آنذاك بغضب : يجب علي الا اكون غبية .. والا اتق بدعايات الصحف . لقد قررت دينا بعد ان اعترها اليأس .. ان تلتحق على الاقل في مدرسة « الايلان » لدراسة اللغة « العبرية » .. حيث يبدأ القادمون الجدد عادة بدراستها لفترة زمنية مختصرة .

ولكنها .. في هذا ايضا .. لم توفق . فلقد صدر امر من المسؤولين في تل ابيب ان يقبل « المهاجرين » فقط الذين حصلوا على دراسات عليا ، وفي حالات خاصة ، الذين انهوا دراسات متوسطة .. للالتحاق في دورات دراسة العبرية .

ان عائلة بريسلاف التسعة لم تثر اهتمام أحد ، حتى اقرباءهم نسوهم محذرين : — « ثمة أمر ، فلا احد هنا يقوم بزيارة الاخر .. فهذا غير وارد .. ايضا عليكم ان تتذكروا ، ان كل عائلة عليها ان تعتمد على نفسها . حتى لو ان ثلاثكم مرضتم في آن واحد .. فلن يشفق عليكم أحد . فحاولوا ان تقتصدوا لليوم الاسود . ولكن « الايام السوداء » قد داهمت عائلة بريسلاف مباشرة بعد وصولها الى اسرائيل . بيد ان « اشد الايام سوادا » قد طرا على حياة هذه العائلة .. عندما لاحظ ايلي ابراموفيتش ان الصهيونيين المحليين قد اهتموا بشدة بابنته .

وفجأة اقترحوا على دينا ان تترك « العمل الاسود » وتهبىء نفسها لمهنة جديدة ذات دخل . وأخذوا باصرار بوجهون الدعوة للفتاة لحضور الاجتماعات والمهرجانات . — سأل بريسلاف أحد معارف ابنته الجدد : هل يمكنني الحضور مع دينا الى الاجتماع ؟

— من الصعب اعادة تربيتك — برفق واضح اجاب صهيوني شاب . — الا تلاحظ بنفسك تلك النظرات الممتلئة بالعداء لنا .. ؟ أما ابنتك فسنحولها الى اسرائيلية حقيقية .

ومن يوم لآخر أخذت تدور وسائل تحويل دينا الى اسرائيلية حقيقية . لقد شعرت الام والاب بقلق بالغ .. كيف ان ابنتهما أخذت بوضوح تنعزل عنهما ، وصارت جافة .. وتسخر غير مبالية من شكواهما عن صعوبة وعدم اعتيادهما على مثل تلك الحياة . وهذا ما دعا ايلي ابراموفيتش الى اتخاذ قراره الحاسم بمغادرة اسرائيل على الفور .

لقد نظرت السلطات الاسرائيلية بعين العطف الى هذا القرار ، مما ادهش بريسلاف .

— لا بأس .. فاذا وجدنا ختما في دفتره الازرق يشير الى انه قد سد كافة ديونه .. فيمكنه ان يغادر مع زوجته من جميع الجهات الاربعة .

— مع الزوجة .. ؟

— والبنت .. ؟

— ابنتي الوحيدة .. !

— لديها طريق اخر .. وستبقى في اسرائيل .

في البداية ستؤدي فترة الخدمة العسكرية ، وبعد ذلك ستتزوج .. وتلد الاطفال .. وسيكون احفادك اسرائيليين حقيقيين .

— هل تفهم ماذا يعني هذا بالنسبة لهم ؟ لقد علم بريسلاف انهم يطلقون على الاسرائيليين ذوي « النوع الاول » والذين ولدوا على ارض فلسطين « سابريم » . ويمكن ذات يوم ان يصبح حفيدك سائقا لادارة احدى المنشآت الاحتكارية .. ولربما ستتزوج حفيدتك من مدير . فتصوّر اية فروع يمكن ان تعطى شجرة عائلتك !

ادرك بريسلاف في تلك اللحظة ، كم كان صادقا جاره البولندي اليهودي الذي كان بلا توقف يصب اللعنات على اقربائه الذين دعوه الى اسرائيل . لقد حذر بريسلاف بمرارة :

— انهم ليسوا في حاجة لنا .. انهم يريدون اطفالنا .

وغالبا .. يريدون ليس اطفالنا .. وانما احفادنا .

ومع ذلك تمكن بريسلاف ان يغادر مع زوجته وابنته اسرائيل . وبعد ان تجولوا في العديد من البلدان والمدن وصلوا الى فيينا . وهناك توجهوا الى القنصلية السوفيتية يرجون منحهم تأشيرة عودة للوطن .

نوليا ايتسكسون .. من مدينة ريغا سابقا .. يبلغ من العمر عشرين عاما .. اعتبر نفسه عازفا محترفا على الغيتار . وصل الى اسرائيل قبل بريسلاف بفترة قصيرة . ومنذ اليوم الاول لوصوله .. لم ينفر من أية وسائل ، حتى لا يتعرض لعدم الثقة والحذر من قبل السلطات .. التي يتعرض لها عادة القادمون من الاتحاد السوفيتي . وبسرعة حفظ الاغاني التي ترضي الصهيونيين ، على غرار تلك الاغنية التي تعجب فولدا مثير نفسها :

« كل العالم ضدنا ،

ولكن كل من يقف ضدنا ،

فليحترق في الجحيم »

واخذ يستشهد بنداءات موشي ديان البغيضة والمعادية للعرب . ولفق الخرافات

عن حياة اليهود السوفييت مرضيا بذلك اسماع ليس فقط « دعاة الوكالة » ولكن ايضا « المخبرين » أنفسهم .

لقد لعب تسيكسون امامهم دور القواد والمخبر ، فقدم لهم خدماته بأن عرفهم على « المهاجرين » القادمين من جمهوريات ما وراء البلطيق السوفييتية . ولكن مثل هذا الحرص .. في الحقيقة ، لم ينعكس على الرفاهية المادية للموسيقى الماكر . وحسب تعبير أم دينا بريسلاف ، فان نوليا خلق على الدوام انطباع « القدر المتلون » . فهو الذي عرف دينا بالصهيونيين المحليين النشيطين . ثم اختفى فيما بعد كالذليل في الظل .

وفجأة .. وذات يوم من أيام سبتمبر .. وكان الطقس خريفيا .. بحيث لم تشهد مثله فنيانا . ظهر نوليا تسيكسون في سكن بريسلاف المتواضع . وبدأ وكأن رسله اما قد زينوه في سبيل جولة في فيينا ، واما انه اسنظم اخيرا ثلاثين جنيها من الفضة التي انتظرها طويلا ، وذلك نتيجة خدمة اسياده الصهيونيين . ولكن أسرة بريسلاف لم تعرف على الفور ان الذي جاء الى زيارتها هو الغندور « القدر المتلون » نوليا .

— لقد جئت خصيصا من أجل دينا — باغت فجأة والدي البنت — .

— هل انت خطيبها ..؟

تسيكسون لم ير من الضروري الاجابة على مثل هذا السؤال التافه . اخذ بيرهن باسهاب لوالدي دينا ، انها ملزمة ان ترجع الى « أرض الاجداد » . والمج بمعنى خفي : — حتى لو انهم سمحوا لكم بالعودة الى الاتحاد السوفييتي ، فستكون بانتظار دينا هناك امور خاصة مزعجة . لم يؤثر هذا البرهان الاستفزازي على بريسلاف . عند ذلك أخذ تسيكسون يتشدد عن حبه الحميم لدينا .

— ولكنكم في اسرائيل .. لم تسعوا لرؤيتها في الايام الاخيرة .

— لقد اختبرت مشاعري — اجاب بحماس مبتذل — هذا الساعي الصهيوني .

— سألت الام دينا :

— هل تحببته ..؟

ابتعدت البنت عن الاجابة المباشرة ، وارخت عينيها .. وبحزن اكدت :

— انه محق .. اني مضطرة للعودة الى اسرائيل .. مضطرة !

— وانتحبت .

وخلال ساعة ونصف ، بعد ان أخذ تسيكسون دينا الى المطار ، وابتسامة المنتصر على شفثيه .. قال لي والدها :

— لقد فقدنا الوطن .. انا وزوجتي .. بذنبنا الخاص . ولكن يداعبنا الامل باننسا سوف نراه من جديد . ومنذ لحظات فقدنا الابنة . فما هو تصورك ..؟ هل يوجد أمل باننا ذات يوم سنراها ..؟

ماذا كان بإمكانني ان اجيب الاب . فلقد جر عميل صهيوني البنت معه . وللمرة الثانية يأخذها الى معسكر المتعصبين ، والاعداء الشريرين لارضنا التي فتحت عينيها عليها .. حيث شاهدت لأول مرة سماء السلام فوق رأسها .

الصراع الإلكتروني بين الطائرة والدفاع الأرضي في الشرق الأوسط

كمال السعدي

١ - خلفية الصراع

كثير استخدام عبارات « الحرب الإلكترونية » و « ميدان الحرب الإلكترونية » و « وسائل الحرب الإلكترونية » في الآونة الأخيرة . وهذه العبارات جميعا ، كما يجري استخدامها ، هي عبارة عن مترادفات تفيد معنى واحدا مفاده استخدام العلوم التطبيقية الحديثة ، خصوصا تلك التي تحققت في ميدان الإلكترونيات على الصعيد العسكري ، في خدمة التكتيكات العسكرية الهجومية والدفاعية . وهي تعني في الاصطلاح العسكري استخدام المعدات التالية : (١) معدات رصد (Surveillance and detection equipment) لتحديد أماكن وجود معدات العدو الحربية ، كالتائرات في الجو ، والرادارات على الأرض . وتستخدم هذه المعدات تقنية الرادار ، والبصريات ، والمغناطيسية ، والأشعة تحت الحمراء ، والليزر ، والأقمار الصناعية الاستطلاعية ، (٢) ومعدات للسيطرة والضببط Command and Control equipment تقوم بتقدير الخطر وتحليله ، كمعرفة عدد الطائرات في الجو ، وتحليل خط سيرها وسرعتها وارتفاعها ، وتحديد الأسلحة المناسبة لضرب منطقة الخطر ، كإطلاق الصواريخ المضادة للطائرات ، أو تحليل مسار القذيفة المضادة لشبكات الرادار الأرضية . وتستخدم هذه المعدات تقنية العقول الإلكترونية ، (٣) وأجهزة ملاحية Navigational equipment تضمن دقة توجيه الأسلحة إلى أهدافها . وتستخدم هذه الأجهزة تقنية الجيروسكوب أو بعبارة أخرى تقنية القصور الذاتي ، والرادار ، والأشعة تحت الحمراء ، والليزر ، والبصريات ، (٤) وأخيرا شبكة من الاتصالات الإلكترونية تربط بين جميع المعدات سابقة الذكر وبين الأسلحة التابعة لها وبين قيادة العمليات الحربية .

وليس استخدام الإلكترونيات على هذا النحو أمرا جديدا ، فلقد بدأ مع اختراع الرادار واستخدامه ، وصناعة العقول الإلكترونية ، وتطور علوم الفضاء وارتداد الكواكب ، وصناعة الصواريخ العابرة للقارات ، وبناء الغواصات النووية الحديثة . ولكن يمكن القول أن مثل هذه المعدات حديثة نسبيا على الترسانة العسكرية ، ولقد طورت خصيصا لتلائم متطلبات الحرب الآلية الحديثة المعقدة . كما أن تطبيق مبدأ نيكسون القاضي بكنة الحرب في فيتنام جعلها تتبوأ مكانا بارزا في ترسانة السلاح الأمريكية ، وكان دافع نيكسون لاتخاذ قراره هو التغلب على المشكلة الدائمة التي عانتها القوات الأمريكية ، الجوية بشكل خاص ، في اكتشاف أماكن وجود الثوار وتصفيتهم ، وبالتالي فقد زودت الولايات المتحدة طائراتها العاملة في فيتنام بمختلف الأجهزة سابقة الذكر . واستطاعت الطائرات المزودة بالأجهزة الإلكترونية الجديدة أن تحقق نجاحا في أداء مهامها في بادئ الأمر ، وكان هذا فاتحة عهد جديد لبدء صراع

حامي الوطيس بين الطائرة التي تعززت هيمنتها فوق مسارح العمليات وبين وسائل اعتراضها ومقاومتها . وقد حتم نشوء هذا الصراع الجديد — بالإضافة الى الاجهزة المذكورة — التطور العظيم في صناعة الطائرات الذي بدأ في اوائل الستينات وكان من نتيجته : تطور سرعة الطائرة وتجاوزها لضعفي سرعة الصوت او أكثر ، وتطور قدرتها على المناورة والبقاء في الجو مدة أطول في مختلف أنواع الظروف الجوية وعلى مختلف الارتفاعات التي تتراوح بين بضعة أمتار وما يزيد عن ١٨ كيلومترا فوق سطح البحر ، سواء كان ذلك في الليل أو في النهار ، وتطور الاجهزة والخدمات الارضية التي تساندها ، وتطور فعالية ودقة أسلحتها المتعددة الاشكال والانواع . كل ذلك عزز الاهمية التكتيكية والاستراتيجية للطائرة ومكنها من احتلال مركز متميز بين مختلف الاسلحة ، اذ أصبحت السيادة الجوية تتحكم بصورة واسعة بالقدرة على الحركة البرية والبحرية ، ومثالنا على ذلك حرب حزيران ١٩٦٧ التي حسمت نتيجتها في الساعات الثلاث الاولى من نشوبها بعد تدمير سلاح الجو المصري على الارض وسيطرة سلاح الجو الاسرائيلي على اجواء مسارح العمليات في غياب القدرة على اعتراضه . والاهم من ذلك ان تطور الطائرة جعل من أسلوب اعتراضها التقليدي، عن طريق تركيز سدود النيران الكثيفة في طريقها ، أسلوبا متخلفا محدود الفعالية : فوسائط النار التقليدية وصلت الى شكلها العام النهائي ، وقد تطرا عليها تجديدات وتحسينات ، كتحسين مداها ، ودقة رميها ، وكثافة نيرانها ، ولكن هذه التجديدات والتحسينات سوف تبقى محدودة بالنسبة الى امكانات الطائرة الحديثة ، كما أنها سوف تثير معضلات أساسية كمسألة التموين بالذخيرة ، وتقبيد الرمايات العمياء في الميدان ، وغيرها . وبالتالي فان السلاح الذي يقوم باعتراض الطائرة في الجو ينبغي ان يكون سلاحا قابلا للتطور السريع شأنه في ذلك شأن الطائرة نفسها .

ويرتبط التطور الذي اصاب الطائرة — كأى تطور تقني آخر — بثلاثة عوامل هي : المعارف العلمية الأساسية ، والاكتشافات الجديدة ، والتطورات التقنية الحديثة . ونظرا لوجود هذه العوامل ، وللتطور الكبير الذي تحقق على صعيد صناعة الصواريخ الفضائية والعسكرية المختلفة ، فانه لم يعد هناك بد من اختيار الصاروخ ليحل محل الاسلحة التقليدية في اعتراض الطائرة في الجو : ويستطيع الصاروخ الانطلاق بسرعات تفوق سرعة الطائرة ، والوصول الى ارتفاعات تفوق الارتفاعات التي يمكنها وصولها ، ويستطيع المناورة في الجو او الفضاء وحمل رأس حربي واعتراض الهدف وتدميره ، كما ان تكاليف استخدامه اقتصادية اذا قورنت بفعاليتها العسكرية وباعتبار تكاليف الطائرة والاجهزة والخدمات الملحقة بها . وبالتالي فقد أخذت الصواريخ المضادة للطائرات تحل محل الاسلحة النارية التقليدية في أنظمة الدفاع المضاد للطائرات . ويتضمن نظام الدفاع المضاد الذي نحن بصددده — كأى نظام دفاعي آخر — القيام بعمليات تحديد ومراقبة الهدف ومتابعته ، واعداد الصاروخ واطلاقه وتوجيهه نحو الهدف واخيرا التوجيه النهائي للصاروخ لاعتراض الهدف وتدميره .

وباستخدام وسائل الحرب الالكترونية المذكورة اعلاه ، فان هذا النظام يتطلب استخدام معدات الرصد ، ومعدات السيطرة والضبط ، واجهزة الملاحه ، وشبكة الاتصالات الالكترونية التي تربط بينها . أي بعبارة أخرى استخدام الاجهزة والمعدات نفسها التي مكنت الطائرة من أخذ مركزها المتميز ، الا أنها تستخدم في هذه الحالة استخداما مضادا . وبعبارة أخرى ايضا ، فان الصراع بين الطائرة والصاروخ هو عبارة عن مبارزة بين الالكترونيات والالكترونيات المضادة .

٢ - بدايع الصراع

لقد كانت حادثة اسقاط طائرة الاستطلاع (يو ٢) الاميركية فوق سماء الاتحاد السوفياتي بواسطة صاروخ سوفياتي مضاد (سام ٢) في سنة ١٩٦٠ ، بمثابة اعلان ميلاد هذا الصراع الدرامي الجديد . وقد كشفت هذه الحادثة التي اثارَت في حينها لغطا وتساؤلات وتكهنات كثيرة عن قدرة الصاروخ المضاد الموجه على اسقاط طائرة تحلق على ارتفاع عال (حوالي ١٨٠٠٠ متر فوق سطح البحر) . ووقعت المواجهة الثانية بين الطائرة والصاروخ في فيننام ، وقد تميزت هذه المواجهة بأنها أول مواجهة واسعة النطاق استمرت مدة طويلة ، وكان من نتيجتها اسقاط اعداد ضخمة من الطائرات الاميركية بواسطة الصواريخ السوفياتية من طراز « سام - ٢ » التي تمكن ثوار الفيتكونغ من الحصول عليها . كما تميزت بكونها أول مواجهة بين الالكترونيات والالكترونيات المضادة خلال صراع يجري بين قوة تكنولوجية متفوقة وشعب فقير متخلف ، استطاع أن يخوض هذا الصراع بأساليب مضادة مبتكرة ، وان ينتصر فيه ، خصوصا وان الترسانة الاميركية الالكترونية التي استخدمت في فيننام طورت خصيصا لتغطية احتياجات جيش يقوم بمكافحة حرب عصابات ثورية . وتميزت أيضا بكونها اعطت سمة مميزة للأسلحة الحديثة المضادة للحرب العصابية - ومنها الطائرة - أشار اليها البروفيسور اليوغوسلافي فلاديمير ديديجر (الضابط السابق في جيش العصابات الذي كان يقوده تيتو خلال الحرب العالمية الثانية) في مقالته « قوة الفقراء » (١) ، وهي أنه برغم كل التحسينات التقنية النامية لاجهزتها الالكترونية فان هذه الاسلحة الحديثة تعطي دوما انطباع عدم دقة كبير ، واردة تدمير عمياء ، مما يثبت ان شكل الحرب العصابية لها كل فرص البقاء والاستمرار مهما تكن الاسلحة المستخدمة ضدها . ومن أمثلة الصراع التي ظهرت في فيننام ما يلي :

١ - بعد دراسة نقاط ضعف صاروخ « سام - ٢ » ، تعلم طيارو قاذفات القنابل الاميركية كيف يفلتون منه بتنفيذ حركة جوية تشبه حرف « S » وتسمى بحركة « S » النائية Split S maneuver ، وقد استفاد ثوار الفيتكونغ من هذه الحركة في اسقاط عدد كبير من القاذفات وذلك عن طريق اطلاق عدد من الصواريخ باتجاه القاذفات المغيرة التي سرعان ما تقوم بتنفيذ الحركة المذكورة لتجد سدودا كثيفة من النيران المضادة في استقبالها عند نهاية الحركة .

٢ - وعندما طور الاميركيون اسلوبا للتشويش على أجهزة توجيه « سام - ٢ » الرادارية ، لجأ الثوار الى اسلوب مضاد بسيط يتلخص في أنهم يقومون بتشغيل أجهزة تحديد الهدف الرادارية الملحقة ببطاريات الصواريخ المذكورة لمدة ثوان قليلة تكفي لتوجيه الصاروخ نحو الهدف بينما لا تكفي لكي تقوم الطائرات المغيرة بالتشويش عليها بوسائلها الالكترونية المضادة ، كما لجأ الثوار الى تنفيذ اسلوب اخر متطور - سبب قلنا شديدا للدوائر الاميركية - يعتمد على استبدال أجهزة التوجيه الرادارية في عدد من بطاريات صواريخ « سام - ٢ » بأجهزة متابعة بصرية : ويشبه جهاز المتابعة البصرية هذا منظار البندقية القناصة ، وما على الرامي في هذه الحالة سوى متابعة الطائرات المغيرة بواسطة المنظار وابقائها في دائرة الهدف ، الامر الذي يستدعي تحريك المنظار صعودا وهبوطا او من جانب الى جانب ، واثناء اجراء حركات المتابعة هذه يتم تغذيتها الى عقل الكتروني ملحق وظيفته ترجمة هذه الحركات وتحليلها وتحويلها الى بيانات تنفيذ في توجيه الصاروخ الى هدفه . وبالرغم من أن دقة جهاز المتابعة البصري أقل من دقة جهاز الرادار ، فقد كانت دقته مرضية ، بالاضافة الى كونه غير قابل للتشويش او التضليل بالوسائل الالكترونية المضادة .

٣ - وقد أثار اسقاط طائرات « ب - ٥٢ » الاميركية الاستراتيجية العملاقة فوق فينتام الشمالية قلعا كبيرا في دوائر الطيران الاميركي ، فقد كان الخبراء يعتقدون ان هذه الطائرات منيعة ويستحيل اسقاطها بسبب تحليتها على ارتفاعات شاهقة ، وقدره اجهزتها الالكترونية على تضليل صاروخ « سام - ٢ » ، ومعرفتها بنقاط ضعفه . وقد تبين لهم من التحقيق الذي اجري مع الطيارين الذين لم يقعوا في الاسر ، ان هذه الطائرات اسقطت بواسطة الصواريخ الموجهة من الارض ، مما دعاهم الى الاعتقاد بان هذه الصواريخ قد طورت بشكل ملحوظ ، او ان هناك صواريخ سوفياتية اخرى جديدة تماما « سام - ٣ » . ويظهر ان التطور الذي استحدث في هذه الصواريخ يتعلق بشكل خاص بمعدات التوجيه والكشف الالكترونية ، بحيث تستطيع التغلب على موجات التشويش المضاد ، وعلى المناورات التي قد تقوم بها الطائرات المعيرة للهرب من ملاحقة الصواريخ لها ، الامر الذي دفع القيادة الاميركية الى تطوير المعدات التي استخدمتها في فينتام واعطاء الامر بالعمل على تطوير صاروخ (جو - جو) قادر على اعتراض صواريخ (ارض - جو) الموجهة وتحطيمها قبل وصولها الى « الطائرة - الهدف » . وتقول المعلومات المتوفرة ان عملية تطوير وصناعة هذا الصاروخ الموجه ضد الصواريخ - وقد أعطيت اسم اسم . ام . SM - تستغرق ما يقارب ١٠ سنوات ، وتكلف مجهودات تقنية ومالية ضخمة .

وقد أثبتت التجربة الفينتامية ان الصواريخ الموجهة المضادة للطائرات وسائل دفاع فعالة ، ضمن حدود مدى رميها . وان عملها على ارتفاع عال محدود بخصائصها المميزة والخاصة بها ، كما أنه محدود على ارتفاع منخفض ، بتعدد مسائل مراقبتها وتوجيهها . ولما كانت صواريخ « سام - ٢ » صالحة للعمل على ارتفاعات عالية وهذا هو الهدف الاساسي من تطويرها الذي كشفت عنه حادثة اسقاط طائرة « يو - ٢ » فقد استغلت الطائرات الاميركية امكانية العمل فوق حقل عمل الصاروخ او تحته للتخلص من خطره ، وبالتالي فقد اضطر الفينكونغ الى دمج استخدام سدود النار المضادة التقليدية على الارتفاعات المنخفضة لزيادة فعالية صواريخهم الموجهة . وقد استثمرت الولايات المتحدة - على ضوء هذه التجربة - مبلغ (٢٠) مليار دولار في حقل تطوير وسائل الالكترونيات المضادة لشبكات توجيه الصواريخ الارضية في فينتام Electronic counter measures وخصوصا (سام - ٣) ، مثل تطوير صناعة الرقائق او النصلات (٢) Chaff المعدنية والزجاجية التي تستطيع عكس موجات الكشف والتوجيه الرادارية الملحقة بالصواريخ المضادة والتشويش عليها ضمن نطاق ترددات واسع ، وتطوير صواريخ جو - ارض مضادة لشبكات الرادار الارضية مثل صاروخ شرايك ، واكتشاف نقاط ضعف الصواريخ الجديدة . وقد صرحت المصادر الاميركية في سنة ١٩٦٩ ان الولايات المتحدة حققت تفوقا في هذا المجال ، وهو تفوق مشكوك فيه كما بدا في المواجهات اللاحقة بين الطائرة والصاروخ .

٣ - الالكترونيات فوق السويس (حرب الاستنزاف)

وكانت المواجهة الثالثة من الصراع بين الطائرة والصاروخ ، ابان حرب الاستنزاف التي شنها الرئيس الراحل جمال عبد الناصر ضد اسرائيل (١٩٦٩ - ١٩٧٠) . وقد أظهرت هذه المواجهة ان الصاروخ قد تكيف مع الخطر الجديد ، وان استثمار ذلك المبلغ الخيالي لم يكن المرحلة الاخيرة من الصراع ، بعد ان برزت شبكة الصواريخ الارضية المتراصة على طول جبهة السويس التي تمكنت من اسقاط العديد من الطائرات الاسرائيلية ، وبرز صاروخ « سام - ٣ » المحمول ذو المدى المتوسط الذي

يمكن استخدامه ضد الطائرات المنخفضة ، وبذلك أصبح نظام الدفاع الصاروخي أكثر تكاملاً بإضافة بعد جديد إليه .

ومن هنا عكفت الولايات المتحدة على العمل — من جديد — من أجل التفوق على هذه الشبكة واخذت تطور وسائل الكترونية جديدة لمواجهةها . وقد اعترفت الولايات المتحدة — آنذاك — بأنها كانت عاجزة ، بالوسائل التي كانت متوفرة لديها ، عن مواجهة هذه الشبكة الصاروخية السوفياتية من نوعي «سام - ٢» ، و«سام - ٣» . كما اعترفت المصادر الإسرائيلية ، بأن هذه الشبكة شكلت مصدراً للقلق والأزعاج لسلاح الجو الأمريكي ، لأنها أثبتت أن بوسع الاتحاد السوفياتي منع النشاط الجوي فوق أرض المعركة في المستقبل ، إذا ما أقام شبكة كالتلك التي أقيمت بين يوم وليلة على جبهة السويس . ومن هنا قررت الولايات المتحدة تزويد إسرائيل بأحدث ما لديها من معدات الكترونية مضادة من أجل تدميرها . ولهذه الأسباب لا نستغرب قول المصادر الإسرائيلية في تلك الفترة : أن إسرائيل هي أكبر مستورد في العالم لشراء إنتاج الشركات الأمريكية (مثل شركة سلفانيا ، وفينكس وجونسون ، ووستنجهاوز) في حقل الأجهزة والمعدات المضادة للالكترونيات ، وأن إحدى هذه الشركات ، منفردة ، باعت إسرائيل أجهزة تشويش تناسب طائراتها بمبلغ عشرة ملايين دولار ، وأن إسرائيل تنتج سلسلة من الأجهزة المضادة للالكترونيات . ولكي تتمكن من ذلك قامت بشراء ونقل مصانع بكاملها — مع عمالها — من الولايات المتحدة إلى إسرائيل . ويلاحظ أن كلتا الموجهتين السابقتين استخدمتا كحقل للتجارب بين الدولتين الأعظمين في الالكترونيات والالكترونيات المضادة للالكترونيات المضادة .
electronic counter counter measures المضادة

٤ - أكتوبر ١٩٧٣

ثم حدثت المواجهة الرابعة بين الطائرة والصاروخ في حرب تشرين الأول ١٩٧٣ التي استطاعت الدول العربية بفضلها مفاجأة إسرائيل والعالم بشبكة من الصواريخ الموجهة من طراز سام ، قامت بتأمين التغطية اللازمة لها في جبهتي السويس والجولان ، واسقاط اعداد كبيرة من الطائرات الإسرائيلية التي حاولت اختراقها ، وكانت هذه الشبكة تضم صواريخ «سام - ٢» و«سام - ٣» ، و«سام - ٦» (المحمول الذي يعمل ضد الأهداف المنخفضة والمرتفعة حتى ١٧٠٠٠ متراً) ، و«سام - ٧» (الذي يحمله المقاتل لمواجهة الطائرات الأكثر انخفاصاً) . وبهذه الشبكة أمكن تحقيق حماية فعالة متكاملة الأبعاد ضد الطائرات التي تطير على ارتفاعات منخفضة ومتوسطة ومرتفعة . والجديد في هذه المواجهة هو استخدام صاروخين متطورين هما «سام - ٦ و ٧» : وتكمن أهمية «سام - ٦» في كونه يستخدم لأول مرة ، وبالتالي لم يكن بالإمكان معرفة اشارات رادارات التوجيه الخاصة به ، كما هو الحال بالنسبة « لسام - ٢ » الذي اختبر في فيننام واستولى الإسرائيليون على عسده منه في حرب ١٩٦٧ وكما هو الحال — ربما — بالنسبة « لسام - ٣ » ، ومن حيث أنه قادر على العمل رغم أجهزة التشويش الحديثة التي استخدمها الإسرائيليون خصوصاً وأنه يستعمل أربع موجات رادارية مختلفة لتوجيهه في المرحلة الأولى من انطلاقه نحو الهدف تعقبها مرحلة تسيير ذاتي يقوم الصاروخ فيها بتوجيه نفسه بواسطة رأس باحث عن الأشعة تحت الحمراء التي تنبعث من محركات الطائرة الهدف ومن الطاقة الشمسية المنعكسة على الطائرة أو كليهما معاً . وقد خسرت إسرائيل الكثير من طائراتها في الأيام الأولى للقتال بفضل الصاروخ «سام - ٦» ، وكان يوجهها خطر المناورة إلى الأعلى لتجنبه فتجد أمامها «سام - ٣» أو «سام - ٢» كما كان يوجهها خطر المناورة إلى

الاسفل لتجد امامها « سام - ٧ » او المدافع السوفياتية المضادة الموجهة بالرادار من طراز شيلكا « زد. اس. يو - ٢٣ - ٤ » (ZSU-23-4). وتكمن اهمية صاروخ « سام - ٧ » : من حيث خفة وزنه وسهولة استخدامه وبساطة تركيبه ، ومن حيث انه ينطلق من قاذف يستطيع المقاتل حمله واطلاقه في مختلف اوضاع الرمي ، ومن حيث انه يتوجه ذاتيا بواسطة رأس باحث عن الاشعة تحت الحمراء المنبعثة من محركات الطائرة او الطاقة الشمسية المنعكسة على سطحها او كليهما ، ومن حيث مداه الذي يبلغ حوالي (٣) كيلومترات .

وقد بذلت اسرائيل أقصى ما يمكنها لاستعادة سيطرتها الجوية السابقة اثناء حرب تشرين الاول واستخدمت احدث ما في الترسانة الالكترونية الاميركية من أجهزة مضادة، ولكن لم يتبين بعد استخدام اسرائيل للأجهزة المضادة للرادار ولصاروخ شرايك او لبث بالونات او دفقات حرارية لتضليل صواريخ « سام - ٦ » و« سام - ٧ » ، بشكل خاص ، أنها قامت بالمهمة بنجاح مماثل فعالية هذه الصواريخ ، لان ما استخدم منها لم يعط نتيجة جيدة . وقد اضطر الاسرائيليون للاعتماد بشكل واسع على الفصلات التي تلقىها الطائرات ، واستخدمت بشكل خاص موزع النصلات المحمول جوا من طراز (AN/ALE-29) . ومن مظاهر الدعم الاميركي في هذه الحرب : قيام سلاح الجو الاميركي بتوجيه طلب الى شركة لندي الكترونيكس Lundy Electronics — وهي المزود الرئيسي له بالنصلات الزجاجية — لتحويل انتاجها لمدة شهرين الى اسرائيل . وبالإضافة الى ذلك ، فقد تم تحويل اكثر من ٥٠٠٠٠ حزمة من النصلات من مخازن سلاح الجو الاميركي الى اسرائيل وذلك خلال الاسبوع الاول من اندلاع القتال ، كما تم ارسال ٢٠ موزع نصلات من نوع (AN/ALE-38) الذي يحمل ما زنته ١٥٠ كيلو غراما من النصلات اليها ، وتم تعديل معدات التشويش الكتروني الاميركية التي تستخدمها اسرائيل حاليا والتي تشمل حواضن (AN/ALQ-71) من صنع شركة هيوز ، وحواضن (QRC-335) من صنع شركة وستنجهاموس ، وحواضن (AN/ALT-27) من صنع شركة « لينون » لتحديد قواعد صواريخ « سام - ٢ » ، و« سام - ٣ » الثابتة ، ولكن قواعد « سام - ٦ » المتحركة كانت تشكل المعضلة الاكثر جدية التي لم تستطع معدات التشويش الالكتروني مواجهتها لعدم وجود جهاز باستطاعته التشويش ضمن نطاق ترددات واسع تتراوح ذبذباتها بين نطاق ترددات اي (E) ، ول (L) . وبالإضافة الى ذلك ، وعلى الرغم من التحسين المستمر في أجهزة التشويش الالكتروني ، فان الولايات المتحدة واسرائيل لا تملكان سوى قدرة مشكوك فيها على اكتشاف اطلاق صاروخ «سام - ٦» ، وتحذير قائد الطائرة الهدف، باستخدام أجهزة (AN/ALQ-72) و (AN/ALQ-78) التي تحملها الطائرات تحت اجنحتها للتلقط اشارات السرادار المعادي وتشوش عليها . وربما تستطيع طائرات التشويش الاميركية (EA-6B) التي طلبت اسرائيل التزود بها، والتي تحمل أجهزة جديدة وسرية من نوع (AN/ALQ-99) والمصنفة على قائمة الاسلحة غير المسموح بتصديرها ، التشويش على رادار صواريخ « سام - ٦ » بواسطة الاجهزة المتطورة التي تحملها والقادرة على حل اسرار ذبذبات الرادار فوراً . الا ان صحة ذلك متروكة لمواجهة مستقبلية بين الطائرة والصاروخ(٣). ولما لم تأت الوسائل السابقة بالفائدة المرجوة ، لجأ الطيارون الاسرائيليون الى اطلاق دفقات او بالونات حرارية لتضليل أجهزة صواريخ «سام-٦» ، و« سام - ٧ » التي تعمل بالاشعة تحت الحمراء ، ثم القيام بمناورات جوية لتجنبه ورغم ان هذه الوسيلة كانت تنجح احيانا الا أنها كانت تضع الطائرات الاسرائيلية في مواجهة وسائط النار المضادة الأخرى . وهناك ملاحظة هامة ظهرت ابان حرب

الاستنزاف في الجولان سنة ١٩٧٤ وهي أن صواريخ مضادة للطائرات متعددة الرؤوس واجهت الطائرات الاسرائيلية التي كانت تبث دفقات حرارية مضللة فوق سماء الجبهة، ولا توجد في الوقت الحاضر أية بيانات تفصيلية عن هذه الصواريخ خلاف المشاهدات الميدانية، وربما كانت طرازاً متطوراً من صواريخ «سام» حصلت عليه الجمهورية العربية السورية وربما كانت من طراز آخر، والامر سيان طالما أن استخدامها يدل على أن الصراع الإلكتروني بين الطائرة والصاروخ ما زال مستمراً .

ولا بد من الإشارة الى أن أنواع الصواريخ الحديثة أرض - جو التي تملكها الدول كثيرة ومتعددة منها صواريخ « ستاندارد » بنوعيتها : (RIM-66A) ومدها ٢٤ كيلو متراً و (RIM-64A) ومدها ٥٦ كيلو متراً ، وتستخدمها البحرية الاميركية على القطع البحرية للدفاع ضد الطائرات . وقد قيل ان اسرائيل حصلت عليها(٤) . ومنها نظام صواريخ « هوك Hawk » الاميركية المضادة للطائرات التي تطير على ارتفاعات متوسطة / منخفضة (من ٣٠ - ١١٠٠٠ متر) ، وهو يستخدم الان في تسليم جيوش الولايات المتحدة الاميركية والمانيا واسرائيل والمملكة العربية السعودية . وقد جرى تحسين هذا النظام مؤخراً بزيادة قوة محرك الصاروخ ، وزيادة حجم الرأس الحربي الذي يحمله وتحسين اجهزة قيادته وتوجيهه ، وتزويده « بأجهزة مضادة للإلكترونيات المضادة ECCM » أكثر كفاءة ويجري حالياً انتاج اعداد من نظام « هوك » المحسن لتزويد الجيش الاميركي بها ، كما ستزود به (٦) دول اوروبية : (الدنمارك ، فرنسا ، اليونان ، هولندا ، ايطاليا ، والمانيا الغربية) بالإضافة الى المملكة العربية السعودية التي أجرت عقداً ، في هذا العام ، بقيمة (٢٦٠ - ٢٧٠) مليون دولار من أجل الحصول على نظام هوك المحسن . ومنها « سام - دي » (SAM-D) الذي تقوم شركة « ريثيون Raytheon » الاميركية بتطويره حالياً لصالح الجيش الاميركي مستفيدة في ذلك من دروس حرب تشرين الاول الماضي ، وهو نظام بالغ التعقيد معد للدفاع ضد الطائرات الحديثة المتقدمة التي تطير على ارتفاعات عالية ينتظر ان يحل محل نظام « هوك » في سنة ١٩٨٠ . ومنها الصاروخ « تشابارال Chaparral » الموجه ضد الطائرات التي تطير على ارتفاعات منخفضة . ومنها نظام صواريخ « رابير Rapier » البريطاني ، من انتاج «برينش ايركرافت كوربوريشن BAC المضاد للطائرات التي تطير على ارتفاعات منخفضة (حتى ٥٠٠٠ متر) ، والمجهز بوسائل توجيهه الكترونية بصرية اساساً تدعها وسائل توجيه ادارية للتعامل مع الطائرات في مختلف انواع الظروف الجوية ، وهو يدخل حالياً في تسليح الجيشين البريطاني والايرائني . ومنها نظام صواريخ « تايفر كات » البريطاني الموجه بالرادار ضد الطائرات المنخفضة ، وهو موجود في تسليح بعض أسلحة الجو كسلاح الجو البريطاني والاردني . ومنها نظام صواريخ « كروتال » الفرنسي ، انتاج «توميسون» الموجه بالرادار ضد الطائرات التي تطير على ارتفاع منخفض (٥٠٠ - ٨٥٠٠ متر) ، وهو يدخل حالياً في تسليح جمهورية افريقيا الجنوبية التي طلبت على اثر حرب تشرين الاول الماضي دعم هذا النظام بوسائل توجيه بصرية، كما سوف يدخل في تسليح فرنسا في سنة ١٩٧٦ . ومنها نظام صواريخ « م. ب. ب / رولاند MBB/Roland » ، انتاج « ايروسبيسال » ، المجهول والموجه بواسطة اجهزة رادارية / بصرية لدى (٦) كيلومترات ، وينتظر دخوله في تسليح الجيشين الفرنسي والالماني . ومنها صواريخ « آر. بي - ٧٠ » (RB 70) السويدية الموجهة بصرياً ضد الطائرات التي تطير على ارتفاعات منخفضة . ومنها أيضاً الصواريخ الصغيرة من فئة صاروخ « سام - ٧ » وهي : « رد. آي » الاميركي ، و« بلو بايب Blow Pipe » البريطاني وغيرها .

ويلاحظ ان جميع أنظمة الصواريخ هذه لم تستخدم بعد في مواجهات قتالية حقيقية ، وبالتالي فمن الصعب تقييم مدى فعاليتها كما هو الحال بالنسبة لصواريخ « سام » السوفياتية . ويلاحظ ان معظم هذه الانظمة حديثة ومعدة بحيث يمكن توجيهها إما بوسائل رادارية متقدمة ، او بوسائل بصرية ، او بوسائل رادارية / بصرية معا . ويلاحظ ايضا ان اهتمام دول الغرب منصب في الوقت الحاضر على تطوير استخدام الصواريخ المضادة للطائرات التي تطير على ارتفاع منخفض مثل رد. آي وبلوباب ، ورايبر ، ورولاندر ، وتشابارال الذي حصلت اسرائيل عليه من الولايات المتحدة مؤخرا وعرضته بمناسبة يوم قواتها الجوية . كما يلاحظ ان اهتمام هذه الدول منصب أيضا على استخدام وسائل التوجيه البصرية ودعمها بالوسائل الرادارية في أنظمة الدفاع الصاروخية المختلفة كنتيجة للدروس المستفادة من حرب تشرين الماضي في ميدان الالكترونيات المضادة ، ذلك انه من الصعب تضليل الوسائل البصرية والتشويش عليها كما هو الحال بالنسبة للوسائل الرادارية .

ومن الجدير بالذكر ان وسائل التيران المضادة التقليدية استخدمت بفعالية كبيرة في الحرب التشرينية من قبل الجانب العربي ، الا انها كانت وسائل متطورة موجهة بالرادار : فقد استخدمت المدافع السوفياتية المضادة للطائرات من طراز شيلكا (زد. اس. يو - ٢٣ - ٤) (٥) لدعم أنظمة الصواريخ المضادة لمواجهة مناورات الطائرات الاسرائيلية التي كانت تحلق على ارتفاعات منخفضة . وتمتاز هذه المدافع ذاتية الحركة بتوجيه راداري ذي شعاع ضيق جدا لمنع اكتشافه والتهرب منه ، ولا يعرف عن أجهزة امريكية قادرة على التشويش عليه . كما يتميز مدفع « زد. اس. يو - ٢٣ - ٤ » بكثافة نيرانه (٤٠٠٠ طلقة في الدقيقة ، بمعدل ١٠٠٠ لكل سبطانه) التي لا ينافسها فيها أي من المدافع ذاتية الحركة الموجودة في تسليح اسرائيل والدول الغربية ، ويشابهه الى حد ما نظام « فولكان Vulcan » (عبارة عن مدفع سداسي ، عيار ٢٠ ملمتر ، يطلق ٣٠٠٠ طلقة في الدقيقة) وهو الوحيد من بين الأنظمة المستخدمة فعليا في الغرب الذي يتمتع بهذه الخاصية ، وقد حصلت عليه اسرائيل اثر حرب تشرين الاول الماضي . ويبدو ان هناك اهتماما غربيا مستفادا من دروس الحرب يهدف الى دعم الدفاعات الصاروخية بمدافع ذاتية الحركة مضادة للطائرات التي تطير على ارتفاع منخفض ، ومن أهم الأنظمة التي سيتم التزود بها مدفع أورليكون (عيار ٣٥ ملمترا) ومدافع « راينمتال ر ه ٢٠٢ Reimetal RH 202 » (عيار ٢٠ ملمترا ، ومداهها ٢ كيلومتر) . ويذكرنا استخدام الدفاعات التقليدية المتطورة اثناء حرب تشرين الاول باستخدام الدفاعات التقليدية ابان الحرب الفيتنامية .

وهناك ، بالإضافة الى الصواريخ ارض - جو الموجهة ، صواريخ اخرى تكتيكية موجهة تحملها الطائرات لرمي أهداف جوية في الصراع مع الطيران المعادي (صواريخ جو - جو) ، ولضرب أهداف ارضية (صواريخ جو - أرض) . ويتم تناولها فيما يلي من زاوية الصراع الالكتروني الدائر بين الطائرة والصاروخ بالنسبة للنوع الاول من جهة ، ومن زاوية الحاجة الماسة الى ضرب الاهداف الارضية التكتيكية الحساسة في هذا الصراع كالمطارات ، وقواعد اطلاق الصواريخ من الارض وأجهزة توجيهها الرادارية ، بالنسبة للنوع الثاني من جهة اخرى .

* وقد استخدمت الصواريخ المضادة للطائرات التي تطلق من الجو الى الجو على نطاق محدود في المواجهات الجوية بين الطائرات العربية والاسرائيلية . وتتميز هذه الصواريخ بانها ذات استخدام اكثر مرونة من الصواريخ ارض - جو المذكورة آنفا ، خصوصا اذا حدثت المواجهة بين الطائرات على ارتفاعات متوسطة او عالية ، أما في

الارتفاعات المنخفضة فهناك مشكلات تواجه الطائرة المعترضة في الحصول على معلومات صحيحة عن الطائرة المهاجمة مما يستدعي تكليف طائرات خاصة بالمراقبة بواسطة الرادار وتوجيه الصواريخ جو - جو الى أهدافها . وتوجه هذه الصواريخ عادة إما بواسطة الرادار مثل الصاروخ « سبارو - ٣ » الأمريكي الذي تحمله طائرات « الفانتوم » و « السكايهوك » او بجهاز توجيه يعمل بالاشعة تحت الحمراء مثل الصاروخ « سايدوندر » الذي تحمله طائرات « الفانتوم » و « السكايهوك » ايضا . ومن هذه الصواريخ : صاروخ « أتول Atoll » الذي تحمله طائرات « الميغ ٢١ » الروسية ، وصاروخ « شفرير » الاسرائيلي الصنع ، وصواريخ « فاير ستريك Fire Streak » و « رد توب Red Top » البريطانية ، « ماترا Matra » الفرنسية ، و « آسبيد (١١) Aspide IA » الإيطالية الحديثة ، وصاروخ « برازو Brazo » ، الأمريكي الجديد الذي تم اختباره مؤخرا (في شهر نيسان الماضي) وهو اول صاروخ جو - جو يحمل أجهزة توجيه ذاتية ، توجهه نحو شعاع الرادار الذي تطلقه الطائرة المعادية لتوجيه أسلحتها ، موضوعة في هيكل صاروخ « سبارو » طراز (AIM-7) وقد تمت تجربته على متن طائرة « فانتوم دي » .

* ان تطوير الاساليب والانظمة الدفاعية الصاروخية المضادة للطائرات ، يضطر الطائرة المعيرة الى اطلاق نيران أسلحتها عن بعد ، مع بقائها خارج مدى جهاز الدفاع المضاد لها ، والتضحية بعامل دقة الاصابة ودورها في اسناد القوات الارضية . واستخدامها في حرب تشرين الاول الماضي منع سلاح الجو الاسرائيلي من استثمار تفوقه الجوي على الاسلحة العربية ، وواقع الضائر الجسمية في صفوفه . والسبب في ذلك ان الطائرة ، باعتبارها جهاز اطلاق يحمل قائدا بشريا قادرا على تحليل الاوضاع التكتيكية والتعرف على الاهداف وحفظ خصائصها المميزة ، تحتاج الى كثير من الوقت وتتعرض الى كثير من المخاطر لكي يصبح بإمكانها القيام بوظيفتها بفاعلية ، بعد التعرف على ميزات وخصائص ، وعيوب ، ونقاط ضعف الاسلحة المضادة لها ، وبعد تمكنها من التعامل مع الاهداف التكتيكية الارضية العائدة لتلك الاسلحة . وهذا لا يتم الا بمساعدة اصطناعية تؤمنها «الالكترونيات» ، و«الالكترونيات المضادة ECM » و «الالكترونيات المضادة للالكترونيات المضادة ECCM» ، ومن هنا فقد تطورت أسلحة الطائرة نفسها لتجابهة هذا الخطر ، وتعقدت وسائل توجيهها . وكما استخدمت الصواريخ المضادة للطائرات التي تطلق من الارض الى الجو فقد استخدمت الصواريخ ايضا كأسلحة تحملها الطائرة على متنها وتطلقها من الجو الى الارض لضرب الاهداف التكتيكية الارضية . وبرغم أن الوسائل الالكترونية التي تستخدم في تحديد اهداف هذه الاسلحة وتوجيهها والتشويش عليها وتضليلها متشابهة في الحالين ، الا أن دور العامل البشري (قائد الطائرة) بالنسبة للاهداف التكتيكية على الارض يبدو أكثر أهمية ، حيث غالبا ما يقتصر دور الإلكترونيات في الوقت الحاضر ، على رفع درجة كفاءته ، إذ أن عليه أن يشاهد الاهداف ثم يقوم بتوجيه أسلحته اليها .

وقد شهدت ساحة الصراع العربي - الاسرائيلي اول استخدام لصواريخ جو - أرض متطورة في حرب الاستنزاف على الجبهة المصرية (١٩٦٩ - ١٩٧٠) ، فقد استخدمت اسرائيل صواريخ من طراز « شرايك » الأمريكي ، ذات توجيه سلبي لتدمير أجهزة الرادار التي تدير بطاريات الصواريخ المضادة أرض - جو (من طراز « سام - ٢ » و « سام - ٣ ») ، إذ يتبع الصاروخ الموجات الرادارية التي تنبعث من هوائي الرادار فينتجه نحوه ويدمره ويعطل بالتالي أداء المراقبة الرادارية أو توجيهه الصواريخ بواسطة الرادار ، ويبلغ مدى هذا الصاروخ (١٦) كيلو مترا . ولكن

يبدو ان استخدام هذا الصاروخ لم يكن فعلا وخصوصا بعد استخدام صواريخ « سام - ٦ » المحمولة ذات أنظمة التوجيه المتطورة ابان الحرب التشرينية ، بدليل ضخامة خسائر سلاح الجو الاسرائيلي، وبدليل المساعدات التقنية المتخصصة الضخمة التي حصلت عليها اسرائيل من الولايات المتحدة اثناء وبعد الحرب لمواجهة الحرب الالكترونية العربية . وقد تلقت اسرائيل صواريخ تكتيكية جو - أرض من الانواع التالية : « ستاندارد آرم » الموجهة ضد شبكات الرادار الارضية أيضا . و« مافريك » الذي يوجه بواسطة كاميرا تلفزيونية مثبتة في رأسه ، ويتم توجيهه بأن يختار الطيار الهدف الذي يظهر على شاشة التلفزيون في مقصورته ويناور بحيث تلتقط الكاميرا التلفزيونية الموجودة في الصاروخ صورة الهدف ، ثم يطلق الصاروخ الذي يتوجه أوتوماتيكيا نحو الهدف . وقد صمم هذا الصاروخ أساسا لقصف الدروع والدششم المحصنة ، وهو ذو رأس حربي خارق للدروع يزن (٥٦) كيلو غراما ، ويبلغ مداه حوالي (٨) كيلومترات . ومن الجدير بالذكر ان اسرائيل وايران هما البلدان الوحيدان بعد الولايات المتحدة ، اللتان تملكان مثل هذا الصاروخ . وقد كشفت بعض المصادر في سنة (١٩٧٢) ان الولايات المتحدة تحاول انتاج نموذج من صاروخ « مافريك » يوجه بأشعة ليزر بدلا من تقنية التلفزيون البصرية . ومن الصواريخ جو - أرض التي ترغب اسرائيل في الحصول عليها من الولايات المتحدة أيضا : الصاروخ « كوندور » ، وهو صاروخ ثقيل محسن عن « مافريك » يستخدم أساسا لضرب اهداف بحرية كما يمكن استخدامه لتحطيم اهداف صعبة كالقواعد وملاجئ الصواريخ بأبنيتها الاسمنتية، وهو يحمل رأسا حربيا شديد الانفجار يزيد وزنه على نصف وزن الصاروخ - الذي يبلغ (١١٠٠) كيلوغرام - وتوجد في مقدمته كاميرا تلفزيونية للتوجيه على المدى القريب ، وجهاز رادار للتوجيه البعيد المدى يصل الى (١٦٠) كيلو مترا ، وذلك لكي تتمكن طائرات الفانتوم من تدمير أجهزة رادار بطاريات « سام - ٦ » دون ان تدخل في مدى عملها

ويبدو أن هناك اهتماما امريكيا بتطوير الاسلحة الموجهة من الجو الى اهداف أرضية تكتيكية ، فقد أنهت الولايات المتحدة مؤخرا مراحل التطوير الرئيسية لصاروخ مضاد للرادارات الأرضية ، هو صاروخ « هارم AGM-88A Harm » ، لاستبداله بصاروخي « شرايك » و« ويستاندر آرم » . ومن ناحية ثانية ، فان الاهتمام الامريكى لم يقتصر على صواريخ جو - أرض الموجهة ، بل تعدى ذلك الى الاهتمام بتطوير أنواع من قنابل الطائرات المزودة بأجهزة توجيه الكترونية توجهها نحو الهدف . وقد تلقت اسرائيل بالفعل عددا من هذه القنابل - ذات التكاليف الباهظة - اثناء وبعد حرب تشرين الماضي لقصف اهداف أرضية تكتيكية وهي قنابل « سمارت Smart Bombs » بنوعها الموجه بأشعة ليزر (ويدعى سلاح الجو الامريكى ان طريقة توجيه هذه القنابل الى اهدافها تحقق دقة تبلغ عشرة أضعاف الطرق الأخرى ، وفائدة أشعة ليزر هنا تكمن في ضيق الحزمة الشعاعية التي تسير بسرعة الضوء في خط مستقيم ، وتستعمل في هذه الطريقة طائرتان : اولاهما توجه الشعاع نحو الهدف المطلوب ، والثانية تطلق القنبلة التي تتبع مسار الشعاع المنعكس عنه) والقنابل الانزلاقية : « وول آي Walleye » و« هوبوز Hobos » ، وكلاهما يوجه بواسطة كاميرا تلفزيونية بطريقة مماثلة لتوجيه صواريخ « مافريك » .

وتنبغي ملاحظة ان جميع هذه الانظمة والاسلحة المتطورة التي حصلت عليها اسرائيل من الولايات المتحدة ، من أجل إعادة فرض سيطرتها فوق الاجواء العربية، لم تثبت جدواها بعد ، حتى في حرب الاستنزاف على جبهة الجولان السورية . وبقي

نظام « سام - ٦ » والانظمة الدفاعية الاخرى المساندة مثل مدافع شيكلا ونظام صواريخ « سام - ٧ » الجديد المحمول على آليات والموجه بواسطة أجهزة توجيه بصرية بالإضافة إلى الأشعة تحت الحمراء الذي تسلمته سوريا مؤخراً ، يحد من هذه السيطرة .

كما تجدر الإشارة إلى أن ارتفاع خسائر اسرائيل الجوية في المعدات والافراد نتيجة كفاءة وفعالية انظمة الدفاع العربية المضادة ، وغشل اجراءاتها الالكترونية المضادة جعلها تلجأ إلى استخدام الطائرات الموجهة عن بعد والتي تطير بدون طيارين من طراز رايان فايبري ، بشكل مكثف لغايات الاستطلاع والتشويش الالكتروني للتخفيف من خسائرها البشرية . الا ان العديد من هذه الطائرات اسقط وبالتالي لم يكن استخدام هذه الطائرات فعالاً .

وفي ضوء التجارب السابقة المستفادة من حرب تشرين الاول سنة ١٩٧٣ ، يمكن القول بأن دور الطائرة في المستقبل القريب سوف يكون محصوراً بالعمل خارج نطاق فعالية الصواريخ المضادة ، وضمن حدود الحماية المؤمنة بالطائرات الاعتراضية والصواريخ الموجهة (جو - أرض) : أي العمل على ارتفاعات عالية جداً ، أو منخفضة جداً طالما أنها لا تستطيع تأمين وسائل الكترونية مضادة وسائل الكترونية مضادة للالكترونيات المضادة فعالة . ويترتب على ذلك أن الصراع الالكتروني بين الطائرة وأسليحتها المختلفة وبين وسائل الدفاع الأرضية المضادة سوف يستمر بهدف السيطرة على الجو ، وسوف ينتقل إلى الفضاء ، ذلك أن السيطرة على الفضاء في المستقبل هي سبيل السيطرة على الجو (٦) .

١٩٧٣ ان اسرائيل تسلبت صواريخ ستاندارد ARM - وليس RIM - الموجهة من الجو إلى الأرض والمضادة لقواعد الرادار . انظر نشرة م. د. ف ٧٤/١/١ .

٥ - مدفع رباعي ، عيار ٢٣ ملم ، ومداه المضاد للطائرات ١٢٠٠ متر ، ومعدل رمايته ٤٠٠٠ طلقة في الدقيقة . انظر انترناشيونال ديفيس ريفيو ، عدد حزيران ١٩٧٤ .

٦ - انظر مقال اندرو ستراتون « معارك في السماء » ، كتاب الاسلحة الحديثة ، اندريه بوفر واخرون ، ترجمة اكرم دبيري واصدار دار الطليعة .

١ - نشر في كتاب الاسلحة الحديثة الجنرال اندريه بوفر ، وآخرون ، ترجمة اكرم دبيري (بيروت ، دار الطليعة ، ١٩٧٢) .

٢ - شرائط أو رقائق معدنية أو زجاجية تلقى من الجو بواسطة موزعات خاصة لتعكس الموجات الرادارية ، وتعطي النتيجة المثلث عندما يكون طول الواحدة منها مساوياً لطول الموجة الرادارية .

٣ - انظر نشرة م. د. ف ٧٤/١/١ ، و ٥/١٦/٧٤ ، وايفاشن ويك ٧٣/١٥/١٥ ، وفلايست انترناشيونال عدد آب / ٧٤ ، ونشرة م. د. ف عدد ٢٤ سنة ١٩٧٢ .

٤ - ذكرت ايفاشن ويك عدد كانون الاول سنة

التوجيه العسكري للمجتمع الاسرائيلي

اياد القزاز

كتب انور عبد الملك ، عالم الاجتماع المصري ذو الثقافة الفرنسية : « من وجهة نظر التحليل السوسولوجي العلمي ، ان المجتمع المعاصر الوحيد الذي يمكن وصفه فنيا بأنه مجتمع عسكري هو ، بمعنى دقيق ، المجتمع الاسرائيلي (١) » . وعلى الرغم مما ينطوي عليه هذا القول من نبرة مثيرة للجدل فان الاستاذ عبد الملك ، للأسف ، لم يحدد المقاييس التي يستطيع المرء من خلالها ان يصنف احد المجتمعات مجتمعا عسكريا كما انه لم يعرض تفصيلا لاراءه في الاوجه العسكرية للمجتمع الاسرائيلي . وهدف هذه الدراسة هو ان ابحث بتفصيل المؤشرات الرئيسية التي اعتقد انها تظهر التوجيه العسكري للمجتمع الاسرائيلي .

يلعب الجيش (٢) الاسرائيلي دورا منسيظرا جدا في اسرائيل . فهو اكثر سيطرة بكثير من الجيوش في عديد من البلدان المجاورة في افريقيا وآسيا ، حيث الانقلابات والانقلابات المضادة هي طرق حياة ، وأقنية رئيسية للعمل السياسي والتغيير في الحكم . فالجيش في اسرائيل مؤسسة فوق المؤسسات . وبامكان المرء ان يقول دون مبالغة كبيرة ان « الجيش الاسرائيلي هو المجتمع الاسرائيلي والمجتمع الاسرائيلي هو الجيش الاسرائيلي » . وبكلام اخر ، فالجيش ليس شيئا هامشيا ، ملحقا مفيدا بالوجود الوطني . بل انه الشيء الوحيد الذي يجعل الدولة حقيقة واقعة . فهو بداية ونهاية الوجود السياسي (٣) . والتعليق التالي لشاول لاداني ، احد اعضاء الفريق الاسرائيلي في الالعاب الاولمبية بميونخ ، هو ايضا ذو مغزى كبير ويشكل الاساس للدور المهم الذي يلعبه الجيش الاسرائيلي . فقد قال بتقرير صحفي ان « المشاركة الاسرائيلية (في الالعاب الاولمبية بميونخ) كانت صغيرة لان معظم الشبان الاسرائيليين كانوا مستخدمين في الجيش . وهو ليس كالجيش في اماكن اخرى حيث الرياضة مهمة . ففي جيشنا لا وقت هناك لاي شيء سوى الاعمال الجدية جدا (٤) » .

ثمة مؤشرات كثيرة نستطيع ان نكتشف من خلالها هذا الدور المسيطر الذي يلعبه الجيش الاسرائيلي . وغيا يلي بحث موجز لبعض هذه المؤشرات .

(١) **الميزانية** : احد المؤشرات المهمة التي تقرر العسكرية في مجتمع من المجتمعات هو مبلغ المال الذي يخصصه ذلك المجتمع لمؤسسته العسكرية . لقد قال السناتور فولبرايت في الثامن من اب (اغسطس) سنة ١٩٦٧ : ان الاولويات تنعكس في الشيء الذي ننفق عليه مالنا ، وان موازنة امة من الامم هي ابعدها ما تكون عن محاسبة جافة يقوم بها كاتبو الحسابات ، اذ انها مليئة بالتضمينات المعنوية ، فتكشف عما يهتم به احد المجتمعات ، وتكشف عن قيمه . ومجتمع اسرائيل يخصص نسبة مئوية كبيرة من المال لمؤسساته العسكرية ، اكثر بكثير مما تخصصه المجتمعات الاخرى ، بما فيها الكثير من المجتمعات المصنعة في اوربا واميركا . وتسجل اسرائيل درجة عالية جدا على مقاييس مختلفة للانفاق العسكري . فقد بلغت نفقات التسليح في اسرائيل عام

١٩٧٢ ٤٠٤ دولارات للفرد الواحد ، مقابل ٤٣ دولارا للفرد في مصر و ٢٨ دولارا للفرد في سورية(٥) . وهو اعلى انفاق عسكري للفرد في العالم . فتعد كانت ارتسام الولايات المتحدة هي ٣٧٩ دولارا وحل الاتحاد السوفياتي في المرتبة الثالثة ، اذ بلغ انفاقه على الاسلحة للفرد ١٣٢ دولارا(٦) . وقد انفقت اسرائيل ، بين عام ١٩٦٧ وعام ١٩٧٣ ، على وجه التقريب ٣٥ - ٤٣ بالمئة من موازنتها العامة على مؤسساتها العسكرية مقابل اقل من ١٦ بالمئة على المؤسسة التربوية(٧) . لقد انفقت اسرائيل حوالي ٢٥ - ٣٠ بالمئة من مجمل انتاجها القومي على القوات المسلحة ، اي اكثر بمرتين ونصف المرة مما انفقته الولايات المتحدة(٨) . وسواء كان لهذا الانفاق(٩) الباهظ ما يسوغه ام لا ، فانه ولا شك يقع على حساب القطاعات الاخرى . وتوازنه مخصصات متناقصة للناماء والبطالة والاعاثة والخدمات الاجتماعية والقطاعات الاخرى . وكذلك فان هذا الانفاق الباهظ على القوات المسلحة قد خلق عبئا ثقيل جدا على المواطن الاسرائيلي . وتعتبر الضرائب الاسرائيلية بين اعلى الضرائب في العالم . ففي سنة ١٩٦٨ كانت معدلات ضرائب الدخل الشخصي للازواج تتراوح بين ٢٢٥ بالمئة على الدخل الخاضع للضريبة وحد اقصى يبلغ ٦٢٥ بالمئة على الدخل الخاضع للضريبة الذي يتجاوز ٣٢٥٠٠ ليرة اسرائيلية(١٠) .

وقد خلفت النفقات العسكرية العالية اقتصادا شادا جدا يتركز على حد كبير على التبرعات والقروض من الخارج . وفي دراسة عن المؤسسة الاسرائيلية صدرت اخيرا وقام بها ب. شيقمي اكتشف المؤلف ان « متوسط عجز ميزان المدفوعات السنوي الاسرائيلي قبل عام ١٩٦٧ كان يبلغ نحو ٥٠٠ مليون دولار - ومعنى هذا ان كل رجل وامرأة وطفل اسرائيلي كان بحاجة الى اعانة مالية سنوية تبلغ ٢٠٠ دولار من الخارج ليعيشوا » . وبعد حرب الايام الستة عام ١٩٦٧ تغيرت الحالة تغيرا كبيرا وفتز العجز الى اربعة اضعاف ما كان عليه قبل عام ١٩٦٧ . « وهذا يعني ان كل اسرائيلي يحتاج الان الى نحو ٢٢٥ دولارا سنويا من الخارج . ومثل هذه الحال لا مثل لها في اية دولة اخرى في العالم » . وقد ارتفع العجز ، بعد حرب تشرين ، الى ٣٣٣ مليار دولار . واخيرا فان الكلفة العسكرية الباهظة تمثل عبئا ثقيل على رصيد اسرائيل من العملة الاجنبية . فقد ارتفعت مصروفاتها من العملة الاجنبية للشؤون العسكرية من ١٦٠ مليون دولار عام ١٩٦٦ الى حوالي ٨٠٠ مليون دولار عام ١٩٦٩(١١) .

(٢) **القوة العمالية والمؤسسة العسكرية** : احد المؤشرات الاخرى التي تكشف عن التأثير البعيد المدى للمؤسسة العسكرية هو العدد الكبير من الاشخاص الذين يستمدون دخلهم من هذه المؤسسة . ففي نهاية عام ١٩٧٠ كان هناك عدد يتراوح ما بين نصف القوى العمالية او ثلثها ، على الاقل ، يحصلون على جزء رئيسي من دخلهم من موازنة القوات المسلحة . ووفقا لما صرح به ناطق باسم وزارة الدفاع الاسرائيلية ، فان ما بين ٨٠ الف عامل و ١٠٠ الف عامل في السوق المدنية كانوا يعيشون بصورة مباشرة من موازنة القوات المسلحة(١٢) . ومن الامثلة التي توضح الاعتماد المتزايد على تجارة الحرب ، النمو غير الاعتيادي للصناعة العسكرية الاسرائيلية من بداية متواضعة قبل عام ١٩٤٨ عندما كانت القوات السرية - الهاغانا - تصنع رشيشة ستن وقتابل يدوية ، الى مستوى عالي التعقيد من انتاج الطائرات والصواريخ والبنادق الخ . الامر الذي جعل « حوالي ٩٠ بالمئة من الاسلحة الصغيرة والخفيفة والمتوسطة والذخائر التي تستخدمها القوات المسلحة الاسرائيلية هي مصنوعة في اسرائيل »(١٣) .

واليوم ، لقد نمت صناعة(*) اسرائيل العسكرية لتصبح اكبر صاحب عمل في اسرائيل ، اذ ان صناعة الطائرات وحدها تستخدم ما يزيد على ١٣ الف شخص . واسرائيل مدرجة في « معهد الدراسات الاستراتيجية » بلندن على انها بين البلدان الاربعة والعشرين في العالم التي تطور وتنتج بعض اسلحتها . ولا تضم القائمة ايا من البلدان العربية(١٤) رغم وجود صناعة حربية في مصر . ويقول احد التقارير ان قيمة السلع المصنوعة في مصانع الاسلحة الاسرائيلية كانت تبلغ ٣٠٠ مليون ليرة اسرائيلية عام ١٩٦٧ . وقد ارتفع هذا الرقم الى ١٣٠٠ مليون ليرة اسرائيلية عام ١٩٧٠ ، اي اربعة اضعاف ما كان عليه عام ١٩٦٧ . ومن المتوقع ان يبلغ ٢٦٠٠ مليون ليرة اسرائيلية عام ١٩٧٥(١٥) .

وتدفعنا الاحصائيات الانفة الذكر الى استنتاج واضح ، هو ان تجارة الحرب تسيطر على المجتمع الاسرائيلي . وليس من المبالغة القول بانها اذا ما توقفت المؤسسة العسكرية في اسرائيل عن العمل والانتاج ، او خفضت انتاجها الى الحد الادنى ، فسوف تخلق مضاعفات سلبية خطيرة من شأنها ان تؤثر في المجتمع بأسره . وستمثل هذه السلبيات بظهور معدل بطالة مرتفع ، أعلى من أي معدل سبق لاسرائيل أن عرفته من قبل ، الامر الذي يهدد بالخطر وجود المجتمع الاسرائيلي نفسه . وهكذا فانه واضح تماما لماذا يوجد لنخبة السلطة في اسرائيل مصلحة راسخة في ابقاء التوتر مرتفعا ، ولماذا تعزز دائما سياسة ذات خط متصلب يعوق اي حل للنزاع . فهي تعي ان اي تخفيض للنزاع سيظهر الى السطح لا التبيانات بين اليهود الشرقيين مقابل اليهود الغربيين فحسب ، بل ايضا اعتماد الاقتصاد الاسرائيلي العالي على الحرب . ولا داعي للتذكير هنا بان سياسة التصلب الاسرائيلية تقوم في الاساس على طبيعة الدولة التوسعية العدوانية ولا على مجرد رغبة السلطة في انتفاع الاقتصاد من سياسة الحرب .

٣ (ضباط في مناصب مدنية : احد المؤشرات الاخرى التي تكشف عن التوجه العسكري للمجتمع الاسرائيلي هو سياسة الحكومة العامة الرامية الى احوال الضباط على التقاعد في سن مبكرة وتعيينهم في مناصب في القطاع المدني . ونادرا ما ينتقبه العلماء الغربيون الذين يدرسون المجتمع الاسرائيلي الى هذا الاتجاه المتزايد في اسرائيل . ويميلون الى اغفاله ولا يعلقون عليه اية دلالة سياسية على الاطلاق ، او يميلون الى التركيز على الاسهام الايجابي لهؤلاء الضباط في القطاعات المدنية ، ويصفونهم بتعابير الاعجاب البراق على انهم افراد موجهون نحو الانجاز ، مجتهدون ، ذوو كفاءة بالغة ، رجال عمل الخ . . ومع هذا ، عندما يدرس هؤلاء العلماء مصر وسورية والعراق وغيرها من البلدان النامية ، فانهم يميلون الى استعمال هذا الاتجاه كمؤشر للسيطرة العسكرية على هذه المجتمعات . ويعملون على شجب هذا الاتجاه لانه يتعارض مع مفهومهم لشكل الديمقراطية حيث لا يسمح ، نظريا ، للرجال الذين يرتدون البزات العسكرية بادارة القطاعات المدنية من المجتمع . واذا ما نظرنا الى الامر في نطاق اخلاقي ، وجدنا ان العلماء يميلون الى وصف ما يحدث في اسرائيل بانه

* علق محرز « شؤون فلسطينية » العسكري على هذا الكلام عن صناعة اسرائيل الحربية بان الموضوع كله قابل للنقاش ، وحثر من الاخذ السريع بما تزعمه المصادر الاسرائيلية للاعلام . فالهم هو قبة الاسلحة التي تنتجها اسرائيل اكثر مما هو نسبته الى مجموع السلاح الاسرائيلي ، وقد كشفت حرب اكتوبر زيف اسطورة تقدم الصناعة الحربية في اسرائيل وقدرتها على تلبية حاجات الجيش والطران . (شؤون فلسطينية ، عدد ٢٨ ، صفحة ٦٩) .

فاضل ، ثم يصفون الأشياء عينها في البلدان الأخرى بأنها شائبة سياسية . وفيما يلي بعض المعلومات التي توضح تغلغل النفوذ المتزايد للضباط في القطاعات المدنية من إسرائيل .

ان من أهم الأمثلة الصارخة على هذا التغلغل تكوين مجلس الوزراء الإسرائيلي السابق الذي كان ستة اعضاء فيه من كبار الضباط السابقين ، بينهم ثلاثة رؤساء اركان سابقين : موشي دايان ، واسحق رابين ، وجاييم بارليف ، وهؤلاء الاعضاء ، وفقا لكل الآراء ، أهم الاعضاء الاقوياء في مجلس الوزراء . وكان من المرشحين لخلافة جولدا مئير لدى استقالته ييغال الون ، وموشي دايان ، وكلاهما من كبار الضباط السابقين . ثم خلفها بالفعل عسكري آخر هو اسحق رابين . وقد درس بن - دور في بحث غير منشور سيرة ٧٥ من كبار الضباط السابقين من رتبة زعيم وما فوق احيلوا على التقاعد بين عام ١٩٥٠ وثمانينات (فبراير) عام ١٩٧٣ . فوجد انهم عينوا في دوائر الوزارات التالية :

مكان الاستخدام	العدد	النسبة المئوية
١ (النظام العسكري	١٨	٢٤
٢ (التعليم والابحاث في معاهد التعليم العالي	٦	٨
٣ مراتب ادارية عليا في معاهد التعليم العالي	٦	٨
٤ مراتب ادارية عليا في المؤسسات العامة والحكومية	٨	١٠.٦٦
٥ وزارة خارجية وسفراء	٢	٢.٦٦
٦ بعثات دائمة ومؤقتة في الخارج ارسلتها وزارة الخارجية او مؤسسات اخرى	٣	٤
٧ منصب سياسي منتخب وموظفون حزبيون	٨	١٠.٦٦
٨ مراتب ادارية في الصناعة والمؤسسات والمشاريع الاقتصادية	٢٤	٣٢
المجموع	٧٥	١٠٠

ومن الملاحظات المهمة ان عددا من معاهد التعليم الاسرائيلية يترأسها ضباط كبار سابقون . وتشمل هذه المعاهد جامعات القدس ، وتل ابيب ، وبئر السبع . ومعهد التخنيون في حيفا .

ولتعيين الضباط ذوي الرتب العالية لمناصب مدنية معان كثيرة . اهمها توسيع التوجيه العسكري ليشمل القطاعات المدنية ، مما يجعلها اكثر تقبلا للانضباط العسكري والمثل والأهداف العسكرية ، وبالتالي يخفض التوتر والنزاع بين الاثنين الى ادنى حد . وتميل الدراسات في علم الاجتماع وعلم النفس الاجتماعي التي تبحث في طريقة حياة الجيش الى التشديد على كون عمليات التطبع الاجتماعي في القوات المسلحة تتسم بأنها واسعة شاملة وكثيفة شديدة ، وانها اكثر من تامة وكاملة ، وتميل الى ترك تأثير مستديم في سلوك الفرد . وهكذا عندما ينتقل الضباط الى المناصب المدنية لدى تقاعدهم ، فانهم يميلون الى نقل انماط السلوك والقواعد والقيم التي اكتسبوها اثناء وجودهم في القوات المسلحة الى مناصبهم المدنية الجديدة . وثمة أمثلة عديدة تشير الى ان هذا هو ما يحدث في إسرائيل . وقد ورد في إحدى الجلات ان ييغال الون ، وهو من كبار الضباط السابقين ، كان يدير مجلس الوزراء كجنرال

عندما تسلم رئاسة الوزارة بالوكالة ، بين السادس والعشرين من شباط (فبراير) والسابع عشر من آذار (مارس) عام ١٩٦٩ ، بعد وفاة ليفي اشكول (١٦) . والرواية الأكثر دلالة هي تلك التي أوردها ملحق هارتس في الثامن عشر من حزيران (يونيو) عام ١٩٧٢ . إذ نشر الملحق مقالة كتبها شلومو شامير حول الطريقة التي أدار بها اسحق رابين ، رئيس الأركان السابق ، السفارة الإسرائيلية عندما صار سفيرا في واشنطن (من عام ١٩٦٨ حتى عام ١٩٧٣) . ويقول الكاتب ان السفارة تشبه وحدة قتال طال تمركزها على الجبهة ، فصار رجالها يحتقرون هؤلاء الذين يخدمون بعيدا ، على الخطوط الخلفية ويكرهونهم . ويمضي الكاتب قائلا ان « آراء رابين في مؤهلات الدبلوماسي الإسرائيلي مستمدة من ماضيه العسكري » . ويقول انه من الأفضل « لو جاء المثلون الدبلوماسيون الإسرائيليون من عالم العمل والفكر الى هذه المجالات » ، ويشرح قائلا ان « الخبرة العسكرية تشمل حقولا كثيرة من الأعمال والقيادة والإعلام والتدريب في التفكير المنضبط والموضوعي ، والمقياس الوحيد الأوحده في الجيش هو النتائج ، وإذا كانت الدبلوماسية المحترفة تعني النتائج ، فانا احبها » (١٧) .

٤) سنوات الخدمة العسكرية : المؤشر الرابع الى الدور المسيطر للمؤسسة العسكرية في إسرائيل هو ان الذكر المقيم بصورة دائمة عليه ان يمضي ما بين خمسة اعوام وستة اعوام من حياته في القوات المسلحة ، ثلاثة منها كمجند الزامي وعامان كجندي احتياطي (٣٠ شهرا للضباط ولصف الضباط) . وتعتبر الخدمة الاجبارية في جيش إسرائيل أطول خدمة اجبارية في العالم الغربي . وتفاصيل نوعي الخدمتين هي كما يلي :

١) التجنيد الالزامي — وهو يشمل كل الذكور الذين تتراوح اعمارهم بين الثامنة عشر والتاسعة والعشرين من العمر ، لثلاثة اعوام ، (وهي مدة طويلة بالنسبة للخدمة العسكرية في بلدان أوروبا الغربية) والتأجيلات من الخدمة قليلة ، والاعفاءات قليلة جدا . ولا يمنح تأجيل الخدمة الا للذين اختاروا الالتحاق بما يسمى « الاحتياط الجامعي » ، ولا يمنح الجيش في إسرائيل امتياز تأجيل الخدمة العسكرية الا لعدد صغير من المجندين الالزاميين . وليست غاية هذا البرنامج تخفيف عبء الطلاب ، بل زيادة اعداد المهنيين المتدربين الذين يحتاجهم الجيش . وبكلام آخر ، لا يمنح تأجيل الخدمة العسكرية الا لهؤلاء الأشخاص الذين يواصلون مهنة او تدريبا من شأنه ان يرفع الى الحد الاقصى من فعالية الجيش الإسرائيلي وكفاءته . فالاحتياطيون الجامعيون يتجنّدون أولا في الجيش وهم في سن الثامنة عشرة ، ويتلقون دورة قصيرة من تدريب المجندين في احد معسكرات الجيش ، وانذاك فقط يبدأون دراساتهم الجامعية « بوصفهم جنودا في اجازة خاصة » . وهم طوال دراساتهم يتمرسون بالتقيد بالانضباط العسكري (١٨) . ويجند الجيش كل الذكور ولا يسمح الا بقلّة ضئيلة من الاعفاءات . فتبسط القديمين وعمى الألوان والامية لا تعتبر اسبابا للاعفاء . ولا يعفى من الخدمة العسكرية الا المعتوهين ، والمنهارين نفسيا ، او من هم في حاجة الى عناية طبية جسدية او نفسية . ويبلغ معدل الرفض الاجمالي ما بين ٧ بالمائة و ١٠ بالمائة من ذكور إسرائيل الذين يبلغون الثامنة عشرة من العمر (١٩) . وهكذا فان التجنيد الالزامي في إسرائيل يختلف اختلافا ملحوظا عنه في البلدان الأخرى ، بما فيها البلدان العربية . فالتجنيد الالزامي ، نظريا ، شامل عام في معظم البلدان العربية ، وتصل مدته في سورية الى ٣٠ شهرا ، وفي مصر الى ٣٦ شهرا . بيد ان أشخاصا عديدين يعفون من الخدمة العسكرية في الواقع . وفي الكثير من الحالات فان عدد الافراد المعفيين يتجاوز عدد الذين يجندون فعلا . وفي بلدان عربية معينة بإمكان المرء ان يدفع البدل

النقدي للاعفاء من الخدمة العسكرية . وفي الولايات المتحدة نجد ان معدل الرفض ، حتى في حالات الطوارئ ، كالحرب العالمية الثانية ، يصل الى الثلاثين بالمئة . ويمكن تفسير شمولية التجنيد الالزامي للذكور في اسرائيل ، من الناحيتين النظرية والعملية ، كما يلي : اولاً ، ان عدد يهود فلسطين المحتلة صغير جداً اذا ما قورن بعدد سكان البلدان المجاورة لها . فعدد سكانها اليهود لا يتجاوز الملايين الثلاثة . وعدد المجندين الالزاميين سنوياً يفوق قليلاً الخمسة والاربعين الفا . ولذا فانها لا تستطيع ان تتحمل ترف اعفاء العدد الكبير من الشبان الذين تعفيهم البلدان كثيرة السكان . ثانياً ، كان الفرد الاسرائيلي منذ طفولته المبكرة وطوال اعوام دراسته النظامية وعضويته في الكثير من منظمات الشبيبة ، يتقن ويكيف اجتماعياً ليعي اهمية الجيش وقيمه كوسيلة للبقاء الوطني وتحقيق الاهداف والمثل الصهيونية . وأخيراً ، فان التجنيد الالزامي الشامل للذكور يوضع موضع التنفيذ لانه الوسيلة الوحيدة التي يمكن بواسطتها تحقيق مستوى حد أدنى من المواطنة للأفراد الذين ينتمون الى اكثر من ٧٠ ثقافة متباينة (٢٠) .

ب) نظام الاحتياط — على جميع الاشخاص من المجندين الزامياً بعد اكمال اعوامهم الثلاثة ان ينضموا الى نظام الاحتياط حتى سن الخامسة والخمسين . وفي عام ١٩٧٢ كان حجم مقاتلي نظام الاحتياط يقدر بحوالي ٢٥٠ الف جندي . وبوجه عام ، يخضع الاحتياطيون لتدريب متواصل طوال فترة الاحتياط . فطليهم ان يمروا في دورات تدريب سنوية تدوم ثلاثة اسابيع حيث يعيشون في اوضاع مماثلة لوضع الحرب . وكثيراً ما كان هؤلاء الافراد يشتركون في الغارات والهجمات الاسرائيلية على الاردن وسوريا ومصر . الامر الذي يجعل الاسرائيليين يقولون عن افراد شعبهم بأنهم « جنود في اجازة لمدة ١١ شهراً في السنة » .

وفي اوقات الطوارئ يصار الى استدعاء هذه الجماعة اما بواسطة شيفرة خاصة بالراديو او بالاتصالات الفردية . وتمكن تعبئة قوات الاحتياط ونقلها الى اية منطقة في اسرائيل في غضون ٧٢ ساعة من الاشعار . وفي عام ١٩٦٧ استطاعت اسرائيل ان تعبئ ١١ بالمئة من طاقاتها البشرية في غضون ٤٨ ساعة . ووحدات الاحتياط منظمة على اساس المناطق لتيسير التعبئة . ولديها كادر صغير من الاشخاص المحترفين ، وهم عادة ضباط قادة وحدات ، وفنيين واداريين وخبراء صيانة . وتتم المحافظة على المعدات لكل وحدة احتياطية في حالة استعداد تام بحيث ان الوحدة تستطيع القيام بمهمتها فور تجمعها في زمن الحرب (٢١) .

هـ) المرأة في القوات المسلحة : ليس التجنيد الالزامي في اسرائيل شاملاً بالنسبة للذكور فقط ، بل بالنسبة للاناث ايضاً . ويتم تجنيد الفتيات بسن الثامنة عشرة وسن السادسة والعشرين . ومما لا ريب فيه ان الاعفاء يصيب النساء اكثر مما يصيب الرجال . واسس إعفائهن كثيرة . وبعض هذه الاسس هي التالية : يمكن اعفاء امرأة اذا اقتسمت في حضور حاخامين اثنين على ان معتقداتها الدينية ارثوذكسية الى حد ان الخدمة في القوات المسلحة ستتعارض تعارضاً خطيراً مع ضميرها الديني وطريقة حياتها (٢٢) . كذلك فان النساء المتزوجات او الحوامل يعفون من الخدمة العسكرية . ويمكن اعفاء احدى النسيب اذا ما تبين انها لا تستطيع التكيف مع الحياة العسكرية . وعلى الرغم من كل هذه الاسس للاعفاء وغيرها من الاسباب فان اكثرية النساء تدخل الجيش . وتتراوح النسبة المئوية بين ٦٠ بالمئة و ٧٠ بالمئة من جميع النساء المؤهلات . وتتدرب اللواتي يلتحقن بالجيش على استعمال الاسلحة الخفيفة ، للدفاع ، مع تشديد اولي على العمل في مجالات الخدمة غير القتالية ، كالاعمال الكتابية والصحية والادارية والمواصلات . وبكلام آخر ، لا تتدرب النساء على قتال الخط الامامي .

ويعود تضمين النساء في القوات المسلحة الاسرائيلية الى أسباب كثيرة بحثناها في مكان آخر (٢٣). وأهم سببين يجدر بنا ذكرهما في نطاق هذه الدراسة هما: ١ - قلة عدد السكان وامكانية استخدام المرأة في بعض الاعمال العسكرية وشبه العسكرية ، لتوفير عدد اكبر من الرجال للخدمة في خطوط القتال ، ٢ - حقيقة ان الام في اسرائيل ، لا الاب ، تقرر يهودية الطفل . فالنساء في الجيش يتعلمن الشيء الكثير عمن الذينس والتاريخ اليهودي عن طريق المحاضرات والتقىيد باعراف دينية معينة . ويستطيع الجيش ، بفعله ذلك ، ان يزيد من احتمال استمرار دولة اسرائيل كبلد يهودي او يضمن ذلك الاستمرار .

٦ (**الجيش كقناة للتكامل الاجتماعي** : احد المؤشرات الاخرى الى دور الجيش في اسرائيل هو كونه قناة لدمج الخلفيات الثقافية المتباينة والمتباعدة التي يحملها المهاجرون معهم الى اسرائيل ولصهرها ولتكاملها . والمجتمع الاسرائيلي هو أحد المجتمعات الأكثر تغاييرا في عناصرها التي عرفها علماء الاجتماع . انه بلد ٥٠ بالمائة من مواطنيه مهاجرون من أكثر من ٧٠ بلدا ، وتوجد بينهم اختلافات وفوارق سياسية وايدولوجية ودينية عديدة . والكثيرون من هؤلاء المهاجرين ، وبنوع خاص اليهود الشرقيون ، يفتقرون الى معرفة اللغة العبرية وتاريخ البلاد وجغرافيتها ، كما انهم يفتقرون الى التكرس السياسي ، والالتزام الفكري والنزعة التنظيمية التي تميز اليهودي الاوروبي ، وبالتالي ، فانهم يحتاجون الى توعية وتوجيه شديدين .

وتؤدي الوظائف التكاملية للجيش الاسرائيلي بواسطة نوعين رئيسيين من انواع النشاطات . ويشتمل النوع الاول على برنامجين للتوعية والتسليية يهدفان الى تقوية الوعي المدني والوطني للمجندين . ويضم هذا البرنامج ، ايضا ، مدارس خاصة لتعليم العبرية والتاريخ والجغرافية والمواضيع المتعلقة بها للمهاجرين الجدد . ولقد لعبت المجندات النساء دورا بارزا في هذا النوع من النشاطات كعملات . وتشمل الفئة الثانية جهودا لرفع مستوى الطاقة البشرية قبل عملية ادخال المدنيين في الجيش ولاعداد الجنود والضباط للاندماج السهل في المجتمع لدى اتمام الخدمة العسكرية (٢٤) .

وهناك ثلاثة عوامل جعلت الجيش قادرا على تأدية وظائف التكامل . اولاً ، بما ان التجنيد الالزامي هو شامل بالنسبة الى الذكور بين سن الثامنة عشرة وسن التاسعة والعشرين ، وبالنسبة الى نحو ٦٠ - ٧٠ بالمائة من النساء بين سن الثامنة عشرة والسادسة والعشرين ، فان المؤسسة العسكرية هي المؤسسة الوحيدة في اسرائيل التي يمكنها ان تصل الى جميع البالغين الثيبان تقريبا وتزودهم بالتنشئة الاجتماعية . ثانياً ، لدى جيش اسرائيل كميات ضخمة من الموارد غير الموجودة لدى اية مؤسسة اخرى ، والتي تمكن الجيش من التغلغل في مناطق هي اما مهملة او لا تستطيع السلطات المدنية والمؤسسات الوطنية الاخرى الوصول اليها . واخيراً ، لكي يعمل الجيش ويحقق اهدافه في الدفاع عن اسرائيل وتحقيق الاطماع الصهيونية ، فانه يحتاج الى مجمع وافر ومخلص وملتزم وعالي الكفاءة ويمكن الركون اليه من الطاقة البشرية التي يستطيع الاعتماد عليها لتأدية الوظيفة . وبكلام اخر ، ان للقوات المسلحة مصلحة راسخة في رفع نوعية الشعب ومستوياته بوجه عام .

٧ (**سيطرة الجيش على الكثير من منظمات الشببية والبالغين** : يسيطر الجيش الاسرائيلي بمفرده او بصورة مشتركة ، على الكثير من المنظمات التي تلعب دورا مهما في تشكيل الشخصية الاسرائيلية وتاليغها . وأهم هذه المنظمات في الجنداع والناحل . وكلمة جنداع هي اختصار للاسم العبري لفيالق الشببية . ابتدأت عام ١٩٣٩ ووضعت

عام ١٩٤٩ ، تحت الادارة المشتركة لوزارة الدفاع ووزارة التربية والثقافة (٢٥) . وهي ، نظريا ، منظمة طوعية ، ولكنها في الواقع تحاول ان تبلغ وتجنّد كل الشبيبة الاسرائيلية التي تتراوح اعمارها بين الرابعة عشرة والثامنة عشرة ، سواء كانت في المدرسة أو عاملة .

وفي الوقت الحاضر تعمل الجنداع في ١١٠ مدارس عامة ، و ١٠٠ مدرسة مهنية ، و ٣٠ مدرسة زراعية ، وفي نحو ٢٥٠ صفا من الصفوف الاضافية اللاحقة للمدرسة الابتدائية وجماعات الشبيبة في الكيبوتزات ولقد وصل حجم المنظمة في العام ١٩٦٩ الى ٨٠ الفا ، من الفتيان والفتيات (٢٦) .

وتسهم الجنداع في القوات المسلحة الاسرائيلية عن طريق التدريب شبه العسكري التمهيدي ، وعن طريق امتصاص وتمثيل الشبيبة من مختلف الخلفيات الثقافية وتشريهم روح الرياضة والخدمة الوطنية (٢٧) . وهدف الجنداع هو غرس الاحاسيس الصهيونية في الشبيبة فضلا عن تزويدهم بنظرة الى ما ستكون عليه الحياة العسكرية واهميتها ، وتشبيعهم بالروح العسكرية على غرار النازية والفاشية في النصف الاول من هذا القرن . وواجه البرنامج طوعية والزامية في آن معا . اذ يطلب من الاحداث الاستماع الى المحاضرات في الشبؤون العسكرية وبحثها . وهذا مطلوب من كل الشبيبة المسجلين في مدرسة لاحقة للمرحلة الابتدائية يوجد للجنداع وحدة فيها . وتشتمل البرامج الطوعية على تقديم مجموعة متنوعة من الدروس الخاصة حول الطيران والمواصلات والرادار للذين يظهرون اهتماما وميلا خاصين نحو هذه المواضيع . ويجري هذا بقصد مساعدة الجيش في اكتشاف مجندين محتملين ولخفض هدر الطاقة البشرية وخسارتها . وبكلام آخر ، تؤدي الجنداع وظيفة مختبر بشري للجيش لاكتشاف الذين يملكون البنية النفسية والفكرية والبدنية التي يتطلبها الجيش . ومثل ذلك ، ان جميع طلاب سلاح الطيران يتم اختيارهم من بين اعضاء الجنداع .

المنظمة الثانية هي الناحال . وكلمة ناحال هي اختصار لعبارة « نوعار خالوتسي لوحييم » ، اي الشبيبة الرائدة المقاتلة . وقد تأسست هذه المنظمة عام ١٩٤٨ سجل مكان البالماخ ، القوة الضاربة للقوة المسلحة اليهودية السرية المسماة هاغاناه . والناحال ، كالبالماخ ، تمزج الخدمة العسكرية بالزراعة . وينعكس هذا في شعارها وهو سيف يرمز الى القتال ومنجل يرمز الى المستوطنات الزراعية (٢٨) . ولدى بلوغ الاسرائيلي السادسة عشرة من عمره يستطيع الانضمام اما الى الجيش كمجنّد او الى الناحال . وبعد ثلاثة اشهر من التدريب العسكري الاساسي الشديد ، يتناول عضو الناحال تدريبا زراعيا ، وهو ما يزال تحت الانضباط العسكري ، في المستوطنة الزراعية الموجودة في منطقة صعبة للسكن العادي . ويتبع هذا تدريب عسكري . ولدى اتمام فترة الخدمة يكون قد اكتمل تدريب العضو للانضمام الى اي مستوطنة زراعية او لتأسيس مستوطنة خاصة به (٢٩) ، ومعظم الاشخاص الذين يختارون الانضمام الى الناحال هم اعضاء سابقون في الجنداع .

٨) الجيش كقناة للتكامل الدولي : المؤشر الاخير الذي يبين التوجيه العسكري للمجتمع الاسرائيلي هو الوجه الدولي للجيش الاسرائيلي . ولا يعتبر الجيش الاسرائيلي مسيطرا كقناة مهمة التكامل الداخلي فحسب ، بل للتكامل الدولي أيضا . فهو يلعب دورا بارزا في دمج اسرائيل في السياسة الدولية . ويؤثر في اقامة الروابط والعلاقات مع كل البلدان المتقدمة والنامية وتعزيزها . وترتكز علاقته مع البلدان المتقدمة على الحاجة الى استيراد اسلحة حديثة ، وتدريب ضباط اسرائيليين على استخدام

المعدات العسكرية الحديثة ، ولرفع النظريات والمفاهيم العسكرية السى المستوى الحديث . كما أن هذه الامم تتعاون مع اسرائيل لانماء الصناعة العسكرية في اسرائيل بغية تأمين المنفعة المتبادلة للجانبين . أما علاقته بالبلدان النامية ، فتشمل الحقول التالية : تصدير الاسلحة ، ارسال الخبراء لتنظيم جيوش هذه البلدان ، وتدريب ضباطها في المدارس العسكرية الاسرائيلية . كذلك ، فان الجيش الاسرائيلي ، بواسطه منظماته المختلفة كالتحالف والجدناع ، يتغلغل في مجتمع هذه البلدان . ويحاول ان يفتح الشعب بقيمة هذه المنظمات واهميتها في تدريب الشبيبة وتحضيرها في مختلف المجالات لانماء بلدانها اجتماعيا واقتصاديا . وفي الاعوام القليلة الماضية كان الجيش الاسرائيلي ، بالتعاون مع حكومات اخرى ، قادرا على ترتيب نحو ثمانتي دورات لتدريب ٥٥٠ زعيما من زعماء الشبيبة من ٥٠ بلدا ، على أساليب الجدناع ، وثمانتي دورات اخرى لتدريب ٢٠٠ ضابط ومعلم من ١٦ بلدا على أساليب الناحل ونشاطاتها . والهدف الاساسي لهذه الدورات هو خلق جماعة من الزعماء في هذه البلدان يتعاطفون مع أهداف اسرائيل ويستطيعون التأثير في شعوبهم وحكوماتهم . ويأمل الاسرائيليون من ذلك ان تعزز تلك الحكومات علاقاتها باسرائيل وتصوت لمصلحة اسرائيل في الامم المتحدة .

او تأمينها من قبل وكالات يهودية . مثال ذلك ان كلفة الكثير من المستوطنات المدنية وشبه العسكرية التي أسست بعد حرب ١٩٦٧ داخل اسرائيل وفي المناطق المحتلة والتي لها أهداف دفاعية مباشرة تحملتها هذه الوكالات اليهودية الى حد كبير .

Kanovsky, E., « The Economic Impact of the Six Day War », *Egypt and Jordan*, N. Y., Praeger, 1970, p.48.

Smith, M. M., *Area Handbook for Israel*, Washington, U.S.G.P.O., 1970, p. 365.

Mansfield, P., *The Middle East*, N.Y., Oxford University Press, 1973, p. 373.

١٢ - جريدة هآرتس العبرية الاسرائيلية ، ١٩٧٠/٤/١٧٠ .

Miller, M.J., «Israeli's Quest for Military Self-Sufficiency», *Military Rev.* 51, March, p. 67-73.

١٤ - مجلة *Jewish Week* ، ١٩٧١/٩/٩ ، ص ٣ .

١٥ - الملحق الاسبوعي لجريدة جروسالم بوست الاسرائيلية ، ١٩٧١/٦/٢ ، ص ٣ .

١٦ - *The Sacramento Bee* ، ١٩٦٩/٦/٨ .

١٧ - مجلة *Journal of Palestine Studies* مجلد ٢ ، عدد ٢١ ، ص ١٤٥ .

١٨ - Rolbant, *op. cit.*, p. 80.

١٩ - Marshall, S.L.A., *Sinai Victory*, N.Y., W Morrow, 1967, p. 9.

١ - Abdel Malek, Anouar, *Egypt: Military Society*, N. Y., Randon House, 1968, p. 383.

٢ - ستستعمل عبارة « جيش » كاختزال لكل فروع القوات المسلحة في اسرائيل .

٣ - Rolbant, S., *The Israeli Soldier*, N. Y., T. Yoseloff, 1970, p. 296.

٤ - جريدة *The Sacramento Bee* الصادرة في ساكرامنتو في كاليفورنيا ، عدد ١٩٧٢/٩/٥ ، ص ٢٢ .

٥ - *Military Balance 1973-74*.

٦ - المرجع السابق .

٧ - *Facts About Israel*, 1972, p. 95.

٨ - Peretz, Don, «Some Aspects of Social-Political Change in Israel» in M.M. Roumani (ed) *Forces of Change in the Middle East*, Worcester, 1971, p. 62.

٩ - لا بد من القول بوضوح ان الارقام المتعلقة بالنفقات العسكرية في اسرائيل هي تقريبية في بعض الامور التي تكتنفها السرية . أما الموازنة العسكرية بشكل عام فهي ليست سرية . اذ ان الكنيسيت يبحثها بين حين وآخر . انما نجده احيانا يصدق على الموازنة العسكرية دون نقاش . كذلك فالارقام المتيسرة دائما تبخس تقدير المبلغ الفعلي . كما ان الكثير من البنود التي لها افراض عسكرية يجري تمويهها تحت موازنات خاصة او ادراجها في مخصصات وزارات اخرى

Six Day War», *Commanary* 49, January 1970, p. 70-72.

٢٥ — تقدم وزارة التربية الاجور للمعلمين في المواضيع الاكاديمية في المدارس الثانوية والمهنية. وتقدم القوات المسلحة قادة فيالق الشبيبة للكيوتزات والمدارس الريفية .

Eaton, J. W., «Gadna», *Middle East Journal*, Autumn 1969, p. 471-481.

Ramati, S., «The Israeli Defense Forces», *Israeli Digest*, 69 p. 35. — ٢٦

Haymont, *Op. Cit.*, p. 46. — ٢٧

Heiman, *Op. cit.*, p. 66. — ٢٨

Haymont, *Op. cit.*, p. 46-47. — ٢٩

Rapport, D., «A Comparative Theory of Military and Political Types», in S. Huntington, *The Changing Patterns of Military*, N.Y., Free Press, 1962, p. 85. — ٢٠

Haymont, J., «The Israeli Nahal Program», *Middle East Journal*, Feb. 1967, No. 2, p. 42. — ٢١

Heiman, L., «Warriors in Skirts», *Military Review*, 1967, March, No. 42, p. 16. — ٢٢

Al Qazzaz, A., «Army and Society in Israel», *Pacific Sociological Review*, Vol. 16, No. 2, April 1973, p. 148-150. — ٢٣

Perlmutter, A., «Assessing the — ٢٤

صدر حديثا عن مركز الابحاث

كتاب

دروس الحرب الرابعة

بقلم

المقدم الهيثم الايوبي

ويحتوي هذا الكتاب خلاصة الدروس التي يمكن استنباطها من مجريات حرب تشرين الاول على صعيدي الاستراتيجية والاستراتيجية العليا ، استفادا الى اعترافات القادة والمتظرين العسكريين الاسرائيليين ، وملاحظات المرسلين العرب والاجانب الذين شهدوا معارك الحرب الرابعة عن كثب . وهو يحدد الخطوط العريضة التي يمكن الاستناد اليها لفهم ادارة العمليات في هذه الحرب ، واعداد استراتيجية عربية مستقبلية جديدة ، تأخذ بعين الاعتبار العوامل العالمية والمحلية التي تحدد معطيات الصراع العربي - الاسرائيلي .

سعر النسخة ٢ ل.ل. ، تضاف اليها اجور البريد الجوي :
٥٠ ق.ل. في العالم العربي ، ١ ل.ل. في أوروبا ، ٢٥٠ ق.ل. في سائر الدول .

اطلب نسختك من قسم التوزيع في مركز الابحاث

ص.ب ١٦٩١ — بيروت

الحزب الشيوعي الفلسطيني

١٩٤٨ — ١٩١٩

موسى خليل

يمكن تقسيم تاريخ الحزب الشيوعي الفلسطيني (ح.ش.ف.) الى فترات ثلاث توازت مع التطورات التي حدثت داخل الحركة الوطنية في فلسطين . فلقد شاهدت الفترة الاولى (١٩١٩ — ٢٩) تأسيس الحزب وجهوده المبذولة كي يمايز نفسه عن اليسار الصهيوني ويطرح عنه بقايا الايديولوجية الصهيونية . وفي المراحل الاولى ارتبطت تلك الجهود بالمحاولات المستمرة من أجل الحصول على اعتراف الكومنترن . ساهم الحزب بشكل رئيسي في المجال النظري ، ولكن مساهمته اتصفت بضعف وفتور المحاولات التي كانت تهدف الى كسب الجماهير العربية . وبقي الحزب يهوديا بالدرجة الاولى مع انه نجح في كسب ولاء عدد من العناصر العربية . وركز الحزب اهتمامه الرئيسي بالثورة العالمية التي رأى انها لا بد ان تشمل فلسطين في مجرى سيرها وتقدمها . وبدأ للحزب أن القوى المحلية وحدها لا تستطيع تحقيق الثورة ذلك لان الطبقة العاملة كانت لا تزال في مرحلتها الجنينية . وفي « عهد الاستقرار » في النصف الثاني من العشرينات بدأ الحزب يعمل في سبيل فلسطين مستقلة . وعجلت أحداث ١٩٢٩ حركة تحوله الى حزب أممي حقيقي .

وأما المرحلة الثانية (١٩٣٠ — ٣٩) فقد شهدت نشاطا مكثفا قامت به الحركة الوطنية . وقد لعب الحزب الشيوعي دورا نشطا في الصراع الثوري الدائر . وانتقد الحزب وقفته المترددة أثناء حوادث ١٩٢٩ . وبناء على توصية الكومنترن أسرع في عملية تعريب نفسه . وجرى تطهير قادة الحزب ، ولاول مرة باتت اللجنة المركزية تضم اكثرية عربية . وفي عام ١٩٣٤ أصبح « موسى » أول أمين عربي للحزب . انتهج الحزب سياسة معادية للبورجوازية الوطنية وذلك تمشيا مع خط مقررات المؤتمر السادس للكومنترن ١٩٢٨ ، وكان الحزب يحرض باتجاه ثورة العمال والفلاحين من أجل تأسيس اتحاد العمال والفلاحين لعموم البلدان العربية . لقد دعم الحزب بحماس انفجار ١٩٣٣ ولعب دورا فعالا في ثورة ١٩٣٦ — ٣٩ . وكان الكومنترن قد أصدر قرارا عام ١٩٣٥ يقضي بتغيير في خطه السياسي ، وكان الحزب باتباعه مبدأ الجبهة الوطنية قد أعطى دعمه الكامل للقيادة القومية التقليدية في الحركة الوطنية . وتميزت هذه الفترة بازدياد شدة الاحتكاك ما بين الاعضاء اليهود والعرب في الحزب ، وقد فصل عدد من الجماعات اليهودية في داخله وذلك نتيجة معارضتهم لاتباع خط الحزب في دعمه للحركة الوطنية العربية . ومع نهاية عام ١٩٣٩ كانت اللجنة التنفيذية قد فقدت كل اتصال مع الانقسام اليهودية بينما كان التأييد العربي لها يزداد .

وشهدت الفترة الثالثة الممتدة من ١٩٤٠ - ٤٩ أفول الحركة الوطنية نتيجة الهزيمة التي منيت بها الثورة العربية في فلسطين ، بينما انشق الحزب الشيوعي الفلسطيني الى شقين وطنيين ، كلاهما تميزا باتباع سياسات قومية وتخليا عن النضال الثوري الذي تميزت به حقبة العشرينات والثلاثينات .

وجاءت العصبة تمثل قوة هامة بين العرب مع انها لم تكن حزبا ماركسيا ثوريا . وسرعان ما كسبت مؤيدين لها بين المثقفين وحركة العمال ، وقد ناضلت من أجل فلسطين مستقلة تضمن فيها المساواة التامة والحقوق المدنية للعرب واليهود على السواء . وعارضت العصبة التقسيم . وانشقت في النهاية الى شقين متعارضين نتيجة تأييد السوفيات لقرار الامم المتحدة . وتدرجيا ، طور الشيوعيون اليهود موقفا يعترفون به بيهود فلسطين كمجموعة قومية ، وتعاونوا مع الحركة الصهيونية . ثم انهم قبلوا التقسيم ، ودعموا بنشاط وفعالية مبدا « الحرب الدفاعية » من أجل اقامة الدولة اليهودية .

الفترة الاولى ١٩١٩ - ١٩٢٩ : ولادة وتشكيل الحزب الشيوعي الفلسطيني

ولد الحزب الشيوعي الفلسطيني (ح . ش . ف .) نتيجة الانشقاق الذي حصل في حزب العمال الصهيوني ، حول مسألة الانضمام الى الاتحاد الصهيوني (أحداث هعفودا) ، ومسألة الاختيار بين استمرار الولاء للاممية الثانية او الانضمام الى الاممية الشيوعية التي تشكلت حديثا (١) . ان تاريخ تشكيل الحزب غير معروف تماما بسبب الانشقاقات الدائمة في الكثير من اقسامه . فقد كانوا ينشقون ثم يتجمعون في فئات ، ثم يعاودون الاتحاد مع الحزب الام ، او انهم كانوا ببساطة ينحلون نهائيا . اما الحزب نفسه فيرجع تاريخ تأسيسه الى يوم مجيء « حزب العمال الثوري » في آذار ١٩١٩ (٢) . وقد كان تأسيس هذا الحزب من عمل فئة راديكالية ضمن حزب العمال الصهيوني رفضت الانضمام الى الاتحاد الصهيوني . انعقد أول مؤتمر « لحزب العمال الثوري » في تشرين الاول (اكتوبر) من عام ١٩١٩ بقيادة ي . شالدي وي . مايرسون (٣) . وكان هذا الاخير ، وهو الذي القى الخطاب الاساسي في المؤتمر ، من اصحاب الراي القائل ان الانشقاق في حزب عمال صهيون والذي أدى الى تشكيل الحزب مشابه للانشقاقات في الاحزاب الاشتراكية في كل العالم ، بين اليمين واليسار ، بين الاصلاحيين والفوار البولشفيك (٤) .

وتابع محاولا ان يعطي تعريفا جديدا لموقف الحزب من الصهيونية حيث قال ان الصهيونية البروليتارية التي كان يدعو لها تربط انجاز المثل الاعلى الصهيوني بانتصار الثورة الاشتراكية ، وأكد بحزم ايمانه بأن « الصهيونية اما ان تنتصر كاشتراكية واما انها لن تنتصر أبدا » . وأثبتت قرارات المؤتمر تحليل مايرسون مؤكدة معارضة المؤتمر الانضمام الى الاممية الثانية والاتحاد الصهيوني ، والامتناع عن الاعتراف بالاتحاد العالمي لعمال صهيون طالما احتفظ بمثله في الاممية الثانية (٥) . واما بخصوص الجماهير العربية فقد قرر المؤتمر « بأن الشغيلة اليهود سوف يسرون جنبا الى جنب مع سائر جماهير الشغيلة في البلد بدون اي تمييز قومي » (٦) . لقد كان المؤتمر الاول « لحزب العمال الثوري » جزءا من التطور الذي ادى الى الابتعاد عن الايديولوجية الصهيونية . وقد أظهر اعضاؤه انهم حرروا انفسهم من معظم المعتقدات الاساسية للصهيونية ، وعبروا عن تأييدهم لثورة اكتوبر ، وأظهروا رغبتهم في النضال والتعاون

مع سكان فلسطين العرب المتهورين ضد « الامبريالية والصهيونية » . الا أنه كان واضحا أنهم في نفس الوقت استمروا في اعتناقهم المثالي لبعض اشكال الصهيونية (الصهيونية البروليتارية) ولم يكونوا قد تحققوا بعد من التناقض الاساسي بين الصهيونية والاشتراكية ، وبأن ما يسمى بالاشتراكية الصهيونية هو شيء لا يمكن تحقيقه ، كما أنهم لم يدركوا ان الصهيونية تشكل بمفاهيمها ايدولوجية مستقلة ، وكذلك لم يدركوا كون الصهيونية واحدا من التيارات السياسية « تستغل الامبريالية في صراعها مع حركة التحرر الوطني العربية » .

استمر هذا الحزب الجديد في اعتبار نفسه جزءا من حركة اتحاد عمال صهيون الدولي ، ورأى ان دوره يتحدد في العمل النشط بهدف جر الحركة الى مواقفه . وبناء على هذا الفهم ، أرسل مايرسون الى فيينا عام ١٩٢٠ ليمثل الحزب في المؤتمر الخامس للاتحاد الدولي لعمال صهيون بغرض التأثير على الحركة لتغيير سياستها وربط الحزب بفئات قلة مشابهة له في الحركة نفسها (٧) . وفي خطابه امام المؤتمر هاجم مايرسون البرنامج الصهيوني في فلسطين ووصفه بأنه تضليلي ، ونبه الى وجود مواطنين عربا على الارض الفلسطينية مصممين على طرد الوافدين الجدد وخصوصا الاجانب منهم ، وحذر من السير في سياسة التواطؤ مع الامبريالية البريطانية ضد الجماهير العربية . وقال انه « نتيجة قلة تضامنا مع الجماهير العربية المتهورة فاننا نزيد في كراهيتهم لنا ، وذلك بسبب من صداقتنا المفتوحة وتعاوننا مع الحكم الامبريالي الاجنبي » (٨) . ثم طالب « باقامة منظمات سياسية واقتصادية مشتركة تضم في صفوفها الشغيلة العرب واليهود ، كما طالب بالمبادرة في التهيئة من اجل نضال مشترك ضد الحكم الامبريالي الخارجي » (٩) . وكما هو متوقع فقد قوبل الخطاب بمعارضة شديدة واضطر مايرسون تحت الضغط الى ان يترك المؤتمر ولقد كانت المعارضة شديدة لدرجة ان « حزب العمال الثوري » تشعر بأنه مرغم ان يكتب الى فيينا حالاً نفسه من اي ارتباط بوجهة نظر مايرسون ومتصلا من اي مسؤولية عن آرائه (١٠) .

نظم حزب العمال الثوري مؤتمره الثاني في الثاني من تشرين الاول (اكتوبر) من ١٩٢٠ في مدينة حيفا (١١) . وقد صيغت مقررات هذا المؤتمر ايضا من ضمن الاطوار الصهيوني . وقد شخص المشكلة العالمية للشغيلة اليهود في انها تكمن في عدم وجود ارض لهم وفي التركيبة الاقتصادية الشاذة للشعب اليهودي . وقد كان في اساس مقرراته زيادة هجرة اليهود الى فلسطين . وفي الوقت نفسه أكد المؤتمر على ضرورة انشاء حزب ثوري في فلسطين مؤسس على « قسمين قويين : يهودي وعربي » (١٢) .

لقد نتج عن المؤتمر خليط من القرارات الصهيونية والثورية مما عكس قلة الوضوح وعدم النضج الثوري في الحزب . ومع ذلك فقد كان له جانب ايجابي تميز بموقف صريح ضد الامبريالية ، وبدعوة لتشكيل اتحادات مهنية واقامة تنظيم سياسي اممي .

وثناء الفترة الممتدة حتى شباط (فبراير) ١٩٢٤ ابان كان الحزب مقبولا رسميا كقسم من الاممية الشيوعية (١٣) ، كان يدور في صفوفه صراع ايدولوجي تركز حول نقطتين رئيسيتين : (١) الموقف من الصهيونية ، و (ب) والرغبة في الانضمام الى الاممية الشيوعية . ولكن طالما ان الحزب لم يكن قد ازال من ايدولوجيته كل بقايا الصهيونية فانه لذلك لم يكن مؤهلا لعضوية الاممية (١٤) . وادت هذه الصراعات الى عدد من الانشقاقات والتجمعات داخل الحزب . فتشكلت مجموعات جديدة ما لبثت ان اتهمت قيادة الحزب بالخضوع للصهيونية (١٥) ، وفي عام ١٩٢١ دعا الكومنترن « حزب العمال

الثوري» الى ارسال مراقب بتمؤتمر الثالث للكونغرس . ولكن (١٦) لم يصبح الحزب مؤهلاً لعضوية الكونغرس الا بعد ان خرج من مؤتمره الخامس عام ١٩٢٣ (١٧) بمقررات واضحة وذلك نتيجة اندماج المجموعتين الرئيسيتين مجموعة بيرغر ومجموعة اورباخ وكلاهما كانا قد تشكلا بعد تفكك « حزب العمال الثوري » في العام ١٩٢١ الذي حصل نتيجة مباشرة لاضطرابات اول ايار والملاحقات التي تبعتها .

وقد قرر المؤتمر الخامس المذكور ارسال اورباخ الى موسكو حوالي نهاية العام ١٩٢٣ للقيام بالمفاوضات من اجل انتساب الحزب الشيوعي الفلسطيني الى الكونغرس رسمياً (١٨) . وكان المؤتمر الخامس للحزب اول مؤتمر يلقي فيه عضو عربي خطاباً امام تجمع مثله . وقد كان لذلك اكثر من قيمة رمزية كما اظهرت مقررات الحزب فيها بعد (١٩) . فانطلق برنامج الحزب متخذاً جانب الحركة الوطنية العربية بحزم ، وضد الصهيونية والامبريالية (٢٠) . وقد اعلن عن كون الحركة العربية الوطنية كأحد العوامل الاساسية في الصراع ضد الامبريالية البريطانية ، واخذ الحزب على عاتقه وجوب فعل اي شيء في استنطاقه من اجل دعم الحركة طالما هي موجهة ضد الامبريالية . ويجب ان لا يؤدي شكل هذا الدعم « بأن تنحدر الحركة الشيوعية وتتحول الى ارسالية » من اجل ان تدعم فقط الحركة العربية وانما يجب ان تجمعها جبهة موحدة ضد الامبريالية . وينبغي ايضاً على الحزب ان يؤثر في التطورات السريعة الجارية في عملية انقسام الطبقات في الحركة العربية ، فعلى الحزب ان ينال ثقة الجماهير المقهورة بأن يضمن في عداد مطالبه الامور والقضايا التي تتعلق بحياتهم اليومية (مثل تصفية الديون القديمة ، والمسألة الزراعية ، وانشاء حكم ذاتي والغاء الانتداب) .

وفيما يتعلق باليهود فقد اعترف الحزب بأن الصهيونية هي حركة تحمل آمال البورجوازية اليهودية في ان مجهل نشاطها الاستيطاني من الناحية الاقتصادية ، مرتبط بأسوأ اشكال الاستغلال ، وان هدف مؤسساتها المالية هو ايجاد الاساس لاستقرار رأس المال المتجمع عن طريق استغلال البروليتاريا ، الامر الذي يميزها كممثل للامبريالية الصهيونية . وفي ضوء هذا التحديد للصهيونية فقد وجد الحزب ان دوره محصور في النضال ضدها . ووجد الحزب ان عليه ان يقاوم عن طريق العمل التربوي في صفوف الشغيلة اليهود ، وان « النضال يجب ان يوجه بشكل خاص ضد الصهيونية البروليتارية » (٢١) ، وضد الشوفينية والدعوة لاستخدام اللغة Yiddish (اليبديشية) مكان العبرية ، وان على الحزب ان ينظم مكافحة الصهيونية حيثما وجدت جماهير يهودية متراصة .

ووجد الحزب ان الصناعة في البلد في حالة متدنية ، لذلك شدد على اهمية العمل بين العرب الاكثر ثقافة وفي الوقت نفسه ، فان نشاط الحزب يجب ان يهدف الى خلق اتحاد بين جميع الاحزاب الشيوعية في الشرق من اجل مقابلة الامبريالية البريطانية .

ان محاولات الحزب في توحيد صفوفه وكسب اعتراف الكونغرس به قد امتصت كل اهتمامه وادت الى اهمال جوانب اخرى في الصراع مثل العمل بين اليهود انفسهم (في هذه المرحلة لم يكن للحزب اي نشاط بين العرب) . وقد نجح حزب العمال الثوري مبكراً ، وذلك في الانتخابات الاولى لهستدروت في ٢١/١٩٢٠ ، ان يحصل على ستة ممثلين من اصل ثمانية وسبعين (٢٢) . لكن نتيجة لموقفه من منظمة الشغيلة العرب داخل الهستدروت فقد رفض ان يعمل الى جانب الاحزاب الصهيونية الاخرى وبذلك سحب ممثليه منه . وفي تشرين الثاني (نوفمبر) من العام ١٩٢٣ انشأ الحزب

الشيوعي الفلسطيني « قسم الشغيلة » داخل الهستدروت (٢٢)، لفصل الدور الاقتصادي والتعاوني عن النقابات وفصل هذه الأخيرة عن الصهيونية وذلك بهدف تثويرها وجعلها أممية . وقد برز « قسم الشغيلة » عن طريق معارضته قادة عماليين معترف بهم ، وحرص ضد البطالة وناضل من أجل الوحدة مع العرب (٢٤) . وفي كل المظاهرات والمشاكل العمالية الناجمة عن البطالة نشط الشيوعيون كمنظمين و « كمحرضين » (٢٥) . لكن الهستدروت وجد انه من المستحيل التعايش مع فئة معادية للصهيونية في داخله فطرد اعضاء « قسم الشغيلة » وأدانهم رسميا في نيسان (ابريل) ١٩٢٤ (٢٦) .

الحزب الشيوعي الفلسطيني حزب يهودي في اغلبيته وذو تأثير ضئيل بين العرب . لقد أشار الكومنترن عندما قبل الحزب الشيوعي الفلسطيني الى اهمية مسألة العمل بين العرب كي يتحول الحزب من منظمة للشغيلة اليهود الى حركة اقليمية (٢٧) . لكن فيما يختص بالعمل في صفوف العرب فقد وجد الحزب معوقات صعبة جدا . فقد كان معظم مؤسسي الحزب وكادراته مهاجرين يهود من روسيا ، مما يعني ان مجيئهم الى فلسطين يدل على انهم كانوا صهاينة ذات يوم . وباعترا فمهم بأنهم جزء من مجتمع قومي استيطاني فقد كان عليهم ان يختاروا اما مغادرة البلد كما فعل الكثيرون منهم جاعلين الحزب بذلك « مخيم مرور » ، واما توجيه جهودهم لطلب اعضاء عرب الى الحزب مؤثرين بذلك على الحركة الوطنية العربية . ولم يكونوا ابدا مهئين من اجل هذا العمل الاخير لاسباب منها العادات والتاريخ . وقد كانت اللغة واحدة من المشاكل الصعبة التي كان عليهم مواجهتها .

لقد ادعى الحزب ان اول عضو عربي انضم الى صفوفه عام ١٩٢٣ (٢٨) . ولكن حتى العام ١٩٢٥ فقد كانت المنشورات الصادرة بالعربية حول مواضيع اشتراكية عامة مكتوبة بلغة سيئة وغير مفهومة (٢٩) مما يدل على عدم وجود اعضاء عرب في الحزب . وتشير تقارير الشرطة الى ان الحزب كان يضم عضوا عربيا واحدا عام ١٩٢٤ ، وثمانية اعضاء عام ١٩٢٥ ، لكن هذا العدد ارتفع عام ١٩٢٧ (٣٠) .

يبدو انه كان لدى الحزب صحيفة صدرت ما بين عامي ١٩٢٥ و ١٩٢٧ (٣١) ، لكنها انقطعت عن الصدور بعد ذلك . ومن المحتمل ان تكون جهود الحزب بين العرب وحتى ما بعد منتصف العشرينات تركزت كليا حول اصدار البيانات وعدد محدود من المنشورات في مناسبات مختلفة . ولم تعط الجهود المبذولة لتنظيم الشغيلة العرب اي نتائج ايجابية . الا انه مما يذكر ان ثمة نجاح احرز في يافا في سنة ١٩٢٥ عندما انضم واحد وعشرون عربيا الى جماعة بايكر (٣٢) .

شدد الحزب في دعايته على شعارات معينة كان يؤمل ان تخدم في تهيئة ارضية مشتركة مع الحركة الوطنية العربية . وبذلك اكد على ضرورة شن حملات ضد الانتداب البريطاني ، وضد وعد بلفور ، ومن اجل استقلال فلسطين الخ . . . حتى انه حاول التفاهم مع بعض الوطنيين (٣٣) (من المحتمل ان يكون حمدي الحسيني من الجناح اليساري لحزب الاستقلال) الذين كانوا معروفين باتصالاتهم مع « متطرفين عرب ممثلين في اللجنة التنفيذية » . الا انه لم يبد ان هذه الجهود قد ائت ثمارا .

وفي كانون الاول ١٩٢٦ اثناء انعقاد مؤتمر ايحود (الوحدة) في تل ابيب اتضح ان العمل بين العرب قد بدأ يعطي بعض النتائج . فقد كان بين الخمسة والثمانين مبعوثا الى المؤتمر ثمانية عشر عربيا ، وفي انتخابات المجلس الاعلى (بريزيديوم) فقد نجح

عربيان بين المنتخبين السنة (٢٤). وبعد المؤتمر مباشرة ارسلت اول مجموعة من الاعضاء العرب الى موسكو ليمت تدريبها في مدرسة الكومنترن (٢٥).

خلال كل هذه الفترة وحتى اضطرابات ١٩٢٩ كان ابرز حدث بالنسبة لنشاط الحزب فيما يتعلق بالعرب هو الدور الذي لعبه في حادثة عفولة في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٢٤ . فقد هاجم الفلاحون العرب مجموعات العمال اليهود الذين جيء بهم ليفلحوا الجزء الذي اشتراه الصهاينة من مرج ابن عامر . وقد عارض الحزب الشيوعي الفلسطيني الصهاينة ، متهما اياهم بنهب الاراضي ، كما انه طلب من العمال اليهود الا يساهموا في طرد الفلاحين العرب من اراضيهم (٢٦) . واتبع الحزب هذا التكتيك حتى تاريخ حله في عام ١٩٤٣ . ولقد كان هذا الجانب ابرز ملامحه فيما يتعلق بنشاطه بين الجماهير العربية .

كما ان الحزب لم يهمل الجماهير الكادحة . ففي الاول من ايار عام ١٩٢٦ نقلت التقارير انه لاول مرة يشترك اليهود والعرب في مظاهرات احياء الاول من ايار ، وان حوالي مائتي وخمسين عربيا قد اضرَبوا في حيفا (٢٧) . كان هذا نتيجة دعاية الحزب في دعم الحركة الوطنية العربية ومعارضته لاخلء الاراضي من قبل الصهاينة .

لم يقع الحزب في الوهم في تقديره للحركة الوطنية العربية في ما يخص الامكانات الثورية للحركة . ومع ان المؤتمر السادس للحزب الشيوعي الفلسطيني المتعقد في العام ١٩٢٦ قد أقر بوجود جناح يساري داخل الحركة العربية (٢٨) الا ان الحزب الشيوعي اوضح موقفه في تقرير ذكر فيه بأنه ليس بين الحركات السياسية والاجتماعية الجارية في الشرق الادنى وبين الشيوعية شيء مشترك . وما تلك الحركات سوى مسعى البورجوازيات الصغيرة في هذه البلاد، تدعها جموع الفلاحين، كي تضمن لنفسها الظروف الملائمة التي تمكنها من التطور بحرية . ويضيف التقرير ان على الشيوعية ان تأخذ جانب الحذر في مواقفها فتدعم هذه الحركات طالما هي معادية للامبريالية ، ولكن عليها ان لا تنسى طبيعتها البورجوازية « ومبولها الراسمالية » . فيتوجب على الشيوعيين المحافظة على استقلال تنظيماتهم (٢٩) .

انتفاضة العام ١٩٢٩ : عندما أصبح واضحاً ان مُرص قيام الثورة العالمية قد باتت قليلة بدأ الحزب الشيوعي الفلسطيني في النصف الثاني من العشرينات يعمل من أجل الاستقلال بطرق أكثر تواضعاً . فقد كان موقفه سلبياً من العنف المعادي لليهود ، وبتى حادثة حائط المبكى عام ١٩٢٨ بـ « مذبحه صغيرة ضد اليهود » (٤٠) . وقد القى اللوم على السلطات البريطانية متهما اياها بتعمد اثاره النعرات العنصرية بهدف حرق الحركة العربية عن نضالها المشروع ضد الامبريالية البريطانية ودفعها للانغماس في صراع عنصري وديني مع اليهود .

انعقد المؤتمر السادس للكومنترن في موسكو عام ١٩٢٨ . وقد رفض الخط الجديد للمؤتمر بوضوح الاعتراف بأي امكانات ثورية للبورجوازية ، وقد وصفها بأنها تخلت عن النضال ضد الامبريالية ، واوصى بان على الطبقة العاملة ان تخوض نشاطاً ثورياً مستقلاً لقلب الحكم الاستعماري واقامة حكومة بروليتارية . وقد عارض اورياخ (حيدر) الذي قاد الحزب الشيوعي الفلسطيني منذ سنة ١٩٢٤ ، هذه المقولة وقال بعدم صلاحيتها فيما يختص بفلسطين . وشدد على النمو الذي طرأ على حركة التحرر الوطني ، وعلى مشاركة الطبقة العاملة الفعالة فيها (٤١) . وشدد ايضا على ان القادة الاصلاحيين الوطنيين يتمتعون بنفوذ قوي لدى الحركة الوطنية وعلى ان الاحزاب والمنظمات التي يقودونها هي تنظيمات جهاهيرية . ورأى ان واجب الحزب هو التغلغل

الى داخل الحركة وجذب الجماهير الى جانب الشيوعيين وتحريض هذه الجماهير من نفوذ وتأثير هؤلاء القادة الاصلاحيين .

عقد الحزب الشيوعي الفلسطيني مؤتمره الثالث في كانون الاول (ديسمبر) من العام ١٩٢٨ (٤٢) وتآلف من ٢٤ مندوبا (عربا ويهود) . والى حد ما فقد عكست قرارات هذا المؤتمر مقررات المؤتمر السادس للكومنترن . وقد سجل المؤتمر الثالث للحزب « بعض التأخر في نشاطه وفي تأثير الحزب » وذلك نتيجة تصميم الشرطة على ملاحقته . ولاحظ ، ان قادة الحركة الوطنية العربية يتجهون ناحية الامبريالية ، وبانه بات من الواضح ان البورجوازية والاعيان العرب يرغبون في تسوية مع السلطات البريطانية على حساب العمال والفلاحين يصبحون معها مستعدين للاعتراف بحكم الانتداب . وقد عارضت اقلية شيوعية منظمة في « مجلس الشغيلة اليهود » هذا التقييم للحركة الوطنية العربية ، وقالوا « ان وطن اليهودي هو حيث يولد وان فلسطين هي للعرب ... وواجبا ان نناضل بجانبهم وان نحرض شعوب العالم ضد الخطر الصهيوني » (٤٢) . وقد منعت الاغلبية وجهة النظر هذه التي اعتبرت ان كل يهود فلسطين مرتبطين بالصهيونية وبذلك يجب اعتبارهم خارج الخلاص . وعليه فان المؤتمر « اذ ان بشدة تغلف الحالة الانهزامية الى الحزب » وعبر بالاجماع عن ثقته التامة باللجنة المركزية (٤٤) . ووقف الكومنترن الى جانب الاغلبية وابعدت الاقلية عن المناصب القيادية داخل الحزب ومن ثم طردت منه (٤٥) .

هكذا كانت الحال السائدة في الحزب عشية اندلاع الاضطرابات عام ١٩٢٩ . ويومها اصدر الحزب منشورا يحرض فيه جماهير العرب واليهود على مقاومة الصراعات العنصرية وعلى بداية حرب اهلية (٤٦) . وقد اتهم الحزب الشيوعي الفلسطيني الانكليز بتعمد اثاره الحوادث التي اطلق عليها اسم « حمام دم » . وقد اعتبرت الاضطرابات في مراحلها الاولى « كمدبحة ضد اليهود » . كما اعتبر العرب « جمهور فاشي قوامه فلاحون محديوون ، وبدو بقيادة رجال دين جهلة ، وزعماء قطاعيين وعناصر بورجوازية » (٤٧) . لكن الاضطرابات التي فبركتها السلطات البريطانية بحق بدأت تخرج عن سيطرة القادة الوطنيين الاصلاحيين وتتحول من مذبحه ضد اليهود الى عصيان معاد للامبريالية وقد كان ذلك واضحا في المدن العربية . ورفع الشيوعيون شعار « التآخي بين الشغيلة العرب واليهود من اجل مقاطعة الامبريالية البريطانية » . وقد وزع المحرضون الشيوعيون منشورات تحذر الجماهير من الانغماس في صراع عنصري وتطلب منهم « ألا يقتل بعضهم بعضا ، يا عمال اليهود والعرب اتجهوا نحو العدو المشترك ، الامبريالية البريطانية » (٤٨) . وقد اصدرت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الفلسطيني بلاغا (٤٩) عالجت فيه مطولا الاضطرابات واسبابها الكامنة . ووضعت اللوم على اكتناف القادة الوطنيين الاصلاحيين الذين عندما تحققوا من ان انفجارا ثوريا سوف يقع لا محالة بين جماهير الارياف ، ولحرصهم على عدم خسارتهم قيادة الحركة الوطنية حرقوا حالة العصيان المتزايدة وخولوها الى مذبحه ضد اليهود ولم يسمحوا لها ان تتطور الى تمرد وثورة ضد البريطانيين (٥٠) . والحالة التي كانت سائدة كانت شعبية بحالة « التعصب للجهاد » ، فقد اعطى القادة الوطنيين الاصلاحيين اوامرهم المشددة بخصوص عدم المساس مطلقا بارواح الانكليز وممتلكاتهم ، بل على العكس من ذلك فقد كان شعار الناس « الدولة معنا » . وقد اصّر البلاغ على حقيقة تواطؤ البريطانيين وادعى « وجود دلائل ثبوتية » تظهر ان « كان لدى الشرطة البريطانية اوامر بالسماح بذبح اليهود دون ان يكون لديهم امر بالتدخل » (٥٢) على الاقل في المراحل الاولى من الاضطرابات .

وانتهى البلاغ بالتأكيد على ان المذابح المضادة لليهود قد تحولت في طبيعتها عند المراحل الاخيرة من الاضطرابات الى حركة عصيان عربي شامل لها اهداف ابعث بكثير من اهداف نخب اليهود (٥٢). الا ان طاقة الجماهير استنفذت وقمعت من قبل الجبهة المتحدة من الوطنيين الاصلاحيين العرب والامبرياليين البريطانيين . ولقد كان دور الشيعيين صغيرا بالضرورة مما لم يسمح لهم بافراز قيادة بتصورات واضحة . ويعود سبب ذلك الى انهم كانوا في وضع محشور منذ بداية « الارهاب الرسمي » ضدّهم في اول آب ، اثناء مظاهرة شيوعية ، ثم ان الحزب كان لا يزال في مرحلة الطفولة ، وكان معرضا لملاحقات شرسة من قبل السلطات البريطانية والصهيونية والبورجوازية العربية . واستمر في الاعلان عن « تمسكه بتصريحات ومقررات المؤتمر السادس للكونتري التي رأت انه لو كان الفلاحون وراء الشغيلة بدلا من كونهم خاضعين لنفوذ ومصالح الاقطاع ورجال الدين لكان من الممكن ان توجد « الامكانية لقيام ثورة مظفرة » يستتبعها تأسيس دكتاتورية العمال والفلاحين الديمقراطية الثورية . وانتهى البلاغ بالدعوة الى ضرورة تكوين حكومة عمال وفلاحين والحاجة الى وحدة كل البلاد العربية « لتشكيل جمهورية مستقلة للعمال والفلاحين » (٥٤).

حوالي نهاية ايلول (سبتمبر) من العام ١٩٢٩ ، تسلم الحزب الشيوعي الفلسطيني تعليمات من الـ BCCI حول طابع انتفاضة ١٩٢٩ وبضرورة تبني موقف صحيح منها . وعليه دعا الحزب الى جلسة عامة موسعة للجنة المركزية لبحث تعليمات الكونترن (٥٥)، ومهمات حزب الطبقة العاملة في الانتفاضة العربية . وشدد الحزب على انه اقر دائما بالبعد القومي للتحرك العربي بينما عارض الطابع الرجعي فيها وذلك عند انحرافها وتحولها الى مذابح ضد اليهود ؛ فاستنكر الدور الذي لعبه الصهاينة والبريطانيون كمحرضين في ذلك الاتجاه ، كما اتهم زعماء الاقطاع الديني العرب . واعترف الحزب « بالجذور الاجتماعية العميقة للحركة العربية وبطابعها الريفي » ، كما اقر بأنها ارتكبت عددا من الاخطاء الجنية على سوء تقدير مدى سرعة التطور لدى الجماهير ، مما أدى الى ضعف تنظيمي عند انفجار الانتفاضة . وادان الحزب الاعضاء الذين استمروا بتمسكهم بالتطيل اناسبق للثورة واتهمهم بتشكيل معارضة يمينية وبالانتهازية وبمعارضة التوجه اليساري للحزب وبتكارهم عملية دفع الجماهير الى مواقف جذرية . وادان الحزب فرع حيفا ككل لانه استمر في موقفه الذي اعتبر الاحداث الاخيرة مذابح ضد اليهود ، وتغاضى عمدا عن كل الدوافع والحوافز الاجتماعية للحركة . وقد قررت اللجنة الموسعة تطهير الحزب من الانحرافيين اليمينيين ، وأكدت في الوقت نفسه موقفها ضد « الانهزاميين » الذين اتهمهم الحزب عام ١٩٢٨ بالانحراف اليميني بينما أخذ بمعظم تحليلاتهم فيما يتعلق بالقيمة الثورية للحركة العربية وبضرورة تعريب الحزب .

انتهت الفترة الاولى من تاريخ الحزب باعلانه سياسة يسارية صريحة . فقد شدد على ضرورة تعريب نفسه (٥٦)، وبالعمل لاقامة دولة متحدة للعمال والفلاحين العرب . وتوقع الحزب انفجارا جديدا للحركة الثورية العظيمة في كل البلاد العربية والتي لم تكن انتفاضة عام ١٩٢٩ في فلسطين سوى « المرحلة الاولى » منها .

الفترة الثانية ١٩٣٠ - ١٩٣٩ : النشاط الثوري و« الانحراف اليساري »

خاضت الحركة الوطنية على امتداد هذه الفترة، صراعا طويلا موجهها بشكل أساسي ضد الاحتلال البريطاني ، وانتهى الصراع بالاضراب العام في سنة ١٩٣٦ ، وبالثورة التي امتدت حتى بداية الحرب العالمية سنة ١٩٣٩ . وبما ان الحزب قرر ان يلعب

اليمين

دورا ايجابيا في الاحداث الآتية ، وبما انه قد تبني خطا جديدا نتيجة المؤتمر السادس للكونغرس وأخذ بتحليلات الآخر حول انتفاضة ١٩٢٩ ، لذلك فقد كانت هذه الفترة بالنسبة للحزب فترة صراع عنيف ونشاط ثوري واسع .

التعريب انعقد الحزب مؤتمره السابع في كانون الاول (ديسمبر) من العام ١٩٣٠ (٥٧) ووضع مقرراته على اساس توجيهات من الـ ECCI (٥٨). وقد عزت تلك التوجيهات فشل الحزب في تبني موقف صحيح من أحداث ١٩٢٩ الى الانحراف اليميني (القومي) كما تضمنت تلك التوجيهات أوامر الى الحزب بادخال سياسة تعريب في القيمة وفي القاعده .

في الواقع ان كلا الطرفين ، الحزب والقسم الشرقي في الكونغرس ، قد اعطيا أهمية خاصة لضرورة تعريب الحزب في وقت مبكر يعود الى عام ١٩٢٤ .
لكن لعدم وجود أي اتصال مع الجماهير العربية في فلسطين فقد كان من المستحيل تحقيق تلك المقررات . الا أنه مع نهاية العشرينات كان الحزب قد حصل على بعض الدعم من قبل العرب (٥٩) مما سهل عليه عملية تعريب نفسه .

وفي ايار (مايو) من العام ١٩٣٠ قررت اللجنة المركزية سياسة التعريب والبلشفية (٦٠) والآخره كانت تعني تخفيف سرعة عملية التعريب نظرا للتخلف النسبي لعرب فلسطين . وقد تاسبت تلك السياسة كثرة من الاعضاء اليهود الذين احسوا بعدم الارتياح بالنسبة لمستقبل سياسة التعريب ، التي أدت بالكثيرين منهم اما لترك الحزب واما للهجرة . اما أوربا ، زعيم الحزب منذ ١٩٢٤ ، فعارض هذا الخط الجديد مما سبب استدعاه لموسكو ، وقد خلفه بيرغر (برزلي) في منصب الامين العام (٦١) .

الا ان القسم الشرقي في الكونغرس لم يكن راضيا عن السرعة التي كانت تتم بها عملية التعريب ، لذلك عين في تشرين الاول (اكتوبر) من العام ١٩٣٠ لجنة مركزية جديدة للحزب مؤلفة من ثلاثة عرب ويهوديين (٦٢) . وكانت اللجنة الجديدة لجنة مؤقتة تخدم حتى مؤتمر كانون الاول (ديسمبر) للحزب . وانعقد المؤتمر السابع في كانون الاول ١٩٣٠ ، وقرر هذا الترتيب الجديد ، وأعاد انتخاب اللجنة المركزية التي عينها الكونغرس ، ولذلك ولأول مرة تتود الحزب لجنة مركزية بأكثرية يهودية (٦٣) .

بعد المؤتمر السابع مباشرة ، في اوائل العام ١٩٣١ ، قبض على الاعضاء العرب في اللجنة المركزية وقدموا للمحاكمة (٦٤) . وجرى بعد ذلك استبدالهم بلجنة مركزية جديدة حوفظ فيها على مبدأ الاغلبية العربية بالنسبة العددية نفسها (٦٥) . وعلى نطاق الحزب روعيت في كل قسم من أقسامه نسبة دقيقة بين الاعضاء العرب واليهود من أجل الحفاظ على مبدأ الاغلبية العربية . لكن التنفيذ العملي لهذه السياسة كان في غاية الصعوبة . ومن أجل تسهيلها ، جرى في العام ١٩٣٢ تطهير الحزب من عدد من الاعضاء اليهود الذين لم يؤيدوا خط الحزب في تعريب نفسه ، كما أجريت كذلك عملية تسجيل جديدة للاعضاء . لكن الحزب كان لا يزال بحاجة الى النشاط اليهودي . فبالرغم من أنه في هذه الفترة « نال تأييدا متزايدا بين العرب وخصوصا بين العمال أكثر من أي فترة سابقة » (٦٦) الا أنه كان يجد من الضروري ارسال المناضلين اليهود للتغلغل داخل القرى العربية والتحرير ضد احتلال الصهاينة للأراضي الخ . . . أما على مستوى القيادة فقد كان التعريب أسهل في العام ١٩٣٤ انتخب رضوان الحلو (موسى) العائد من موسكو أمينا عاما للحزب . واستمر في هذا المنصب حتى تفسخ الحزب وسقوطه في العام ١٩٤٣ (٦٧) .

الانحراف اليساري في الحزب ١٩٣٠ - ١٩٣٥ : حدد مؤتمر الحزب السابع المنعقد في كانون الاول (ديسمبر) ١٩٣٠ كسياسة رسمية ، الخط السياسي الذي جرى اتباعه منذ نهاية انتفاضة ١٩٢٩ (٦٨) . وكان الحزب قد بدأ في بداية العام ١٩٣١ يحرض الفلاحين على عدم دفع الضرائب (٦٩) ، ويحثهم على احتلال اراضي الحكومة والصهاينة والملاكين العرب ، ثم يدفعهم للانضمام الى العمال من أجل انتخاب لجان ثورية . وقد تميز هذا التحريض بعنف لهجته . فقد ابلغوا الفلاحين ان الحكومة الانكليزية والصهاينة والافندية العرب « يمصون دماغكم » وانه ما من شيء « يستطيع انقاذكم من طغيان » ذلك الاستغلال المثلث « الا السيف والبندقية » .

ان هذه الدعوة للثورة والانتفاض ضد الحكم البريطاني والاستعمار الصهيوني والاطاع العربي قد جرى رسمها بوضوح في مقررات المؤتمر السابع للحزب . فقد شددت المقررات على ان التعريب هو الشرط الرئيسي لنجاح العمل في الريف ، وأوضحت ضرورة التحرك والتحريض بين اُنصاف البروليتاريا والعمال الزراعيين الذين « يشكلون اللحمة الحيوية بين الفلاحين والطبقة العاملة » (٧٠) . كما جاء في المقررات وفي التحريض « ان الارض لمن يفلحها » وان على الفلاح ان يستولي عليها ويرفض دفع ضرائبه (٧١) . واعترف الحزب ان المقاومة السلبية غير كافية ، ورأى ان التصفية الفعلية للحكم البريطاني غير ممكنة الا بثورة فلاحية مسلحة تحت قيادة الطبقة العاملة (٧٢) . ومن أجل التوصل الى كل ذلك دعا الحزب الى شن نضال شديد وفعال ضد الاصلاحيين القوميين ، ودعا أيضا الى وجوب « فضح خيانة » الزعماء العرب والمجلس الاسلامي والمفتي ، والى ضرورة اطلاق حملة دعائية تهيء التربة للنضال من أجل اقامة حكومة العمال والفلاحين (٧٤) .

وفيما يتعلق باليهود والصهيونية نشر الحزب رايه (٧٥) الذي يميز فيه بشكل قاطع بين الإثنين مشدداً على انه « من الخطأ اعتبار الامبريالية والصهيونية والسكان اليهود كثرة عضوية واحدة ليس بينها أي تناقض » (٧٦) . ولكنه اعترف مع ذلك ان « الاقلية القومية اليهودية المتأثرة بالصهيونية تلعب دورا عميلا للامبريالية » (٧٧) ضد الجماهير العربية ، وانه نتيجة ذلك « فان الصراع ضد الصهيونية يصبح المسألة الاساسية للثورة في الريف » . وشدد الحزب في هذه الفترة على مسألة الارض نظرا لتزايد شراء الاراضي من قبل الصهاينة ، الأمر الذي ساعد في خلق خلفية ملائمة للنشاط الشيوعي (٧٨) .

وفيما يتعلق بالعرب فان الحزب قد عبر عن اعتقاد يتمشى مع خط استراتيجي « الفترة الثالثة » للكومنترن (٧٩) الذي يتلخص في أن « اللجنة التنفيذية العربية بدأت تسير على طريق خياني في منافسة الصهيونية في المساومة للحصول على تنازلات من الامبرياليين الانكليز » (٨٠) ، وان النضال من أجل الاستقلال الوطني والوحدة القومية للشعوب العربية الذي تداخل معه النضال من أجل ثورة فلاحية ، يجب أن يوجه لا فقط ضد الامبرياليين وعمالهم الصهاينة وإنما أيضا ضد الاقطاعيين العرب (٨١) . فقد فضحت انتفاضة ١٩٢٩ الزعماء العرب القوميين البورجوازيين الاقطاعيين . وقد كشفت خيانتهم (٨٢) حقيقة ان النضال ضد الامبريالية والصهيونية لا يمكن خوضه تحت قيادة قومي اللجنة التنفيذية (٨٣) .

وقد تميزت هذه الفترة من تاريخ الحركة الشيوعية في العالم العربي (بالاضافة الى الجهود التي بذلت من أجل التعريب في سوريا ولبنان وفلسطين) بتشديد الامبريالية على تكتيك « فرق تسد » الذي أدى الى حالة التجزئة الراهنة للوطن العربي . فقد

ناضل الحزب تحت شعار « اتحاد كافة عمال وفلاحي الشعوب العربية » (٨٤)، كما ارتبط هذا النضال بالثورة الفلاحية وبالنضال ضد الانحراف القومي في الحركة الشيوعية ، ورفض قيادة الزعماء الاصلاحيين بما فيهم « يسار » الحركة الوطنية (٨٥) .

في الاعوام من ١٩٣١ - ١٩٣٥ توقع الحزب ان تنفجر الثورة قبل اوانها بدفع من الصهاينة وملاك الاراضي العرب مما قد يجهض حركة الجماهير (٨٦) . فقد كانت تلك الجماهير لا تزال تحت تأثير الزعماء الرجعيين ، وقد كان هناك احتمال انفجارهم وتوجيه نشاطهم الثوري ضد اليهود . ومن أجل أن يكونوا مهئين لمثل هذا الاحتمال فقد دعي أعضاء الحزب لتحضير خطط تنظيمية يتجمع حولها أفضل عناصر الطبقة العاملة التي من الممكن ان تشارك في الثورة القادمة بهدف التأثير على الجماهير في تبني استراتيجية ثورية (٨٧) . وفي نفس الوقت حذر الحزب اليهود من أن استمرار التعاون مع الحكومة البريطانية جعلهم هدفا للمذابح التي تقع كامل مسؤوليتها على اكتاف القادة الصهيونيين (٨٨) . ويبدو واضحا من مؤلفات الحزب لتلك الفترة انه رأى مهمته الاساسية في النضال ضد الزعماء القوميين الاصلاحيين من أجل اقامة « حكومة عمال وفلاحين » (٨٩) فشددت تلك المؤلفات على التشابه بين النضال ضد الرأسمالية في أوروبا ونضال العمال والفلاحين في فلسطين ، اذ أن كلاهما موجه ضد القوميين الاصلاحيين والفاشيين الذين « يريدون طعن الجماهير من الخلف » (٩٠) . كما انه شدد كذلك على الاضطراب وحالة الغليان في الريف ، وعلى نشاط الفلاحين العرب في مقاومتهم الحملة الصهيونية من أجل « انتزاع الارض » (حادثة وادي الحوارث) (٩١) . وقد عبر الشغيلة اليهود الثوريون عن تضامنهم ودعمهم لحق العرب في المشاريع والمزارع اليهودية ورفضهم سياسة « انتزاع العمل » الصهيونية (٩٢) .

وقبل اندلاع مظاهرات العام ١٩٣٣ أوضح الحزب موقفه الراض للارهاب الفردي (٩٣) ، مشددا على انه لا يمكن الحصول على الاستقلال الا عن طريق حركة وطنية ثورية معادية للامبريالية والاقطاع . وفي منشور ظهر بالعربية في نفس الوقت ، حذر الحزب من « الثورة الفلاحية الوطنية المسلحة » الموشكة الحدوث ، ودعا للوحدة والتنظيم مما يمكن نجاح اقامة « حكومة عمال وفلاحين » . وقدم المنشور المطالب الشيوعية التالية (٩٤) : طرد المستعمرين البريطانيين ، الغاء وعد بلفور ، اعادة الارض المباعة من الصهاينة الى الفلاحين ، النضال ضد الزعماء الاصلاحيين الخونة ، رفض دفع الضرائب للحكومة ، ٨ ساعات عمل يوميا للعمال ، واخيرا « الخبز والشغل للعاطلين عن العمل » . شكلت تلك المطالب مجموعة من المهام الملحة متصلة مع النضال الوطني العريض الذي يجد صدى لدى الشغيلة والفلاحين والجماهير الوطنية .

اثبت انفجار التظاهرات في تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٣٣ صحة تكهنات الحزب الثورية وقد ساهم الحزب بالأحداث بشكل نشيط . ونظر الى التظاهرات وكأنها الثورة المنشودة منذ فترة طويلة والتي كان الحزب يتحدث عنها منذ العام ١٩٢٩ . فكانت التظاهرات تعبيرا عن الخمرة الاجتماعية وعن بداية الحركة الثورية الفلاحية . ولم ينظم تلك التظاهرات « زعماء خونة » بل يسار الحركة الوطنية (ربما عنوا بذلك حمدي الحسيني من حزب الاستقلال) . وأبرز هذا الطابع الريفي الفلاحي للحوادث بشكل منفرد ، كما صرح الحزب ان « مئتين من مجموع تسع مئة قرية » في فلسطين اشتركوا في تلك الحوادث (٩٥) ، متظاهرين ضد الامبرياليين والصهاينة وملاك الاراضي العرب . وأشار كذلك الى أن التظاهرات (خصوصا في المدن الكبرى) حملت « طابعا معاديا للامبريالية بشكل صريح » ولم تكن مذابح نظمها المفتي و « الاعدية » ضد اليهود .

وقد رأى الحزب في تلك التظاهرات كذلك نشاطا جماهيريا واسعا ضد استمرار بقاء الانتداب البريطاني .

وإثناء التظاهرات أصدر الحزب بيانا (٩٦) دعا فيه الجماهير للنضال تحت الشعارات التالية : إلغاء الانتداب ووعد بلفور ، الإيقاف الفوري للهجرة ، مصادرة كافة الأراضي وتوزيعها على الفلاحين ، ووقف دفع كافة الديون والفوائد والإيجارات والضرائب . كما توجه الحزب بالدعوة إلى الجماهير من أجل تشكيل لجان عمالية وفلاحية لمقاطعة بضائع البريطانيين والصهاينة . وصرح بأن مظاهرة يهودية عربية مشتركة قد سارت في حيفا معبرة عن التعاضد الثوري للشغيلة العرب واليهود ومظهرة الطابع المعادي للبريطانيين في الحوادث . وفي نفس الوقت هاجم البيان الزعماء التقليديين للحركة الوطنية وسماهم « الإصلاحيون القوميون الخونة » . واختتم الحزب بيانه مصرحا بثقة ان هذه « بداية أزمة ثورية . وان الانتفاضة الجماهيرية في بدايتها فقط » وان الثورة الفلاحية الجارية ما هي الا مرحلة ما قبل الثورة الوطنية المظفرة . الا ان تشخيص الحزب للحوادث على أنها انتفاضة فلاحية لم يؤخذ به أحيانا (٩٧) . فقد أشير إلى أن تلك التظاهرات جرت بشكل رئيسي في المدن وان الفلاحين نقلوا بالقطارات لينضموا إليها . وبالإضافة إلى ذلك فقد ادعى أن يسار حزب الاستقلال لم يلعب دورا قائدا في الأحداث وان الحركة نفسها (التظاهرات) ما هي الا حادثة معزولة بدون أي متابعة .

الا أن الحزب أشار إلى أن تشكيل مجموعات الانتصار كاستمرار لانتفاضة ١٩٢٩ وتظاهرات ١٩٣٣ يثبت صحة تحليل الحزب باستمرار انتشار التخمر الفلاحي (٩٨) .

مؤتمر الكومنترن السابع وسياسة الجبهة الشعبية الوطنية : كان الحزبان الشيوعيان الفلسطيني والسوري ممثلين في مؤتمر الكومنترن السابع في العام ١٩٣٥ (٩٩) ، وشاركا في جميع جلساته . ووافق الحزبان على الخط الجديد المتضمن في التقرير الذي قدمه ديمتروف وعزيا فشلها في اتباع سياسة صحيحة إلى وجود نفوذ صهيوني داخل قيادتهما (١٠) . وطرح المندوب الفلسطيني الموضوعة القائلة ان الدعم الاساسي للامبريالية البريطانية في فلسطين يتمثل في البورجوازية الصهيونية التي « تقوم بطرد الفلاحين العرب من أراضيهم بدون رحمة وتحطم الطبقات المتوسطة - الدنيا وحتى البورجوازية العربية » (١٠١) . ويمكن خطأ الحزب في عدم الاقرار بأن الجماهير العربية هي قوة الدفع في النضال الوطني وفي الثورة البروليتارية . وعبر مندوب آخر (خالد بكداش) كان يتحدث باسم البلدان العربية عن موافقته التامة على موضوعات ديمتروف وأعلن ان على الأحزاب الشيوعية العربية « ان تتحول تحولا جذريا فيما يتعلق بمواقفها من اصلاحيي البورجوازية العربية القوميين . علينا أن نؤيد مطالبهم المعادية للامبريالية ، ونؤيد كذلك اجراءاتهم التقدمية » (١٠٢) . وصور الصراع على مرحلتين ، وبأنه لا ينبغي توقع ان يقود الشيوعيون الجماهير رأسا إلى الاشتراكية دون اتمام المرحلة الأولى بنجاح ، مرحلة مقابلة الامبريالية (١٠٢) لذلك فعلى الشيوعيين ان يضعوا في منظورهم « امكانية الاشتراك والموافقة حتى مع أكثر احزاب البورجوازية الاصلاحية القومية تطرفا » ، ولكن حتى لو جاءت هذه البورجوازية إلى السلطة على أساس اتفاقية حل وسط ، او تسوية مشبوهة مع الامبريالية فان التناقضات بين الاثنين سوف تستمر بالضرورة ، وسوف تستمر لذلك سياسة الحزب المؤيدة لها دون تغيير .

ومع تنفيذه للسياسة الجديدة أخذ الحزب يقر « بالصفة التقدمية الموضوعية » للحركة المعادية للامبريالية حتى ولو قادتها عناصر الاقطاع الديني . وفي تشرين الاول

(أكتوبر) ١٩٣٥ أصدر الحزب منشورا تحت العنوان « من أجل تحالف كل العرب وأصدقائهم ضد الامبريالية » يشرح فيه الخط الجديد للكونغرس (١٠٤).

وأما في حقل العلاقات الخارجية (١٠٥) فقد طلب الحزب من الشعب الفلسطيني (الاشتراكيون الوطنيون والديمقراطيون) أن يؤيدوا اثيوبيا ضد الفاشية الإيطالية ، وأن يؤيدوا كذلك الصين الثورية ضد فاشية اليابان ، وأن يدعموا الشعب المصري في كفاحه ضد الامبريالية البريطانية وأخيرا أن يدافعوا عن الاتحاد السوفياتي وعن التحالف السوفياتي - الفرنسي . وفي نفس الوقت دعا الى النضال الحازم ضد الامبريالية الفرنسية لان « تحرير شعوب المستعمرات سيؤدي حتما الى تحرير الطبقة العاملة الفرنسية » . وفي حال وقوع حرب امبريالية تعهد الحزب أن يقاوم الامبرياليين وأن يحول الحرب الى ثورات تحرر وطني .

وأما في ما يتعلق بالاضعاع الداخلية (١٠٦) ، فقد تعهد الحزب أن يناضل ضد « الاستعمار البريطاني الصهيوني المشترك فالحزب لا يفرق بين الواحد والآخر » . فهو يناضل من أجل « تحطيم الصهيونية وايقاف الهجرة فورا » . فقد صورت الهجرة الصهيونية على انها محاولة لخلق مصد بين حركة التحرر الوطني العربية وبين الامبريالية البريطانية ، اذ أنه كان يؤتى باليهود الى الجيش ويسلحوا بهدف أن يمنعوا ليس فقط استقلال فلسطين وإنما العالم العربي بكامله . وأغلبية اليهود في فلسطين يدفعون للعب دور فاشي ، دور « الارستقراطية العمالية » . وان الجهود التي بذلت لمنعهم من تأدية هذا الدور قد أودت الى نتائج باهتة وذلك نتيجة الحالة الموضوعية . ومع هذا فان الصراع يجب أن يخاض من داخل المجموعة اليهودية لتعي الدور الذي تؤديه . والحزب يناضل ضد الهجرة الصهيونية لانها لا تخدم سوى البريطانيين والرأسماليين اليهود ، وتؤدي الى تقوية الامبريالية ضد الحركة الوطنية العربية .

توجه الحزب الى جميع الفئات والطبقات في المجتمع العربي الفلسطيني لان « ٩٩٪ » من الشعب يعاني نتائج السياسة الصهيونية والامبريالية البريطانية . « كل عربي اكان تاجرا ، حرفيا ، صاحب دكان ، مصرفيا ، صاحب مصنع ، مهنيا او من الصناعيين » (١٠٧) عليهم جميعا أن يتحدوا في جبهة واحدة ضد الامبريالية الانكلو - صهيونية . فالجبهة المتحدة ضرورية ، وهي الطريق الوحيد للتخلص من العجز والعداوة المتبادلة لاننا « لا نستطيع النضال من أجل الوطن بينما نقاتل بعضنا بعضا باستمرار » (١٠٨) .

وحذر الحزب الجماهير من الزعماء العاجزين عن القيام بواجباتهم بالطريقة المطلوبة ، والذين يجب أن يكونوا باستمرار معرضين لضغط الشعب كي يبقوا في نضالهم ومقاومتهم للامبريالية . وعلى الجماهير أن تحذر هؤلاء الذين يحاولون اثارتهم ودفعهم للقيام بالثورة قبل اوانها (١٠٩) ، عملاء الفاشية والهلترية التي لا تستفيد الحركة الوطنية من نشاطاتهم في شيء وإنما هي فقط تساعد في احكام يد الامبريالية على البلاد .

وأما فيما يخص الشغيلة والفلاحين اليهود وكل هؤلاء الذين هم اعضاء في الهستدروت فقد طلب منهم الحزب أن يحرضوا ويناضلوا ضد الهجرة وضد قيام مجموعات يهودية مسلحة (الهاغانا) ، كما دعاهم للنضال ضد الامبريالية البريطانية والصهيونية لكن عن غير طريق التعاون مع الفاشية الإيطالية (وهذه اشارة الى جابوتينسكي ومجموعته الذين قيل أن لهم اتصالات قوية وتعاطفا مع موسوليني) ، كما طلب منهم أن ينظموا بشكل علني مطالب من أجل اخراج المحتلين البريطانيين (١١٠) .

ثورة ١٩٣٦ - ١٩٣٩ : عند بداية الاضراب العام في نيسان (ابريل) ١٩٣٦ وحد

الحزب نضاله مع النضال الوطني ودعم كلية مطالب الوطنيين العرب التي تضمنت الغاء وعد بلفور ، انتهاء الهجرة اليهودية الى فلسطين ، اقامة مجتمع ديموقراطي وايقاف بيوع الاراضي لليهود . ولوحظ ان « روح العصيان كانت واضحة بشكل خاص في الريف » كما قيل ان النضال كان يخاض ضد الامبريالية البريطانية والحركة الصهيونية معا . وشدد الحزب على ان النضال يجب ان يستمر وحتى تحقيق كافة مطالب الحركة الوطنية (١١١) .

كان من الملاحظ ان اساس الثورة يكمن في الريف . فقد عانى العرب ظلما مزدوجا من الامبريالية البريطانية ومن الغزو الصهيوني . فقد قام الصهاينة بالريف بالحلول محل العرب بالقوة . وهكذا نجد ان افقار وتردي الفلاحين هو نتيجة مباشرة لسياسات الصهاينة المعروفة بـ « الاستيلاء على الارض » و « الاستيلاء على العمل » ، والتي أدت الى نشوب الثورة (١١٢) . ودعي اليهود للانضمام الى حركة التحرر العربية ، فهم دخلوا البلاد « بروح الامة الفاتحة » (١١٣) ، لكن لا يمكن انقاذ يهود فلسطين من الكارثة الا عن طريق تشكيل جبهة متحدة من العرب واليهود . أصدر الحزب الشيوعي الفلسطيني نداء يناشد الجماهير اليهودية النضال ضد الصهيونية (١١٤) . لانه عن طريق هذا النضال وحده ستحصل الجماهير اليهودية على حقوق الاقلية القومية في فلسطين المستقلة . وفي نداء آخر صدر بعد بداية الاضراب العام بشهرين (١١٥) وصف الحزب الانتفاضة بأنها شكل مشروع من الدفاع عن الذات ضد عدوين قويين . وصور النضال ضد الصهيونية على انه ملح للغاية لان الصهاينة كانوا يفتزعون من العرب جميع سبل العيش ، وتقريبا « فان الصهاينة سوف يحرمون الشعب العربي من فلسطين نفسها » . وقد أحس الفلاحون الذين هم العمود الفقري للنضال ، بشكل مباشر بظغوطات الاستعمار الصهيوني الامر الذي يفسر صراعهم ضد المستعمرات الصهيونية . فقد كان هدفهم تدمير الاقتصاد الصهيوني وجعل كل استمرار في عمل التعمير مستحيلا (١١٦) .

وفيما يتعلق بالثورة على اليهود وضع الحزب اللوم على الصهيونيين والامبرياليين (١١٧) . وقد اظهرت « الجبهة الشعبية » ، وهي الصحيفة العربية للحزب ، تقارير عن النشاطات المسلحة ضد مراكز البوليس ولكنها لم تذكر مهاجمة اليهود (١١٨) . والحزب نفسه اشترك بغير حماس في محاولات غير مؤثرة سنة ١٩٣٦ (١١٩) ، ولكن مساهمته الاساسية جاءت عن طريق التحاق نمر عودة (عضو اللجنة المركزية منذ ١٩٣٧) بالمجموعات العربية المسلحة (١٢٠) .

في كانون الاول (ديسمبر) ١٩٣٦ خمدت اول موجات الثورة ووجد الحزب نفسه في موقع ضعيف . فقد تبيض على الكثير من كادراته كما جرح الكثير في القتال ، وعارض الكثيرون من اعضائه اليهود خطه الداعي الى الدعم التام للثورة والاشترك فيها . من هؤلاء من ترك الحزب ومنهم من تخلص الحزب منهم . وفيما بعد ارسل الكثير من هؤلاء الاعضاء اليهود الذين لم يوافقوا على خط الحزب الى اسبانيا ليقاتلوا في الفرق الاممية . في العام ١٩٣٧ نظم الحزب « القسم اليهودي » لمعالجة قضايا اعضاءه اليهود . ومنع القمع الذي مارسه الانكليز ضد الثورة الاتصال بين قسمي الحزب اليهودي والعربي وبين اللجنة المركزية ، بينما عضوا اللجنة المركزية اليهوديان (سلونيم وتساباري) كانا في السجن ، وكانت النتيجة النهائية لانشاء القسم اليهودي ان اتبع القسمان سياسات مختلفة . وبينما فسر الشيوعيون العرب مفهوم الجبهة القومية الذي صاغه المؤتمر السابع للكومنترن على انه يعني الدعم للهيئة العربية العليا ، فان القسم اليهودي فسر بالمقابل نفس المفهوم على انه يعني الدعم للمعتدلين داخل « اليسوف »

(وايزمن) ضد المتطرفين (جابوتنسكي ومنظمة الارغون) . وهكذا فان فقدان الاتصال بين القسمين اثناء الثورة ادى الى عدم المقدرة على التوفيق بين سياساتهما المختلفة عندما التقيا مرة أخرى سنة ١٩٣٩ .

رفضت اللجنة التنفيذية للحزب مشروع التقسيم المتضمن في تقرير بيل عند صدوره (١٢١) . وفي نفس الوقت عارض الحزب تجديد الاتصباتكات المسلحة وأعاد تصوره السابق عن ان الانتفاضة هي حركة جماهيرية . وقد اعتبرت المقاومة المسلحة التي نشبت للرد على التقسيم « ضد مصالح العرب واليهود معا » (١٢٢) ، مما سينتج عنه جعل التقسيم اقرب للتحقيق . ومع ذلك لم يعارض الحزب الموجة الثانية من الثورة عندما تحركت . وعلى امتدادها وجه هجومه ضد الارهاب اليهودي ومنظمة الارغون التي اتهمها بالتواطؤ مع الفاشية الايطالية (١٢٣) . وتظهر منشورات الحزب ازدياد حذره من مخاطر الاستفزازات الفاشية كما تحذر من تسرب العملاء الطليان الى داخل الحركة الوطنية العربية . وتوقفت « كول هعام » صحيفة الحزب العبرية عن التحريض لصالح الثورة وناشدت الشعب العربي ان « يتخلى عن الاستفزاز واعمال العنف » (١٢٤) ، ودعت اليهود الى التفاهم مع العرب .

ومع انه وحتى مطلع ١٩٣٨ كان الحزب لا يزال مصرا على ان الهيئة العربية العليا المنفية هي الزعامة الشرعية لعرب فلسطين (١٢٥) وليس المعارضة النشائية ، الا انه في نهاية العام هاجم المفتي واصفا اياه بأنه « عميل مباع من الفاشية الالمانية » (١٢٦) ، وبأن الثورة في فلسطين لا تمولها سوى مصادر ماثية في روما وبرلين (١٢٧) . في ايار (مايو) ١٩٣٩ أعلنت اللجنة المركزية ان تأييد ودعم الدور الثاني من الثورة كان مجرد خطأ (١٢٨) ، وانقسمت اللجنة تسمين : واحد ابدى انتقاده التام والآخر اعتبر ان الحزب انما ارتكب خطأ في عدم دعوته لتجديد الكفاح المسلح قبل ان يفعل ذلك القادة القوميون واضعين انفسهم بذلك على رأس الحركة . وانتصر القسم الاول اثناء النقاشات الداخلية التي دارت في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٣٩ ، واقر الحزب ان الاضراب العام له صفة ثورية تقدمية ولكن دعم الحزب لتجديد الارهاب عام ١٩٣٧ يجب ان يعتبر على انه خطأ ويدان . وكان على الحزب ان يحضر الجماهير للنضال السياسي لا ان ينجر الى تأييد الارهاب ، وبالإضافة لذلك لم يقر ان النفوذ الفاشي قد تغفل الى داخل قيادة الحركة الوطنية (١٢٩) .

ايدت اللجنة التنفيذية المقترحات المتضمنة في كتاب ١٩٣٩ الابيض (١٣٠) وطلبت من زعامة الحركة الوطنية قبولها على انها خطوة على طريق التحرر الشامل . وادرك الحزب ان الجماهير العربية استنفدت قواها في النضال الطويل المستمر وانها بحاجة الى تراجع منظم . وان النجاح الجزئي المتضمن في الكتاب الابيض سوف يساعد الحركة على ان تلتقط انفاسها وتعيد تنظيم نفسها ثم تستمر في النضال . لكن القيادة الوطنية لم تقبل اي تسوية وطلبت من الجماهير الاستمرار في النضال دون توقف ، وفي الوقت نفسه فان القسم اليهودي في الحزب مع اليسوف عارض المقترحات الجديدة معارضة شديدة . وكانت النتيجة العملية لذلك ان انشق قادة القسم اليهودي (مجموعة باجوجا) عن الحزب سنة ١٩٤٠ وشكلوا مجموعة مستقلة عاشت عامين خارج الحزب تحت اسم مجموعة (امت Emet) (١٣١) .

ومما اكسب الحزب قوة متزايدة وعزز هيئته امام عرب فلسطين اشتراكه في الحركة الوطنية وفي حوادث الثورة . لم تتخذ تلك القوة شكل زيادة في العضوية المنظمة وانما شكل منظمات متعاطفة كثيرة مما شكل عام ١٩٤٣ القوة الاساسية لعصبة التحرر الوطني .

اعتبر تاريخ الحزب انحرافا يساريا في تطوره الصفتين الرئيسيتين في النضال الشيوعي لتلك الفترة وهما التشديد على الوحدة العربية والنضال ضد البورجوازية الوطنية ، اي الصفتين اللتين ميزتاها حتى عام ١٩٣٥ . ففي هذا العام ابتعد الحزب الشيوعي الفلسطيني من غير رجعة عن سياسة « وحدة كل العرب » . وبدلا من ذلك ، شأنه شأن الاحزاب الشيوعية في العالم العربي ناضل من اجل استقلال الكيانات التي خلقتها الامبريالية عندما مارست سياسة بلفنت (اي تفتيت) المنطقة . وشدد الحزب هنا على الحاجات والظروف المختلفة للدول العربية المتفرقة . وفي نفس الوقت استمرت حقبة الجبهة الشعبية التي بشر بها المؤتمر السابع للكمونترن حتى هذا الوقت مع بعض التقطع . تخلت الاحزاب الشيوعية عن دعوتها للاشتراكية هنا والان واتبعت استراتيجية سياسية ذات مراحل مشيئة تقسيما صارما . فقد كان على النضال من اجل الاشتراكية في فلسطين والعالم العربي ان ينتظر اتمام المرحلة التي قبله ، مرحلة انجاز التحرر الوطني والثورة البورجوازية الديمقراطية . واعترف بالقيوميين الاصلاحيين كزعماء شرعيين لانجاز هذه المهام واكتفى الشيوعيون بالبقاء على الحواشي مقدمين الدعم ، والنقد وحيانا الشجب والاثام ، ولكنهم لم يتحدوا ابدا مع زعامة البورجوازية الوطنية مرة اخرى .

الفترة الثالثة ١٩٤٠ - ١٩٤٨ : تطور الاحزاب الشيوعية « الاثنية » والنضال من أجل الاستقلال والتقسيم

كانت الحركة الوطنية خلال هذه الفترة في حالة جزر ، اذ ان معظم زعماء انتفاضة ١٩٣٦ - ٣٩ كانوا إما في السجن أو في المنفى أو انهم تصالحوا مع السلطات . وتحللت الحركة واستكانت (١٢٢)؛ وطيلة مدة الحرب توقف العرب عن العمل كقوة سياسية متماسكة وتزايد الصراع داخل الحركة الشيوعية فيما يختص بالمسألة القومية . فقد كان معظم الزعماء اليهود يؤيدون وجود أمة يهودية منفصلة في فلسطين و « يقرون » بواقع تحويل البلاد الى دولة مزدوجة القومية ، مما أدى الى تفتت الحزب بعد أن انحل الكومونترن سنة ١٩٤٣ الامر الذي كان له تأثير مزدوج داخل الحركة الشيوعية . فمن ناحية أدى الى ازدياد الفوضى فيما يتعلق بالخط الصحيح والسياسات التي يجب اتباعها . ومن ناحية أخرى فقد أعطى قدرا أكبر من الحرية من أجل تطوير خط « قومي » . واستفاد الاعضاء العرب في الحزب استفادة كاملة من ذلك وأنشأوا « عصابة التحرر الوطني » (لاحقا العصابة) . وخلقت هذه المنظمة بديلا لقيادة الزعماء الوطنيين التقليديين ، واستفادت في تصعيد نشاطاتها من غياب زعامة وطنية متماسكة . وتمسكت العصابة حتى قرار التقسيم في ١٩٤٧ بخط ثابت معاد للصهيونية وضغطت باتجاه اقامة فلسطين ديموقراطية مستقلة . وفي هذه الاثناء فان الاعضاء اليهود في الحزب الشيوعي الفلسطيني بينما تمسكوا بنفس الفكرة لاقامة فلسطين مستقلة ديموقراطية كانوا يقتربون تدريجيا من اليسوف ويشاركون في مؤسسياته . فاثروا بان اليهود هم مجموعة قومية منقسمة مما مكنهم بسهولة أكبر ان يتبنوا قرار التقسيم وأن يلعبوا دورا فعلا في الصراع من أجل خلق الدولة اليهودية .

السنوات الأولى للحرب وانشقاق ١٩٤٣ : كنا رأينا أن سنوات الثورة العربية أدت الى انشاء تنظيم جديد في الحزب هو « القسم اليهودي » . وبإمكاننا ان نرجع أسباب تأسيس هذه الدائرة مباشرة الى كون الظروف أثناء الاضطرابات قد منعت الاتصال بين قسمي الحزب . فخلال تلك السنوات تبلورت معارضة لخط الحزب في قيادة القسم اليهودي . وانطلقت هذه المعارضة من أن لليهود مصالح قومية في البلاد ، ثم من

استهجان ونقد الموقف الذي اتخذته اللجنة المركزية في كل مراحل الثورة ، وأخيرا دعم المجهود الحربي . وقد نتج عن ذلك حل القسم في نهاية ١٩٣٩ (١٢٦) .

خلق نشوب الحرب مشكلة حادة للحزب . فحتى توقيع الاتفاق النازي السوفياتي كانت دعاية الحزب معادية للامان بشكل صريح . الا انه بعد توقيع الاتفاق هاجمت صحيفه الحزب الحرب وقالت ان التسيوعيين « مدركون تماما ان هذه الحرب ليست حربهم وانهم سيحاربون الامبريالية البريطانية وعملاءها جنبا الى جنب مع الجماهير العربية » (١١٢) . وبعد ثلاثة اشهر قالت الصحيفة انه اذا كان صحيحا « ان الجيوش الالمانية والايطالية على الابواب فصحیح أيضا ان جيش تشرشل داخل البلاد ، وواجبنا الاول هو محاربة العدو في الداخل » (١٢٥) . في حزيران (يونيو) ١٩٤١ انقلب هذا الموقف من المعارضة « للحرب الامبريالية » الى مصادفة « الحرب ضد الفاشية » (١٢٦) . ومنذ ذلك الوقت خرج الشيوعيون الى العلن بموافقة خفية من الحكومة .

استمر الصراع خلال هذه الفترة بين اللجنة التنفيذية للحزب وبين القسم اليهودي الذي رفض ان يدعن لقرار حله . فاستمرت مجموعة « ها ايمت » المنفصلة بوجودها المستقل حتى رآب الصدع في حزيران (يونيو) من العام ١٩٤٢ وعودتها للحزب (١٢٧) . الا ان الشعور القومي الذي أخذ يستيقظ اثناء الحرب كان يدفع بالاعضاء اليهود في الحزب نحو تبني القسم اليهودي : الاثثار بوجود تمايز داخل المعسكر الصهيوني وتطور كيان يهودي قومي منفصل في البلاد .

رحب الشيوعيون العرب (١٢٨) بحل الكومنترن في آب ١٩٤٣ وبدأوا يحرضون من أجل تأسيس حزب شيوعي عربي . وعارض موسى (ر . حلو) أمين عام الحزب الاندماج مع مجموعة « ايمت » (١٢٩) وحث على تصعيد الهجوم على الصهيونية ، الامر الذي ادى الى تشكيل معارضة يهودية داخل الحزب قادها ميكونيس عضو اللجنة المركزية اليهودي (١٤٠) . وانكشف الانشقاق علنا لأول مرة في أيار ١٩٤٣ عندما عارضت اللجنة المركزية الاشتراك بنشاطات الاول من أيار التي نظمها الهستدروت (١٤١) . وأهم من ذلك اضراب عمال المعسكر البريطاني الذي اندلع في الاسبوع الثاني من أيار . فقد عارض الاعضاء العرب بقيادة موسى الاضراب رافضين التعاون مع الهستدروت الذي دعا الى الاضراب بدون استشارة العمال العرب (١٤٢) بينما اصر الاعضاء اليهود على الاشتراك في الاضراب . اقترح موسى تسوية على أساس أن لا يشارك العمال العرب في الاضراب بينما تترك للعمال اليهود حرية المشاركة أو عدمها . وأدى ذلك بالنتيجة الى صعوبة التوصل الى اتفاق حول الموضوع فكان رد فعل اللجنة المركزية اغلاق فرعي حيفا وتل أبيب وطرد ميكونيس وفاينهاوس (في اللجنة المركزية أيضا) من الحزب (١٤٢) . واشترك القادة المطرودون مع الفرعين المنحليين بعدم الاقرار بسلطة اللجنة المركزية .

وفي التاسع والعشرين من أيار (مايو) اجتمعت الجمعية القومية للحزب في محاولة لرأب الصدع . لكن مجموعة عربية متطرفة نشرت بيانا موقعا من اللجنة المركزية أدى الى وضع حد لتلك الجهود (١٤٤) . وأوضح البيان ان اغلاق فرعي الحزب تم من أجل طرد العناصر الصهيونية التي تسربت لداخل الحزب . وأوضح أيضا ان الحزب الشيوعي الفلسطيني هو حزب عربي ويمكن أن ينضم اليه اليهود اذا كانوا مستعدين للاقرار بهذه الحقيقة (١٤٥) . نتصل موسى من البيان المذكور (١٤٦) ، لكن الوقت بات متأخرا لمنع انشاء المجموعة اليهودية المنفصلة . وفي نفس الوقت تشكلت المعارضة التي لم توافق على جهود موسى للوصول الى تسوية ، وأسست العصبة في شباط

(فبراير) ١٩٤٤ (١٤٧). وفي الجانب اليهودي فقد توصل عضوا للجنة المركزية فيلنيسكا وفلنر الى تفاهم مع مجموعة ميكونيس في اوائل ١٩٤٤ حول احياء نشاطات الحزب الشيوعي الفلسطيني وفي آيار (مايو) عقدوا المؤتمر الثامن للحزب (١٤٨). وأنشأ مؤيدو موسى في امانة الحزب (سلونيم ونساباري) مع شيوعيين يهود آخرين الاتحاد التربوي الشيوعي (الذي أصبح في تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٤٧ «الحزب الشيوعي العبري») الذي اقترب فيما بعد من الموقف الصهيوني أكثر من أي مجموعة أخرى (١٤٩).

العصبة : منشؤها وبرنامجهما السياسي : في العام ١٩٣٧ قررت مجموعة من طلاب المدارس تنظيم مدارس صيفيه للاميين البالغين . وعقدت الصفوف في بيت لحم والمنطقة المجاورة وجذبت اليها تلاميذ كثر ، مما أدى في النهاية الى تشكيل « منظمة الطلبة العرب » (١٥٠). وفي تموز ١٩٣٨ قرر اعضاء المنظمة تغيير اسمها الى « عصابة الطلبة العرب » ، ليدلوا على توسع المنظمة ونشاطاتها . هدفت العصبة الى خدمة الشعب عن طريق محاربة الامية ، وتنظيم حركة من أجل احياء القرية العربية وأخيرا نشر شعور احترام الذات بين الطلبة العرب .

في ايلول (سبتمبر) ١٩٤١ غيرت العصبة اسمها مرة ثانية الى « عصابة المثقفين العرب » وأصبحت بذلك منظمة عامة للمثقفين (١٥١). وفي نفس الوقت ظهرت مجموعة نواد سياسية في المدن العربية الكبرى مثل « العصابة العربية ضد الفاشية » (١٥٢)، و « جمعية أشعة الامل » (١٥٣) و « نادي الشعب » (١٥٤) في حيفا . ثم تطورت هذه النوادي الى مراكز ومجموعات لها دور سياسي أكثر صراحة ، وأصبحت الحركة النقابية العربية واحدا من اهتماماتها الرئيسية .

واجتمعت هذه النوادي معا في العام ١٩٤٤ وشكلت نواة عصابة التحرر الوطني .
 ترجع أصول الحركة العمالية في فلسطين الى ١٩٢٥ عندما تأسست في حيفا « جمعية العمال العرب في فلسطين » في حيفا . وتم عقد المؤتمر الاول للعمال العرب في العام ١٩٣٠ (١٥٥). وقد تمعت الحركة النقابية العربية أثناء ثورة ١٩٣٦ ولم تمارس نشاطاتها مرة ثانية الا مع الانتعاش الاقتصادي اثناء الحرب ونتيجة لها . وتوسعت الطبقة العاملة العربية في فلسطين نتيجة اشتغال الالاف من العمال العرب في معسكرات الجيش البريطاني ، بينما دخل بضعة آلاف آخرين المؤسسات العربية التي نشأت نتيجة للازدهار الاقتصادي الذي رافق سنوات الحرب (١٥٦). وفيما يختص بالنشاط النقابي فان اول تجمع شيوعي تطور داخل فروع جمعية العمال العرب في فلسطين . وفي خريف ١٩٤٢ شعر الشيوعيون انهم اقوياء ما يكفي لتأسيس « اتحاد نقابات وجمعيات العمل العربية » (١٥٧). وجاء تأسيس الاتحاد نتيجة المعارضة المتزايدة للاعتدال والتسويات التي أخذ بها قادة الجمعية . وفي وقت قصير نجح اتحاد النقابات الجديد في تسجيل عدد من النقابات المركزة في صناعة البترول ، بينها عمال « شل » و « ب. ب. » ، وعمال مرفأ حيفا وفي مخيمات الجيش قرب المدينة (١٥٨). ولم يصطدم الاتحاد مع النقابات الملتحقة بالجمعية ، والتي تركزت بشكل رئيسي بين عمال سكة الحديد ، وعمال التبغ والبلدية (١٥٩). وجاءت العصبة نتيجة دمج الاعضاء العرب في الحزب الشيوعي الفلسطيني المتفكك والجمعيات المختلفة ونوادي المثقفين التي كانت ضمن اتحاد النقابات .

أعلنت العصبة أهدافها القومية في برنامجها الذي نشر في اوائل العام ١٩٤٦ (١٦٠)، ولم تختلف كثيرا عن أهداف الحزب الشيوعي الفلسطيني أو عن أهداف الحركة

الوطنية العربية مع الاستثناء البارز الوحيد وذلك هو الموقف من المسألة اليهودية . أما الاهداف فهي اخراج الجيوش الاجنبية ، الغناء الانتداب وتأسيس حكومة ديموقراطية في فلسطين مستقلة (١١١) . وأعلنت العصبة معارضتها للصهيونية ومطامحها ، ونادت بتقوية الروابط مع الشعوب العربية « في كفاحها المشترك ضد الامبريالية » . وشددت على ان العصبة قامت « لتمييز بين الصهيونية والشعب اليهودي . فالصهيونية كحركة عدوانية واجيرة للامبريالية هي عدوة الامة العربية وعدوة اليهود انفسهم » (١١٢) . وكانت المطالب الاجتماعية الرئيسية للعصبة رفع الحالة الاقتصادية الاجتماعية للعمال عن طريق النقابات وخلق مجموعة من القوانين تكون اساسا للضمان الاجتماعي والغاء التمييز العنصري في الوظيفة وفي الاجور ، توزيع اراضي الدولة على الفلاحين ووضع قوانين تقي الفلاح من الطرد من ارضه (١١٢) ، ثم جعل العمل في البلديات ديموقراطيا وتطوير وانشاء المدارس وجعل التعليم الزاميا ومجانيا للجميع (١١٤) . لا يرد بين المطالب المذكورة أي ذكر لنوع الحكم المزمع اقامته عقب نيل الاستقلال . فقد تركت العصبة ذلك جانبا ، على أن تبحث به بعد النجاح في تحقيق الاهداف القومية .

اشترط البناء التنظيمي الذي نص عليه النظام الاساسي للعصبة ، انشاء حزب يكون مبنيا بكامله على الاسس الشيوعية . وعند تحديد بنية الحزب فقد أكد على أنه « مبني على مبدأ المركزية الديموقراطية » (١١٥) . وهكذا بينما برنامج العصبة السياسي لا يظهر أبدا أن له أية صفة شيوعية نجد أن نظامها الاساسي قد وضع بالكامل على المبادئ الشيوعية . والاشارة الوحيدة الى انه كان مقصودا بالعصبة ان تكون حزبا سياسيا جاءت في شرط العضوية التي كانت مفتوحة « لكل مواطن عربي فلسطيني يوافق على الصفة القومية للعصبة ولنظامها الاساسي » (١١٦) . وهكذا ، « عكس كل الاحزاب الشيوعية » لم يكن للعصبة أساس اقليمي ، وانما كانت مبنية على اساس عضوية تتألف من فئة اثنية واحدة في بلد متعدد القوميات .

العصبة والنضال من أجل الاستقلال : بدأ نشاط العصبة باصدار نشرة نصف شهرية دافعت على صفحاتها عن برنامجها السياسي وموقفها من القضايا العربية . واستمرت النشرة بالظهور حتى أيار (مايو) من عام ١٩٤٤ عندما بدأ صدور مجلة « الاتحاد » بشكل منتظم (١١٧) . ففي المجال السياسي ايدت العصبة سياسة التحالف مع الزعامة التقليدية لحركة التحرر الفلسطينية (١١٨) ودعت لتشكيل « جبهة عربية » . وعقد أول لقاء دعاوي في يافا في ٢٠ نيسان (ابريل) ١٩٤٥ وكان ذلك أول ظهور للعصبة أمام الجمهور (١١٩) . تبع ذلك سلسلة اجتماعات عقدت في الناصرة وحيفا والقدس وأماكن أخرى غيرها . وكانت المواضيع التي بحثت تدور حول الدعاية من أجل الجبهة العربية ، والمطالبة بجعل انتخابات البلدية ديموقراطية ، المطالبة باطلاق السجناء السياسيين ، ثم المطالبة بالتوصل الى تفاهم مع سكان فلسطين اليهود (١٧٠) .

منذ البداية طالبت العصبة باقامة سلطة عربية عليا تكون مبنية على أسس ديموقراطية . لكن عندما كانت التحضيرات تجري في العام ١٩٤٥ لتأسيس الهيئة العربية العليا أصبح واضحا ان المبادرين لذلك كانوا يريدون لها أن تتألف من ممثلين عن العائلات والفئات التقليدية ، لذلك استبعدت الانتخابات الشعبية (١٧١) . ونتيجة لهذا نشب الخلاف بين العصبة وبين مؤسسي الهيئة العربية العليا . واستمرت العصبة في سياسة الدعم والتحريض لصالح انشاء الجبهة العربية ، والوحدة الوطنية ، لكن الزعامة التقليدية للحركة الوطنية صرحت عن عداؤها للشيوعية ومنعت العصبة

من الانضمام للتحالف الذي تألف من كل الفئات السياسية العربية والذي أنشئ في حزيران (يونيو) من العام ١٩٤٦ (١٧٢).

اتخذت العصبة في معالجتها للقضية الفلسطينية نفس موقف الحركة الوطنية العربية في خطوطه العامة مع استثناء وحيد وهو السياسة المتعلقة بسكان البلد اليهود . وشددت العصبة على ان المشكلة ليست مشكلة هجرة (١٧٢) كما يزعم الصهاينة والامبرياليون (وكما تجادل قيادة الحركة الوطنية) وانها هسي قضية الاستقلال والديموقراطية وتقرير المصير . واتهمت العصبة الحركة الصهيونية بانها رجعية واستعمارية ، وانها لا تناضل من اجل استقلال فلسطين وانما من اجل اقامة الدولة اليهودية (١٧٤) . واتهمتها كذلك بالخوف من تاييد نشر الديموقراطية لان ذلك يعني اقامة حكم وطني ديموقراطي يطيح بحلم الدولة اليهودية . لذلك فقد نشط الصهاينة في معاداتهم لتقرير المصير وللديموقراطية . وحذرت العصبة من مخاطر التقسيم لان ذلك « يضمن مستقبل الصهيونية ويؤمن للامبريالية موقع قدم في كل العالم العربي » (١٧٥) . وادانت « الشعارات غير الواقعية لجزء من الحركة الوطنية العربية فيما يتعلق بالعيش بسلام مع اليهود » . واصرت العصبة على ان الحركة الوطنية العربية « تستطيع بالفعل ان تؤمن الحقوق الديموقراطية للسكان اليهود » (١٧٦) . وكان حلها مبنيا « على الرغبة لتأمين السلام والهدوء لكل الذين يعيشون في فلسطين الآن » (١٧٧) . والسياسة المقترحة من أجل ذلك هي تقرير المصير ، السياسة الوحيدة التي تؤمن الحقوق القومية للشعب العربي و« الحقوق المدنية والحريات الديموقراطية للسكان اليهود » . وستمتع اليهود بكل الحقوق القومية المشروعة التي يتمتع بها اليهود الآخرون في البلدان الديموقراطية (١٧٨) . وكانت المطالب الراهنة التي وضعها الشيوعيون في اواخر ١٩٤٥ تطهير الادارة في فلسطين من كل القوى الرجعية ، العمل على جعل الحكومة المحلية حكومة ديموقراطية واقامة قضاء منتخب بطريقة ديموقراطية ، ثم دعم الحكومة المحلية للاقتصاد العربي في فلسطين وأخيرا تأمين ديموقراطية حقيقية للقوى الشعبية في البلد (١٧٩) .

وفي تشرين الثاني ١٩٤٥ أصدرت العصبة منشورا تعلق فيه على طريقة وزارة الخارجية البريطانية في معالجتها للاوضاع وتصرح بأنه لا يمكن ان يكون هناك حل آخر لفلسطين غير الاستقلال (١٨٠) . واتهمت الحكومة بتجاهل حقوق العرب في البلاد وكذلك حقهم في تقرير مصيرهم . ورفضت العصبة ان يكون هناك لجنة تقص انكلو - أمريكية ، واقترحت بدلا عنها لجنة دولية لمعالجة القضية . ثم كررت مطالبها بالاستقلال ، وابتقاف الهجرة ، وبوجوب الفصل بين قضية فلسطين وقضية اللاجئين . اختلف موقف العصبة من الجانب اليهودي لقضية فلسطين اختلفا جذريا عن موقف الحركة الوطنية العربية ، لذلك فهو يستحق ان يذكر بشكل خاص . فقد ميزت العصبة بوضوح بين الصهيونية والسكان اليهود في فلسطين . وهذا ما أعر اهتماما خاصا في ميثاق العصبة حيث وصفت الصهيونية بأنها حركة عدوانية في خدمة الامبريالية ومعادية للامة العربية وللإهود أنفسهم على السواء (١٨١) . ورفضت الخلط بين الصهاينة واليهود . وفيما يتعلق بالهجرة شددت على انه ينبغي الا يسمح للراغبين في المجيء الى فلسطين الا بموافقة سكان البلاد (١٨٢) . وأما بخصوص مشكلة الذين يرحلون من أوروبا فقد أعلنت العصبة انها مشكلة عالمية وبالتالي ينبغي الا ترتبط بقضية فلسطين . فالمسؤولية دولية . وعلى كل دول العالم التعاون لتحمل اعباء هؤلاء الذين لا يريدون العودة الى اوطانهم ، و« قد عبر الشعب العربي عن رغبته في المساهمة في حل المشكلة جنبا الى جنب » مع البلدان الاخرى في اطار هيئة الامم المتحدة (١٨٤) .

وفي كانون الثاني (يناير) ١٩٤٦ أصدر المكتب السيامي للعصبة تصريحاً شجيب فيه لجنه التقصي الانكلو - امريكى ، التي كان الهدف منها « صرف الشعب العربي عن نضاله الحقيقي للغاء الانتداب وضمسان الاستقلال » (١٨٥). وفي نفس الوقت رفض التصريح محاولات الجامعة العربية أخذ مسؤولية القضية بين يديها ، وأصر على ان جامعه يجب أن تلعب دوراً داعماً فقط . واتهم الجامعة العربية بالضعف والوقوع تحت التأثير البريطاني لانها « لم تطالب بالغاء الانتداب على فلسطين » (١٨٦)، ولكنها حاولت بمساعدة ودعم الزعماء العرب في فلسطين ان تحل القضية بالتوصل الى تسوية منفردة مع الامبريالية البريطانية (١٨٧).

وفي آذار (مارس) ١٩٤٦ أصدرت الامانة العامة للعصبة تصريحاً آخر بمناسبة زياره اللجنة الانكلو - امريكى الى فلسطين هاجمت فيه اللجنة ، وأعلنت ان هذه الاخيرة لا يمكن أن تؤدي الا الى « حل استعماري جائر مبني على التقسيم . لذلك ينبغي افشال هذا المخطط برفض التواطؤ مع اللجنة » (١٨٨). وقد قررت الهيئة العربية العليا التواطؤ مع « اللجنة الاستعمارية » فادينت لموقفها « الانتهازي » .

ومن العام ١٩٤٦ وصاعدا طالبت العصبة باحالة قضية فلسطين على مجلس الامن، وربما كان ذلك نتيجة الاقتناع بأن الاتحاد السوفياتي كان سيستعمل حق الفيتو ضد اي حل لصالح الصهاينة ، ولذلك فقد طالبت بالذهاب الى هيئة الامم المتحدة بدلا من استمرار المفاوضات مع البريطانيين (١٨٩).

وحتى صيف ١٩٤٧ كانت العصبة لا تزال تحارب التقسيم (١٩٠) حتى بعد ما أعلن الوفد السوفياتي الى هيئة الامم المتحدة بأنه ينبغي حل قضية فلسطين عن طريق اقامة اتحاد فيدرالي ، أو عن طريق التقسيم كأفضل بديل لذلك . وبعد أن رحبت العصبة في البداية بلجنة التقصي التابعة للامم المتحدة التي جاءت الى البلاد في حزيران (يونيو) ١٩٤٧ ، عادت وقررت مقاطعتها ، وأرسلت مذكرة تشرح فيها موقفها من الاوضاع من كافة جوانبها ووجوهها (١٩١). كانت العصبة قد أعلنت مطالبها أمام الرأي العام بالاستقلال وتقرير المصير (١٩٢). ثم عادت وأكدت مرة ثانية رغبتها في التعاون مع الجماهير اليهودية (التي وصفتها « بالمضلة » في تأييدها للصهاينة) ، وأدانت أيضا الزعماء العرب التقليديين الذين « لم يأخذوا قط موقفاً ايجابياً من الجماهير اليهودية مميزة عن الصهيونية » (١٩٣). تضمنت المذكرة التي أرسلت للجنة الامم المتحدة تكراراً لمطالب العصبة السابقة . ووجهت كل التهم الممكنة الى خطة التقسيم ، لانها ستؤدي الى فصل نهائي بين العرب واليهود ، وستحطم كل أمل في التعاون والتفاهم في المستقبل ، وستخلق دولة يهودية تكون قاعدة للامبريالية الانكلو - امريكى في المنطقة ، ولانها جزء من مشروع « سوريا الكبرى » ، وأخيراً لانها ستعيق كل تطور اقتصادي (١٩٤). وفي نفس الوقت أعلنت رفضها للدولة مزدوجة القومية ، ولكل المشاريع المقترحة ذات الهدف المركزي وهو حفظ واستمرار مركز وسلطة الامبريالية البريطانية في فلسطين وعليها . والحل الوحيد الذي وجدته العصبة مقبولاً كان الحل الذي اقترحته عند تأسيسها وهو « الغاء الانتداب ، اخراج الجيش البريطاني ، وتأسيس دولة ديموقراطية مستقلة تكفل حقوقاً متساوية لليهود والعرب » (١٩٥).

عندما نشرت لجنة التقصي قراراتها عبرت العصبة عن ارتياحها لقرار منح البلاد استقلالها واجلاء الجيش البريطاني (١٩٦)، ولكنها رفضت توصية الاغلبية لصالح التقسيم ووصفتها بأنها « نتيجة المؤامرات الاستعمارية داخل الامم المتحدة التي تهدف الى تدمير مستقبل فلسطين والامم المتحدة معا » .

وبينما رحبت بتوصية الاقلية التي جاءت لصالح الدولة الموحدة ، شجبت العصابة من الناحية الأخرى محاولات تلك الاقلية لفرض شكل محدد لهذه الدولة على أنه لا يحق لغير شعب فلسطين المستقلة الموحدة ان يختار ويقرر شكل دولة المستقبل . واطارة العصابة الى أن لجان التقصي تزيد القضية تعقيدا وبأنه لم يعد هناك مجال للتردد والتأخير . ودعت جميع فئات الشعب العربي في فلسطين الى تنظيم وتوحيد مساعيهم وجهودهم وراء مطلب الجلاء والاستقلال الفوريين .

العصابة والنشاط النقابي : بدأ انهماك الشيوعيين في العمل التنظيمي بين العمال العرب في خريف ١٩٤٢ عندما حصلت مجموعة شيوعية (مرتكزة على « جمعية أشعة الامل ») ، على اذن من وزارة العمل لانشاء « اتحاد النقابات وجمعيات العمل العربية » . وكان هدف المجموعة الرئيسي كما عبرت عنها مجلتهم « الاتحاد » توحيد الحركة النقابية العربية ، بينما تقوم المجلة بالتكلم نيابة عن كل النقابات العربية ، ودعت المجموعة ممثلي تلك النقابات للمشاركة الفعالة في تحريرها (١٩٧) . لكن هذه الوحدة لم تتجز ، وسرعان ما توصل الاتحاد الى تفاهم مع منافسه الرئيسي جمعية الأعمال العرب في فلسطين ، حول وجود منفصل لكل منهما .

وكانت « الجمعية » تتألف من عناصر متغايرة وسرعان ما تبلورت في داخلها معارضة يسارية كانت تميل الى قبول اقتراح « الاتحاد » لاقامة منظمة واحدة . وكان رؤساء أقسام بعض فروع « الجمعية » شيوعيين (الناصرة ، يافا ، القدس) ، وسرعان ما انشقت عنها بعض الفروع (١٩٨) .

حاول سامي طه زعيم جمعية العمال العرب في فلسطين ان يجمع الفروع اليسارية بكل الوسائل (١٩٩) ، مما جعل اليسار يدرك ان استمرار التعايش مع القيادة اليمينية قد أصبح مستحيلا . ووصلت الامور حدها حول مسألة التمثيل لدى مؤتمر النقابات العالمي الذي كان سيعقد في لندن في شباط (فبراير) ١٩٤٥ . وتوصلوا الى تسوية على أساس ارسال وفد مشترك مؤلف من سامي طه ، حنا عصفور ، بولس فرح ، لكن فرح وصل المؤتمر متأخرا نظرا لبعض التعويق بخصوص التأشير وسمح له بالحضور كمراقب ، مما جعل الوفد يتألف رسميا من طه وعصفور (٢٠٠) .

ونشب خلاف حاد آخر حول تأليف الوفد الى مؤتمر باريس الذي كان سيعقد في ايلول (سبتمبر) من نفس السنة ، مما أدى الى انشقاق اليسار النهائي عن « الجمعية » . وبالرغم من تعاضم قوة اليسار الا أن سامي طه تابع رفضه لاقتراحهم بخصوص التمثيل المشترك وقرر ان وفد باريس سيتألف منه ومن عصفور .

وقد وجهت الدعوة في ١٩ آب (اغسطس) لفروع اليسار لعقد اجتماع لها في يافا ، حضره ممثلون عن فروع يافا ، والقدس ، وغزة وعكا بالإضافة الى ثمانية فروع أخرى صغيرة . واصلوا انسحابهم من « الجمعية » وانضموا الى « الاتحاد » بهدف انشاء « مؤتمر العمال العرب » (٢٠١) . ثم تم تأليف الوفد الى باريس من مخلص عمرو وبولس فرح اللذين منحتهما لجنة مؤتمر باريس منزلة رسمية (٢٠٢) .

وأصبح « المؤتمر » المنظمة الرئيسية للعمال العرب في البلاد وقام بنشاط اكبر بكثير من نشاط « الجمعية » في الحقل النقابي . طالب المؤتمر بالتشريع العمالي ، وبالاجر المقطوع وبالضمان الاجتماعي للمسنين والمرضى ، وبالفاء التبادلات في العمل الخاص وبانشاء قسم للتوظيف تشرف عليه الدولة (٢٠٣) . وكان نشاطه النقابي « بدون شك اكثر اخلاصا لمصالح العمال من نشاط جمعية العمال العرب في فلسطين » (٢٠٤) . وكان يتألف فقط من العمال كما ان واحدا من زعمائه كان عاملا في سكة الحديد متمرسا

بالسياسة والعمل النقابي . ومن خلال « المؤتمر » نجحت العصبة التي كانت في البداية حركة منتقنين في التغلغل داخل صفوف العمال لتخلق بذلك « تحالفا حقيقيا بين المثقفين والعمال » (٢٠٥) . وبالرغم من أن الخلاف حول قوته العددية الفعلية لا زال قائما (٢٠٦) فإنه قد شكّل « أكبر وأهم نقابة عربية في فلسطين » (٢٠٧) .

الحركة الشيوعية اليهودية و« الوطني القومي » : بعد تفكك الحزب اليهودي العربي الموحد في سنة ١٩٤٣ ألف الشيوعيون اليهود عدة مجموعات صغيرة . وفي أوائل ١٩٤٤ نجح ميكونيس وفلنر في احياء الحزب الشيوعي الفلسطيني وعقدوا المؤتمر الثامن في أيار (مايو) من ذلك العام . وخرج الحزب بموقف جاء لصالح اقامة فلسطين ديموقراطية مستقلة تكفل مساواة تامة في الحقوق « للاقلية القومية اليهودية وللأقلية الأخرى » (٢٠٨) . وتضمن برنامجها السياسي الصراع من أجل « مصالح العمال والفلاحين داخل الحركة الوطنية العربية » . كما تضمن تصعيد الكفاح المشترك للجماهير العربية واليهودية من أجل مصالحهم المشتركة . وأعلن البرنامج ان السياسة الصهيونية تضر بمصالح القسم اليهودي من السكان ، وأكد على ان الحل العملي الوحيد يكمن في تشجيع الوحدة العربية اليهودية . وفي آب (اغسطس) ١٩٤٤ اشترك الشيوعيون تحت اسم « اللائحة الشعبية الديموقراطية » بانتخابات الجمعية التشريعية للييشوف وفازوا بثلاثة مقاعد (٢٠٩) . وشجبوا البرنامج الداعي لاقامة دولة في « تصريح بلمور » لكونه « مبني على السيطرة » وعلى « سياسة التوسع والانعزالية الشوفينية المتطرفة » . ولكن في منتصف ١٩٤٤ كان الحزب الشيوعي الفلسطيني يفاوض في سبيل السماح لاجراءه بالدخول الى صفوف الهستدروت (٢١٠) .

في نيسان (ابريل) ١٩٤٥ أنشأ سلونيم وتساباري (العضوان السابقان في اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الفلسطيني الموحد) « الرابطة التربوية الشيوعية » (التي عرفت في ما بعد « بالحزب الشيوعي العبري ») . ولأول مرة اعترفت الرابطة بالوطن القومي اليهودي وصادقت على طلب الهجرة اليهودية الى فلسطين (٢١١) . عمليا كان البرنامج « مطابقا للصهيونية » ، ومع ذلك فقد استمر الشيوعيون العبريون حتى العام ١٩٤٨ كمجموعة مستقلة ، عندما انضموا الى الحزب الشيوعي الفلسطيني والعصبة مشكلين بذلك الحزب الشيوعي الاسرائيلي .

لم يكن الحزب الشيوعي الفلسطيني صهيونيا ، وهو لم يؤيد « الدولة اليهودية » الا انه كان يتحرك باتجاه موقع الاعتراف « بالحقوق القومية » اليهودية في فلسطين الامر الذي اتخذ شكل طلب الحكم الذاتي للمناطق ذات الاغلبية اليهودية ، كما ان الحزب اقترح في ما بعد انشاء دولة فيدرالية (٢١٢) . بقي الحزب غير صهيوني لكنه أخذ مع ذلك يطرح عنه تدريجيا معاداته الحادة السابقة للصهيونية . واستمر في طرح سياسات متناقضة ففي العام ١٩٤٦ كان لا يزال يدين برنامج بلمور ويطالب بالتعاون مع الجماهير العربية « التي سنعيش معها الى الابد » (٢١٢) . في تموز (يوليو) وتحت عنوان « خذوها الى الامم المتحدة » ذكرت « كول هاعام » ان الاعتداءات التي قامت بها السلطات العسكرية البريطانية ضد اليهود كان المقصود بها تلميحاً للعرب على ان البريطانيين بجانبهم تشجيعاً لهم للاستمرار في هجماتهم على اليهود . كما أدانت اعتقال زعماء الييشوف وطالبت بنقل القضية الفلسطينية فوراً الى مجلس الامن . وفي كانون الاول (ديسمبر) من السنة نفسها اعلن ميكونيس ان المقاومة اليهودية ضد البريطانيين « فيها شيء من الاحتجاج ضد الحكم الاستعماري » (٢١٤) . وهاجم الجامعة العربية ، والوكالة اليهودية والزعماء الصهاينة على موقفهم من تحوّل

القضية الفلسطينية الى الامم المتحدة مع ان « نفوذ القوى الديمقراطية الممثلة فيها يستطيع هناك ان يعطي ثمارا » .

وفي شباط (فبراير) ١٩٤٧ حضر ميكونيس مؤتمر الاحزاب الشيوعية في الامبراطورية البريطانية المنعقد في لندن تحت رعاية الحزب الشيوعي البريطاني (٢١٥) حيث تحدث عن « عنف اليشوف المبرر ضد الحكم الاستعماري » وهاجم الصهاينة « لسياساتهم الرجعية الهادفة لتحويل فلسطين الى دولة يهودية » . وقدم مطلب الديمقراطية والاستقلال للذين لا يستطيع سواهما « ان يؤمن ازدهار العرب وتطورهم الحر » (٢١٦) ، واعلن ان الحزب الشيوعي يعتقد بأنه « ليس بين العرب واليهود مصالح متناقضة » . وتركزت مطالب الحزب الفورية حول ابطال الانتداب والاجلاء الفوري للقوات ، وحول انه ينبغي وضع القضية امام مجلس الامن لكي يؤمن اقامة الدولة الديمقراطية المستقلة (٢١٧) .

أكد الحزب الشيوعي الفلسطيني باستمرار وحتى ربيع ١٩٤٧ على شعار الوحدة بين العرب واليهود ، وشجب المساعي الأمريكية والبريطانية الرامية للتوصل الى حل . وأعلن فيلنر في تصريح له في ٢٥ آذار (مارس) ١٩٤٦ ان اللجنة الانكلو - اميركية ما هي الا مؤامرة اخرى « لضمان استمرار الوضع الراهن » ، كما وقف بشدة ضد اي مشروع للتقسيم لانه « سوف يشكّل مصيبة للسكان اليهود والعرب على السواء » (٢١٨) . ومع ذلك ففي تموز (يوليو) من العام ١٩٤٧ انقلب موقف الحزب رأساً على عقب ، وفي تصريح امام لجنة الامم المتحدة وقف ميكونيس مع التقسيم (٢١٩) .

علاقات العصبة مع الحزب الشيوعي الفلسطيني : فيما يختص بالاتصالات بين الجانبين سعى الشيوعيون اليهود منذ ١٩٤٤ للتعاون مع العصبة معتبرين ان هذه هي الطريقة الوحيدة لاشناع العرب واليهود بامكانية التعاون بينهما . ولم تستطع العصبة ان توافق على هذا المنطق على أساس ان مستوى الوعي عند الجماهير العربية منخفض (٢٢٠) . لكن الشيوعيين اليهود استمروا في مساعيهم وفي المؤتمر التاسع للحزب (ايلول (سبتمبر) ١٩٤٥) ذكر في احدى المقررات « ان الحزب يعتبر الحاجة لبذل كل الجهود في تقريب التعاون مع العرب مهمة اساسية » (٢٢١) . وقد كرر المؤتمر العاشر المنعقد في كانون الاول (ديسمبر) ١٩٤٦ الحاجة الحيوية للوحدة ، ولضرورة تشكيل « حزب أممي » كأساس للتعاون بين العرب واليهود . وقد كانت النتائج العملية الوحيدة لذلك بعض البوادر من اجل ظهور مشترك كالمشور الذي أصدره في ١٨ نيسان (ابريل) ١٩٤٦ . المتعلق باضراب موظفي الحكومة والموقع من الطرفين (٢٢٢) .

وجدت العصبة انه من المستحيل التوصل الى تفاهم مع الحزب الشيوعي الفلسطيني . اذ انه عدا الخلافات المتعلقة بكتاب ١٩٣٩ الأبيض وهجرة اللاجئين اليهود من أوروبا الى فلسطين كان بينهما المشكلة المتعلقة بشكل فلسطين المستقبل . فقد طالبت العصبة بفلسطين ديموقراطية مستقلة حيث يتمتع اليهود بالحقوق المدنية الكاملة ، بينما انتقل الحزب الشيوعي الفلسطيني للاقرار « بالحقوق القومية للشعبين بالبلاد » (٢٢٣) . وقد كتب فلنر مؤخراً (وهو الامين العام للحزب الشيوعي الاسرائيلي الجديد ، وفيها بعد واحد من زعماء الحزب الشيوعي الفلسطيني) ان الحزب (المخلص للمبادئ الماركسية اللينينية ، المتعلقة بالمسألة القومية » قد طبق هذه المبادئ على الظروف المستجدة في فلسطين . فاليهود « مع انهم اقلية ، شكلوا في

ظروف البلاد الخاصة مركز التطور الصناعي الراسمالي ومركز تطور البورجوازية والبروليتاريا على السواء» . وكل هذه العوامل « أدت الى تحويل البلاد من دولة وحيدة القومية الى واحدة ثنائية القومية وذلك نظرا لتشكّل امة يهودية على جانب الامة العربية الفلسطينية » (٢٢٤).

العصبة ، الحزب الشيوعي الفلسطيني والتقسيم : تجاهلت العصبة في البداية تصريح غروميكو في هيئة الأمم المتحدة في ايار (مايو) ١٩٤٧ المؤيد للتقسيم واستمرت في الضغط من أجل دولة مستقلة موحدة . وفي ما بعد قامت محاولة لظهور ان هذا الالتواء المستجد في السياسة السوفياتية ما هو الا تكتيك سياسي مؤقت ، ولم يحدث الا في تشرين الثاني (نوفمبر) ان بدأت العصبة تتفهم حقيقة التقسيم (٢٢٥) وقد خلق قرار الأمم المتحدة في تشرين الثاني انشقاقا داخل العصبة . فتجمعت فئة حول فؤاد نصار واميل حبيبي اللذين قبلا بقرار الأمم المتحدة ، بينما عارضت هذا الخط الجديد فئة اخرى تجمعت حول مؤسس العصبة بولس فرج ، واميل توما وموسى دجاني(٢٢٦) . وفي كانون الثاني (يناير) ١٩٤٨ عقدت العصبة مؤتمرا في الناصرة لرسم سياسة مشتركة أعلن فيه معظم المشتركين معارضتهم للتقسيم . الا أن مؤتمرا جديدا عقد في يافا بعد ذلك بشهرين قلب قرارات اجتماع الناصرة (٢٢٧) وازيحت مجموعة فرج - توما من القيادة وصنفوا « انحرافيين يمينيين » (٢٢٨) . وقد شاركت هذه المجموعة التي عارضت التقسيم في الدعوة الى اضراب عربي عام في كانون الاول (ديسمبر) ١٩٤٧ وتطابقت كلية مع الحركة الوطنية . واستمرت هذه المجموعة في تسيير امور مؤتمر العمال العرب وارسلت رسالة تعزية للمفتي تعزیه فيها باستشهاد عبد القادر حسيني في معركة القسطل (٢٢٩) .

ونشطت كذلك مجموعة فؤاد نصار - اميل حبيبي التي اخذت تحرض ضد « الغزو » العربي ودعت الى سحب جيوش الجامعة العربية . وخاطب نصار « جمهورا كبيرا اجتمع في القدس » في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤٧ مهاجما « الارهاب والمؤامرات الامبريالية لاغراق الشعب في حمام من الدم » (٢٣٠) . وقامت العصبة في هذه الاثناء بحملة دعائية نشطة ضد الجيوش العربية ، فوجهت رسالة الى « جنود الجيوش العربية » دعتهم فيها لمحاربة حكوماتهم التي ارسلتهم الى فلسطين عوضا عن ارسالهم للقتال ضد الامبريالية ، فاهداف تلك الحكومات موجهة لا لتحرير فلسطين وانما لحرف الكفاح من اجل التحرير في العالم العربي ، كما دعتهم الى « تحرير مصر وبقيّة العالم العربي من نير الامبريالية واذنابها » (٢٣١) . وقد اعتقل الكثير من مؤيدي التقسيم ، وسجنوا . فؤاد نصار نفسه القي القبض عليه في بيت لحم في تموز (يوليو) ١٩٤٨ بينما كان يوزع منشورا يطالب بانتهاء « الغزو » وباقامة دولتين مستقلتين (٢٣٢) .

لم يكن لدى الشيوعيين اليهود تحفظات حول التقسيم وقد ايدوا بحماس قرار الأمم المتحدة . وقد أصبح ميكونيس ، (امين الحزب) واحدا من واحد وثلاثين عضوا تشكل منهم مجلس الدولة المؤقت عندما أعلنت دولة اسرائيل (٢٣٣) . وفي نيسان (ابريل) ١٩٤٨ افهم ميكونيس الامبريالية البريطانية بمحاولة تحريب قرار الأمم المتحدة ، لانها كانت تساعد مؤيدي المفتي لمنع قيام الدولتين العربية واليهودية المستقلتين . كما ادان ارباب الارغون ، وعنف الهاغانا بشدة لعدم قيامها بمقاومة فعالة ضد البريطانيين . واعلن ، ان الحزب الشيوعي الفلسطيني بالاشتراك مع العصبة كانا يحاربان من اجل اقامة دولة عربية واخرى يهودية ، ووقفنا ضد التحريض الشوفيني الذي كان يقوم به الزعماء الاقطاعيون والبورجوازيون القوميون .

واعلن ايضا ان المهمة الراهنة للحزب كانت اقامة جبهة ديموقراطية مع الجناح التقدمي في الحركة الصهيونية (هاشومير هتسوير وأحدوت هعفودا) (٢٢٤). وفي مناسبة اعلان « الاستقلال » في ايار ١٩٤٨ اصدرت اللجنة المركزية للحزب تصريحاً رحبت فيه بانتهاء الانتداب البريطاني الذي « الغي بنضال اليشوف ومساعدة الاتحاد السوفياتي » . واعلن التصريح كذلك ان الحزب سيناضل من اجل حرية الشعب العربي داخل الدولة ، ومن اجل التعاون مع البلدان العربية المجاورة بينما « على كل اليشوف ان يتوحدوا للنضال من اجل الحرية . . . واي هجوم سوف يقابل معارضة من قبل كل الشعب . . . تعيش الدولة اليهودية . . . المجد للمدافعين عن الاستقلال والمقاتلين في سبيله . . . » (٢٢٥). ودعا الحزب انصاره المتحمسين للاشتراك في « الحرب الدفاعية » التي اطلقتها الامبريالية البريطانية ضد الدولة اليهودية الفنية ، بواسطة الجامعة العربية ، واعلن ان التقسيم في الظروف القائمة هو « الحل الوحيد المعقول » . وادان الحزب وقف اطلاق النار الذي انهى الجولة الاولى من القتال على انه ضد مصالح اسرائيل ، وأكد ان الشعب « سيتابع القتال حتى لا يدوس جندي اجنبي واحد على ارض فلسطين الطاهرة » . ووصف الصراع بأنه صراع « شعب محب للحرية ضد هؤلاء الذين يحاولون سلبنا حريتنا في بناء حياتنا القومية بسلام » ودعا تقدميي العالم بأسره للنضال من اجل الاعتراف باسرائيل « ورفع الحظر على شحن الاسلحة » (٢٢٦). وفي تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٤٨ التقت العصبة والحزب الشيوعي الفلسطيني اللذين كانا قد وحدهما تأييدهما المشترك للتقسيم . وانتهى بذلك الخلاف بين شقي العصبة (تقاعد بولس فرح عن النشاط الحزبي بينما تراجع اميل توما عن آرائه وانضم الى الحزب الشيوعي الاسرائيلي) . ونشرت الامانة العامة للعصبة نقدا ذاتيا صارما لنشاطاته السابقة (٢٢٧). وأقرت ان وجود حزبين منفصلين على اساس قومي يبطل الشعار الشيوعي الداعي الى جبهة عربية يهودية ضد الامبريالية وان هذا الوجود قد منع العصبة « من ادراك بلورة الشعب اليهودي الى مجموعة قومية » . وانتقدت العصبة جهودها السابقة في تشجيع الوحدة الوطنية مع « الزعماء البورجوازيين الاقطاعيين القوميين بدلا من شجبتها » . ومع هذا التكرار لماضيها انضمت العصبة الى الحزب الشيوعي الفلسطيني (الذي شهد هو بسدوره تحولا سياسيا تدريجيا) وتهيأ للدور الجديد الذي كان ينتظرهما في « المغامرة الصهيونية » التي حولتها مجموعة القوى الجديدة والظروف المتغيرة الى « الرغبات القومية المشروعة للسكان اليهود في فلسطين » .

- ١ - تقرير عن النشاط الشيوعي في فلسطين ، قدمه لورد بلاير الى وزير المستعمرات في تشرين الاول ، اكتوبر ١٩٢٧ ، صفحة ٥ .
- ٢ - م . فيلنر ، محاضرة في آذار (مارس) ١٩٧٠ بمناسبة مرور ٥٠ عاما على الحزب . نشرت تحت عنوان « خمسون عاما من حياة الحزب الشيوعي في فلسطين » ، حينا ١٩٧٠ ، صفحة ٢٥ .
- ٣ - فيلنر ، صفحة ٢٥ .
- ٤ - فيلنر ، صفحة ٢٦ .
- ٥ - فيلنر ، صفحة ٢٩ .
- ٦ - فيلنر ، صفحة ٣٠ .
- ٧ - فيلنر ، صفحة ٣١ .
- ٨ - رسالة في ٢٥ آب (اغسطس) ١٩٢٠ . ارسلها مايرسون من فينا ، مذكورة في فيلنر ، صفحة ٣١ .
- ٩ - رسالة مايرسون ، فيلنر صفحة ٣٢ .
- ١٠ - فيلنر ، صفحة ٣٢ .
- ١١ - فيلنر ، صفحة ٣٣ .
- ١٢ - فيلنر ، صفحة ٣٣ .
- ١٣ - فيلنر ، صفحة ٤٠ .
- ١٤ - تقرير بلاير ، صفحة ٨ . طلب الكومنترن

- بخصوص مخاطر سياسة الجبهة المتحدة
والتحذيرات الضرورية لذلك .
- ٣٤ - تقرير بلامر ، صفحة ٢٣ .
- ٣٥ - تقرير بلامر ، صفحة ٤٥ .
- ٣٦ - المراسلات الصحفية الدولية (اسبوعية
للكومنترن) سنذكرها لاحقا في الهوامش بمختصر
(م. ص. د.) ، عدد ٥ ، ١٩٢٥ ، صفحة
٤٣ .
- ٣٧ - م. ص. د. ، عدد ٤٤ ، ١٩٢٦ ، صفحة
٧٢٦ .
- ٣٨ - م. ص. د. ، عدد ٦٨ ، ١٩٢٦ ، صفحة
١١٨٤ . من المحفل أن يكون حمدي الحسيني
من حزب الاستقلال .
- ٣٩ - م. ص. د. ، عدد ٧١ ، ١٩٢٦ ، صفحة
١٢٢٧ .
- ٤٠ - م. ص. د. ، عدد ٧٠ ، ١٩٢٦ ، صفحة
١٤٧٨ .
- ٤١ - م. ص. د. ، عدد ٤٨ ، ١٩٢٨ ، صفحة
٨٥١ .
- ٤٢ - م. ص. د. ، عدد ١ ، ١٩٢٩ ، صفحة
١٥ .
- ٤٣ - و. لاجر ، الشيوعية والقومية في الشرق
الايوسط ، لندن ١٩٦١ ، صفحات ٧٦ - ٨٠ .
- ٤٤ - م. ص. د. ، عدد ١ ، ١٩٢٩ ، صفحة ١٥ .
- ٤٥ - م. ص. د. ، عدد ٢٩ ، ١٩٢٩ ، صفحة
٦٤٧ . لاجر ، صفحة ٨٠ . الانحرافيون
اليمنيون تمسكوا بتطليل اورباخ . والآخر
استدعي الى موسكو سنة ١٩٢٩ .
- ٤٦ - مؤسسة اسكو من أجل فلسطين ، الجزء
الثاني ، صفحة ٧٨٠ .
- ٤٧ - م. ص. د. ، عدد ٥٠ ، ١٩٢٩ ، صفحة
١٠٥٨ .
- ٤٨ - م. ص. د. ، عدد ٥٠ ، ١٩٢٩ ، صفحة
١٠٥٨ .
- ٤٩ - م. ص. د. ، « الثورة في فلسطين » ،
اعداد ٥٤ ، ٥٦ ، ١٩٢٩ .
- ٥٠ - م. ص. د. ، عدد ٥٤ ، ١٩٢٩ ، صفحة
١١٦١ .
- ٥١ - م. ص. د. ، عدد ٥٤ ، ١٩٢٩ ، صفحة
١١٦٣ .
- ٥٢ - م. ص. د. ، عدد ٥٤ ، ١٩٢٩ ، صفحة
١١٦٣ .

- من « عمال صهيون » ان يبنى سياسات معينة
في مسائل الهجرة ، ومسألة تغيير اسمه .
- ١٥ - تقرير بلامر ، صفحات ٨ - ١٤ ، فيلنر ،
صفحة ٢٣ .
- ١٦ - الاممية الشيوعية ، مجلد ٣ ، عدد ١٧/١٦ ،
١٩٢١ ، ص ١٢٣ .
- ١٧ - فيلنر ، صفحة ٤٠ .
- ١٨ - « من المؤتمر الدولي الرابع للكومنترن الى
المؤتمر الخامس » تقرير ECCI ، صفحة ٦٦ .
- تقرير بلامر ، صفحة ٢٠ .
- ١٩ - فيلنر ، صفحة ٤٠ .
- ٢٠ - تقرير عن البرنامج مبني على تقرير بلامر ،
صفحات ١١ - ١٣ .
- ٢١ - فيلنر ، صفحة ٤٠ .
- ٢٢ - فيلنر ، صفحة ٣٤ .
- ٢٣ - فيلنر ، صفحة ٣٧ . تقرير الـ ECCI
« الكومنترن بين المؤتمرات الخامس والسادس »
يذكر نهاية ١٩٢٢ كتاريخ لذلك ، صفحة ٤١٧ .
- ٢٤ - تقرير بلامر ، صفحة ١٥ .
- ٢٥ - تقرير بلامر ، صفحة ٥٢ .
- ٢٦ - فيلنر ، صفحة ٤٠ . تقرير بلامر يذكر
حزيران ١٩٢٤ ، كتاريخ ، صفحة ١٩ .
- ٢٧ - « من المؤتمر الرابع الى المؤتمر الخامس
للكومنترن » . لندن ١٩٢٤ . تقرير ECCI
صفحة ٦٧ .
- ٢٨ - يذكر فيلنر ان وفدا عربيا تحدث امام
المؤتمر . صفحة ٤٠ .
- ٢٩ - تقرير بلامر ، صفحة ١٩ .
- ٣٠ - تقرير بلامر ، صفحة ٣٨ .
- ٣١ - تقرير ECCI « الكومنترن بين المؤتمرات
الدوليين الخامس والسادس » . لندن ١٩٢٨ ،
صفحة ٤١٧ . يذكر لاجر ان مجلة « المنبه »
صدرت اواخر العشرينات ، وان جبران نقولا
كان محررا لها ، وهو لم يكن عضوا في الحزب
ذلك الوقت (اتصال شخصي مع جبران نقولا)
ويدل هذا على واحد من عدة اخطاء يرتكبها
لاجر . تقرير بلامر يذكر « المنبه » ولا يعطي
تفاصيل ، صفحة ٤٣ .
- ٣٢ - تقرير بلامر ، صفحة ٤٤ .
- ٣٣ - تقرير بلامر ، صفحة ٣٣ . يذكر توصية
راديك الى الحزب الشيوعي الفلسطيني

- هنا يتبالغ في قوة الحزب .
- ٦٧ - بوراث ، صفحة ٢٦٠ . (اتصال شخصي مع احد اعضاء الحزب القدامى) . برمان خلف برغر ، الذي استدعي لموسكو . خلال كل هذه الفترة كان الاعضاء اليهود في اللجنة المركزية مؤثر سلونيم وسيحبا تساباري .
- ٦٨ - « مهبات الحزب الشيوعي الفلسطيني في الريف » ، قرارات المؤتمر السابع للحزب ، كانون الاول (ديسمبر) . ١٩٣٠ ، اقتبسها سبكتر ، صفحات ١٥٦ - ١٦٠ .
- ٦٩ - بنشور بالعربية للحزب الشيوعي الفلسطيني مؤرخ أول كانون الثاني (يناير) . ١٩٣٠ .
- ٧٠ - الحزب الشيوعي الفلسطيني ، قرارات المؤتمر ، اقتباس سبكتر ، صفحة ١٥٦ .
- ٧١ - المرجع نفسه ، صفحة ١٥٧ .
- ٧٢ - المرجع نفسه ، صفحة ١٥٨ .
- ٧٣ - مهبات الحزب الشيوعي الفلسطيني ، كما ورد في سبكتر ، صفحة ١٥٩ .
- ٧٤ - المرجع نفسه ، صفحة ١٦٠ .
- ٧٥ - « العمل بين الفلاحين والتضال ضد الصهيونية » . موضوعة وافقت عليها امانة اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الفلسطيني . سبكتر ، صفحات ١٦١ - ١٧٨ .
- ٧٦ - المرجع نفسه ، صفحة ١٧٥ .
- ٧٧ - « المسألة القومية في المؤتمر السابع للحزب » ، م. ص. د. ، عدد ٣ ، ١٩٣١ ، صفحة ٦٤ .
- ٧٨ - بوراث ، صفحة ٢٦١ .
- ٧٩ - « مهبات الشيوعيين في عموم الحركة الوطنية العربية » ، قرار تبناه مؤتمر الحزبين الشيوعيين السوري والفلسطيني سنة ١٩٣١ . كما ورد في سبكتر ، صفحات ١٢٩ - ١٤٠ .
- ٨٠ - المرجع نفسه ، صفحة ١٣٤ .
- ٨١ - المرجع نفسه ، صفحة ١٣١ .
- ٨٢ - م. ص. د. ، عدد ٤١ ، ١٩٣٠ ، صفحة ٨٦٥ .
- ٨٣ - م. ص. د. ، عدد ٤٣ ، ١٩٣٠ ، صفحة ٩٠٧ .
- ٨٤ - « مهبات الشيوعيين ... » ، سبكتر ، صفحة ١٣٧ .
- ٥٣ - م. ص. د. ، عدد ٥٦ ، ١٩٢٩ ، صفحة ١٢٢٠ .
- ٥٤ - م. ص. د. ، عدد ٥٦ ، ١٩٢٩ ، صفحة ١٢٢١ . وصف حمدي الحسيني كـ « زعيم الجناح الوطني الثوري للعرب » وعزي اليه التصريح عن « ضرورة خلق انتفاضة معادية للإمبريالية عوضا عن قتل السكان اليهود الابرياء . » الزعيم الوحيد الذي لم يهاجم .
- ٥٥ - م. ص. د. ، عدد ٦١ ، ١٩٢٩ ، صفحة ١٣٢١ .
- ٥٦ - م. ص. د. ، عدد ٦١ ، ١٩٢٩ ، صفحة ١٣٢١ . عبرت الجمعية الموسعة عن رأيها في أن « معدل سرعة توسع الحزب بين الطبقة العاملة العربية يجب أن يدفع الى أقصى مداه » .
- ٥٧ - م. ص. د. ، عدد ٣ ، ١٩٢١ ، صفحة ٦٤ . ايضا . سبكتر ، « الاتحاد السوفياتي والعالم الاسلامي ١٩١٧ - ١٩٥٨ » ، واشنطن ١٩٦٧ ، صفحة ١٢٩ .
- ٥٨ - م. ص. د. ، عدد ٤٩ ، ١٩٣٠ ، صفحة ١٠١٨ . مقال عن فلسطين يذكر « قرار الـ ECCI عن حركة الثورة في البلاد العربية » مؤرخ في تشرين الاول (أكتوبر) ١٩٢٩ .
- ٥٩ - بوراث (دورية عبرية) « الثورة والارهاب في الحزب الشيوعي الفلسطيني ١٩٢٩ - ١٩٣٩ » . هاميزراج هاداش . مجلد ١٨ ، عدد ٤/٣ ، ١٩٦٨ ، صفحة ٢٥٩ ، يذكر المقال انه في العام ١٩٢٩ ، اختارت اللجنة المركزية في احدى القرى العربية .
- ٦٠ - بوراث ، صفحة ٢٥٩ .
- ٦١ - اتصال شخصي مع احد اعضاء الحزب العرب .
- ٦٢ - بوراث ، صفحة ٢٥٩ ، كان بين العرب نجاتي صدقي ، وم. مغربي .
- ٦٣ - م. ص. د. ، عدد ١١ ، ١٩٣١ ، صفحة ٢١٥ .
- ٦٤ - م. ص. د. ، عدد ٢٨ ، ١٩٣١ ، صفحة ٥١٥ . (صدقي ومغربي) .
- ٦٥ - بوراث ، صفحة ٢٦٠ . (كامل عوده ، عثمان زعرور ، سهيل ترسيمي) .
- ٦٦ - بوراث ، صفحة ٢٦٠ . يبدو ان بوراث

المركزية للحزب الشيوعي الفلسطيني ، تشرين

- الاول (اكتوبر) ١٩٣٥ .
- ١٠٥ - المرجع نفسه ، صفحات ٦ - ١٠ .
- ١٠٦ - المرجع نفسه ، صفحات ١٠ - ١٤ .
- ١٠٧ - منشور للحزب الشيوعي الفلسطيني :
« من أجل وحدة كل العرب ... » ، تشرين
الاول (اكتوبر) ١٩٣٥ ، صفحة ١٥ .
- ١٠٨ - المرجع نفسه ، صفحة ١٧ .
- ١٠٩ - المرجع نفسه ، صفحة ١٩ .
- ١١٠ - المرجع نفسه ، صفحة ١٨ .
- ١١١ - بوراث ، صفحة ٢٦٤ .
- ١١٢ - م. ص. د. ، عدد ٢٨ ، ١٩٣٦ ، صفحة
٧٥١ .
- ١١٣ - م. ص. د. ، عدد ٢٥ ، ١٩٣٦ ، صفحة
٦٧٩ .
- ١١٤ - م. ص. د. ، عدد ٣٣ ، ١٩٣٦ ، صفحة
٨٨٤ .
- ١١٥ - م. ص. د. ، عدد ٣٠ ، ١٩٣٦ ، صفحة
٨٠٥ .
- ١١٦ - مقال غير موقوع ولا يتناسب مع الصورة
العامة ، ظهر في م. ص. د. امتدح عمل الرواد
اليهود « لعلمهم الجاد ومثاليتهم الرائعة » ،
كما امتدح النقابات اليهودية لتأثيرها الخير على
العرب ، عدد ٢٧ ، ١٩٣٦ .
- ١١٧ - م. ص. د. ، عدد ٣٣ ، ١٩٣٦ ، صفحة
٨٨٥ .
- ١١٨ - بوراث ، صفحة ٢٦٥ .
- ١١٩ - (اتصال شخصي) . لا كير ، صفحة ٩٨ .
- ١٢٠ - اغثير نمر عودة في ما بعد بأنه تسرب الى
الحزب كعميل للمفتي .
- ١٢١ - م. ص. د. ، عدد ٤٣ ، ١٩٣٧ ، صفحة
٩٧١ .
- ١٢٢ - بوراث ، صفحة ٢٦٥ .
- ١٢٣ - مجلة « اخبار ونظرات دولية »
World News and Views ، عدد ٤٠ ، ١٩٣٨ ،
صفحة ٩٣٨ .
- ١٢٤ - « اخبار ونظرات دولية » ، عدد ٣٥ ،
١٩٣٨ ، صفحة ٨٣٧ .
- ١٢٥ - « اخبار ونظرات دولية » ، عدد ٥٥ ،
١٩٣٨ ، صفحة ١٢٩٣ .
- ١٢٦ - « الاممية الشيوعية » ، ١٩٣٨ ، صفحة
١٠٦٤ ، وعدد ١ ، ١٩٣٩ ، صفحة ٤٠ .

٨٥ - « الاممية الشيوعية » ، كانون الاول

- (ديسمبر) ١٩٣٠ ، صفحة ٣٠٣ . هجوم على
حدي- الحسيني .
- ٨٦ - م. ص. د. ، عدد ٦٣ ، ١٩٣١ ، صفحة
١١٤١ . أيضا ، منشور مؤرخ نيسان (ابريل)
١٩٣٢ .
- ٨٧ - بوراث ، صفحة ٢٦٢ .
- ٨٨ - منشور باللغة العبرية الاوروبية الشرقية ،
نيسان (ابريل) ١٩٣٢ ، اقتباس بوراث ،
صفحة ٢٦٢ .
- ٨٩ - منشور بالعبرية ، نيسان (ابريل) ١٩٣٢ .
- ٩٠ - منشور بالعبرية ، كانون الاول (ديسمبر)
١٩٣٢ . (بمناسبة ذكرى ثورة اكتوبر) .
- ٩١ - منشور بالعبرية ، كانون الاول (ديسمبر)
١٩٣٢ « ضد الاستيلاء الصهيوني على العمل » .
- ٩٢ - محاكمة تستزيوتنا ، نيسان (ابريل)
١٩٣٢ ، ورد في فلتر ، صفحة ٤١ .
- ٩٣ - منشور بالعبرية ، آذار (مارس) ١٩٣٣ ،
ورد في بوراث ، صفحة ٢٦٢ .
- ٩٤ - منشور بالعبرية نيسان (ابريل) ١٩٣٣ .
- ٩٥ - م. ص. د. ، عدد ١٤٨ ، ١٩٣٣ ، صفحة
١٠٥٨ .
- ٩٦ - المرجع نفسه .
- ٩٧ - بوراث ، صفحة ٢٦٣ .
- ٩٨ - م. ص. د. ، عدد ٢٨ ، ١٩٣٦ ، صفحة
٧٥١ .
- ٩٩ - م. ص. د. ، عدد ٣٣ ، ١٩٣٥ ، صفحة
٨٥٦ .
- ١٠٠ - م. ص. د. ، عدد ٣٦ ، ١٩٣٥ ، صفحة
٩٤٨ .
- ١٠١ - م. ص. د. ، عدد ٣٤ ، ١٩٣٥ ، صفحة
٨٨٤ .
- ١٠٢ - م. ص. د. ، عدد ٣٦ ، ١٩٣٥ ، صفحة
٩٤٤ .
- ١٠٣ - م. ص. د. ، عدد ٦٢ ، ١٩٣٥ ، صفحة
١٥٤١ .
- ١٠٤ - منشور للحزب الشيوعي الفلسطيني :
« شعارنا ، من أجل وحدة كل العرب وأصدقائهم
ضد الامبريالية ، من أجل تحقيق الوطن العربي
الكبير المحرر ، مع اثيوبيا ، والصين الحرة ،
واقامة سوفياتات في كل مكان » ، اللجنة

- ١٢٧ — « الاممية الشيوعية » ، عدد ٦ ، ١٩٣٩ ، صفحة ٤٧٩ .
- ١٢٨ — بوراث ، صفحة ٢٦٦ .
- ١٢٩ — بوراث تذكر في العدد المذكور ان هذا التمدد الداخلي لم ينشر حتى تموز (يوليو) ١٩٤٤ في رسالة الى الهستدروت .
- ١٣٠ — اميل توما ، « جذور القضية الفلسطينية » حيفا ، ١٩٧٢ ، صفحة ٢٦١ .
- ١٣١ — (اتصال شخصي مع عضو قديم في الحزب) .
- ١٣٢ — اميل توما ، « جذور المسألة الفلسطينية » ، ص ٢٧٩ ، حيفا ١٩٧٢ .
- ١٣٣ — « مذكرة القسم اليهودي الى الكومنترن » ، اقتباس « بوراث » « عصابة التحرر الوطني » ، ١٩٤٣ — ١٩٤٨ ، « مجلة دراسات افريقية وآسيوية » ، مجلد ٤ ، ١٩٦٨ ، ص ٢ .
- ١٣٤ — كول ماعام ، كانون الاول (ديسمبر) ١٩٤٠ ، اقتباس الحكم دروزة « الشيوعية المحلية » ، ص ٢٨٠ ، بيروت ١٩٦٣ .
- ١٣٥ — نفس المرجع .
- ١٣٦ — ي. هيرويترز ، « الصراع على فلسطين » ، نيويورك ١٩٥٠ ، ص ١٢٢ .
- ١٣٧ — بوراث ، « عصابة التحرر الوطني ... » ، ص ٢ .
- ١٣٨ — عبد القادر ياسين ، « الحزب الشيوعي الفلسطيني والمسألة القومية » ، الكاتب ، عدد ١٢٣ ، حزيران ١٩٧١ ، ص ١٤٤ .
- ١٣٩ — بوراث « عصابة التحرر الوطني ... » ، ص ٣ .
- ١٤٠ — انتخب ميكونيس عضوا للجنة المركزية خلال فترة ١٩٣٦ — ١٩٣٩ .
- ١٤١ — بوراث « عصابة التحرر الوطني ... » ، ص ٣ .
- ١٤٢ — تقرير المخابرات عن الشيوعيين العرب تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٤٢ — ايار (مايو) ١٩٤٦ « قدمته الوكالة اليهودية الى المخابرات البريطانية ، حزيران ١٩٤٦ . السجلات الصهيونية » ، ص ١ .
- ١٤٣ — بوراث ، « عصابة التحرر الوطني ... » ، ص ٤ .
- ١٤٤ — ا. بندك و ي. ارمني ، واميل حبيبي (ليس عضوا في اللجنة المركزية) ، تقرير المخابرات ، ص ٢ .
- ١٤٥ — اقتباس بوراث « عصابة التحرر الوطني ... » ، ص ٤ .
- ١٤٦ — نفس المرجع ، ص ٥ .
- ١٤٧ — « تقرير المخابرات ... » ، ص ٣ .
- ١٤٨ — بوراث ، « عصابة التحرر الوطني ... » ، ص ٥ .
- ١٤٩ — م. ايون ، « تكتيك الشيوعيين في فلسطين » ، « مجلة الشرق الاوسط » ، ١٩٤٨ ، عدد ٣ ، ص ٢٥٧ .
- ١٥٠ — « بيان وتقرير » لجمعية الطلاب العرب ، اقتباس بوراث ، « عصابة التحرر الوطني ... » ، ص ٦ .
- ١٥١ — يرئسها ا. بندك (كان في احد المرات عضوا في اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الفلسطيني) ، واميل توما .
- ١٥٢ — « نضال الشعب » (الصحيفة العربية للحزب الشيوعي الفلسطيني) ، عدد ٢٤ آذار ١٩٤٣ .
- ١٥٣ — أسسها بولس فرح ، (عضو سابق في اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الفلسطيني) طرد من الحزب سنة ١٩٤٠ ، واميل توما في تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٤٢ . « تقرير المخابرات » ، ص ٢ .
- ١٥٤ — « نضال الشعب » ، عدد ٤ ، آذار ١٩٤٣ . أسسها اميل حبيبي وس. قبلان في تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٤٢ . « تقرير المخابرات » ، ص ٢ .
- ١٥٥ — اميل توما ، « جذور المسألة الفلسطينية » ، ص ١٨٠ .
- ١٥٦ — المرجع نفسه ، ص ٢٨١ .
- ١٥٧ — هيرويترز ، ص ١٢٢ . أسسها بولس فرح ، واميل توما .
- ١٥٨ — بوراث ، « عصابة التحرر الوطني ... » ، ص ٨ .
- ١٥٩ — هيرويترز ، ص ١٢٢ .
- ١٦٠ — « الميثاق الوطني » .
- ١٦١ — المرجع نفسه ، المواد ١ و ٣ ، ص ٣ .
- ١٦٢ — المرجع نفسه ، المادة ٢ ، ص ٣ .
- ١٦٣ — المرجع نفسه ، الاهداف الاقتصادية ، المواد ١ و ٢ و ٣ ، ص ٤ .

- ١٦٤ - المرجع نفسه ، ص ٥ .
- ١٦٥ - المرجع نفسه ، النظام الاساسي ، القسم الثالث ، ص ٦ - ٧ .
- ١٦٦ - المرجع نفسه . القسم الثاني ، مادة ٢ ، ص ٦ .
- ١٦٧ - « تقرير المخابرات » ، ص ٣ .
- ١٦٨ - عبد القادر ياسين ، ص ١٤٥ .
- ١٦٩ - « تقرير المخابرات » ، ص ٦ .
- ١٧٠ - المرجع نفسه .
- ١٧١ - بوراث ، « عصبة التحرر الوطني ... » ، ص ١١ .
- ١٧٢ - عبد القادر ياسين ، ص ١٤٥ .
- ١٧٣ - « القضية الفلسطينية وطريقة حلها » ، مذكرة أرسلها امين العصبة الى كلمنت اتلي ، ١٠ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٤٥ ، ص ٤ (بالعربية) .
- ١٧٤ - المرجع نفسه ، ص ٧ .
- ١٧٥ - المرجع نفسه ، ص ٩ .
- ١٧٦ - المرجع نفسه ، ص ٩ .
- ١٧٧ - المرجع نفسه ، ص ١٥ .
- ١٧٨ - المرجع نفسه ، ص ١٦ .
- ١٧٩ - المرجع نفسه ، ص ١٨ و ١٩ .
- ١٨٠ - منشور مؤرخ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٤٥ ، « لاحل غير الاستقلال » ، ورد في ياسين ، ص ١٤٩ .
- ١٨١ - الميثاق الوطني ، ص ٣ .
- ١٨٢ - « الاتحاد » ، عدد ٢ ، ٢١ ايار (مايو) ١٩٤٤ ، اقتباس بوراث « عصبة التحرر الوطني ... » ، ص ١٣ .
- ١٨٣ - « الاتحاد » ، عدد ١٤ ، ٦ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٤٥ ، ورد في ياسين ، ص ١٤٧ .
- ١٨٤ - « طريق فلسطين للحرية » ، مذكرة الى الامم المتحدة (انسكوب Unscop) ، آب ١٩٤٧ ، ص ٧٤ .
- ١٨٥ - تصريح للمكتب السياسي في ١١ كانون الثاني (يناير) ١٩٤٦ في « الفجر الجديد » ، ٢٣ كانون الثاني ١٩٤٦ ، اقتباس ياسين ، ص ١٥٠ .
- ١٨٦ - « الفجر الجديد » ، ٣٠ كانون الثاني ١٩٤٦ ، اقتباس ياسين ، ص ١٥٠ .
- ١٨٧ - « الاتحاد » ، ٢٦ ايار (مايو) ، ٢٦
- حزيران (يونيو) ١٩٤٦ . اقتباس بوراث ، ص ١٤ .
- ١٨٨ - « تصريح امين العصبة » في « الفجر الجديد » ، ٦ آذار (مارس) ١٩٤٦ ، اقتباس ياسين ، ص ١٥١ .
- ١٨٩ - بوراث « عصبة التحرر الوطني ... » ، ص ١٤ - ١٥ .
- ١٩٠ - رفضت الفكرة عندما طرحت اول مرة للتصويت في تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٤٥ .
- ١٩١ - « طريق فلسطين للحرية » ، آب (أغسطس) ١٩٤٧ ، (قرار المقاطعة اتخذ تمثيلا مع باقي الحركة الوطنية) .
- ١٩٢ - اميل توما في « نتكلم عن الحرية » ، تقرير مؤتمر الاحزاب الشيوعية للامبراطورية البريطانية ، لندن ، شباط (فبراير) / آذار (مارس) ١٩٤٧ ، ص ٧٠ .
- ١٩٣ - المرجع نفسه ، ص ٧١ - ٧٢ .
- ١٩٤ - « طريق فلسطين للحرية » ، ص ٦٨ - ٦٩ .
- ١٩٥ - المرجع نفسه ، ص ٧٠ .
- ١٩٦ - تصريح أصدرته أمانة العصبة ، الخامس من ايلول (سبتمبر) ١٩٤٧ ، بمناسبة نشر نتائج تحقيقات الانسكوب Unscop .
- ١٩٧ - « الاتحاد » ، عدد ١ ، ١٤ ايار (مايو) ١٩٤٤ .
- ١٩٨ - بوراث ، « عصبة التحرر الوطني ... » ، ص ١١ .
- ١٩٩ - « تقرير المخابرات » ، ص ٤ .
- ٢٠٠ - « تقرير المؤتمر الدولي للثقبات » ، شباط (فبراير) ١٩٤٥ ، لندن .
- ٢٠١ - « مؤتمر العمال العرب » ، « تقرير المخابرات » ، ص ٥ .
- ٢٠٢ - عبد القادر ياسين ، ص ١٤٦ . (ومسافر وفد الجناح اليميني ايضا الى باريس واتخذ مركز مراقب) .
- ٢٠٣ - بوراث ، « عصبة التحرر الوطني ... » ، ص ١٢ .
- ٢٠٤ - « تقرير المخابرات » ، ص ٥ .
- ٢٠٥ - بوراث ، « عصبة التحرر الوطني ... » ، ص ٢٠ .
- ٢٠٦ - ادعى المؤتمر ان العدد كان ٢٠٠٠٠ عضو .

- ٢٠٧ - اتخذ المؤتمر دوراً فعالاً في العام ١٩٤٦ أثناء اضراب موظفي الحكومة وفي كانون الثاني (يناير) ١٩٤٦ أثناء اضراب العمال في معسكرات الجيش البريطاني .
- ٢٠٨ - « تقرير الحزب الشيوعي الفلسطيني حول المؤتمر الثامن للحزب » ، مجلة « أخبار ونظرات دولية » ، عدد ٢٣ ، ١٩٤٤ ، ص ٢٦١ .
- ٢٠٩ - هورويتز ، ص ٢٠٣ .
- ٢١٠ - المرجع نفسه ، ص ٢٠٨ .
- ٢١١ - لاكير ، ص ٢٠١ ، ٢٠٢ .
- ٢١٢ - بوراث ، « عصابة التحرر الوطني ... » ، ص ١٩ .
- ٢١٣ - أ. فيلنيسكا ، « من هم أصدقاؤنا » ، في ال « جويش كلاريون » ، كانون الأول (ديسمبر) ١٩٤٦ .
- ٢١٤ - س. ميكونيس ، « حرروا فلسطين » في « الجويش كلاريون » ، كانون الأول (ديسمبر) ١٩٤٦ .
- ٢١٥ - ميكونيس ، « نتكلم عن الحرية » ، تقرير المؤتمر ... ، ص ٦٦ .
- ٢١٦ - ميكونيس ، خطاب في مؤتمر لندن ، ص ٦٧ .
- ٢١٧ - المرجع نفسه ، ص ٦٨ ، ٦٩ .
- ٢١٨ - م. آيبن ، التكتيك الشيوعي ... ، ص ٢٥٩ - ٢٦٠ .
- ٢١٩ - مجلة « نيو ليدر » (القائد الجديد) ١٣ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٤٧ ، ص ١٨ ، اقتباس آيبن ، ص ٢٦٢ .
- ٢٢٠ - بوراث ، « عصابة التحرر الوطني ... » ، ص ١٧ .
- ٢٢١ - المرجع نفسه .
- ٢٢٢ - « تقرير الخابرات » ، ص ٦ .
- ٢٢٣ - فيلنر ، « محاضرة بمناسبة الذكرى السنوية للحزب » ، ص ٤٥ .
- ٢٢٤ - المرجع نفسه ، ص ٤٩ .
- ٢٢٥ - بوراث ، « عصابة التحرر الوطني » ، ص ١٥ .
- ٢٢٦ - عبد القادر ياسين ، ص ١٥٢ .
- ٢٢٧ - المرجع نفسه ، ص ١٥٤ .
- ٢٢٨ - بوراث ، « عصابة التحرر الوطني » ، ص ١٦ .
- ٢٢٩ - « الدفاع » ، ١٨ نيسان (أبريل) ١٩٥٨ ، اقتباس كابليوك « عندما أيد الشيوعيون الدولة اليهودية » ، مجلة « نيو آوتلوك » ، عدد ٩ ، كانون الأول (ديسمبر) ١٩٦٢ ، ص ٩٠ .
- ٢٣٠ - كابليوك ، ص ٩٠ .
- ٢٣١ - منشور (غير مؤرخ) أصدرته العصابة في « الجويش كلاريون » ، عدد ٣٦ ، تشرين الثاني (نومبر) ١٩٤٨ .
- ٢٣٢ - كابليوك ، ص ٩٠ .
- ٢٣٣ - م. آيبن ، ص ٢٦٢ .
- ٢٣٤ - ميكونيس ، في « من أجل سلام دائم ، من أجل ديموقراطية شعبية » ، مجلة الكومينفورم عدد ٨ ، ١٥ نيسان (أبريل) ١٩٤٨ .
- ٢٣٥ - م. آيبنسون ، ص ٢٥٨ - ٢٥٩ . « الشيوعيون الفلسطينيون يحيون اليوم العظيم » ١٥ أيار (مايو) ١٩٤٨ .
- ٢٣٦ - ميكونيس ، « سوف نتابع النضال حتى لا يسطر جندي أجنبي أرضنا الحبيبة » في « الجويش كلاريون » ، عدد ٣٣ ، آب (أغسطس) ١٩٤٨ .
- ٢٣٧ - كول هاغام ، ١٥ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٤٨ .
- ٢٣٨ - اقتباس بوراث ، ص ٢٠ .

فقيدان فلسطينيان كبيران : عبد الحميد شومان ومحمد علي الطاهر

بيان نويهض الحوت
والدكتورة خيرية قاسمية

فقد الفلسطينيون ، وسائر العرب ، في اوائل سبتمبر ١٩٧٤ شخصيتين فلسطينيتين بارزتين ، ترك كل منهما اثره في الحياة العامة في فلسطين وفي دنيا العرب ، الاول ، عبد الحميد شومان ، في عالم المال والاقتصاد ، والثاني ، محمد علي الطاهر ، في عالم التأليف والصحافة ، الى جانب اسهام الاثنین معا في الحركة الوطنية الفلسطينية في فلسطين وفي ديار النزوح ، سواء قبل النكبة او بعدها .

[١]

عبد الحميد شومان ... عائد الى الوطن

نعشه الجسر ، وان يدفن داخل أسوار المسجد
الاتصبي .

ومن من ابناء فلسطين لا يحبها ، ولا يعشقها ؟
لقد كان عبد الحميد شومان واحدا منهم ، الا انه
كان لحيه - وهو الصامت الصارم في ابسداء
عواطفه - كان له لون فريد . كان حبه لها يتعايش
في ذاته اينما ذهب ، فتراها في الملفات ، في
الحقائب ، في الوجوه ، ويعترف له الجميع بأنه
ما صد أبواب مؤسساته يوما في وجه فلسطيني
جدير بالعمل .

لقد بنى هذا المهاجر القروي من بيت حنينا ،
بنى لفلسطين - وقد ذهب فلسطين - أجنحة في
العالم العربي ، وحتى في اوربا ، وقد بناها في
أشد أعوام اللجوء ظلما ، وبنائها يوم كانت كلمة
« اللاجئين » وحدها هي العنوان والبديل لكلمة
« فلسطين » .

من هو شومان ؟ ولد عام ١٨٨٨ في بيت حنينا(أ) ،

جاء الى الوطن مرتين . تهر البحار والحوارج
والغربة ، وعاد مرتين . الاولى كانت عام ١٩٢٩ ،
يوم عاد من المهجر اثر غياب طويل ، ولم تكن
العودة من المهاجر الى الاوطان سهلة في ذلك
الزمن ، فقد كانت الدوافع للبقاء كثيرة . المال
يغري بالمال ، حتى يستعبد المال الرجال ، الا
هو ومن كان على شاكلته ، يستعبدون المال ولا
يستعبدهم ، يستعبدون الحياة ولا تستعبدهم .
يؤمنون بمثل وقيم محدودة ، وهم عنها لا يتبدلون .
وهكذا عاد في المرة الاولى ليحقق الحلم الذي اراده
حقيقة مجسدة يخدم بها ابناء وطنه ، عاد ليؤسس
البنك العربي ، اول مصرف عربي في فلسطين .

وبالامس ، كانت عودته الثانية . وبين العودتين ،
أكثر من أربعين عاما ، بنى خلالها عبد الحميد
شومان مملكة البنك العربي ، فاستحق العودة
الى الوطن مرفوعا على الاكتاف . لقد استحق
هذا الفلسطيني الذي هاجر مرتين ، ان يعبر

وأسرع السارق الظريف الى القدس حيث أتم معاملات سفره وقصد ميناء يافا ، وهناك لحق به أخواه وحاولوا منعه ، الا انه أمر ، وغادر البلاد في سبف ١٩١١ (٤) ، وفي مصدر آخر ان هجرته كانت قبل هذا التاريخ ، في عام ١٩٠٥ (٥) .

عمل حال وصوله الى بتسبرغ بانعا متجولا ، وفي فلسطين يقال له « بياع بالكشة » ثم انتقل الى بلنمور ، وبعد ان تحسنت أحواله افتتح مخزنا خاصا ، ولما ضاقت بظموحه بلمنور انتقل الى نيويورك ، وهناك أسس مخزنا تجاريا كبيرا يحمل اسمه ، وهكذا تحول من بائع متجول الى تاجر كبير بالجملة يوزع على الباعة التجوليين وعلى المخازن . وأتقن شومان ادارة مخزنه الكبير ، واستعان بمحاسب ليضمن سير العمل بانتظام ، ولما عاد الى القدس نهائيا ما نسي ان يحمل معه دفتر الحسابات تذكارا وبرهاناً (٦) .

تأسيس البنك العربي وانتشاره

بالاضافة الى انصرافه الى جمع المال كان طوال وجوده يفكر في كيفية العودة ، وكيفية استثمار أمواله في الوطن .

اتجه فكره اولا الى انشاء مصرف عربي امريكي ، تكون له فروع في البلاد العربية وفي الولايات المتحدة ، على ان يتماوم مع اصدقاء له في هذا المشروع ، الا ان المشروع هذا لم ينفذ .

وصادف ان اطلع بواسطة الجرائد العربية التي كانت تصل اليه من فلسطين على فكرة طلعت حرب حول تأسيس مصرف عربي في فلسطين يكون الاوّل من نوعه ، باسم البنك المصري الفلسطيني ، فكتب حالا الى حرب مبديا كل استعداد له للتعاون (٧) . وكانت فكرة الاقتصادي المصري الكبير ، ومؤسس بنك مصر قائمة على اساس ان يقوم البنك برأسمال مائة الف جنيه فلسطيني ، فيقدم حرب ٥١ ٪ ، ويقدم الفلسطينيون ٤٩ ٪ ، وقد زار حرب فعلا فلسطين عام ١٩٢٥ واجتمع بالفتي الحاج أمين الحسيني ، ولاقته فكرته تشجيعا كبيرا ، فابتدى بجمع المال . الا ان المشروع مات وهو في المهد بسبب مقاومة اليهود الشديدة له فلنا والانكليز ضمنا (٨) .

واثار فكرة البنك من جديد عبد الحميد شومان اثناء عودته من امريكا عام ١٩٢٩ ، فخرج على

وفي بيت قروي بسيط ، كان والده يتاجر بالاغنام والحبوب ، فيطول غيابه عن البيت ، ومن هنا عرف عبد الحميد في طفولته انه أكثر مما عرف آباه ، وقد كان ترتيبه في العائلة الولد الثالث .

يومذاك لم تكن وسائل التعليم أكثر من مستوى الكتاب ، حيث يتعلم التلاميذ في غرفة واحدة ، ومن أعمار مختلفة ، على ايدي شيوخ الكتاب تلاوة القرآن الكريم والقراءة وبعض الحساب .

وكان من حظ الصبي عبد الحميد معلم شيخ قاسي القلب ، يضرب تلاميذه ، فامتنع من الذهاب الى « المدرسة » غير آسف ، ومنذ ذلك الوقت ، منذ كان في الرابعة عشرة ، تنتهي سيرة حياته الدراسية (٩) . لقد أصبحت الحياة بالنسبة اليه هي المدرسة الكبرى ، ويبدو ان نفوره من « المدرسة » تاصل في نفسه ، فما حاول طوال سنوات وجوده في الولايات المتحدة ان يدرس اللغة الانكليزية ، لقد تعلم شيئا منها بحكم المعيشة والاضطرار ، الا ان حرمانه من العلم لم يشكل لديه على الاطلاق حاجزا ما بين عقله ، وبين رؤية المظاهر العلمية في البلاد الامريكية واستيعابها ، ولولا هذه المقدرة التي كان يتمتع بها ، لما تمكن من الاقتناع بأهمية العلم المصرفي وأهمية انشاء بنك عربي في فلسطين على الصعيدين ، الوطني والاقتصادي .

عمل اول حياته مع أخويه الكبريين حجّارا ، كانت مهمته ان يرفع الحجارة من حجر قريب ، فيضعها على بغل ويسوقه الى القدس ، وهناك يبيعهما فربح ليرة ذهبا يوميا ، وقد بقي طوال حياته يعتز بنشأته العمالية ، ويعتز بأنه رفع يديه مع رفيق واحد له فقط حجارة الكنيسة الالمانية ، حجرا حجرا .

أخذت انباء المهجر الامريكي تتوارد الى سمع الشباب الطموح ، فراودته الاحلام بأن يهاجر . ولكنه ما ان فاتح أمه بالامر حتى جزعت عليه كما جزع أخواه ، وخافت العائلة ان تفقد ولدها الاصغر الى الابد .

وتحائل عبد الحميد على أمه حتى تمكن من أخذ مفتاح صندوق النقود ليتناول جنيهات خمسة فقط ، يشتري بها ثيابا لنفسه ، ولكنه عوضا عن الخمسة تناول الخمسين ، وكانت من الجنيهات الذهب (١٠) .

في دنيا العرب ، شاء أن يطلق على مؤسسته « البنك العربي » . لقد كان طموحه عربيا بعيد المدى في وقت كانت بلاده الصغيرة فلسطين مهددة بخطر الضياع .

وتم تسجيل البنك العربي رسميا في ٢١/٥/١٩٢٠ ، وتسلم رئاسة مجلس الإدارة أحمد حلمي عبد الباقى . ومنذ انشاء المركز الرئيسي في القدس ، ومن ثم امتداد فروعه في العالم العربي ، لم يستمن شومان بخبر أجنبي واحد ، ولم يوظف اجنبيا . وقد ابتدأ خطته هذه منذ وطئت قدماه القدس ونزل في فندق داروتي في البقعة التحتا .

كان من عادته ان يحدث كل من يراه عن مشروع البنك ، فتحدث مع اصحاب الفندق ، وطلب منهم ان يعرغوه على محاسب عربي لانه لا يريد ان يوظف محاسب اجنبيا ، وقد كان يشعر بالقلق خوفا من عدم ايجاد محاسب عربي ، فأخبره أصحاب الفندق عن وجود جبار محاسب لهم اسمه غؤاد سايا .

التقى الرجلان في اليوم نفسه ، ومن الساعة الاولى للتعارف كان الاتفاق ، وقد امتدت هذه الساعة الى يومنا هذا ، فبمنذ عام ١٩٢٠ والبنك العربي يتعامل مع سايا وشركاهم . لقد اغترب الرجلان . اغترب بنك الاول ، واغتربت شركة الثاني ، وبقي اتفاق فندق داروتي قائما .

غاب عبد الحميد شومان ثلاث سنوات ، عاد من بعدها نهائيا الى فلسطين ، وفي غيابه كان فرع يافعا قد تأسس عام ١٩٢١ ، وفرع حيفا عام ١٩٢٢ ، كما تأسس في عام هودته ١٩٢٢ فرعا نابلس والخليل . وكان اول بلد عربي غزاه البنك هو الاردن عام ١٩٢٤ ، فتأسس فرع في عمان ، ثم تأجلت فكرة التوجه الى الاقطار العربية الى ما بعد زوال رعب الحرب العالمية الثانية عن ارض العرب ، فانطلق فرع دمشق ١٩٤٣ ، وبيروت والقاهرة عام ١٩٤٤ ، وحلب وبغداد عام ١٩٤٥ (١٢) .

وهكذا أخذ انتشاره في العالم العربي يتزايد بسرعة مذهلة حتى بلغ في اربع عشرة دولة وامارة عربية اربعين فرعا ، ما عدا الفروع المؤممة ، وما عدا فروعه في بعض الدول الاوروبية والافريقية (١٣) .

أثر البنك العربي في الاقتصاد الفلسطيني

لن نتعرض هنا لدور البنك العربي في الاقتصاد

مصر وزار طلعت حرب ، واتفقا على العمل معا . ومنذ وصوله الى فلسطين ، اخذ شومان يبشر بفكرة البنك ، ويدعو الى الاكتتاب ، حتى بلغت القيمة خمسة وثلاثين الف جنيه ، فكتب الى طلعت حرب يخبره بذلك ، واتفق الرجلان على ان يكون رأس المال مبدئيا سبعين الفا .

ولكن قيل ان تم معاملات تسجيل البنك قامت ثورة ١٩٢٩ الشهيرة ، فقرر طلعت حرب التوقف في المشروع (١٤) . وقد كان ليهود مصر اثر كبير في توقيتها هذا ، ذلك ان بعض اغنيائهم المساهمين في بنك مصر (بنك طلعت حرب) ، هددوا بالانسحاب في حالة تأسيس بنك في فلسطين ، كما هددوا بمعاكسته (١٥) . وقد كان موقف المكتتبين في فلسطين ايضا الانسحاب خوفا على اموالهم بسبب الثورة وذيولها ، فطار المشروع ، وبقي عقل عبد الحميد شومان يفكر في كيفية تخطي العقبات .

واتخذ القرار . قرر ان ينشئ البنك ولو لوحده ، وفعلنا أنشأه بمفرده ماديا ، وشاركه معنويا عدد من المسؤولين العرب والاصدقاء . لقد وقف الى جانبه - وبكل قوة - صديقه الحميد الامير عادل ارسلان ، كما وقف الى جانبه رئيس المجلس الاسلامي الاعلى ، وأحمد حلمي عبد الباقى ، (مدير الاوقاف الاسلامية في المجلس ورئيس حكومة صوم فلسطين غيها بعد) .

واجهت شومان صعوبة تأليف الشركة التي تحتاج قانونا الى سبعة اعضاء ، ولم يكن قد تقدم لمشاركته سوى اثنان هما أحمد حلمي عبد الباقى وقياض الخضرا . ولما كانت مجموع الاسهم التأسيسية ٣٧٥٠ سهما ، ولما كانت قيمة كل سهم أربعة جنيهات ، فقد بلغ رأس المال خمسة عشر الف جنيه . وكان معظم الاسهم لشومان ، اذ بلغت ٣٥٩٨ سهما ، وبلغت أسهم أحمد حلمي ١٢٥ سهما وقياض الخضرا ٥ أسهم . وهنا اضطر شومان الى الاستعانة باقربائه فاشترك كل من سليم وموسى شومان بعشرة أسهم ، واشترك كل من ياسين وابراهيم شومان بسهم واحد (١٦) .

من هذه الارقام يتضح جليا ان البنك في واقع تأسيسه كان بنك شومان لوحده ، ولكنه اسما كان البنك العربي ، لان صاحبه ، وهو المؤمن بالعروبة نظرة وعقلا ، والمؤمن بدور فلسطين

في هذا المعرض الثاني ضعف ما بلغته في الأول .

وفي حفل الافتتاح في ١١/٤/١٩٢٤ ، أعلنت أهداف المعرض ، وهي : « استغلال اقتصادي في الوطن العربي الكبير ، تنمية رؤوس المال العربية ، انهاض المشروعات الوطنية ، تنشيط العامل العربي بتقوية المصانع العربية ، تعضيد أهل الفنون والاختراع ، توثيق الروابط الاقتصادية بين الاقطار العربية فتحا للطريق أمام الاستقلال الاقتصادي » (١٦) .

● مساهمته في تأسيس البنوك الأخرى : عندما استقال أحمد حلمي من البنك العربي وانصرف ليؤسس البنك الزراعي في ١٩٢٣ - ١٩٢٤ ، وبرأسمال قدره ثمانون الف جنيه فلسطيني ، ساهم البنك العربي في انشائه ، وقد كانت غاية البنك واضحة ، وهي مساعدة الفلاح العربي ورفع مستواه . (تحول البنك الزراعي فيما بعد الى بنك الأمة) .

وفي عام ١٩٤٧ ساهم البنك العربي كذلك في تأسيس البنك العقاري العربي الذي كانت غايته انقاذ ارض فلسطين (١٧) .

● صموده في وجه الازمات : صمد البنك ازاء ازمات سياسية كبرى واثبت للمواطن العربي انه كالبنوك الاجنبية صلبة ان لم يكن أكثر .

اجتاز اولا ازمة ١٩٣٥ لما اعتدت ايطاليا على الحبشة ، وعاش المواطنون في شبح الحرب ، فنهروا يسحبون أموالهم وودائعهم ، ودفع البنك الاموال لاصحابها وبدون أية مساعدة .

وفي اضراب ١٩٣٦ الشهر ، والذي استمر ستة اشهر ، شلت خلالها حركة البلاد الاقتصادية ، لم يتشدد البنك في مطالبة المتخلفين عن القيسام بالتزاماتهم ، وفي الوقت نفسه دفع الاموال والامانات التي طالب بها اصحابها .

وكانت الازمة الكبرى اثر نشوب الحرب العالمية الثانية عام ١٩٢٩ ، فخشيت حكومة الانتداب من موجة الذعر الاقتصادي الى درجة اضطررتها الى وضع تشريع خاص بالبنوك ، يحدد نسبة معينة لسحب الاموال ، الا ان البنك العربي لم يتقيد بهذا القانون ، وبذلك كسب ثقة المودعين ، وهذه الثقة ساعدته على الانطلاق في فتح الفروع في الاقطار العربية .

من الناحية المصرفية المحضة ، أي من ناحية التسهيلات والخدمات والدعم الذي تقدمه البنوك عادة للمشاريع والشركات والافراد ، ولكننا سنتعرض لدوره الفعّال في الاقتصاد ، حين كان البنك العربي يقوم بأدوار متميزة عن سواه من البنوك ، فيقدم لمواطنيه خدمات تحجم عنها سائر البنوك ، كما انها كانت في أشد الازمات السياسية صعوبة ، وكذلك من خلال أهم المشاريع التي ما كان لاية مؤسسة أخرى في فلسطين ان ترعاها .

● المعرض العربي: كانت مساهمة البنك الفعّالة في اول معرض عربي في فلسطين عام ١٩٢٣ عبلا وطينا جبّارا ، ذلك ان الحرب الدائرة يومذاك بين العرب واليهود كانت حربا اقتصادية .

ابتدأت هذه الحرب الاقتصادية عام ١٩٢٢ ، يوم قرر اليهود اقامة معرض في تل اببيب ، واعلنوا عنه في طول البلاد وعرضها ، وحاولوا بكل ما لديهم من وسائل اشراك التجار العرب والمؤسسات العربية . ولكن تنبه الشباب العربي للخطر ، فأصدر مؤتمر الشباب العربي الفلسطيني بتوقيع رئيسه راسم الخالدي نداء في ٣ / ٢ / ١٩٢٢ يدعو فيه جميع العرب الى مقاطعة المعرض الصهيوني بكل الوسائل (١٤) .

وهبت في الصحف حملة اعلامية ، رافقتها عمل جاد ودؤوب لاقامة معرض عربي ، وتشكل مجلس ادارة للمعرض برئاسة أحمد حلمي عبد الباقي ، وقد كان لا يزال مديرا للبنك العربي ، ومن هنا جاءت مساهمة البنك العربي فعّالة وقوية ، فأتبل رجال الضعافة والتجار الذين يتعاملون معه على الاشتراك في المعرض .

افتتح المعرض في ٧/٧/١٩٢٢ ، وقد استطاع المدير الذي أشرف عليه ، وهو نبيه العظيمة المجاهد العربي السوري ، استطاع بفضل اتصالاته العربية ان يحقق الامل باشتراك عدة دول عربية ، وقد كانت مصر والعراق والحجاز ونجد وشرق الاردن وسوريا ، وبلغ عدد المشتركين من أشخاص وشركات ١٨٧ (١٥) .

وبعد عام أقيم المعرض الثاني برئاسة عبد الباقي واشرف العظيمة أيضا ، وكان عبد الحميد شومان قد عاد من الولايات المتحدة فاشترك عضوا في مجلس الإدارة ، وقد بلغت المعروضات والارقام

يكن « لللاجئين » من مؤسسة واحدة تعترف بهم كمواطنين . ولم يكن بإمكان البنك العربي معها امتدت فروعه وتشعبت ، ان يستوعب جأسة شعب ، ولكنه استطاع على الأقل حماية ورعاية كل من عاش في رحابه . لم يشعر الموظف الفلسطيني فيه بالغبرة ، لقد شعر انه لا يزال في ارضه . ان هذه المؤسسة الضخمة بانتقالها وصمودها على الرغم من ضياع البلد ، وانتهيار الجيوش ، وموت الضمير ، بقيت خير سفارة لفلسطين ، وقطعة منها (١٩) .

مساهمة شومان في الحقل الوطني

من الصعب فعلا ان نفصل بين الاعمال الاقتصادية والاعمال الوطنية لهذا الرجل الكبير ، وان جاز لنا التعبير ، وردنا ما قاله فؤاد سايا من ان شخصيته قد تجلت وتبلورت في وطنيته الاقتصادية ، فاننا لا نستطيع ان نتجاهل ان شومان كانت له اعماله الوطنية المحضة ، وتبرعاته التي لم تكن اقتصادية ابدا ، وانها على العكس من ذلك كانت مبنيا على مؤسسته المصرفية ، وعلى زملائه أعضاء مجلس الادارة .

وربما يقول البعض ان شومان كان يربح من وراء التبرعات الوطنية السخية في المناسبات الشهرة للبنك العربي ، ولكننا من باب الإنصاف يجب ان نعود الى الوراء ، الى العشرينات ، ويوم كان شومان مهاجرا ، ويوم كان البنك العربي حلما في الغيب .

سمع وهو في المهجر بانشاء اللجنة المركزية لاعانة منكوبي سوريا ، وهذه اللجنة أسسها وترأسها رئيس المجلس الاسلامي الاعلى عام ١٩٢٧ من أجل دعم الثورة العربية السورية سرا ، ومساعدة عائلاتها المنكوبة واطفالها « غزلان الصحراء » علنا . وكان شومان من أكثر المتبرعين حماسة ، ومن هنا نشأت صداقته بالامير عادل ارسلان ، الذي كان يسكن عمان آنذاك ، وكان صلة الوصل بين القدس ، وبين رجال الثورة في صحراء البنك ووادي السرحان .

وفي اضراب ١٩٢٦ ، قام شومان بحملة تبرعات كبيرة بين الموظفين في فلسطين ، فجمع منهم في اسبوعين ستة الاف جنيه ، ولا شك في ان منامته للحركة الوطنية بقوة وعلاية أدت الى اعتقاله

ثم كانت أشد الازمات في عام ١٩٤٨ ، وقد اضطر الموظفون في فرعي بانما وحيفا الى حمل السجلات والودائع والخروج بها ، ولما أعيد فتح فرع حيفا في بيروت ثم في عمان ، وأعيد فتح فرع بانما في نابلس ثم في رام الله ، أقبل المودعون على سحب أموالهم وودائعهم ، فأعطيت لهم .

ولم تكن تجربة فرع القدس بأقل خطرا ، فقد انتقل البنك اثناء المعارك الى مكتب وراء السور ، واثاء الهدنة الاولى خاطر بعض الموظفين بأرواحهم للحصول على الاوراق والمستندات ، وعادوا بها فعلا مع خمسة عشر الف جنيه بالعملة الفضية (١٨) .

والواقع ان اقدام البنك على دفع الاموال لاصحابها لم يكن عملية سهلة ، فالبانك ما استطاع تخليص أكثر من الثلثين مما كان لديه أصلا من أموال وودائع . بالإضافة الى ان الديونيين قد فقدوا موجوداتهم . ولولا ان البنك قائم من البداية على أسس متحفظة ، وعلى سياسة السيولة العالية ، لما كان بالإمكان فعلا ان يدفع كل ما دفعه . وقد جرى هذا في الوقت الذي أحجمت فيه البنوك الأخرى عن الدفع ، والفلسطيني المشرذ في أشد الحاجة لامواله . بنك باركلز والبنك العثماني كانا يرفضان الدفع ، فلجأ المودعون الى الحاكم ليحصلوا على حقوقهم ، وعلى الرغم من ذلك فان بنك باركلز - فرع نابلس ، لم يدفع شيئا لاحد الا بعد مرور سنوات .

مساهمته في تحسين اوضاع الفلسطينيين

كان من الطبيعي ان يتعثر البنك لسنة او سنتين ، ولكنه منذ عام ١٩٥٠ أخذ يتوسع من جديد ، وأخذت أسهمه تسترد قيمتها تدريجيا حتى ارتفعت من جنيه الى سبع جنيهات ، وبانتعاش البنك ماليا من جديد انتعشت جميع العائلات الفلسطينية التي كانت تعيش من أسهمها او من ايرادها .

وكان من الطبيعي جدا ان يطرُق الفلسطينيين أبواب البنك العربي حيثما وجد ووجدوا . ولم يخيب عبد الحميد شومان أمل واحد منهم جدير بالعمل ، فوظف في فروعه مئات الموظفين والسدراء الفلسطينيين ، ومن خلال المدراء توظف في الخليج بالذات عدد كبير .

كان هذا كله في اوائل الخمسينات ، عندما لم

واثر الاصطدام الدموي بين الندائين والمسلطة اللبنانية . لقد انتظر هدوء الاحوال نسبيا ، فقام ذات صباح ليسأل عن مكان حساب الهلال الاحمر الفلسطيني ، ثم ذهب بنفسه وتبرع في ذلك اليوم للهلال بمائة الف ليرة ، ولصندوق الطلبة الفلسطينيين بمسعين الفاً ، وأؤسسة الدراسات الفلسطينية بعشرين الفاً ، ولاسرة الشهيد « أبو يوسف » بثلاثين الفاً(٢٢) .

رجل لا ينسى

كل من عرف هذا الرجل عرف عنه انه رجل نظامي لا يفكر الا بعمله ليل نهار . عندما يذهب الى مكتبه في أي فرع كان، يصل اليه قبل المراسلين والفراشين ، حتى ولو كان على سفر ، فغالما وصل الى البنك في حيفا او يافا قادمًا من القدس قبل الآخرين .

وهو رجل تؤثر عنه هذه الكلمات في كل اجتماع كان يعقده للموظفين ، وهو انه عندما كان في امريكا لم يعرف المرأة ، ولم يعرف الخبرة ، ولم يعرف التدخين . والويل الويل لمن يدخن امامه ، لا من الموظفين تحسب ، وانما من الضيوف والاصدقاء ، كان يتضايق من التدخين الى درجة يفادر فيها الغرفة ، الا ان الآخرين كانوا يحترمونهم الى درجة يمتنعون فيها فعلا عن التدخين بوجوده .

وهو رجل كثير الإلحاح ، لا يستحي ولا يخجل من أحد ، كان في القدس يذهب الى التجار فردا فردا ، ويقنعهم بالتحويل الى البنك العربي ، وكانت حجة قوية ، ما دام مصرفه هو البنك « العربي » الوحيد .

وهو رجل كريم في عطائه الوطني الى درجة لا تبارى ، واما في حياته اليومية ، فهو مقتصد الى درجة - ايضا - لا تبارى .

وهو رجل يحترم العمل الذي يقوم به ، وهذا من أسرار نجاحه . لقد احترم اختصاصه في عالم البنوك ، فتقيد بعمل البنوك ، وهذا من مميزاته .

وهو رجل يحترم العلم ، وان حرم من أسبابه ، ومن أجل ذلك بنى دار المعلمين الريفية في مسقط رأسه بيت حنينا ، وبنى كلية الاقتصاد في عمان .

وهو رجل يسعى الى مناصرة الوطنيين ، حتى ولو على حساب مؤسسته ، وفي هذا مأخذ عليه برأي الكثيرين ، إذ انه بذلك يوظف من هم ليسوا

والزج به في معتقل صرفند عام ١٩٢٧ ، وثم في سجن عكا للمرة الثانية عام ١٩٢٨(٢٠) .

ولما قامت ثورة الجزائر كان شومان من أكثر المتبرعين لها ، كما انها كانت أكثر ثورة تبرع لها سواء من أموال البنك أم من أمواله الخاصة .

ومثل واحد على الطريقة الحميدية الشومانية في التبرع تظهر معدن هذا الرجل الذي لا يبارى في عفويته وتصلبه وإيمانه العربي العميق .

في حفل افتتاح اسبوع التسليح في دمشق عام ١٩٥٥ ، كان يجلس في منتصف القاعة واجبا وهو يستمع الى الخطباء العشرة ، واحدا اثر الآخر ، وينتبه جيدا الى الارقام التي تتبرع بها الشركات الضخمة العتيدة كالشركة الخاسية وغيرها من أجل دعم الجيش السوري ، ولم تكن الارقام لتزيد على المائة الف بأية حالة . وازاء هذا المشهد لم يستطع عبد الحميد شومان سوى البكاء . رجل على حدود السبعين يبكي ويشق ، فيلنفت الناس اليه ، ويتعجبون ، ولا يستطيعون الذين كانوا يرافقتونه ان يفعلوا شيئا . كان معه نجله عبد المجيد شومان وسامي العلمي وواصف كمال ، وهؤلاء الثلاثة كانوا يتجادلون وهم يدخلون القاعة ، حول المبلغ الذي بإمكان البنك ان يتبرع به ، قالوا ستين الفاً ، وقالوا مائة الفاً ، ولما التفتوا اليه محتكين ، التفت اليهم زاجرا .

ونجأة قام من وسط مدرج الجامعة السورية وطلب الكلام ، وبلغه بسيطة قال : « يا اخوان .. . دائما بفلسطين كنت أقول لهم ، اذفعاوا بسخاء ، تبرعوا بالنصف كي تحتفظوا بالنصف الثاني » . وختم كلامه متبرعا بربيع مليون جنيه ، فاضطرت الشركات الى اعادة النظر في ارقامها(٢١) .

سألوه مرة : « انك تتبرع باسم البنك العربي بمبالغ كبيرة ، الا تخشى ان يحتج بعض المساهمين على هذا ؟ » وهنا كثر عبد الحميد شومان ، وعاد الى ترويته الاصيلية ، واجاب محتدا : « سأقول لهذا المساهم اولاً - انت خائن ، ثم أتف بوجهه ، ثم أشتري أسهمه كلها بضعف ثمنها » .

والواقع ، انه كانت لشومان تبرعات من جيبه الخاص ، لم يعلم بها أحد . وكان مواعدها مع الربيع عادة ، مع موسم الأرباح . ومثل عليها في ايار ١٩٧٣ ، اثر حادثة فردان المشثومة ،

في تشيكوسلوفاكيا في ٩-١٩-١٩٧٤ ، ودفن بعد أيام في القدس داخل اسوار الحرم الشريف .

ومن كل انحاء فلسطين العربية توافت المودعون فكان يوما وطنيا مشهودا ، اشتركت فيه مجالس البلديات والمؤسسات والجمعيات والمواطنون وقد انتقل الجميع بعد الدفن الى بيت حنيفا ، واحتشدوا في المدرسة التي شيدها ، وهناك هتف نجله الاكبر عبد المجيد وطلب من الجميع ان يكرموا والده كما يتبنى والده ، وهو ان يأخذوا على انفسهم عهدا بعدم بيع الارض ، والتبسك بكل شبر منها .

واقسم الجميع على ذلك ، وترددت في الارض المحظلة الإصداء . « ان من لا أرض له ... لا وطن له » (٢٣) .

بيان نويهض الحوت

أكفاء ، و فقط ، لانهم وطنيون . ويروى عنه انه لما سعى الى تأسيس فرع في بغداد قابل نوري السعيد واشترط عليه اخراج الوطنيين المعتقلين اثر ثورة رشيد عالي الكيلاني لتوظيفهم ، وكان الذين طالب باخراجهم طالب مشتاق وبشير الجراح وفاضل رشيد ، (لقد اصبح قائد القدس غيما بعد في معارك ١٩٤٨) . وقد اجيب الى مطلبه .

وربما لم يكن شومان ليجعل ان المتخصصين في الاعمال المصرفية واصحاب الخبرة ، هم اكثر فائدة عسادة من غيرهم ، الا انه كان يؤمن بان مؤسسته نفسها هي عبارة عن مدرسة كبرى للوطنيين ، ومن هنا فهي تتسع لكل وطني وكل مثقف يملك العقل والاستعداد للعمل .

وبقي عبد الحميد شومان مثلا للاخرين حتى عامه الاخير ، وقد كان من قدره ان ينتقل الى الحياة الثابتة بعيدا عن وطنه . لقد وافاه الاجل

- ١٠ - محمد علي الطاهر ، « نظرات الشورى » ، (القاهرة ، مطبعة الشورى ، ١٩٣٢ م) ، ص ١٤ .
- ١١ - « البنك العربي » ، ص ٩-١٠ .
- ١٢ - المصدر نفسه ، ص ١٩-٢١ .
- ١٣ - « قوانين لبنانية واعراف دولية » ، (بيروت ، دار الاحد ، بدون تاريخ) ، ص ١١ .
- ١٤ - جريدة الجامعة العربية ، (القدس ، العدد ٧٧٨ ، ٦/٣/١٩٣٢) .
- ١٥ - مجلة العرب ، (القدس ، العدد ٤٢ ، ١٥/٧/١٩٧٣) ، ص ٢٣-٢٤ .
- ١٦ - المصدر نفسه ، (العدد ٧٤ ، ١٤/٤/١٩٣٤) ، ص ١٣ .
- ١٧ - البنك العربي ، ص ٤٤-٤٥ .
- ١٨ - المصدر نفسه ، ص ١٣-١٧ .
- ١٩ - سامي العلمي ، مقابلة في ١٠/٢/١٩٧٤ .
- ٢٠ - عجاج نويهض ، المصدر السابق .
- ٢١ - سامي العلمي ، المقابلة السابقة .
- ٢٢ - المقابلة نفسها .
- ٢٣ - جريدة المحرر ، (بيروت ، ١٧/٩/١٩٧٤) ، ص ٨ .

- ١ - هناك اختلاف حول مولده . جاء في كتاب « البنك العربي » ، ص ٧ ، انه ولد عام ١٨٨٨ ، وجاء في كتاب آخر أصدره البنك العربي ايضا بعنوان « قوانين لبنانية واعراف دولية » ، ص ٦ ، انه ولد عام ١٨٩٠ ، والبعض ممن اصدتائه يقولون انه ولد قبل ١٨٨٨ . نحن اعتمدنا المصدر الاول باعتباره المصدر الرئيسي .
- ٢ - « البنك العربي » ، ١٩٣٠ - ١٩٥٥ ، (بيروت ، دار الاحد ، بدون تاريخ) ، ص ٧ .
- ٣ - المصدر نفسه ، ص ٨ .
- ٤ - المصدر نفسه ، ص ٨ .
- ٥ - عجاج نويهض ، « أول محاولة مصرفية عربية في فلسطين » ، جريدة المحرر ، ٢١/٩/١٩٧٤ ، ص ١٣ .
- (يؤكد الكاتب ان شومان روى له عام ١٩٢٩ انه هاجر عام ١٩٠٥ ، أي قبل الدستور العثماني بثلاث سنوات .
- ٦ - فؤاد سبابا ، مقابلة في ١٠/٥/١٩٧٤ .
- ٧ - « البنك العربي » ، ص ٨ .
- ٨ - عجاج نويهض ، المصدر السابق .
- ٩ - « البنك العربي » ، ص ٩ .

محمد علي الطاهر ، قلم فلسطيني في مصر

مقر الحكومة العربية ، وكان يرأسل صديقه احمد شاعر الكرمي الاديب الفلسطيني الذي كان يقطن دمشق . وعمل مديرا للبريد والتلفراف بنابلس غاطلح بحكم الوظيفة على أمور دلقه بأن الحكومة كلها تكاد تصبغ في أيدي الانكليز واليهود . أول حوادث اصدار الاوامر بأن تتلقى ادارة التلفراف البرقيات باللغة العبرية ، وان تغلق مكاتب البريد والبرق بعد ظهر السبت وطول الاحد . ولما استفسر من المدير العام جاء الرد بأن يطيع الاوامر وان لا يتدخل فيما لا يعنيه . وحين تشكلت الحكومة المدنية برياسة هربرت صموئيل وعين مديري الادارات من الانكليز واليهود ، استقال من وظيفته ، وكانت الصحافة هي الطريقة التي كان يحلم باحترامها بعد أن خبرها ، واستحال تنفيذ الفكرة في فلسطين لقلّة المتبرعين ، فرجع الى مصر ليعمل بالتجارة كي يدبر بواسطتها رأسمال يمكنه من اصدار الجريدة . وفي القاهرة سعى لتشكيل اللجنة الفلسطينية ١٩٢٠ ، وكتب في عدة صحف عن فلسطين كان من جبلتها مثالا نشره في جريدة (اللواء المصري) يحذر العالم العربي من كون الانكليز يستودنون انشاء دولة يهودية في فلسطين لتصبح نقطة ارتكاز لاستعمارهم في الشرق الأدنى وان (دولة اسرائيل) ستفصل العالم العربي في آسيا عن العالم العربي في افريقيا ، وذكر ان عدد اليهود بفلسطين بدأ يرتفع غزاد في عامين من ٤٠ - ٦٠ الفا وان حكومة فلسطين مع كونها بريطانية قد أصبحت في قبضة اليهود فعلا ، وكان على رأسهم يومها هربرت صموئيل المندوب السامي « الذي يعد من أدهى وأخبث زعماء الصهيونية ، فكان اليهود في تلك الأيام يلقبونه بأمير اسرائيل الاول » .

كما نشأت علاقة بينه وبين الدكتور حسين هيكل ١٩٢٣ حين كان الاخير رئيسا لتحرير جريدة (السياسة) التي أصدرها الحزب الحمر الدستوري (حزب الاعيان والإقطاعيين) ، فكان ينشر فيها دعاية فلسطين وسورية ومما كتبه فيها

فقد القلم الفلسطيني منذ اسابيع احد أقطابه من الرعيل الاول ، احد الذين هجروا وطنهم بسبب الاحتلال الاجنبي الذي عهد لتوطيد دعائم الوطن القومي اليهودي في فلسطين ، لجأ الى مصر مدافعا عن فلسطين بصورة خاصة ، وعن البلاد العربية بصورة عامة ، حاور الاستعمار على اختلاف انواعه واعوانه وبتأييد في الشرق والغرب . وعرف في كل ما يكتب بالصراحة والمجاعة والعلانية فهو لا يعرف الكتمان ولا المخادعة مع غلو في النقد المنطوي على الاخلاص وحسن النية .

أول صوت اطلقه بالتحذير من الصهيونية وانها تستهدف انشاء دولة يهودية في فلسطين كان عام ١٩١٤ في جريدة (مقتى العرب) التي كانت تصدر في بيروت (١)، وكان يعمل مراسلا لها في يافا ، وتحت عنوان « الصهيونيون في فلسطين » كتب مقالا ذكر فيه أن يهود (حارة تل أبيب) يستعملون نقودا نحاسية نقش عليها خاتم سليمان وان لهم طوابع بريدية عليها صورة هرتزل زعيم الحركة الصهيونية ، وان يهود (حارة تل أبيب) يعلون استعراضات عسكرية ، ثم حذر الناس من اليهود الذين يقومون بانشاء حكومة يهودية داخل الحكومة العثمانية .

وفي أثناء الحرب العالمية الاولى لجأ الى مصر هربا من مظالم جمال باشا ، ولكن السلطات البريطانية اعتقلته بسبب حكاية لا اصل لها ، واستمر الاعتقال اكثر من سنتين في معتقل الجزيرة منذ سبتمبر ١٩١٥ الى اواخر ١٩١٧ . ثم عمل في جريدة الكوكب ، التي كانت تصدرها في مصر الحكومة الحجازية الهاشمية ويرأس تحريرها الشيخ محمد القليني .

وبعد الحرب عاد الى فلسطين ، التي خضعت للاحتلال البريطاني العسكري ، وحين كان اليهود يصدرون الجرائد بفلسطين ، وبكل اللغات ، شارك في تحرير جريدة سورية الجنوبية التي كانت تصدر في القدس ، الا انه كان على صلة بدمشق،

على انقاضها مدينة يهودية ، ولما رجع الى مصر نشر تفاصيل كل ما رأى ونعى الى « العالم الاسلامي والشعوب العربية اول بلدة عربية استشهدت » وانذر بأن هذا المصير سيكون مصير فلسطين كلها .

وفي عام ١٩٢٦ - ١٩٢٧ اراد الحصول على جريدة يصدرها بدلا من الشورى بسبب كثرة منع الاستعمار لها فاعاره محمود عزمي - دكتور في الحقوق والعلوم السياسية وصحفي وكاتب سياسي شهير - مجلة (الجديد) مجانا بلا قيد ولا شرط . وفي عام ١٩٢٨ علم بان الشورى ستمنع من فلسطين فبادر بتحضير جرائد اخرى تحل محل الشورى ، وارسلت باسم (الناس) فصدورت ، ثم باسم (المنهاج) فصدورت ، فأصدرت حكومة فلسطين قرارا آخر بمنع الجريدة العربية التي تصدر بالقاهرة باللغة العربية ويصدرها محمد علي الطاهر !

لاقت دعوته للقضية الفلسطينية في مصر عقبات كثيرة شرحها بقوله (٢) . « كان بعض الناس يقولون له من هو الخواجه غلستان وبعضهم يظن الصهيونية اسما لامرأة فيقول لي ماذا عملت معك هذه المرأة ، وشيخ عظيم قال لي ولسن معي فلسطين دي تبقى ايه وهناك شيخ عظيم مثله كان يستغرب ما يجري في فلسطين من جهاد ويظن المسلمين فيها متعصبين يضطهدون اليهود ! وشيخ ثالث هو مفتي الديار رفض اعطاء فتوى بكنس الفلسطينيين الذي يبيع الارض » . جرائد عربية كانت ترفض نشر شيء عن فلسطين حتى لا يغضب اليهود ، وبعضها كان يرفض النشر عن الصهيونية الا اذا نشرت مقابل ذلك مقال يهودي بالرد عليه ، وهناك جرائد كانت ترفض نشر مقالاته رفضا أصليا بحجة انها لا تريد ان تتدخل في المسائل الطائفية ، وبعضها يرفض ان تنشر الا اذا عرضته على قسم الاعلانات فان وجدت ان هناك يهوديا يعلن عن بضائعه فيها او عن احدى الشركات اليهودية فمصر ما يكتب الاهمال . واعتقله اسماعيل صدقي (وزير داخلية) عام ١٩٢٥ بسبب صيحة صاحها في محطة القاهرة بوجود اللورد بلفور صاحب الوعد لما مر بطريقته لفلسطين لتدشين الجامعة العبرية ، ولما تمكن حزب الدستوريين بمساعدة الانجليز من حكم مصر منفردا خلال سنتي ١٩٢٨ و ١٩٢٩ وقعت

عشرة فصول كبيرة عن القضية العربية في اواخر الحكم العثماني ومشاكل بلاد العرب ، وكان يعمل على توسيع نشر هذه الجريدة في العالم العربي وغرض الطاهر من ذلك التوسيع ، كما يقول (٣) ، « أن يكثر عدد قرائي الذين انشر بينهم فكري وابتغى منهم رأيي وكانت فائدة جريدة السياسة من ذلك انها تتلقى مقالات مجانا ويتسع انتشارها عند قراء تلك الفصول في غير مصر ، لذلك كانت المصلحة بيننا مشتركة . » وكانت جريدة السياسة مكروهة عند الشعب بسبب حزبها لا لعيب فسي تحريرها . . . » .

وفي عام ١٩٢٤ اصدر جريدة (الشورى) ، وقد وضع هويتها بسطر دائم كان ينشر في كل عدد منها وهو انها « جريدة تدافع عن سورية ولبنان وفلسطين وشرق الاردن » ولما اتسع مجال نشرها بدل الكليشيه السابقة وجعل وصف اغراضها بأنها « جريدة تبحث في شؤون البلاد العربية والاقطار المستعبدة » . وكانت تصدر مع الشورى نشرات مكتب الاستعلامات العربي الفلسطيني عن فظائع الاستعمار في خلال ثورات سورية وفلسطين ، ويبعث من ادارة الشورى الى لندن واوروبا وامريكا برقيات باسم اللجنة الفلسطينية ، فكانت البرقيات والنشرات والجريدة تؤلم الاستعماريين فمنعت الجريدة عن سورية ولبنان كما أن الانجليز منعوا عن فلسطين ، فصار يحتال على توريبها بطبع-طبعة ثانية منها باسم اخر وادخالها الى تلك البلاد ، وعلى هذا الوجه اتصل باحرار الامة العربية ، وكانت جريدته همزة الوصل في قتل الوطنية والعروبة في الوطن والمهجر ، ودخل ادارة الشورى زعماء الجهاد والفكر في العالم العربي يلتقون فيها وينشرون دعواتهم على صفحاتها ، واصبح كثير منهم رؤساء وزارات او برلمانات . ووقف الطاهر خلف كفاح عمر المختار لحشد الانصار والمال ، كما عمل من أجل قضية مصر وقضية سورية وقضية العراق « ... يعمل ظاهرا في بعض المواقف وعاملا في الخفاء في مواقف اخرى » دون أن يشعر بأنه ابن قطر معين او بلد معين او لحساب جهة معينة .

وفي اغسطس ١٩٢٥ زار فلسطين ولاحظ ان بلدة العفولة قد محيت من عالم الوجود وقامت

وأبسط قواعد الإنسانية بأن تزيل بقوتها وجبروتها أهل فلسطين من فلسطين وأن تقتلعهم اقتلاعاً لتسكنها اليهود على ظن منها العالم سيكتسون عدتها على الأمة العربية» (١).

ووجد أن بريطانيا تعمل بخطى سريعة على تهويد البلاد كي تضمن « جعل البلاد الفلسطينية في حالات اقتصادية واجتماعية لتسهيل بناء الوطن القومي فيها لليهود » ، وهددت الاساليب التي تتبع لادخال اليهود وطرد العرب « للتجديل في جعل فلسطين يهودية لحبا ودما » ، بل أن الحكم البريطاني « قد أشغلنا عن العمل لوطننا ولانفسنا وجعلنا ننهبك في الاشتغال بمقاومته وبالذفان عن حياتنا» (٧). فأهل فلسطين منذ ١٩١٧ الى عام ١٩٢٢ « لم يطلبوا شيئاً فاجيبوا اليه وما شكوا من نكبة غنخت عنهم ، بل أن جميع مطالبهم قد ضرب بها الاحتلال عرض الافق ان لم أقل كعب الحذاء» (٨). وفي حين دعمت الشركات اليهودية، ووضعت رسوماً جبركية عالية لحماية المصنوعات اليهودية ، وتولت اقامة المعارض الصهيونية ، وحولت الطرق عن القرى العربية لتبر في وسط القرى والمزارع اليهودية. فبريطانيا هي التي تخلق الاسباب لاثارة الفلسطينيين حتى اذا رفعوا رؤوسهم بالشكوى عملت على ضربهم بالنار والحديد ، « والثورة التي قامت هي ثورة وطنية كان الباعث عليها حب البقاء من ناحية وحب السيطرة والفطرسة واذلال الأمة العربية من الناحية الاخرى » ، وليس على أهل فلسطين الا ان يتخلصوا من الانتداب لينجوا منه ومن الصهيونية ايضاً « لان الصهيونية ملحقة بالانتداب وهو الذي جاء بها» (٩).

ما هو مؤسف حقاً ان عملية سلب حقوق أهل فلسطين لا يزال مستمراً والصهيونية تتقوى يوماً بعد يوم « والزمن هو عدو فلسطين فكلمنا توالت الايام ضغفوا وازدادت قوة الصهيونية بل ان عدد أهل فلسطين هو انفسهم ما داموا يسكتون على ضياع حقوقهم ويشغولون في النهش ببعضهم » .

وقد صور له الوضع تصويراً حقيقياً ، موظف عربي في الحكومة قال له « .. نحن العرب نسي حكومة فلسطين مثل الميزان فان كانت الامة متحدة شعرنا بالعزة أمام الانجليز وصاروا يحترمونا

ثورة فلسطين المشهورة» ، فاذا بجريدة (السياسة) تنف ضدها ، ويكتب حسين هيكل (رغم ان العلاقة بينهما كانت مستمرة) مقالا افتتاحياً يهدده فيه ويهدد زملاءه الذين يقومون معه بنشر مظلمة فلسطين بالطرد من مصر بحجة انهم غرباء يقومون « بتبهيج الرأي العام على مواطنيه اليهود المصريين» (٤).

وظل الطاهر يعيش في مصر مدة ثلاثين عاماً بدون جنسية لان الانجليز قد ارادوا ذلك تاديباً له على عدم الاعتراف بشرعية استعمارهم ومحاربة فظائعهم « ليسهل عليهم مطاردته واخراجه من مصر أيام السلم ويحتمهم من حبسه ان وقعت الحرب ، طول مدة الحرب » حتى لقب (بالعربي الثالث) (٥).

واعتمدت الحركة الوطنية في فلسطين على الطاهر وهو في مصر ، بتسهيل امر الدخول والتعريف بالثورات وخاصة مشكلة البراق ، كما ساهم بالاعداد للمؤتمر الاسلامي ١٩٢١ - ١٩٢٢ ، وكانت جريدته نصيراً ومرجعاً . وفي اول اغسطس ١٩٢١ حين « كانت حكومات الشرق هالجة على الجرائد هياجاً شديداً وبالاخص الحكومات الواثمة تحت الحكم الاجنبي » ففضل ان يوقف الشورى قبل ان تتعطل وذهب الى لبنان بطريق فلسطين في اغسطس ١٩٢١ .

وسجل بعد عودته مجموعة مذكرات هي عبارة عن خلاصة ملاحظاته وخواتمه وبعض مشاهداته واثرائه ، وكان هدفه من كتاب «تفكرات الشورى» كما جاء في مقدمته « ان الناس الذين يأتون بعدنا قد يشوقهم ان يعرفوا صورة حقيقية عن جانب من حياة زماننا بما فيها من عوج او سخافات او شيء من فضائل الصفات » وجعل الكتاب دون تبويب او ترتيب لانه يظن « ان الناس قد سئوا الكتب المرتبة المنظمة فيجب ان يجربوا غير المرتبة وغير المنظمة » . وعلى حد قوله الكتاب « كشكول لحوادث ووقائع وملاحظات وخواطر » ..

بعد أن درس الحالة في فلسطين وجد « ان فلسطين لم تشعر بشيء غير طبيعي في حياتها الا بعد أن (شرفها) الانجليز بانتدابهم للسعيد ... فالصهيونية لولا انكترا لا تعد شيئاً يؤبه له ، ولكن بريطانيا تريد مخالفة النواميس الطبيعية

ولم يكن الطاهر يؤمن بجدوى جمعية الامم متواعد « ولسن الخيالية اوهمت الناس ان جمعية الامم ستكون لخدمة الامم الضعيفة فاذا هي عصابة شديدة لا عمل لها الا تسويخ اعتداءات الاقوياء على الضعفاء » .. فيجب ان لا تعرف جمعية الامم فهي « هيئة ضالة فيجب بالاول ان نشكو منها لاننا جربناها طويلا منذ ١٢ سنة فاذا هي اغشم من الدول المستعمرة ولا تحترم الا من كان عنده مدافع ودبابات ، فهل عندكم مدافع ودبابات ؟ » (١٢).

ما ينقذ فلسطين التي « تذوب العربية فيها الان ذوب الشمع ، ويجري فيها اليوم ما جرى في الاندلس بالامس ، وان اختلف الاسلوب » عدم تخلي العرب عنها حتى لا يندموا بعد فوات الاوان ، لذا يقترح الطاهر قيام حركة عربية يكون هدفها « المبادرة من كل عربي في الاجزاء الاخرى من ارض الشام على الاخص لمشتري ما يستطيع ان يشتريه من اراضي فلسطين الزراعية التي يرغم الظلم او الحاجة الماسة اصحابها على بيعها » . وردا على تساؤل البعض عما تستطيع مصر ان تصنعه لفلسطين وهي مكتوبة ايضا بالاستعمار يقول الطاهر (١٤) « .. ان ارتفاع الصوتين معا ليردع الظالم مهما تجلد وتظاغر بالقوة وعدم الهبالاة فالقهاون في نصره فلسطين وهي درع لمصر ان كانت فلسطين حرة ، وشوكة في جنبها ان خرجت من ايدي العرب ، انها هو مثل القهاون في حق مصر » .

وقبل أشهر من نشوب ثورة فلسطين الكبرى عاد الطاهر لزيارة الوطن القديم فلسطين ، وأخذ اذنا بالالتامة سنة فأنزرت السلطات بالخروج من فلسطين والا اتخذت معه الاجراءات القانونية على اعتبار انه اجنبي ولما احتج قيل له انه القانون فكان رده « بأي حق تعتبرني لندن اجنبي وكل شيء يشهد بانني ابن هذه البلاد بينما قاتون لندن يعتبر اليهودي البولوني المهاجر فلسطينيا » (١٥). ويوم كانت ثورة فلسطين الكبرى على أشدها جمع اخبار فطائح الانكليز واليهود ورسوم الشهداء في كتاب سماه «فلسطين ارض الشهداء» ليوزع مجاناً لانه دبر نفاقته منه ومن بعض الاصدقاء وكانت المطبعة قد اتجزت ٣٦ الف ملزمة فصادر البوليس الكتاب والكليشيات ، مع انه

وان كانت الامة منشفة شعرنا بالذل وصاروا يحترقوننا ولا يبالون بنا » (١٦).

دراسة الحالة في فلسطين لم تعطه أملاً كبيراً ولم يعف أهل فلسطين من المسؤولية ، فهو يشبههم « بالقط الذي يلحس المرء يظنذ بالدم الذي يسيل من لسانه وهو لا يدري ان دمه ذلك لان أهل فلسطين يعيشون من رأس مالهم اي أنهم يبيعون الارض والعقار الى اليهود ويبنفون ثمنه وسوف يأتي يوم وهو قريب لا يجدون ما يبيعونه فيصبحوا على لا شيء والمسعيد منهم من يجد اجرة راحلة تنقله الى الصحراء هذا اذا لم يمت جوعاً وكمداً » .

ويوجه هجوماً كبيراً لحزب المعارضة « المعارضة التي سكنت عن كل ما انزله الاحتلال والصهيونية على البلاد واقتصرت على معارضة الامة في امانيها وفي نهضتها » . وبمناسبة الضجة التي اثارها راغب النشاشيبي بسبب سرقة المصحف من المتحف الاسلامي في المسجد الاقصى بتساؤل الطاهر « .. ولكن ماذا يقول أهل فلسطين عنكم وانتم تمسكون هذه المسألة باليمين وبالشمال وتمسكون على ضياع فلسطين بمالها وملايينها واهلها وكرامتها وحقوقها وشرفها .. » (١٧). يقول الطاهر « لكنني كمعارض للاحتلال ساخط مما حل ببلادنا لسببه لا يسعني الا ان اخاصم كل اصدقاء الاحتلال » .

ومن هؤلاء القائلون على امانة شرق الاردن التي يرى أنها « قد خلقت لتكون سوراً للوطن القومي اليهودي ، اي لمنع تسرب اخواننا الاشقاء اهل شرق الاردن لفلسطين سواء للسكنى ومساعدتنا على الكثرة امام الغزوة اليهودية او لمنعهم من اغارتنا عندما تفتالنا الغوائل .. » ولعل اقرب ما حدث هو ما جرى في ثورة ١٩٢٩ وما جرى ١٩٣١ لما منعهم الامير عبدالله من الوصول البنا . وحكومة شرق الاردن ، كما يقول ، « والتي خلقت لتحمي بوجودها الوطن القومي اليهودي في حاجة الى من يحميها من قبائل الصحراء » .. اذن فيجب اغتيال ٢٣٢ الف جنبي من اموال أهل فلسطين لتتنق على صيانة تلك الحدود ! اي صيانة حدود السياج الذي يحمي الصهيونية » (١٨).

ان يبرر لبريطانيا اي عمل سريع وحاسم لحل قضية فلسطين واهل فلسطين يعلقون اكبر الامل للعمل على انتقاذهم مما يقاسونه من شذائد وشقاء . وقد أكد له علي ماهر بان اهتمامه بقضية فلسطين يقوم على اعتبارات دائمة من الجوار والحسنى « تدعوه في مختلف الظروف والمناسبات للمسمي في حلها بما يرضي اعتقادنا بعدالتها » (١٧).

وقد أراد الطاهر ان يقاوم الدعاية الانجليزية التي تصور الانجليز اصداقاه العرب بطريقة مبتكرة فأخرج عشرات الاف من النسخ القديمة من جريدة الشباب والعلم اللتين كان يصدرهما قبل الحرب عن فطائع الانجليز في فلسطين وصار يعطيها تدريجيا لبائع جرائد ويأخذ ثمنها « . . فكان الناس يقابلون بين اذاعات الانجليز ونشرياتهم في اثناء الحرب وبين ما يقرأون عن فطائعهم القديمة . . فيذكرهم ذلك بحقيقة الانكليز » .

تجاربه على ضوء ما عرفه ولقيه في الحرب الاولى جعلت الطاهر يفهم تماما ما سيلقى من الاحكام العرفية بعد وقوع الحرب ، ومنعا لتحريك ضمن الانكليز اوقف جريدة (العلم المصري) التي كان يصدرها بدلا من الشورى وأعلن حل اللجنة الفلسطينية والغاء مكتب الاستعلامات الفلسطيني وأوقف كل نشاط سياسي مترقبا نتيجة الحرب ، كما أحرق ما يمكن الاستغناء عنه من اوراقه ووزع الباقي على دوسيهات اودعها لدى اصداقائه . الا انه سمي لتأليف لجنة بالاتفاق مع عبدالستار الباسل عضو مجلس الشيوخ للمسمي في انتقاذ المعتقلين السوريين والفلسطينيين من ايدي الانكليز والفرنسيين ، وربما احس الانكليز ، كما يقول الطاهر (١٨) « انه يقوم بنشاط سياسي لا يريدونه فكان ذلك هو السبب في تحريك حقدهم » .

وبعد مرور سنة على اعلان الحرب اوعزت السلطات البريطانية في مصر بالفرض عليه ضمن الذين قبض عليهم سياسيا واودع احد المعتقلات سنة ١٩٤٠ ، ويعلق الطاهر على هذا الاعتقال بقوله « . . الان اصبحت منكوبا مثل اخواني وأقاربي اهل فلسطين الذين نكبوا جميعا ولم يبق من المنسويين لفلسطين احد بقي بدون حبس الا أنا ، فاستطيع الان ان ارفع رأسي امامهم شامخا . وقد أشار احد كبار الانكليز الى « ان مشكلتنا مع محمد علي الطاهر مشكلة لا علاج لها ، فهو اذا

لا يتعلق بأمر مصر الداخلية ، وكان مصير الكتاب الحرق لم يبق من آثاره الا البرونات كدليل وحيد باق .

ولم تتوقف مساعيه في مصر من اجل فلسطين وخاصة في اوساط حزب الوفد وهم خارج الحكم او في السلطة ، ولما زار وفد من شباب يافا مصر ١٩٣٦ سهل الطاهر لهم الزيارة وحضر مصطفى النحاس حفلة تكريم للوفد ونوه بكرم عبيد خلالها الى ان محمد علي الطاهر هو « سفير الاقطار العربية في مصر » فقاطعه النحاس « وسفير مصر في الاقطار العربية » . وكان النحاس وهو رئيس وزارة ١٩٣٧ اول رئيس حكومة مصرية دافعت عن فلسطين رسميا في عصبة الامم بجنيف . وللطاهر فضل في جعل الصلة تتعقد بين النحاس وبين مناضلي فلسطين عند عودتهم من منغهام بجزيرة سيشل « على اعتبار ان ابطال مصر في سيشل ١٩٢٢ اولى بالصداقاة مع ابطال فلسطين الذين كانوا بعد ذلك في سيشل ١٩٣٧ - ١٩٣٩ وهو تأييد عربي للجانب الوفدي له معناه في تلك الايام » (١٦).

وكان الطاهر خلال تلك الفترة قد أعاد اصدار جريدة الشورى باسم مستعار وهو (الشباب) أصدرها نحو عامين وقد أعاره اياها محمود عزمي بلا شرط ولا أجر كما فعل منذ عشر سنوات « ليشرف على تحريرها وادارتها بمطلق حريته دفاعا عن الحقوق العربية » راجيا ان يساهم بعض المساهمة في نصرة القضية العربية الكبرى وطلب منه العودة الى جهاده الصحفي المقدور في سبيل العروبة والحرية .

ومع تازم الموقف الدولي قبل نشوب الحرب الثانية اغتتم الطاهر فرصة اضطراب الانجليز وخوفهم من الحرب ووطنظة صحنهم بصداقاة مصر والعرب ليبحث الى علي ماهر (رئيس الوزارة) برقية في ٢٧/٨/١٩٣٩ يقول فيها بان « الموقف الدولي المضطرب الان والذي أضر في اتجاهات السياسة الانجليزية في الشرق والغرب يجعله يقترح اغتنام الفرصة لمراجعة الدولة البريطانية لحل القضية الفلسطينية حلا عادلا وهو يعتقد ان الدولة البريطانية لن ترفض طلب مصر حليفها وهي في هذا الظرف الدقيق لتكسب رضا مصر وتأييد ملايين العرب والمسلمين وان قيام الامة الدولية من شأنه

عليها فيزول الاستعمار من الدنيا بأسرها لانها هي أم الاستعمار وهي التي علمت فرنسا وايطاليا عن الاستعمار ، بعد ان تعلمته من هولندا وورثت مستعمرات المانيا «(٢١)» .

الموقف ذاته وبقته من دول الاستعمار كلها :
فرنسا التي تحظى العالم العربي المغربي في تونس والجزائر ومراكش ، وأهم مناطق العالم العربي الشرقي كسورية ولبنان ، وبمناسبة سقوط باريس عدد ما ارتكبه فرنسا من فظائع في هذه البلاد « .. المستعمرون دائما هم هم ، تبطهرهم النعمة وتصلحهم النقمة ولا ينفع معهم الا سحقهم ومحقتهم الى ابد الابدين »(٢٢) .

أما أمريكا « .. ثالثة الاثاني دولة الدولارات والماكينات واسهم الشركات اليهودية .. التي تطلعت على السياسة الدولية أخيرا بفضل (الدولار والمدفع) ، والتي ظهر من سياستها وتصرفاتها واغابها انها لا تعرف ديننا الا القوة ، وانها لا تنصر الا الظلم والعدوان لاننا لم نرها في جانب الحق مرة واحدة .. ولا لحظة مطلقا ، منذ عرفناها في الحرب العظمى حتى هذه الساعة ، ويكفي احتضانها لليهود ، او احتضان اليهود لها وسيطرتهم عليها ، وعلى رئيسها ، وعلى حكومتها وتوابها وعلى عقول شعبها وضمائر أهلها »(٢٣) .

وكان الظاهر يتعاطف مع كل الشعوب المضطهدة اذ « تكفي نظرة واحدة الى خارطة الشرق الاتصلي حتى تأخذ الدهشة من ظاهرة مهينة للشرق كله ، .. حيث تتحكم بريطانيا وأمريكا وفرنسا وروسيا وهولندا والبرتغال .. فهذه الدول الطفيلية الكبيرة منها والحقيرة تأتي من كل انحاء العالم لتستعبد ذلك الشرق فتسلب وتسرقت وتقتل وتذبح .. »(٢٤) .

لم يكن غريبا اذن ان ينحاز الظاهر بعواطفه الى المعسكر الثاني اذ ان « كل شيء يهون في نظرنا الابقاء الانكليز » ، ولذلك حين بلغه وهو في السجن انه متهم بالاتصال بالطلبان لتشيويه سمعته قال « .. ولكن ماذا علي لو اتصلت بالطلبان والامان ليساعدونا على الخلاص من الانكليز ؟ الم يقل المستر تشرشل انسه مستعد لان يستعين بالشيطان ليخلص انكلترا من الامان ؟ » ، وبينما كانت الدنيا غارقة في مصائب الحرب « وكان انتصار الامان على الانكليز برا وبحرا وجوا يشرح صدورنا

حبسناه هاج اصحابه علينا ، وان تركناه هيج الرأي العام علينا » .

وقد اصيب الطاهر بمرض في السجن فنقل الى احد المستشفيات واستطاع ان يهرب وتكر واختفى احد عشر شهرا علمت الوزارة جهدها للاهتمام اليه فعمزت حتى ظهر فجأة في رئاسة مجلس الوزراء اثناء اجتماع النحاس بالصحفيين في مارس ١٩٤٢ . وقد سطر خلال الهرب ، كما يقول (١٩) « .. مذكرات وملحوظات وخواطر وملاحظات متناثرة وبعض الشجون والشؤون والتجارب والمطالعات والتعليقات من سياسية وتاريخية وادبية وبوليسية ونظرات في الاستعمار واحوال الامم المظلومة » أخرجها جميعا في كتاب ظلام السجن بعد ان اضاف لها ملاحظات وخواطر جديدة صادفته حتى طبع الكتاب نهائيا ١٩٥١ بصورة تجعل القارئ « يرافقه في تلك الفترة من الحياة كأنه يستعرض فصلا سينمائيا متعاقب الحوادث ، متلاحق الصور والمناظر .. » وهو لا يزعم انه يسطر كتابا في العلم او في الهندسة .

في كتابه يحمل بريطانية مسؤولية ما حل بفلسطين ففلسطين ما كانت معادية لبريطانية ، ولكن بريطانيا استولت عليها بالحديد والنفوس وادعت انها وصية تريد ان تمدن البلاد والعرب لهم العذر في بعض بريطانيا وتمنيهم انكسارها اثناء الحرب ، ما ذلك الا لانهم جاءوا بالصهيونيين اليهود الى فلسطين لجعلها « دولة يهودية تحت رعايتها لتحمي لها قناة السويس من الشمال ويحرس لها الشعب اليهودي ارض فلسطين لتكون محطة لطائراتها .. » . وأطلقت اخبار تدفق البيود وتعجب « اذ لا عمل ليؤلا الانكليز حكومة وشعبا الا خدمة اليهود وحماية اليهود » ، والغريب ان الانكليز في خلال الحرب وفي الايام التي كانوا ينوزمون فيها امام الامان كانت بريطانيا لا تستر في عطفها على اليهود ولا تكتم سوء نيتها نحو العرب واصرارها على اعطاء فلسطين لليهود واقامة الدولة اليهودية فيها(٢٥) لذلك كان يمني نفسه بان انكسار انكلترا في الحرب سيحل مشكلة اليهود وسيهربون من فلسطين قبل خروج الانكليز منها ، بل حتى انه « لا يمكن للعالم ان يعيش بسلام الا اذا ارغبت دولة بريطانيا على الانكماش في جزيرتها ورنع سيطرتها عن الدنيا التي تسلط

وجه التاريخ العربي ان هذا العالم العربي قد خذل العراقيين وحركتهم التحررية خذلانا واضحا وكانت حكومة شرق اليردين المحسوبة على العرب بأثنا منهم قد نجحت ضد العراق وسامت جيوشها العربية ودباباتها الانكليزية وطغنت العراق من الخلف فاعادوها الى كف الاستعمار وأبقوها معهم تحت كلكه «(٢٠)».

كان يطمح وهو يسمع اخبار الهزائم البريطانية امام الالمان ان تقوم حركة عليهم في الهند او مصر او بلاد العرب تكون كافية لفض مشكلتهم معهم وخلصهم من الاستعمار الى الابد . لقد كان يتصور لو ان العربي والمسلم الذي يسكن هذا الشرق قد تحرر من انكلترا فان حجتها تسقط غورا حين تقول « انها تتخذ قتال السويس خطا دفاعيا عن الشرق خوفا من روسيا ، لان البلاشفة يستطيعون تدمير قتال السويس بضربة هوائية واحدة »(٢١). ولكن العالم العربي والاسلامي « ظل نائما ينتظر ان يهبط عليه الاستقلال من السماء مكتفيا بالفرجة على الامم التي تتطاحن في سبيل المجد والسيادة والسيطرة ، غافلا عن الحقيقة وهي ان هذه المذبحة الدائرة على وجه الارض انما تدور من اجل التسلط عليه وخنقه الى يوم البعث » . بل لقد وجد ان بعض اجزاء من العالم العربي والاسلامي لشدة غفلته وتفككه تسابق في مساعدة بريطانيا على كسب الحرب ، مع انه قد سبق له ان خدع بكذب تلك الدولة في الحرب الاولى « .. فاذا كانت الغفلة قد استحوذت على الامم المقهورة اكثر من مرة في خلال ربع قرن بينما لا يزال ابناء ذلك الجيل احياء فما اجدر ابناء الاجيال المقبلة بالسخط على الجيل الذي انخدع في ربع قرن مرتين »(٢٢) .

ظروف الحرب العالمية الثانية قد اوجدت مؤسسة جديدة في العالم العربي هي الجامعة العربية وسجل الطاهر في (ظلام المسجن) قيام الجامعة فكان من اول الداعين ومن اشد الذين صوبوا لها النقد . لقد كان خوف بريطانيا في اوائل ١٩٤٣ ، كما يقول الطاهر في كتابه(٢٣) ، مما يتخض به العالم العربي من حركات استقلالية وغرورات حقوقية ، بينها كانت في الوقت نفسه تعاني الهول من الحرب ، فساورها الطلق من قيام العالم العربي عليها بحركة تزيد في دقة مركزها الحربي مع الالمان مرات ان تقوم بخديعة تشغل البال عنها كعادتها كلما نكبت بنكبة عالمية ،

كدت اقول يا رب هل يستريح العالم من انكلترا واستمرارها ؟ لنفرض ان الالمان كانوا اشرارا ان انتصروا وحكموا مصائر البشر بدلا من الانكليز ، فهل يمكن ان يكونوا شرا من الانكليز ؟ اما اذا كان الالمان مثل الانكليز فلا نكون قد خسرنا شيئا «(٢٤)» .

وحين سبغ بذهاب الامر عبدالله الى الملك عبد العزيز ليتفق معه على منع الالمان من النزول في البلاد العربية بدلا من ان يفكر في اخراج الانكليز الموجودين فعلا في بلاده يقول الطاهر « .. لقد كان نزول الالمان في البلاد العربية هو غاية ما نرجوه للتخلص من الانكليز ، وان قال قائل ، كيف ترجو ان يحل الالمان محل الانكليز ؟ اقول انني افضل ان يجتاح البلاد العربية كسل من يستطيع ان يخلصها »(٢٥) .

كان يرى ان معركة ستالغراد (اوائل ١٩٤٢) ستقرر مصير العالم الى مئات السنين فلو هزم الالمان لربحت انكلترا الحرب على حساب روسيا ، كما تربحها امريكا بعد الحرب على حساب انكلترا لان هذه ستنتفخ مع امريكا وتلجأ اليها بعد الحرب .. ولا يمكن الا هذا ، ولن تسمح امريكا للروس بان يشاركوها السيادة على العالم .. وقد قال العرب قديما « .. ما اجتمع فحلان على مذود الا فتك احدهما بالآخر »(٢٦) .

لقد كان يفهم من معاني انتصار الانكليز والحلفاء اشياء كثيرة « ويكفي منها بقاء الاستعمار في الدنيا على صورته البشعة واساليبه المروعة .. وستصير فلسطين طعمة لليهود ، والويل للعالم العربي من انكلترا ، والويل للامم الضعيفة ما دامت هذه الدولة موجودة في الدنيا فهي ام الاستعمار وبؤرة العدوان ومثار الحروب » لقد كان يتوقع « ان انكلترا في حالة الانتصار مستنتم ، وان فرنسا ستسأد ، وان الاستعمار سيكتسح في عدوانه علينا ... » .

لذا فقد انعشته اخبار ثورة رشيد عالي الكيلاني التي سمعها في اثناء فراره « .. اذ تنذر بان ساعة الانكليز قد دنت ، وها هو العراق قد تحرك وليس بعد ذلك الا قيام العالم العربي على الاستعمار .. »(٢٧) . لقد كان كل شيء في ذلك الحين يؤذن باستسلام بريطانيا بين يوم وآخر . واعتبر الطاهر انتصار بريطانيا على حركة العراق هزيمة للعالم العربي بأسره « .. ومما يؤلم ويبيد

وقد أقر أخيراً ان يستدعي النحاس شخصاً من فلسطين لتمثيلها في تلك الجامعة وعند حضوره يطرح هو مسألة المبعدين في اجتماعها الرسمي . « وستنحل العقدة تدريجياً لخوف الإنكليز من اثاره مسالة كهذه في مجتمع كهذا . . » . وقد اومز الطاهر - كما جاء في ظلام السجن - الى صلاح الدين ان يعمل على ترشيح موسى العلمي وبمساعي قنصل مصر في القدس حصل موسى العلمي على توكيل من رؤساء الاحزاب الفلسطينية الستة ، ودخل العلمي الجامعة وحضر مداولتها باسم فلسطين ولكن تمثيله فلسطين لم يدم لاسباب كثيرة وقد حضر بعد الانفراج عن معتقلي روديسيا جمال الحسيني لحضور مجلس الجامعة باسم فلسطين .

ما حدث بعد ذلك اقالة وزارة النحاس وسقوط الوزارات العربية الاخرى ووجدت الوزارات الجديدة نفسها امام الامر الواقع ولم يسعها الا المضي في مشروع الجامعة العربية فسارت فيه على « شكل اعوج وعن طريق متعرج » . وفي ٢٢ مارس ١٩٤٥ امضى ممثلو البلاد العربية ميثاق الجامعة وهو دون بروتوكول الاسكندرية في رومته وقوته ، فقد تدخل الإنكليز في أمر الجامعة ووصل تأثيرهم الى مسح البروتوكول واسقاط فلسطين من مدار الدول العربية ، وهكذا ظهرت فلسطين في الميثاق بشكل مبهم وضعيف ، ولما سأل الطاهر عزام في حفلة تكريم المؤتمدين « . . لماذا مسختم قضية فلسطين في الميثاق مع انها كانت اقوى وأبرز واظهر نمى البروتوكول » فقال « الخواجات عاوزين كده وكانوا يريدون شقيلة المشروع فرضينا بسا قدرنا عليه . . . » (٣٤).

كان رأي الطاهر يوم اسست الجامعة « انها يجب ان تكون وان تبقى وان تؤيدها وتعضدها بكل الوسائل بعد ان تمثيها » . ولكن بعد مضي العام الاول على قيام الجامعة « وعندما كان المسالم العربي لا يزال مأخوذاً بها . . . تنهت الى حالها . . . وتوقعت ضياع فلسطين على يدها فبادرت وكثرت ما لاحظته في جريدة مصر الفتاة بالقاهرة ، وأرسلته الى جرائد فلسطين قبل ان تضع . . . لانه العالم العربي الى حقيقة الجامعة . . وحذرت الامة العربية من الركون الى الجامعة حتى لا تضيع فلسطين من ايدينا . . . » (٣٥).

ولعل أبرز ما كان يؤاخذ عليه جامعة الدول

فأعلن ايدين في مجلس العموم ان حكومته لا تعارض في تأليف جامعة عربية ، فأشغل هذا التصريح ذهن الشعوب العربية فتقبل بالارتياح الذي يعاقل به كل مشروع انكليزي . . . » . وفي اثناء الاستشارات بين النحاس والشخصيات العربية الرسمية حول انشاء الجامعة سأل الطاهر محمد صلاح الدين سكرتير مجلس الوزراء ، وكان من أهم الشخصيات التي لها اثر ازاء تأليف الجامعة ، « هل اخذتم من بريطانيا الثمن قبل ان تباشروا القيام بهذه العملية . . » . ويعني به ان يكون النحاس قد ربط الإنكليز بوثيقة رسمية واخذ منهم عهداً قبل ان يشغل فكر العالم العربي بهذه الجامعة ومفاوضاتها سنة أو سنتين ، حتى اذا خرجت انكلترا من الحرب منتصرة تنكرت لمصر وللعرب ، وتصبح فلسطين والبلاد العربية ضحية للإنكليز مرة اخرى . برأي صلاح الدين ان الحكومة المصرية « قد وجدت اعترافاً انكليزياً تأخذها على منطوقه وتقوم بالمشروع فعلا بدون ان تقيم وزناً لنوايا الحكومة البريطانية » . وبرأي الطاهر « ان شعوب العالم العربي لا تثق بحكوماتها الحاضرة ككلها مؤلفة على هوى الإنكليز وباشرائهم وتدريبهم وتأييدهم » ، الا ان صلاح الدين كان يرى « اننا امام حكومات عربية قائمة خلا بد من دعوتها بقطع النظر عن كونها موجودة برضاء الشعوب ام غير ذلك ، ولكن الايام ستصح هذه الاوضاع وتتداول المسألة حكومات كثيرة الى ان تتولاها الحكومات التي ترضى عنها الشعوب ، وتكون نحن على كل حال قد كسبنا هذه الجامعة التي ستصبح مع الايام حقيقة واقعة بحسب حسابها » .

وأمر الطاهر الى صلاح الدين « ان قيام الجامعة بدون فلسطين تصبح شوهاء » فوعده صلاح الدين بانها ستدعى للاشتراك وسيكون لها المقام المفضل ، واجابه الطاهر انها لن تشترك الا اذا اعدت بريطانيا المنعنين من روديسيا وغيرها « فنصدق حينئذ ان بريطانيا ستغير سياستها مع العالم العربي » . وقد أصر الإنكليز على رفض اعادة المبعدين برغم توسط النحاس وتمسك اهل فلسطين برفض الاشتراك في الجامعة الا اذا عاد المبعدون ، « والظاهر ان هذا الاصرار تسد وافق هوى في نفوس الإنكليز فاشتدوا في رفض الانفراج عن المبعدين حتى لا تظهر فلسطين على المسرح . . » .

العربية « انها هيئة قوالة أكثر منها فعالة » وقد أدى الكلام الكثير في الجامعة الى الاضرار بقضية فلسطين وخصوصا في مسألة الاراضي . فقد صدق اليهود ان جامعة الدول العربية ستنتقد الارض فبادر اليهود الى الاستيلاء على الاراضي بأساليب شتى ، بل ان حكومة فلسطين صدمت فصار تهب الارض لليهود بمساحات واسعة . . . فكانت النتيجة ان اليهود استولوا على الكثير بدون ان تنتقد جامعة الدول شيئا بل اقتصرت جهودها على درس المقترحات ووضع الخطط على الورق والكلام . . . مسع ان اتقاذ الاراضي من اسهل المشاريع لو أخذت مليون جنيه وأمدت به صندوق الامة بصفة قرضي مستعجل . وظهر عجز الجامعة في مفاصلة البضائع اذ عقدت اللجان ووضعت القرارات ولكنها لم تنجح في تنفيذ شيء منها « (٢٦) .

انتهت الحرب العالمية الثانية وعاد العالم العربي يضطهد من جديد « ليرى كل الوعود والعهود التي قرأت في هذه الحرب لم تكن الا خداعا وتفريبا وضحكا على الشعوب » . لقد وجد الطاهر ان النتيجة التي اسفرت عنها الحرب قد آلت الدنيا كلها « . . . لا محبة بالالمان واليابان ولكن أسفا على الدولتين الفيتين المانيا واليابان وخروجها من الميدان الدولي العالمي ، بعد ان كان وجودهما كافلا لحفظ التوازن بين الدول وكان يخيف دول الاستعمار على الاخص ، واما الان فان الكرة الارضية كلها تد باتت نهبا للانكليز والفرنسيين فيتحكمون في أهلها ويهددون الامن العام بين دول المعمورة ، بحماية أمريكا وبمالها وقوتها الفتية وعقول اليهود الذين أصبحوا أسيادها « (٢٧) .

واقتريت كارثة فلسطين وأقر مشروع التقسيم فكتب الطاهر « . . . هذه اول مرة — وآخر مرة بلا شك — يسجل فيها التاريخ ان مصر أمة برمتها يوضع في سوق المزاد العلني وتعطى فيه الرشوة جهازا . وأول مرة يعرض فيها مستقبل أمة في ميدان الاقتراع . انني اشير على كليات الحقوق في العالم كله بان تلغي في برامجها قوانين حقوق الامم ومعااهدات الدول ما دام ان مصر الامم يقرر في ساحات البورصة وأمام صناديق الاقتراع ! وأطلب من كل دولة دستورية في الدنيا ان تحذف من دستورها كل كلمة تتعلق بقانون حقوق الانسان » . لقد كانت هيئة الامم المتحدة « أعجب خدمة تمت

في تاريخ العالم » . ويضيف الطاهر « . . . لم أعرف معنى المثل القديم رمثي بدائها وانسلت الا بعد جريمة تقسيم فلسطين ، فبريطانيا التي لم يعرف التاريخ البشري لغفاتها مثيلا والتي أفسدت أخلاق الدول والامم وأوتعت البغضاء بين سكان الارض جميعا ، رأيتها اليوم تتسلل من دائها الذي رمت به فلسطين وشادي ببراعتها مما صنعت وتبرهن على ذلك بالوقوف عند التصويت على التقسيم موثف المحاييد البري وتمتنع عن اعطاء صوتها لليهود » .

أورد الطاهر ذلك في كتاب طبع في مارس ١٩٤٨ أطلق عليه اسم (أوراق مجموعة — كتاب أحمر عن فظائع الانكليز في فلسطين وغدر اليهود وصبر العرب) وهو مجموعة من الوثائق المتقطعة مما استطاعت صحف فلسطين نشره تحت الرقابة البريطانية عن الحرب الدائرة في فلسطين ، وهذه الاخبار هي نموذج لحوادث الشهور الثلاثة وبعضها من أوراق ووثائق سابقة ، يضاف اليها عدد من المقالات كان الطاهر قد نشرها في صحف كثيرة في القاهرة وأمريكا ، أورد هذا كله بدون ترتيب ولا تبويب .

خطورة الاحداث الجارية هو عدم وجود جبهة للحرب في فلسطين فالتقتال يدور « بين عدوين يتساكبان في المدن والقرى وفي الشوارع والحارات المشتركة فالتقتال اذن يدور في كل مكان وفي الليل والنهار ، فلا استراحة ولا هدنة ولا استجمام ، فالتقتيل في فلسطين عام والذبح شامل . . . فلا يدري الانسان كيف يقتل ولا متى يتهدم بيته على رأسه « (٢٨) .

أصابع الاتهام تشير الى الانكليز فهم المسؤولون امام العالم بأسره على ما يجري في فلسطين من فظائع ضد العرب ، « ولا شك في ان العالم العربي ليس مؤمنا » كما يذكر الطاهر « . . . لانه مكن للسياسة البريطانية من ان تلذغه مرتين ، ففي الحرب الكبرى (١٩١٤ — ١٩١٨) صدق العرب وعود لويد جورج والدكتور ويلسون عن حريات الشعوب وتقرير المصير ، فساعدوا الحلفاء فكان جزاؤهم التمزيق او الاستعمار والانتداب . . . وفي الحرب العظمى الاخيرة وقع العالم العربي مرة اخرى في نفس القلطة وساعد تشرشل وروزفلت فكان جزاؤه من حكومتيها الانتفاض على فلسطين بأبشع مما جرى في الحرب الاولى ، وهذا بلا ريب

ان يكون اليهود قد استأجروا بريطانيا لخدمتهم ، وكلما قصرت عاقبوا بالفتك بجنودها وتقتيلهم» (٤٠) .

وفي خلال التنكيل بالعرب وتذليل اليهود يزيد عدد هؤلاء من ٥٠ الفا الى ٩٠٠ الف اي « ان عدد سكان فلسطين اليهود قد ساوى عدد العرب في اقل من ثلث قرن فبعد ثلث قرن اخر ماذا يبقى للعرب في فلسطين » . والانجليز هم الذين جلبوا اليهود لفلسطين ولا يزالون حتى الساعة يجلبونهم بشتى الوسائل « . . هذا مهاجر شرعي وذاك غير شرعي وهذا عابر طريق ، وهذا قادم للنزهة ، والخالصة ان المسألة كلها عند الانجليز هي جلب يهود لفلسطين بقدر الامكان ، والنتيجة هي اخذ البلاد وطرد اهلها منها » . في حين تصدر احكام بالسجن على عرب بتهمة الدخول الى فلسطين بصورة غير مشروعة وبالابعاد « ويبدو ان ما قد حلل لليهود قد حرم على العرب ، وان السجن هو جزاء العربي الذي يدخل بلاده ، واما معتقلات الترفيه والانسجام من خط اليهود » .

جزء كبير من المسؤولية تحمله امريكا وتعليقا على تصريح وكيل الخارجية الامريكية ان الهجوم العربي في فلسطين خطر على سلامة الولايات المتحدة ويهدد الامم المتحدة بالزوال . يقول الطاهر (٤١) . « . . الى هذه الدرجة من السفالة السياسية وصل الامر بالامريكيين ، فهم بعد ان اعتدوا على الدنيا كلها وسببوا دمارها بحجة ان المانيا خطرا على امريكا ، اصبحوا ينادون بان دفاع فلسطين عن نفسها خطرا على امريكا : يعني يجب ان يصدق الناس ان المليون عربي بفلسطين الذين يدافعون عن رقابهم وعن ذرايعهم وارضهم يسببون خطرا على امريكا المسلحة التي يزيد عدد سكانها عن اهل فلسطين بمائة واربعين مرة . . »

« . . لماذا لا يكون توجيه هؤلاء اليهود المساكين المظلومين الى الولايات المتحدة الواسعة الغنية بدلا من فلسطين الفقيرة الضيقة التي لا تريد بهم بينما ترومان يريدهم ؟ وكيف يجوز لرئيس امريكا ان يصلح ظلما وقع في المانيا فنظلم اهل فلسطين في اسيا الذين لا يد لهم فيها وقع من الالمان ضد اليهود في اوروبا ؟

بقي شيء واحد لم تحسب بريطانيا وامريكا حسابه « وهو العالم العربي الذي اعلن في مؤتمر

أبلغ عقاب لن يثق بدول الاستعمار . . . » .

ان مبتكرات حكم الانكليز في فلسطين لا يمكن الاحاطة بها لكثرتها ، كما لا يمكن حصر مظالم هؤلاء المستعمرين في الثلاثين سنة الماضية فالمهمة « التي مارسها الانكليز واليهود ضد العرب كانت مهبة قتل امة وتلعها من ارضها ووطنها وطمس آثارها وازالة مخابرها ومساجدها ومحو تاريخها . . » . واستعمل الانكليز واليهود أعجب الوسائل لقتل هذه الامة ومنها سلب الارض وسن القوانين لتسيوغ الاعتداء ، والغوا المحاكم وأقاموا السجن ل تنفيذ ، . . . واستعملوا مع العرب طرق القمع الاجماعي بنسف المدن وتدمير القرى وشكلوا هيئة الجاسوسية للارهاب بوسائل التعذيب (٤٢) .

ويعطي الطاهر أمثلة عديدة عن المعاملة المتناقضة بين العرب واليهود التي تتبعها السلطات البريطانية « فقد مضى على وجود انكلترا بفلسطين ٣٠ عاما فلم يحدث انها اجابت العرب الى رفع مظلمة عنهم حلقا ولكنها دائما تلبى لليهود اوامرهم وتدلهم » ، لقد رأى ان الجيش البريطاني مشغول بخدمة اليهود في كل شيء حتى عن نفسه ، مشغول بمقاتلة العرب لحماية اليهود ويهتكم من اسلحته ايضا ليفتكوا بالعرب . . . وقد بلغ من نفاق بريطانيا ان اعلنت انها لا تسمح ببيع السلاح لليهود ولا للعرب « وقد صدمت لانها تهب لليهود المدافع وبراميل الديناميت والدبابات وتزج سلاح العرب . . » . بل ان الانكليز في فلسطين « قابلوا كل ما صنعه بهم يهود الصهيونية بصدر رحب وصبر جميل ، فلم يقتلوا يهوديا ولا نكلوا بحي ولا أعدموا قاتلا ، اذن فبريطانيا لم تغضب ولم تثر ولم تتحرك لوضع حد للارهاب اليهودي حتى ولو فتك اليهود بجنودها وخطفوا قضاتها وجلدوا خباطها اليواصل بالكرباج ، واما العرب اصحاب البلاد الذين نصرنا بريطانيا في الحربين . فان بريطانيا تدعم العربي ان حمل سلاحا وتنسف القرية العربية ان اطلقت منها رصاصة وتشرذم زعماء فلسطين السياسيين الى مصر وسيشل وروديسيا ، وتضع بعضهم في سجون فلسطين بضع سنين بلا سبب ولا تهمة ولا محاكمة . . وهكذا فان الانكليز في فلسطين مشغولون عن اليهود الذين يسفكون دهم النبيل الشريف بسلب اراضي العرب وتقليدتها كهديايا ومكافآت لليهود فبل يمكن لاحد ان يعلل هذا الا

العربية ان يستقبلوا فوراً او يغربلوا جيداً «
وسأل الامين العام لجامعة الدول العربية « . .
ماذا صنعتكم بفلسطين- اتهمكم بانكم بالفنم في الخوف
من الانكليز ، واسرفتم في ايها الناس عما لديكم
من قوة لا وجود لها واوهتمتم فلسطين بقدرتكم وقرب
الفرج والانتقاذ وتحرك الجيوش للبطش باليهود
فصدقتكم واعتمدت عليكم ، ثم اتضح عندما جد
الجد انكم اسرفتم في الكلام ، وفررتم بفلسطين
واهلها ، وها هم اليوم يذبحون ذبح النعاج ،
وتنهب اموالهم ، وتسقط منهم في ايدي وحوش
اليهود بعد ان دبروا القرى ودكوا العسran ،
وها هم يزيلون العرب من ارضهم ووطنهم ،
ويشردونهم في افاق الارض ، فلو انكم كاشفتهم
الناس بحقيقة حال الجامعة وانها لا تكاد تحمي
نفسها ، وان الواجب على الفلسطينيين ان يدبروا
امرهم لدبروا امرهم . . »

ثم كانت نكبة الامة العربية بضياح فلسطين وشغل
الطاهر بالكتابة في الصحف والمجلات واذاعة
النشرات عن مصرع فلسطين واسباب النكبة ووجه
ترار الاتهام الى الذين تسببوا في ضياعها وجنوا
على اهلها ، وتناقلت صحف كثيرة في سورية ولبنان
والعرب العربي والعراق وامريكا سلسلة مقالاته .
ويرى الطاهر « ان في الفصول التي كتبها عن
اسباب مصرع فلسطين قد صور للجبل المقبل صورة
مصفرة عن فاجعة فلسطين التي لا يمثل لها في
التواريخ ليحكوا بعدلهم على الجيل الحالي الذي
سمح بوقوع الكارثة فسوف يحاسبه الاحناد على
تهاوته وتفريطه(٤٤) . هويتهم رجال العرب بالجهل
واللامبالاة وعدم الجدية في تناول المسألة ، فقد
كاتبوا في اول العهد بانشاء الجامعة يتبارون في
ادعاء العمل لانتقاذ فلسطين حتى ان رؤساء
انوزارات الخارجية على امتها كانوا يتقربون الى
شعوبهم باسم فلسطين ويضعون في برامجهم مهمة
انتقاذها ، فكانت هذه الشعوب تقبل هذا الدجل
وتصبر على حكوماتها الكريمة اكراما لفلسطين(٤٥) .

ولم تسارع الدول العربية الى نجدة فلسطين
في الوقت المناسب ولما انجدها لم تكن جادة في حريها
كما لم تكن مخلصه في حلبة المعارك « لانها ما كادت
تشتبك مع اليهود في معركة جدية حتى رايهاها
تتخاذل وتقبل الهدنة . . ثم تنصرف عن قتال اليهود
الى اظهار صولتها وغطرتها على سكان المناطق

بلودان ١٩٢٧) ان فلسطين ليست ملكا للفلسطينيين
العرب وهدم بل هي ملك العالم العربي جميعا) ،
ومعنى هذا ان اهل فلسطين ان فرطوا بفلسطين
او عجزوا عن حمايتها فان الامة العربية لا تفرط ،
وستدافع عنها الى النهاية . فهل تريد بريطانيا
واميركا محاربة العالم العربي لتكتل قيام الدولة
اليهودية ؟ وهل تتحرك جيوش الدولتين لسحق
بعد ان انوزمت تلك الجيوش امام الالمان واليابان
- ولولا القنبلة الذرية . .

ما اقلته ان « الدول العربية ترى وتسمع دون
ان تتحرك ، وجامعة الدول العربية واقفة تشهد
وتتفرج دون ان تحتج او تعمل ، لانها مشغولة
اليوم بتأليف كتاب عن الاندلس ! مع ان الاندلس
الجديدة موجودة بجوارها تناديها وتسألها القوت
قبل ان تلفظ انفسها ، حتى لا تفكر الجامعة بعد
ذلك في وضع كتاب عن اثار العرب في فلسطين(٤٦)»
هو يذكر العالم العربي ، ان حالة فلسطين اليوم
اسوأ منها بالامس ، وستكون غدا اسوأ منها اليوم
وهكذا . . اما سبب هذا التدهور فهو كثرة الكلام ،
كلام الصحف وكلام السياسة وكلام جامعة الدول
العربية . . . ولولا كثرة كلام النصحاء لما ركن اهل
فلسطين الى المساعدة الخارجية ولاعتمدوا على
انفسهم واهل فلسطين مفدورون ما داموا يسمعون
بمئات الوف المتطوعين لانتقاذهم وبملايين الجنيهات
لاسعافهم ثم يفتحون عيونهم فلا يرون احدا(٤٧) .
ويوجه نداء حارا الى العرب كافة بمساعدة عرب
فلسطين الان قبل فوات الاوان « ولا تركنوا لومود
جامعة الدول العربية التي لا تنفذ والتي لا تخطو
خطوة الا بعد ان تراجع القوانين والاصول
الدبلوماسية ! في حين ان مجرمي اليهود والانكليز
لا يفكرون في قتالهم لعرب فلسطين الا في ابادتهم
بعد ان تجاهلوا القوانين ونسوا العرف وداسوا
على ابسط قواعد الانسانية . . . العالم يرى قوافل
النجدة والعتاد من اليهودية العالمة ، ويسمع فقط
مقررات الدول العربية فالى متى . . . ؟ »

ومع ازدياد سوء الاحوال وقرب ضياح فلسطين
اخذ يوالي الكتابة والتحذير بلهجة اشد واسلوب
اوجع الى ان بلغت الحدة في مقال كتبه في اوائل
مايو ١٩٤٨ اي قبل سقوط فلسطين بعشرين يوما ،
قدمه للصحف وجعل عنوانه مؤلما موجعا وهو « ان
الهلج من الانكليز يوجب على جامعة جامعة الدول

حربية ذات نظام ان تمد الحكومات العربية اهل فلسطين بالعتاد والرجال وتخصص نجدات للجهات الضعيفة دون ان تتدخل رسميا . . . لولا الجامعة التي دخلت في قضية فلسطين عن غير ايمان لبقيتسا الى الان نشهد المعارك الطاحنة تجري بين الفلسطينيين واليهود(٤٩).

ويعود الظاهر ليتساءل « . . . ايقع الحق كله فيها اصاب فلسطين على العالم العربي وحده ؟ وهل كل اهل فلسطين كانوا ابرياء ؟ . . . والجواب كلا لان اهل فلسطين ايضا يحملون قسطهم من المسؤولية ، فهم لم يبذلوا من اول الامر ما كان يجب عليهم بذله من جهود واموال وتعاطف وسهر . . . فاهل فلسطين لم يستعملوا الصداقة مثلا مع خونة البلاد واعوان الانجليز واليهود . . . وكسان ذلك من الفلسطينيين تراخيا وجبنًا واستهتارا ، ولم تجد فلسطين من جيلها الجديد الذي ولد ونشأ في ايام الاحتلال تأييدا جديا ، لان هذا الجيل الاعرن المتفرنج قد تهالك بعضه على الوظائف عند الانجليز وأيد معظمهم الاحتلال الاجنبي ، وسخر من جهاد الجيل القديم الذي ورثته فلسطين عن ايام ما قبل الانتداب(٥٠).

المستقبل كان يبدو حالكا امامه « اذ لا يجب ان ننسى ان نكبة فلسطين اذا كانت لا تجمع كلمة العرب للاحتفاظ بما في قبضتهم من اوطان مستقلة، واستهداف انقاذ فلسطين لفصل العار على الاقل فان دولة اليهود ستحكم دنيا العرب لا محالة(٥١) . . . لذا لما ترامى له ان بعض الدول العربية على وشك عقد الصلح مع اليهود بشر هذه الدول بأن « فرحها لن يطول لان اعتداءات اليهود على بلادها ومناوشة حدودها واقتحام قراها ونهبها لن ينقطع(٥٢) . . . لا يتقصد اليهود الان شيء في فلسطين ، كما يتولى سوى عمليات التطهير والتشطيب والقضاء على بقية العرب . . . واما العرب فلم ان يبعثوا بعد وقوع النكبة المتبلسة ببرقيات الشكوى من فظائع اليهود الى وسيط هيئة الامم المتحدة في رودس ، وان لم يعجبهم ذلك فليشكوا امرهم الى هيئة الامم في امريكا . . . » لقد كان يتصور ان عقاب العالم العربي سيراه الجيل الحاضر بعد بضع سنين فقط يوم تملا (دولة اسرائيل) البحر الاحمر والبحر الابيض باساطيلها . . . وتغطي الارض بدباباتها ، وتحجب

العربية الذين سلموا اليها مدنهم سليمة حرة ، فراحات تملن بتبجح انها استولت عليها بسدون مقاومة ! . . . لان الجيوش المنقذة لم تحارب اليهود ولم تخرجهم من فلسطين بل اخرجت الفلسطينيين ، ولم تدافع عما كان في حوزتها ، ولا هي تركت للاهالي الجاهدين سلاحهم ليدافعوا به عن انفسهم (٤٦).

ويقارن بين ما فعلته بريطانيا لليهود وغاء بوعودها اذ لم يخرجوا من فلسطين الا بعد ان اخذوا العرب واقاموا الدولة اليهودية « . . . اما وغاء العرب للعرب جمعية وخطب وتهويلات وحفلات وقرارات ووعود خذرت اهل فلسطين وامانتت روح الجهاد والمقاومة من نفوس العرب . . . »

لقد كانت الدول العربية قبل الهدنة الاولى سائرة في الطريق الصحيح فاذا بالهدنة الاولى تقع بعنته ، ولا يعرف السبب الحقيقي لقبول الحكومات الهدنة المخزية « . . . زعموا ان امريكا وانجلترا قد هددا الدول العربية واوعزتا اليها بالكف عن قتال اليهود والا . . . فان امريكا وانجلترا تضربان دول العالم العربي . لو كان صحيحا فان واجب الشرف كان يقضي على من قبلوا معرة الهدنة ان يستروا في الزحف على اليهود الى النهاية وهذا اشرف ، فلما ان يقضوا على دولتهم قبل ان تقوم او تتدخل امريكا وانجلترا صراحة وبالقوة فينئذ يجوز قبول الهدنة ، وانه لاشرف لاصحاب الهدنة ان تكسرهم امريكا وانجلترا من ان يفروا نزعًا ورعبا امام عصابات يهودية لا وزن لها في ذلك الحين . »

من هو المسؤول عن ضياع فلسطين ؟ يوجسه اسئلته الى جامعة الدول العربية فيجدها مشغولة عنه بالحفلات والخطب وعقد الجلسات وفضها ونشر البيانات وطيها وايجاد المشاكل بين الدول العربية ذاتها ثم تسويتها على حساب فلسطين(٤٧). وبعد هزيمة العرب في ميدان الحرب والسياسة اراد بعضهم ان يستر سوء تصرفه فراح يتهم الفلسطينيين بالتقصير ويحملهم وزرا لا يدلهم فيه ، « فان هؤلاء قد نادوا وانذروا بالخطر قبل وقوعه وقاتلوا الانكليز واليهود مدة ثلاثين عاما . . . ثم سفكوا دماءهم مرارا واستغاثوا تكارا(٤٨). لقد كان الحل ، برأيه ، وعرب فلسطين يقتتلون بصورة مختلطة مع اليهود ولم يكن بإمكان اليهود عمل جبهة

فلسطين باليهود الذين يصلون إليها من الخارج بمئات الآلاف ، ثم الاستيلاء على الباقي منها في أيدي العرب . . » في عام ١٩٤٩ كان الطاهر يقول « انه اذا كان العالم العربي لا يقضي الان على الدولة اليهودية وهي فلول من عصايات وقيل ان تتكفل وتصبح دولة قانونية حقيقية فانها ستقتضى عليه غدا وان مجز العرب عن ذلك الان فمهم غدا اعجز . . (٥٤) . لقد كان الطاهر يبحث عن فلسطين وراء الاتفاق من نافذة الطائرة التي اقلته الى دمشق . . . ان فلسطين كانت هنا وانا اعرفها ، وكانت في ايدينا فلم نعرف قيمتها . . . ولكن اين فلسطين الان ؟ يجيب « . . انها في ايدي اليهود ، وبذلك انقطعت الطريق بين العالم العربي في افريقيا عن شطره الاخر في اسيا ، وهذا ما كنت احذر من وقوعه قبل وقوعه بثلاثين عاما(٥٥) .

السماء بطائراتها . . . واما حصار العرب لاسرائيل في المستقبل فهو برأيه « تخليط حمقى لان اليهود سيفرضوا انفسهم بالقوة البحرية والجوية والبرية على الشرق كله(٥٦) .

يستدرك الطاهر بقوله « . . انا لا اخيف الناس من اليهود وبدون حق ولكني اصور لهم مستقبنا الحالك على حقيقته . . » ما هو الحل اذن لاتخاذ فلسطين ؟ يجيب بقوله « . . اذا كان العالم العربي يظن او يتصور ان اليهود يقبلون برجوع عربي واحد من المشردين الى فلسطين فهو في ضلال ، لان اليهود ينظفون فلسطين الان من كل عربي بقي فيها . . . والنتيجة انه لا رجوع للعرب الى اوطانهم الا اذا مشى جيش مسلح في طليعتهم يفتح لهم الطريق الى وطنهم ، وكل مفاوضة بدون ذلك لا ينتج الا فناء اللاجئين تدريجيا وامتلاء انحاء

ادعو لليهود في المانيا بكل خير ، أما ان فاز هتلر واضطهد اليهود — سلهم الله هناك فقط — نيا لنكبة فلسطين لان جمعهم تند عند ذلك على فلسطين كالجراد .

- ٨ — نظرات الشورى ، ص ٢٠ .
- ٩ — المصدر نفسه ، ص ٨٠ .
- ١٠ — نظرات الشورى ، ص ٤٨ .
- ١١ — المصدر نفسه .
- ١٢ — نظرات الشورى ، ص ٣٦ .
- ١٣ — المصدر نفسه ، ص ٢٣٥ .
- ١٤ — المصدر نفسه ، ص ١٤٤ .
- ١٥ — ظلام السجن ، ص ١٠٩ .
- ١٦ — ظلام السجن ، ص ٤٦٣ .
- ١٧ — ظلام السجن ، ص ٦٦ .
- ١٨ — المصدر نفسه ، ص ٩١ .
- ١٩ — مقدمة كتاب ظلام السجن .
- ٢٠ — ظلام السجن ، ص ١٥٢ .
- ٢١ — المصدر نفسه ، ص ٤١٦ .
- ٢٢ — المصدر نفسه ، ص ١٢٠ .
- ٢٣ — المصدر نفسه ، ص ٨٥٣ .
- ٢٤ — ظلام السجن ، ص ٢٨٧ .
- ٢٥ — المصدر نفسه ، ص ١٠٦ .
- ٢٦ — المصدر نفسه ، ص ٣٠٣ .
- ٢٧ — المصدر نفسه ، ص ٣٩٥ .

١ — كان يشترك في تحرير الجريدة عارف الشهابي ، عبد الغني العريسي ، محمد المحصاني ، وثلاثتهم كانوا من ضحايا جمال باشا خلال الحرب العالمية الاولى .

٢ — معتقل هاكسب ، ص ٣٥١ .

٣ — معتقل هاكسب ، ص ٦٠٠ .

٤ — هذا لم ينجح هيك في عام ١٩٣٧ (وكان خارج الوزارة ولكنه ظل سكرتير حزب الاحرار الدستوريين وعضو مجلس الشيوخ) ان يطلب من الطاهر مده باسناد في قضية فلسطين ليثير مسألته في المجلس كما كتب في السياسة مقالاً بعنوان « مسألة فلسطين » ، ولكن الطاهر كان يرى ان الدستوريين يثرون المسألة نكايمة بالوفديين وليس حبا بها ، وانهم لو عادوا للحكم فسيعودون الى اخفاء صوت فلسطين ومطاردته هو .

- ٥ — ظلام السجن ، مذكرات ومنكرات مسجون هارب ، مصر ١٩٥١ ، ص ٩٤ .
- ٦ — المصدر نفسه ، ص ١٢٨ .
- ٧ — تعليقا على ما قرأه الطاهر من دعوى اضطهاد هتلر لليهود كتب في نظرات الشورى ، ص ٢٥٢ « . . . انا كفلسطيني عربي يهمني عدم وجود باعث في جهة من جهات الدنيا يبعث لليهود على المجيء لفلسطين . . . اذن فانا برغم اننى

حزب السعديين) الى اعتقال الطاهر ، في معتقل (لهاكستب) في صحراء السويس وهو المكان الذي كان ابراهيم عبدالهادي يحبس فيه خصومه واعداء عهده . والهاكستب او (هاك ستيب) ضابط امريكي مشهور لما نزل الجيش الامريكي في الاراضي المصرية لانقاذ الانجليز في الحرب العظمى الثانية ، عسكروا في الصحراء بين مصر الجديدة والسويس واقاموا معسكرهم وسموه هاكستب .

٤٧ - كان الطاهر قد نادى قبل النكبة باخراج حكومة شرق الاردن من جامعة الدول لان «شبحها تقتل كان مع العرب وعتلها مع الانجليز ، ثم اتضح فوق ذلك ان قلبها ايضا كان مع اليهود» .

- ٤٨ - معتقل هاكستب ، ص ٤٤٦ .
- ٤٩ - المصدر نفسه ، ص ٤٤ .
- ٥٠ - معتقل هاكستب ، ص ٣٦٢ .
- ٥١ - المصدر نفسه ، ص ٦٢٥ .
- ٥٢ - المصدر نفسه ، ص ٤١٢ .
- ٥٣ - المصدر نفسه ، ص ٦٥٢ .
- ٥٤ - معتقل هاكستب ، ص ٣٧ .
- ٥٥ - ظلام السجن ، ص ٧١٨ .

- ٢٨ - ظلام السجن ، ص ٤٢٩ .
- ٢٩ - المصدر نفسه ، ص ٢٨٦ .
- ٣٠ - المصدر نفسه ، ص ٢٢٧ .
- ٣١ - المصدر نفسه ، ص ٤٢٨ .
- ٣٢ - ظلام السجن ، ص ١٢ ، انتقد الطاهر عباس العقاد الذي خطب في راديو القاهرة بان الانكليز حلفاء طبيعيين للشرق العربي لان الشرق العربي حليف طبيعي للانكليز .
- ٣٣ - المصدر نفسه ، ص ٥٦٢ .
- ٣٤ - ظلام السجن ، ص ٥٨٣ .
- ٣٥ - المصدر نفسه ، ص ٧٩٢ .
- ٣٦ - ظلام السجن ، ص ٧٩٧ .
- ٣٧ - المصدر نفسه ، ص ٨٥٠ .
- ٣٨ - أوراق مجموعة ، ص ١٢٧ .
- ٣٩ - أوراق مجموعة ، ص ٤١٣ .
- ٤٠ - أوراق مجموعة ، ص ٥٤ .
- ٤١ - المصدر نفسه ، ص ١٧٩ .
- ٤٢ - أوراق مجموعة ، ص ٥٦ .
- ٤٣ - المصدر نفسه ، ص ٦٦ .
- ٤٤ - سجل الطاهر أهم تلك الفصول في كتابه معتقل هاكستب ، (مصر ١٩٥٠) ، وقد دُفعت هذه المجلات وزارة ابراهيم عبد الهادي (من

مراجعات

Arnold Forster and Benjamin Epstein, *The New Anti-Semitism*
(New York: McGraw-Hill Book Co., 1974).

تقويض النظام والامن والاستقرار . وهذا يفسر الضجة الكبيرة التي احاطت الخطاب الذي القاه دانيال بريجان في المؤتمر السنوي لجمعية الفريجين العرب الامريكيين الذي عقد في العاصمة الامريكية واشنطن في تشرين الاول ١٩٧٣ . وبريجان رجل دين ليبرالي واستاذ جامعي برز شأنه خلال مناهضته النشطة لحرب فيتنام في الستينات وأوائل السبعينات وهو يتمتع باحترام وتقدير في الاوساط الليبرالية في الولايات المتحدة . وكان بريجان قد وجه في خطابه نقدا حادا الى دولة اسرائيل لاحتلالها الاراضي العربية وبروزها بعد حرب ١٩٦٧ كدولة استعمارية . وما أن نشر خطابه حتى أثار غمزا في الاوساط الصهيونية التي أخذت تتهمه « باللاسامية » و « العجرفة اللااخلاقية » و « التحريض » وغيرها من التهم المختلفة . وقد كنا قد استمعنا للخطاب في واشنطن وقرأناه بعد نشره في الصحف والمجلات . وقد استقرينا هذه الحملة الصهيونية ضد بريجان لانه لم يوجه في خطابه اللوم فقط لاسرائيل وانما وجه نقدا لاذعا ومبائلا لانظمة الحكم العربية المختلفة . الا أن الاوساط الصهيونية أغفلت كماداتها ما تعرض له الجانب العربي من نقد وركزت على انتقاده لاسرائيل . ولسنا هنا بصدد الدفاع عن بريجان أو تقييم نظرتة لاسرائيل والدول العربية ، الا أن « اللاسامية » التي اتهم بها بريجان من قبل المدافعين عن اسرائيل هي نفس « اللاسامية الجديدة » التي حاول مؤلفا الكتاب التحدث عنها . الكتاب مبني على « وثائق » و « تسجيلات » صادرة عن « عصبة اللاتشهير اليهودية » التابعة لمنظمة بني بريث « التي تهدف على حد قول

يصدر هذا الكتاب في غمرة الحديث عن اللاسامية وتجدد ظهورها في الولايات المتحدة مع التذكير في الوقت نفسه بما عاناه اليهود على أيدي النازيين . وكان قد انعقد في شهر حزيران ١٩٧٤ في مدينة نيويورك مؤتمر كبير حول هذا الموضوع تحت عنوان « محاوره حول أوشفيتز » اتخذ فيها معسكر الاعتقال « أوشفيتز » كنموذج للاضطهاد النازي لليهود واناء ستة ملايين منهم . والضجة هذه عادة تشجعها أو توحى بها الاوساط الصهيونية إذ يبدو أن هنالك شعورا بالقلق لدى تلك الاوساط . والكتاب الذي نحن بصدد مراجعته هو من ناحية احد بوادر ذلك القلق بسبب التغيير الذي بدأ يطرا على نظرة الرأي العام الامريكي بشكل خاص والرأي العام العالمي بشكل عام الى الصراع العربي - الاسرائيلي بعد حرب ١٩٦٧ . ولا بد من الاسراع في القول هنا ان هذا التغيير ضئيل وجزئي، لكن استمرار احتلال اسرائيل للاراضي العربية وبروز العمل الفدائي وتصاعده ساهم في ايجاد مناخ يسهل فيه توجيه النقد لاسرائيل . بيد ان ذلك النقد كان مقصورا على اليسار الامريكي والى درجة ما على الاوساط الليبرالية خاصة بين الكتاب والمثقفين . غير ان القوى الصهيونية في الولايات المتحدة تعطي اهمية اكبر لاي نقد يصدر من جهات غير يسارية أو جهات « ذي شأن » على حد تعبير الكاتبين بسبب تأثيره الاكبر على الرأي العام . لقد نجحت وسائل الاعلام الامريكي - التي تروج ايدولوجية النظام - بخلق صورة معينة لدى الامريكي العادي عن اليسار . فكلمة « راديكالي » أصبحت في ذهن الشخص العادي تقريبا تهمة موازية الى « مخرب » : شخص لا هم لديه سوى

وجه الارض ، وسيطرتهم على رؤوس الاموال العالمية ، وبحاولاتهم الدائمة للسيطرة على مقدرات العالم من خلال مؤامراتهم الخفية كما جاء في « بروتوكولات حكماء صهيون » . كذلك لا يتوانى سميتك بالصاق فضيحة «الووترجيت» الى مؤامرات اليهود التي تحاك من وراء الستار . ويورد الكاتبان امثلة أخرى لتبيان لاسامية بعض عناصر اليمين المحافظ مثل جماعة جون بيرش التي أسست في سنة ١٩٥٨ والحزب الامريكى وجون شميترز مرشح الحزب لانتخابات الرئاسة الامريكى سنة ١٩٧٢ . ان جماعات اليمين هذه تتهم اليهود باستغلالهم لقطاعات الشعب الامريكى المخلفة واقرائهم الاشتراكية والشيعوية كجزء من مؤامرة يهودية للسيطرة على العالم .

بعد معالجة اليمين المحافظ كأحد مصادر اللاسامية ينتقل الكاتبان الى بحث «عدم الحساسية تجاه مشاكل اليهود» عند بعض رجال الدين المسيحي في امريكا . ولعل اي نقد يصدر عن بعض رجال الدين لاسرائيل هو اكثر ازعاجا للاوساط الصهيونية من غيرهم ، فبذة جهات « محترمة » من حيث انها تستحوذ على اهتمام الناس اكثر من غيرها . ويأتي الكتاب على ذكر فرنسيس سابر وهو من رجال الدين البارزين في واشنطن العاصمة وحفيد الرئيس الامريكى ودرو ويلسون بسبب عظة كان قد ألقاها سنة ١٩٧٢ بمناسبة عيد الفصح ، وكان موضوع العظة مدينة القدس وأشار فيها الى معاملة اسرائيل القاسية للسكان العرب في المناطق المحتلة والاجراءات التبعية التي تتخذها السلطات الاسرائيلية مستشهدا بما ورد عن « اسرائيل شاماك » رئيس الرابطة الاسرائيلية لحقوق الانسان والاستاذ في الجامعة العبرية .

ينبهي مؤلفا الكتاب لفتنيد « لا صدق » ساير وآخريين من رجال الدين امثال فورست الكندي ومؤلف كتاب « الارض اللامقدسة » وطائفة الكويكرز التي كانت قد اصدرت في عام ١٩٧٠ كتيباً عن الصراع العربي - الاسرائيلي ركزت فيه على مأساة اللاجئين الفلسطينيين تحت عنوان « بحث عن السلام في الشرق الاوسط » والتي يصفها الكاتبان بأنها منحازة للعرب ، وقد اعتبر هذا الكتيب مصدر خطر أفض مضاجع الاوساط الصهيونية التي رأت ضرورة اصدار كتيب آخر تحت عنوان « الحقيقة

الكاتبين الى مكافحة التفرقة والتمييز العنصري والبحث عن العدالة والمساواة بين جميع الناس . ويهدف الكتاب الى عرض دراسة « اللاسامية » او العدا لليهود واليهودية على الصعيد المحلي الامريكى وعلى الصعيد العالمي وابرار مصادرها ومدى انتشارها في وقتنا الحاضر .

فالحديث عن « اللاسامية الجديدة » يتضمن بالضرورة اعادة تعريف بعض المفاهيم التقليدية عن اللاسامية وتبيان المصادر الجديدة لها . كذلك يبحث الكاتبان فيما يسميان « بفقدان الحساسية والاهتمام » تجاه المشاكل المتعلقة بحياة اليهود وليس فقط مفهوم اللاسامية المتضمن عدم الاكتراث من قبل مؤسسات واشخاص ذوي مراكز هامة في امريكا والخارج تجاه مشاكل اليهود .

يمكن أن يقسم الهيكل التنظيمي للكتاب الى قسمين رئيسيين : اللاسامية داخل امريكا واللاسامية على الصعيد العالمي .

يستحوذ القسم الاول من الكتاب على الاهتمام الاكبر للمؤلفين حيث يخصصان له الجزء الاكبر من الكتاب . ولعل الضعف الرئيسي في الكتاب هو عدم محاولة التفريق بين العدا لليهود لكونهم يهودا اي اللاسامية التقليدية التي ما تزال آثارها « موجودة » في الولايات المتحدة وبين العدا لاسرائيل لاسباب سياسية مثلاً وليس لاسباب دينية او عرقية . وهكذا يظهر الكتاب مثقلاً بانصاف الحقائق ، ذلك التكتيك المفضل الذي ينعى على اساسه كل من ينتقد اسرائيل باللاسامية .

في معرض الحديث عن اللاسامية داخل امريكا ينعكس عدم التفريق بين العدا لليهود والعدا لاسرائيل في طريقة تقسيم الكتاب حيث يجمع الكاتبان عناصر اليمين المتطرف وعناصر الليبراليين من الكتاب والصحفيين ورجال الدين ، واليساريين على اختلاف اتجاهاتهم في بوتقة واحدة على انهم « لاساميون » .

يخصص الكاتبان فصلين لبحث العدا لليهود عند بعض عناصر اليمين المحافظ عبر كتابات جيرالد سبيت وهو لاسامي بارز ظهر على المسرح من خلال صحيفته « المصليب والعلم » التي بدأ اصدارها سنة ١٩٤٢ وما زال يصررها حتى الان . تبرز لاسامية سبيت في الصاقه باليهود الصفات التقليدية كعدائهم للمسيح ومن ثم هدنهم ازالة المسيحية عن

الأمريكية تعبر أحداث العنف بـ «مخلفة» .
 فحين أبدت الحكومة الأمريكية استنكارها الشديد
 « لجهول وفضاعة » عملية ميونخ لم تبد نفس الأسمى
 تجاه الغارات الإسرائيلية على المدنيين الفلسطينيين
 أو عند اسقاط الطائرة المدنية الليبية . وبسبب
 أهمية تعليق بيربوينت حيث أنه يذاع في أرجاء
 الولايات المتحدة قامت العناصر الصهيونية بحملة
 استنكار شديدة وكتابة الرسائل التي شبكة
 التلفزيون . والجدير بالذكر أنه لم يعد يسمع
 لبيربوينت أي تعليق حول الصراع العربي
 الإسرائيلي .

أما لائحة « المعادين لليهود » خارج أمريكا فهي
 تضم مؤسسات أو جمعيات مقرها بيروت مثل
 « جمعية الخامس من حزيران » و« الأمريكيون من
 أجل العدالة في الشرق الأوسط » و« لجنة السيدات
 العربيات للاعلام » و« مؤسسة الدراسات
 الفلسطينية » و« مركز الأبحاث الفلسطينية » .
 ومن الصحف والمراسلين يشير الكتاب إلى صحيفة
 الماتشمستر غارديان البريطانية ومراسلها في الشرق
 الأوسط (داغيد هيرست) و (بيتر جينكينز) مراسل
 الصحيفة في واشنطن ، ومايك ادامسز المراسل
 السابق لصحيفة الغارديان ورئيس مجلس دعم
 التفاهم العربي - البريطاني ، وأخيراً وليس آخراً
 صحيفة « الكريستيان ساينس مونيتور » الأمريكية .

بعد ذلك يخصص الكاتبان فصلاً للحديث عن
 اليسار القديم واليسار الجديد أو اليسار
 الراديكالي كما يوصف في مواقع مختلفة . يعتقد
 الكاتبان بأن اليسار الأمريكي الذي ظهر في
 الستينات كحركة قوية أصبح الآن ظاهرة شبه
 ميتة ، إلا أن تأثيره على مظاهر الحياة الأمريكية
 استمرت قوية بأفكارها وقيمتها الجديدة . أن اليسار
 الجديد هو « جيل الخاضر الجاهل وغير المهتم
 بمشاكل اليهود من حيث أنه يركز اهتمامه على
 مشاكل العنصرية والفقر والحرب ولكنه لا يهتم
 بمشاكل اللامسامة والعداء لليهود الذين يشكلون
 ضحايا هذا العداء » . ويعني الكاتبان على الكثير
 من اليهود الذين غشوا في النظر إلى اليسار
 الراديكالي كحركة ذات خطر .

أن خوف هذا الكتاب من اليسار يتجلى في اثر
 هذه الحركة على جيل بأكمله من طلاب الجامعات
 في أمريكا وخارجها الذين بدأوا يحصلون على وظائف

والسلام في الشرق الأوسط : تحليل نقدي لتقرير
 الكويكرز « نشر في عام ١٩٧١ » .

ويضي الكتاب لتخصيص فصل عن « العرب
 والمالون للعرب » داخل الولايات المتحدة وخارجها .
 وكانت السنوات التي تلت حرب ١٩٦٧ قد شهدت
 تطوراً ملحوظاً في النشاط العربي الاعلامي داخل
 الولايات المتحدة كما ونوعاً . وأن كان هذا النشاط
 مقصوراً إلى درجة كبيرة على الفئات المثقفة
 والطلاب . فمثلاً في سنة ١٩٦٨ اسمت جمعية
 الخريجين العرب الأمريكيين التي قامت على أساس
 تنظيم المثقفين العرب في أمريكا لتسهيل الاتصال
 بينهم وتوثيق الصلات الثقافية بين الشعب الأمريكي
 والعالم العربي . وللجمعية نشاط اعلامي داخل
 أمريكا حيث أنها تعقد مؤتمراً سنوياً يبحث بالمشاكل
 العربية - الأمريكية وتصدر كتباً ونشرات حول
 مواضيع مختلفة متعلقة بالعالم العربي بشكل عام
 وبالصراع العربي - الإسرائيلي بشكل خاص . ومع
 أنه لم يفض على تأسيس الجمعية سوى سنوات
 قليلة فقد أصبحت قوة فاعلة تؤرق الأوساط
 الصهيونية . فنجد أن الكتاب يصنفها بأنها مصدر
 أكبر للقلق من غيرها . ثم يتحول الكاتبان إلى
 الطلاب العرب في أمريكا الذين هم عبارة عن
 « جيش تهيئهم حكوماتهم وتمولهم وترسلهم إلى
 الولايات المتحدة لنشر الدعاية العربية » . وتضم
 لائحة « المعادين لليهود » كذلك اشخاصاً آخرين
 كـ محمد تقي مهدي السكرتير العام للجنة العلاقات
 العربية - الأمريكية ومحرر جريدة عمل . وكان
 مهدي قد تعرض مؤخراً لرايع اعتداء من قبل عناصر
 صهيونية في نيويورك حيث أحرقت مكاتب صحيفته
 واعتدي عليه شخصياً مما أدى إلى بقاءه في
 المستشفى أسابيع عديدة . وكان من جراء هذا
 الاعتداء أن توقفت صحيفته عن الصدور بعد أن
 تكبد خسائر تقدر بمئة وخمسين ألف دولار .

تتضمن اللائحة بالإضافة إلى العناصر العربية
 أشخاصاً آخرين من كتاب وصحفيين (كالفرد
 ليلينتال) الكاتب اليهودي المعروف ، ونورمان
 داسي رئيس لجنة فلسطين الأمريكية ، وروبرت
 بيربوينت مراسل شبكة التلفزيون سي.بي.اس. في
 واشنطن . وكان بيربوينت قد تجرأ وعلق حول
 عملية ميونخ وما تلاها من غارات إسرائيلية على
 مخيمات الفلسطينيين في لبنان قائلاً « بأن الحكومة

باللاسامي ، والذي يظهر جليا بمحاولاته الدائمة لتزويد اعداء اسرائيل بالاسلحة الثقيلة بينما يصب الاقتراءات على اسرائيل في الامم المتحدة .

ثم يتعرض الكتاب بالنقد لمواقف وزارة الخارجية الامريكية والفاثيكان الذين يؤيدون « تدويل القدس » بغض النظر عن معنى القدس « المدينة اليهودية التاريخية » لليهود الذين « شككوا اغلبية سكانها لغرة تزيد عن قرن من الزمن » .

ان هذه المناقشات في نظرنا استهزاء فاضح بالتقراء المعادي لان الكتاب يرفض ان يجيب على أبسط انواع الاسئلة لكثير الناس سداجة وهو لماذا حدث هذا التحول في السياسة الخارجية الفرنسية وسياسة الاتحاد السوفياتي . أن تتم فرنسا باللاسامية لانها انتقدت موقف اسرائيل العدواني بعد تحذير مستمر من محاولة بدء حرب حزيران ١٩٦٧ انما هو تعبير عن ضيق أفق وعقدة ترجسية تعمي الكتائب عن رؤية حقيقة ان اسرائيل خرقت كل القوانين العالمية بطرد شعبه بأكمله من أرضه واحتلال رقعة تزيد على ثلاثة اضعاف المساحة الاصيلة المحتلة من فلسطين الام وأعمالها العدوانية المستمرة بعد حرب ١٩٦٧ ممثلة بأبشع صورها بتدمير مئات المنازل وعشرات القرى ومفك الدماء البريئة لنساء واطفال بغارات قمعية دموية بربرية . لقد كان التحول الفرنسي نتيجة فطرسة اسرائيلية غذاها الانتصار الخادع على رمسال سيناء وفي حضاب الجولان وعلى امتداد الضفة الغربية .

أما تحول الاتحاد السوفياتي فكان نتيجة ازالة القناع عن وجه الحركة الصهيونية التي طالما تبجحت بالاشتراكية وبتطبيقاتها الفريدة من نوعها بانشاء المزارع التعاونية والجماعية . لقد ظهر واضحا للاتحاد السوفياتي خذية الكذب والادعاء الاشتراكي لطبيعة المجتمع العنصري الاسرائيلي القائم على اعبدة الحكمة الصهيونية عندما اصبح معروفا ان الأرض التي تطبق عليها الافكار الاشتراكية هي ارض اغتصبت بتأمر الغرب الامبريالي المدعوم بالقصر والقمع البربري الذي ادى الى طرد شعب فلسطين من أرضه ووطنه .

ان هذا الكتاب عبارة عن سرد « لحقائق » و« وثائق » شوهتها فصول الكتاب ضمن محاولات فاضحة مدعمة بتدرة بلاغية مذهلة «هدنها تحويل محتوى وتركيب الحقيقة لتخدم هدف الصهيونية

في مجالات مختلفة تؤثر على الرأي العام مثل الخدمات الحكومية واجهزة الاعلام والتدريس ووظائف في مجالات الفن والادب والاقتصاد وغيرها من مجالات الحياة المختلفة .

يدعي الكتائب بأن اللاسامية يمكن ان تظهر بأشكال مختلفة وهي بالتالي لا تشير حرفيا وبشكل دائم الى تعريف معين . فعلى سبيل المثال ، بالرغم من ان منظمات اليسار الراديكالي واعمال دعائية لدعم سياسات ذات اذى مباشر لليهود والتي يمكن ان تقود في النهاية الى خطر يهدد كيتونة اليهود . والكتاب يميز بين نوعين من اليسار : اليسار الليبرالي الذي نما على تاييد الحركات المناهضة للاسامية . مثال لهذا اليسار الحركات الديمقراطية الاجتماعية في أوروبا وامريكا كحركة الاشتراكيين العالميين بقيادة فيلي برانت في أوروبا والديمقراطيين الاجتماعيين في أمريكا بقيادة (يوجين ديبس ونورمان توماس) وهي جميعها تؤيد اسرائيل . اما النوع الاخر من اليسار فيتكون من المنظمات المتهمه ببعادتها لاسرائيل وهذه تتضمن الحزب الشيوعي ومنظمات الشباب التابعة له ، حزب العمال الاشتراكيين ، والتحالف الاشتراكي للشباب ، حزب العمال العالمي ، منظمة الشباب ضد الفاشية والحرب ، حزب العمل التقدمي ، جامعة العمال ، وجامعة سبوتاكوس . ان هذه المنظمات تظهر عداها لليهود كسلاح في صراعها السياسي . ان مثل هذه المنظمات تنظر الى اليهود كعقبة في سبيل اهدافهم الثورية وكجزء من المؤسسة الراسمالية الامريكية .

وينتقل الكتاب للحديث عن اللاسامية على الصعيد الرسمي العالمي فهو مثلا يشير الى الموقف الفرنسي المتسم بتأييده للعرب حيث يظهر ذلك جليا بما تقوم به فرنسا من مد الدول العربية بالاسلحة في الوقت الذي ترفض فيه تزويد اسرائيل بما تحتاجه من اسلحة بالرغم من الاتفاقيات الموقعة من قبل الجانبين الاسرائيلي والفرنسي . ويحاول الكتاب أن يثر النزاع في نفس القارئ حيث يؤكد أن مثل هذه الاسلحة تعطى الى دول عربية تنقسم بعنادها الشديد لاسرائيل (كليبيا مثلا) والتي يمكن ان تحول هذه الاسلحة الى دول المواجهة العربية . ثم يعرض الكتاب مثالا آخر وهو موقف الاتحاد السوفياتي المعادي لاسرائيل ، وبالتالي يمكن وصفه

الدعائي تحت دخان « اللاسامية » بدون أي اعتبار لاية قيمة علمية او ادبية . وبالرغم من أن الكتاب صادر عن منظمة تدعي محاربة التشهير فإن ما جاء في فصوله عبارة عن محاولات تشهير واغتيال الشخصية لكل انسان موضوعي ونزيه سواء كان امريكيا او يهوديا . ان الكاتبين يبتعدان عن كل الحقيقة حين يقرنون انتقاد اسرائيل باللاسامية وهما بالتالي لا يفرقان بين المفهوم الرئيسي لفكرة اللاسامية القائمة على كره اليهود فقط لكونهم يهودا وبين المحاولات الهادفة والبناءة من قبل مفكرين ومثقفين لانتقاد وادانة الاعمال العدوانية الاسرائيلية القائمة على التوسع والعنصرية . ان مثل هذه الاتهامات تضع الكاتبين أمام مأزق النقد الموجه من مفكرين اسرائيليين ويهود لطبيعة السياسة التوسعية الاسرائيلية . فهل يمكن ان يكون اليهودي ذاته او الاسرائيلي لاساميا ؟

ان صفارات الانذار المحذرة من الخطر اللاسامي في فصول هذا الكتاب ما هي الا محاولات ذكية وبارعة لكبح جماح تبرد الضمير الامريكي ضد الارهاب الصهيوني والاسرائيلي الذي ادى الى تدمير كينونة شعب باكمله واقتلعه من ارضه ووطنه بلا رادع من مبدأ أخلاقي او تائب ضمير . ان هذه الصفارات ربما تفلح في اسكات البعض الا ان جلاء الحقيقة ومعرفة الواقع ستقود الكثيرين من الامريكيين الى قول كلمة الحق تجاه الشعب الفلسطيني . وكما يقول صاحب رسالة نشرت حديثا في صحيفة الكريستيان ساينس مونيتور « انه على الرغم من انني انسان ناضج وراشد ، فانه اذا اغتصب شخص بيتي فأنني سأتحول الى « ارهابي » وسيكون بالفعل غريبا اذا لم اتحول » .

عبدالإله أبو عيائش
جورج جفمان

يخرج الكاتبان من هذا المأزق بوصف هذه الجماعات الاسرائيلية واليهودية بأنها مصابة « بعقدة كره الذات » . فاذن ، حتى أولئك الذين لبوا نداء ضباطهم من اليهود والاسرائيليين هم في نظر الكاتبين لاساميون . وهنا يبرز تضبط الكاتبين بمحاولات غامضة لطمس الحقائق وتغيير المفاهيم لخداع القارئ الامريكي ولافزاع جهرة اليهود الامريكيين باطلاق صفارات الانذار ضد « الموجات الجديدة » من « اللاسامية » التي طالما استخدمتها

د. علي محافظة ، تاريخ الاردن المعاصر ، عهد الامارة (١٩٢١-١٩٤٦) (نشر بمساعدة الجامعة الاردنية ، عمان ١٩٧٣)

الاجهزة الرجعية الهاشمية في الاردن ، كجزء من عملية الصياغة الجديدة للبيثاقوجية الاردنية . مثلما أعطتها الاقلام الوطنية الاردنية اهتمامها ، لكونها عملية أساسية لفهم قوانين الحركة التاريخية واتجاهاتها ، ومن أجل فعل ثوري فيها ومن أجل التغيير ومن أجل صنع مستقبل أفضل .

وعلى الرغم من التعاكس الظاهر بين طبيعة المهتمين ، فان العديد من المساهمات الرجعية والتي بتطوي عن رغبة في التزوير وخلق الاوهام ، تتضمن — رغم كل ما فيها — مادة صالحة للعملية الثانية وهي عملية الكتابة التاريخية من منظور ثوري . ومن ادراك هذه الحقيقة ينبغي ان ننظر الى سلسلة الكتب التي ظهرت عن التاريخ الاردني كمواد قابلة للاستشفاق والاستفادة ، والامر كذلك مع كتاب علي محافظة الذي نحن بصدده .

يتكون الكتاب من مدخل وأربعة أبواب وخمسة ملاحق . أما المدخل فهو يقتصر على بضع صفحات عن الوضع الاقتصادي والاجتماعي والسياسي في الاردن ابان العهد العثماني ، ووضع الاردن السياسي والاداري فيفترة الحكم الفيصلي القصيرة، وبضع صفحات أقل عن السياسة البريطانية ومطالب الزعامات المحلية في فترة الحكومات المحلية (ايلول ١٩٢٠ — نيسان ١٩٢١) . وفي الباب الاول من الكتاب ، وهو عن فترة تأسيس الامارة الاردنية (١٩٢١ — ١٩٢٨) ، يتحدث محافظة عن قدوم الامر عبدالله الى شرقي الاردن ، انشاء الادارة المركزية ، الانتداب البريطاني ، المناوصات مع بريطانيا ، الادارة والوضع المالي ، الجيش ، الوضع الداخلي ، العلاقات الخارجية ، والمعاهدة الاردنية — البريطانية لعام ١٩٢٨ . ويمكن القول ان المدخل والباب الاول من الكتاب ، لا يضيفان أي جديد بصدد الفترة التي ينصرفان لعرضها . انها أشبه بملخص سريع لما ورد تفصيلا في كتاب منيب الماضي وسليمان موسى « تاريخ الاردن في القرن العشرين » (عمان ، ١٩٥٩) ، كما لا يتضمنان اضافات أساسية ، ويفتقران الى رؤية وتمحيص تاريخي جديد . أما التفسيرات والاجتهادات التحليلية للاحداث فهي على قلتها غلبت عليها

على اثر الهجمة الرجعية الهاشمية على الشعب والمقاومة الفلسطينية عامي ١٩٧٠ و١٩٧١ ، أحاطت السلطة في الاردن انتصارها الدموي غير المشرف بمظاهر الاحتفال والاشادة الدعاوية المضادة للثورة ، والمعابة بروح العداء الاتليمي وتمجيد النزاعات الانعزالية الضيقة ، واستشارة عداء داخلي تجاه المحيط العربي ، اتخذ لبوس العزة والنخوة الوطنية .

لقد اقترن الصراع آنذاك بطابع الانقسام الاتليمي ، بين الفلسطينيين والاردنيين ، وكان دور الرجعية الاردنية العمل على تغذية واستثارة التفاف قسري من الجماهير الاردنية حول السلطة الهاشمية ، يقابل الالتفاف الوطني حول المقاومة الفلسطينية ومؤسساتها . ولكي يكون مثل هذا الالتفاف القسري والمفتعل منطوقا مقبولا ، كان لا بد من جهة من اظهار النهوض الوطني الفلسطيني كمصدر خطر على الاردنيين ، وكان لا بد من جهة اخرى من اعادة الاعتبار الى السلطة الهاشمية ، ومؤسساتها كتجسيد دناعي مشروع للاردنيين . وفي دنع السلطة الهاشمية لهذا الانقسام نحو نهاياته ، كان لا بد من تسليط الضوء على الاخطاء في المعسكر المقابل لاطهار الخطر الفلسطيني ، خطرا حقيقيا ، وكان لا بد من خلق ميثاقية مؤثرة ، تجعل من الدولة الاردنية ومن مؤسساتها مؤسسات مقبولة شعبيا ، كتعبير وتجسيد سياسي للوطنية الاردنية .

من ضمن العمليات التي تحاول تعزيز الميثاقية الاردنية الجديدة ، العودة الى التاريخ الاردني كتأريخ للدولة ومؤسساتها . كانت ذكرى مرور نصف قرن على تأسيس الامارة الهاشمية ، مناسبة لجعل ذكرى تأسيس الدولة مظاهرة احتفالية لوحدة وطنية مزعومة . وهكذا خرجت سلسلة الكتب الرسمية ، مثل « تأسيس الامارة الاردنية » ، « الاردن في خمسين عاما » ، « ثقافتنا في خمسين عاما » ، « ألوان من القصة الاردنية » ، « ألوان من الشعر الاردني » ... وعشرات الكتب والمنشورات الاخرى .

العودة الى تاريخ الاردن ، مهمة تثبتت اليها

العمومية والتسرع .

ان القسم المكرس لعرض التوضيح الاردني الداخلي ، في فترة اتسمت بالانتفاض والعصيان في البلاد ، قد عرضت بشكل مشوه ومبالغة للسلطة . كما هو الحال في عرض وتفسير عصيان الكورة ، انتفاضة المدوان وغيرها . اما عن مناقشات عبدالله - تشرشل ، فهي تخفي الاساس الحقيقي للاتفاق بينهما . فهو يكتفي بالرواية الرسمية الاردنية، ولا يعود الى الوثائق البريطانية المنشورة في هذا الصدد .

أما الباب الثاني وهو عن الفترة بين ١٩٢٨ - ١٩٤٦ ، والتي يسميها الكاتب دون وجه حق « عهد المؤسسات الدستورية » ، فقد انصرف الى عرض الفترة ضمن العناوين التالية : القانون الاساسي (الدستور) والمؤسسات الجديدة، الحياة النيابية، النضال السياسي وتشكيل الاحزاب ، الادارة والنوع المالي ، الجيش ، العلاقات الخارجية . ان هذا الباب دون شك هو أفضل بكثير من الباب السابق ، وان اتسم منهجيا بنفس العيوب . وجه الفضل فيه بضعة الاضافات والتقصيات التاريخية التي لم تشملها الكتب التاريخية الاخرى عن الاردن . ففي هذا الباب بضعة اقتباسات من النقاش في المجلس التشريعي ذات السدالة السياسية ، تعداد القوانين المعطلة للحريسات والحقوق المدنية ، مثل قانون الاجتماعات العامة ، قانون الدفاع عن شرطي الاردن ، قانون العقوبات المشتركة ، قانون النفي والابعاد . . . ، وفي مجال عرضه للنضال السياسي والحزبي ، ثمة اشارات معينة الى ظاهرة نشوء النوادي الاجتماعية ذات الاهداف السياسية ، ثم قانون الجمعيات المعيق لحريات التنظيم ، ونبذ عن أشكال النضال الوطني السياسي والعسكري وأشكال المعارضة .

هناك نبذ اخرى مفيدة وذات دلالة سياسية بالغة ، ففي القسم المتعلق بالادارة خلال فترة الامارة (١٩٢١-١٩٤٦) نتعرف على عدد الوزراء الذين عملوا في الاردن خلال ثماني عشرة حكومة خلال هذه الفترة (٣١ وزيرا من البلدان العربية مقابل ١٧ وزيرا اردنيا ، ثمانية أشخاص تولوا رئاسة الحكومة في الاردن في نفس الفترة غالبيتهم فلسطينيون وسوريون وواحد منهم سعودي وآخر

لبناني ولا واحد منهم اردني !) . وكذا الحال مع الموظفين في الاردن . المعطيات المفيدة في الباب الثاني ايضا ، احتكار بضع عشرات التمثيل النيابي في المجالس التشريعية (١٥ أسرة او عشرة كانت ممثلة بنسبة ٥ الى ٨ من أعضاء المجالس التشريعية الخمسة منذ ١٩٢٨ وحتى ١٩٤٦ م) . ان الكاتب يناقش نفسه عندما يسمي الفترة ١٩٤٦/٢٨ بمعهد المؤسسات الدستورية ، فهو يقول « كان المجلس التشريعي طوال عهد الامارة على هامش الاحداث الكبرى التي مرت بالبلاد . . . » (ص ٧٣) .

أما فيما عدا ذلك ، فغالبية أقسام الباب تكرر ما سبق ان عولج في كتب ومصادر اخرى لا تتضمن اسهامات جديدة .

الباب الثالث : وهو عن « الحياة الاقتصادية والاجتماعية في عهد الامارة » ، يحاول الكاتب القاء الضوء على اوضاع الزراعة ، التجارة، الصناعة، الامتيازات الاقتصادية الاجنبية ، الضرائب ، الحياة الاجتماعية ، ومن المؤسف ان يكون مثل هذا الموضوع البكر معالجا على هذا النحو من الضعف المنهجي وبالأخص ان يكون بهذا الفقر في المعلومات، رغم توفر مصادرها العربية والاجنبية للدارس .

وقد نعذر للمؤلف ما نعتبره قصورا في اوليات البحث المنهجية في الاقتصاد والاجتماع ، لكن ان يكون هذا الفصل فقرا الى هذا الحد ، ويعتمد على مصادر ثانوية في البحث فهذا ما لا يمكن تسويغه. ففي الزراعة اقتصر الكاتب على العمومية الوصفية ، وعلى الارقام المتوفرة في الصحف آنذاك عن قروض المزارعين ، وعلى الاجراءات الادارية ، وعلى بعض التشريعات وعلى سرد بعض الاحداث.

أما تجارة شرقي الاردن، فقد قدمت بصددها بعض الجداول الجزئية والغاصرة عن اعطاء صورة وافية عن التجارة مع كافة البلدان ، وهناك اشارات الى بعض الاتفاقيات التجارية . عوضا من اطلاق تعميمات يعسدة عن الدقة وغير محصنة . وبصدد الصناعة اكتفى المؤلف بإيراد ما يعنيه قانون « رخص الصناعات والمهن العام » (١٩٢٤) دون أي معلومات أخرى ، وتحدث عن اكتشاف مادة الفوسفات في بضعة مسطور لا تكاد تنفيذ شيئا . أما عن الامتيازات الاقتصادية الاجنبية ، فقد اعاد المؤلف نشر ما

ان هذا الباب يعد مع الباب الثاني من أفضل ما في الكتاب من حيث كثافة المعلومات والتطورات التي يرصدها .

أما الملاحق فهي تشمل : نص صك الانتداب البريطاني على فلسطين ، المعاهدة الاردنية - البريطانية لعام ١٩٢٨ ، القانون الاساسي لشرق الاردن ، قائمة باعضاء المجالس التشريعية ثم اخيرا قائمة باسماء الوزراء ورؤساء الوزارات الاردنية . ان الملحقين الاخيرين يعطيان صورة عن أسر الاعضاء الذين تعاقبوا على المجالس التشريعية ، وعن طبيعة تركيب الحكومات الاردنية . ويفيدان من يدرس الحياة السياسية في البلاد خلال فترة ١٩٢١ - ١٩٤٧ .

ان كتاب علي محافظة ، ان من حيث مظهره ورؤيته للتاريخ ، ومن حيث نهجه لا يذهب كثيرا أبعد مما مثل كتاب « تاريخ الاردن في القرن العشرين » ، فهو أقرب الى التأريخ الرسمي ، والى السرد . والى اتخاذ مواقف تبريرية تستخدم سياسة السلطة ونهجها ، الا انه فيما عدا الابواب المشار اليها ، لا ينطوي عن اضافة جديدة على الكتب التي سبقته . وقد يكون هذا الكتاب بعبويه المنهجية ، وتصوره عن احاطة الموضوع بشمول ، موضع استغراب من مدرس في جامعة حديثة ، كالجامعة الاردنية ، وقد يكون نشر الكتاب بمساعدة من الجامعة ، ايضا موضع ذات الدهشة والاستغراب . لكن الكتاب ليس - من وجهة نظري - أكثر من مظهر لحالة موضوعية قائمة في ميادين البحث والدراسة في الاردن .

هاني حوراني

سبق ان اوردته بهذا الصدد في كتاب سابق له هو « العلاقات الاردنية - البريطانية » (بيروت ١٩٧٣) ، دونما تغيير يذكر او اضافية . أما عن الضرائب ، فقد سرد أنواع الضرائب في البلاد وطرح محطيات لا تفي القارئ بصورة واضحة عن دخل الدولة من الضرائب المحلية .

فيما يتعلق بالحياة الاجتماعية ، يورد نيد قصيرة عن « الفئات الاجتماعية » في البلاد من حيث أنماط معيشتهم ، وهم الفلاحون ، وسكان المدن والبدو . وينطبق على هذا القسم ما سبق قوله عن الانتماء الأخرى (نهجا ومعلومات) ، يقول مثلا في مطلع هذا القسم ان الفلاحين يشكلون ما يزيد عن ٧٨٥٪ من مجموع السكان . لا يقول لنا متى شكلوا هذه النسبة ؟ ولا طبعا لأي تقدير او مصدر . ولا حاجة للقول ان تقديره بعيد جدا عن الحقيقة ، لا في بداية المرحلة (١٩٢١) ولا في نهايتها (١٩٤٦) . وحتى لا نظلم الكاتب ، نقر ان هذا القسم تضمن بعض المعطيات والملاحظات التي يمكن اعتبارها جديدة للقارئ العادي ، لكنها دون ما هو متاح للمؤلف في المصادر المنشورة وفي الوثائق الرسمية وغيرها والتي كانت ستعطي كتابه قيمته كمؤلف تاريخي حديث .

ان الباب الرابع والاخر من الكتاب يلاحق اوجه تطور « التعليم في عهد الامارة » ، ويشتمل على مدخل عام عن انشاء اول مجع علمي في البلاد وأعدائه والتشريعات التربوية والتعليمية وتقسيم المعارف اداريا وأنواع المدارس . ثم يستعرض نمو التعليم في المدارس الاميرية ، المدارس الخاصة والطائفية ، المهنية ، ونبذة عن البعثات التعليمية.

حرب أكتوبر — دراسات في الجوانب الاجتماعية والسياسية — (المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية بالقاهرة ومركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالاهرام ، ١٩٧٤)

النظرية السوسولوجية للتفليس في المجال
العسكري .

وفي القسم الثاني قامت الدكتورة هدى مجاهد
بعرض كتاب الدكتور اسعد رزوق « في المجتمع
الاسرائيلي » ، وقامت الزميلة نادية سالم بعرض
كتاب الاستاذ حاتم صادق « نظرة على الخطر »
وقام الاستاذ عصام المليجي بعرض كتاب دكتور
اسماعيل صبري عبدالله « في مواجهة اسرائيل » ،
وقام الزميل مصطفى كمال بعرض كتاب جالينا
نيكيتينا عن « دولة اسرائيل » وقام الاستاذ عمر
سيد الامل بعرض كتاب الزميل عثمان محمد عثمان
عن « نمو الاقتصاد الاسرائيلي » ، وقامت الاستاذة
نجوى الفوال بعرض كتاب محمد العويني عن
« سياسة اسرائيل الخارجية في افريقيا » ، وقام
الاستاذ السيد يسين بعرض كتاب رونائيل بناي
عن « العقل العربي » ، وقام الاستاذ عاطف فؤاد
بعرض كتاب اديب ديمتري عن « الماركسية والدولة
الصهيونية » ، وقامت الاستاذة منى انيس بعرض
كتاب غسان كنفاني « في الادب الصهيوني » ، وقام
الاستاذ محمد هويدي بعرض كتاب اميرة حبيبي عن
« النزوح الثاني » ، وقام الاستاذ سيد عبد العال
بعرض كتاب الدكتور قدرى حفني عن « تجسيد
الوهم » . وفي النهاية أهدى الاستاذ السيد يسين
قائمة بمراجع أساسية عن المجتمع الاسرائيلي .

وهذه بعض الملاحظات بشكل موجز :

١ — هناك ملاحظة عامة وهي ان بعض
الدراسات كتبها غير متخصصين واذا جاز ذلك في
المجلات غير المتخصصة او الصحف او غيرها فمن
الصعوبة قبول ذلك في الدراسات المتخصصة .
فلا يتصور ان استاذاً في الادب يستطيع ان يقوم
بالتحليل السياسي بمثل كفاءة استاذ في العلوم
السياسية له دراية بمثل هذا التخصص ، ولا
يتصور ان استاذاً في الادب يستطيع ان يقوم
بالتحليل لوقائع تاريخية بمثل كفاءة استاذ في
التاريخ له دراية بمثل هذا التخصص ، والعكس
بالعكس ، بمعنى وضع الباحث المناسب لكي يكتب
في تخصصه المناسب . لا سيما ان هناك من

بدأ الكتاب بداية تشبه ما تذهب اليه بعض
الدوريات ، وذلك بالقول ان ما جاء بالدراسات
والعروض النقدية يعبر عن آراء كتابها ، ولا يحل
بالضرورة وجهة نظر اي من المركزين . وأعقب ذلك
كلمة لاستاذنا الدكتور عبد الملك عودة الذي سفل
مؤخرا منصب مدير مركز الدراسات السياسية
والاستراتيجية بالاهرام . وينقسم الكتاب الى
قسمين الاول عن مخفيات الصراع العربي
الاسرائيلي في ضوء حرب أكتوبر والثاني عن
عروض نقدية لمراجع أساسية ، ويقع القسم الاول
في ١٤٦ صفحة ، ويقع القسم الثاني في ٥٩ صفحة ،
بالاضافة الى ذكر بعض المراجع الاساسية من
المجتمع الاسرائيلي في حوالي خمس صفحات ثم بيان
بمحتويات الكتاب ، اي يقع الكتاب في ٢١٣ صفحة .
وهكذا تنحصر مساهمة المركز القومي للبحوث
الاجتماعية والجنائية بالاشتراك مع مركز الدراسات
السياسية والاستراتيجية من حيث الدراسات في
١٤٦ صفحة .

وبدأت الدراسات بدراسة الدكتور احمد خليفة
عن ٦ أكتوبر وممارسة العلم الاجتماعي ، ودراسة
الدكتور عبدالعزيز الاهواني عن القومية العربية في
حرب أكتوبر : نظرة نحو المستقبل العربي ،
ودراسة الاستاذ جميل مطر عن صنع قرار ٦
أكتوبر ، ودراسة الاستاذ خيري عزيز عن الحرب
الرابطة والموافق بين الدولتين الاعظم ، ودراسة
الدكتور عبد الوهاب المسوي عن الصهيونية
والوعي الزائف ، ودراسة الدكتور علي الدين هلال
عن حرب أكتوبر وديناميات الصراع السياسي في
اسرائيل ، ودراسة الاستاذ فيصل عبد النعم عن
نظرية الامن الاسرائيلي بعد حرب أكتوبر ، ودراسة
الاستاذ السيد يسين عن صورة الشخصية العربية
لدى الاسرائيليين ، عوامل النشأة وظروف التغير
في ضوء حرب أكتوبر ، ودراسة الدكتور قدرى
حفني عن تأملات سيكولوجية حول حرب أكتوبر ،
ودراسة الدكتور ابراهيم البحراوي عن الحرب
الرابطة وميكانيزم استجابة الشارع الاسرائيلي ،
ودراسة الدكتور علي عبد الرازق جلبي عن تطبيقات

ما معناه ان يخطط لمستقبل المارك مع العدو « حتى يلفظ آخر انفسه » في ص ١٥ .

٧ - يلاحظ على دراسة « القومية العربية في حرب أكتوبر - نظرة نحو المستقبل العربي » انها تستعمل ألفاظا معينة مثل « ان الوهم حين يطول زمنه يصبح بالنسبة لصاحبه حقيقة » او « الصهيونية البغيضة » او « الاستقلال من مخالب الاستعمار » ، وكل ما جاء في الدراسة هو سرد تاريخي ولا نجد نظرة واضحة للمستقبل .

٨ - يلاحظ على دراسة صنع قرار ٦ أكتوبر انها من افضل الموضوعات السياسية المعروضة من حيث الطريقة العلمية في الكتابة ومع ذلك يبدو ان الموضوع اعد في عجلة كما لا توجد قائمة بالمراجع .

٩ - يلاحظ على دراسة الحرب الرابعة والوفاق بين الدولتين الاعظم انها ليست دراسة بالمعنى الحقيقي لهذه الكلمة ، فالدراسة تفترض الموضوعية وعرض وجهات النظر المختلفة ، ثم تفضيل الباحث لوجهة نظر دون اخرى اذا اراد ذلك مع تقديم المبررات ، اما هنا فاننا نجد تحيزا للاتحاد السوفيتي ومهاجمة للولايات المتحدة ، ويقول الكاتب مثلا في ص ٤ ان موقف الاتحاد السوفيتي على الدوام مؤيد للحقوق العربية في كل محفل دولي ويؤكد ذلك سجل التصويت السوفيتي في الامم المتحدة دون تحليل علمي للوقائع والمصالح ومع عدم الاخذ في الاعتبار موقف الاتحاد السوفيتي ١٩٤٧ ، ١٩٤٨ في اطار المصلحة والرؤية ، وتطور الموقف في اطار متغيرات السياسة الخارجية ثم يتحدث عن تأييد الاتحاد السوفيتي قبل وبعد اجتماع موسكو بين نيكسون وبريجنيف في مايو ١٩٧٢ متناسيا ما تم الاتفاق عليه بشأن الاسترخاء العسكري ، وعندما تحدثت تحت عنوان « نزاع الدولتين الاعظم يبلغ افراق المواجهة المسلحة » في ص ٤٠ وما بعدها وضع الجزء الايجابي ونحن نوافق عليه كدارسين ونقدته كعرب لكنه لم يتعرض للجانب الاخر الخاص بالموقف السوفيتي من السعي لوقف اطلاق النار منذ الساعات الاولى للقتال ورفض مصر ذلك حيث لم يكن قد تم بعد اي تقدم عسكري واضح ، وعدم ارسال اسلحة لمصر منذ وقف اطلاق النار ، وقد ذكرت ذلك القيادات المصرية .

يستطيع ان يكتب بجدارة في مثل هذه الموضوعات .

٢ - هناك ثلاث دراسات جديدة بالذكر وهي دراسة الاستاذ مطر عن صنع قرار ٦ أكتوبر ، ودراسة الدكتور هلال عن حرب أكتوبر وديناميات الصراع السياسي في اسرائيل ، ودراسة الاستاذ السيد يسين عن صورة الشخصية العربية لدى الاسرائيليين .

٣ - هناك بعض الموضوعات التي لا تتماشى مع العنوان بشكل كبير ، فالدراسة وفقا للعنوان تاصرة على الجوانب الاجتماعية والسياسية ، فمثلا يلاحظ ان دراسة الاستاذ فيصل عبد المنعم اكثر ميلا نحو الجانب العسكري ، كما انه من البديهي ان عرض كتاب « نمو الاقتصاد الاسرائيلي » يتعلق بالجانب الاقتصادي اساسا ، كما ان كتاب « في الادب الصهيوني » يتعلق بالجانب الادبي ، لذلك يقترح تغيير عنوان الكتاب ليتماشى مع المضمون لو قدر له ان يطبع مرة ثانية .

٤ - هناك بعض الموضوعات لا تتعلق بحرب أكتوبر مثل دراسة تطبيقات النظرية السوسولوجية للتنظيم في المجال العسكري ، كما ان هناك موضوعات لا تركز كثيرا على حرب أكتوبر مثل الصهيونية والوهمي الزائف ، والقومية العربية في حرب أكتوبر .

٥ - هناك موضوعات كانت أكثر الحاحا ولم يتم بحثها ونرجو ان تكون هناك كتابات علمية في هذا الصدد مثل السلوك الدولي للقوى الكبرى تجاه الحرب العربية الاسرائيلية الرابعة ، وموقف التكتلات السياسية ، والسلوك الافريقي تجاه هذه الحرب ، مع الاخذ في الاعتبار الرؤية المستقبلية ودور الدعاية في الحرب باعتبارها من الجوانب السياسية ومحصلات القوى العربية قبل وخلال وبعد الحرب ، وما يمكن عمله لزيادة قوتها بشكل مستمر .

٦ - يلاحظ ان الجانب الاجتماعي في الكتاب أكثر وضوحا ، اما الجانب السياسي فأقل ، حيث ان هناك موضوعات سياسية عولجت بشكل متسرع مع عدم الاعتماد على المراجع ، او عولجت من زاوية ايدولوجية ، والكتابة في اطار الانطباعات وللجوء الى الاسلوب الادبي والالفاظ الانشائية الرنانة ، وهناك بعض الالفاظ قد يساء فهمها مثل

١٣ - يلاحظ على دراسة صورة الشخصية العربية لدى الاسرائيليين انها عولجت بشكل علمي وهي من افضل الموضوعات المعروضة .

١٤ - يلاحظ على دراسة تأملات سيكولوجية حول دلائل حرب أكتوبر انها تتسم في كثير من الحالات بالانطباعات ، وعدم وضوح المنهج وليس هناك تركيز كاف على حرب أكتوبر ، كما ان مراجعة في هذا الجزء المتعلق بحرب أكتوبر تتسم بالعمومية .

١٥ - تقول دراسة الحرب الرابعة وميكائيم استجابة الشارع الاسرائيلي بين البيجنية والبن جوربونية انه لم يعد أمرا مقبولا ان يظل الباحث الغربي في مجال الشؤون الصهيونية والاسرائيلية واقعا في اسار المنهج التجريدي . والكاتب متخصص في الادب العربي لا ندرى من اين جاء له هذا المنهج ؟ وهل المناهج الفاظ يمكن اختراعها ؟ وكان من الافضل ان تترجم الميكائيم الى العربية ، واذا كان الكاتب متخصصا في الادب العربي فنحن نلتبس له العذر ، فقد وضعت افكار في كثير من الاحيان على انها حقائق ، وهي في حقيقة الامر قابلة للجدل والنقاش والقبول والرفض ، ولو طلب من الكاتب ان يكتب موضوعا في اطار تخصصه لكان الامر مختلفا .

١٦ - نغيا يتعلق بالقسم الثاني الخاص بالعروض النقدية ، يلاحظ ان الحكم عليها يقتضي قراءة هذه الكتب ، وبالتالي سيكون رأينا من خلال ذلك ، ويلاحظ ان ذكر انه تم القيام بالعرض والتحليل لكل كتاب ، ولكن الواقع انه لا يوجد تحليل بمعنى هذه الكلمة وكل ما حدث هو مراجعات لهذه الكتب ونحن نؤيد الزميلة نادية سالم عندما عرضت لكتاب الاستاذ حاتم صادق عن « نظرة على الخطر » وقالت بضرورة الدراسة الموضوعية لاسرائيل ، كما نوافق على رأينا الخاص بجدية هذه الدراسة واهميتها .

ويستمد كتاب « في مواجهة اسرائيل » اهميته من شخصية المؤلف والمناصب الوزارية التي تولاها في مصر ، كما ان عرض الاستاذ المليجي له اتسم بتقديم النصائح للقارئ اكثر من التقويم .

واتسمت معالجة الزميل مصطفى كمال لكتاب « دولة اسرائيل » بالموضوعية عندما قال ان الكتاب

انني هنا اذكر ما قاله الاستاذ احمد بهاء الدين في بعض مقالاته عن بعض الكتاب الذين يكتبون في اطار ايديولوجي ويؤيدون الاتحاد السوفيتي على طول الخط ويعارضون انتقاده حتى ولو كان هذا الانتقاد له مبررات .

كما يذكرني ايضا ببعض الانتقادات التي وجهت في المكتب السياسي للحزب الشيوعي السوفيتي ضد السياسة السوفيتية في الشرق الاوسط وضرورة تدعيم الموقف العربي بشكل اكبر .

وفي اطار التحيز للموقف السوفيتي يقول الكاتب في ص ٤٥ ان الوفاق ليس تراجعا سوفيتيا وانما ادراك وتراجع امريكي ، ويفسول في ص ٤٧ ان ضغوطا اقتصادية دفعت الولايات المتحدة الى الوفاق ، وكان من الجدير بالذكر التعرض للضغوط الاقتصادية التي دفعت الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة معا نحو الوفاق .

وكان من الانسب ان يكون عنوان الموضوع « الوفاق بين الدولتين الاعظم - وجهة نظر سوفيتية » اما الحرب العربية الاسرائيلية الرابعة فليس هناك معالجة لها بشكل دقيق وحقيقي .

١٠ - يلاحظ على دراسة الصهيونية والوعسي الزائف ان العنوان يمكن الجدال فيه ، كما انه عند تعريف الايديولوجية ويصرف النظر عن رأينا في ذلك رأينا يتعرض للماركسية في هذا الصدد وما يتصل بذلك من البناء الفوقي ثم البناء الفوقي للنظام الرأسمالي . وفي ص ٥٦ يصف الكاتب الصهيونية بأنها بناء فوقي منسق هندسيا مع نفسه ، وهذا الاسلوب يذكرنا بكتابه عن نهاية التاريخ - مقدمة لدراسة بنية الفكر الصهيوني اي ان الكاتب متأثر بتخصصه يجب استخدام مثل هذه العبارات .

١١ - يلاحظ على دراسة حرب أكتوبر وديناميات الصراع السياسي في اسرائيل انها عولجت بشكل علمي ، وتعد من افضل الموضوعات السياسية في الكتاب .

١٢ - يلاحظ على دراسة نظرية الامن الاسرائيلي انها تركز على الجوانب العسكرية ، وتتسم بالوصف ، وهذا يذكرنا بالحراسة القيمة التي اعدها الدكتور ابراهيم شحاته عن نفس الموضوع تحت عنوان « الحدود الامنة والمعترف بها » .

لا يوافق على ذلك . وتزعم الكاتبة ان الايام اثبتت خطأ النتيجة التي خرج بها الباحث ، وتقول ان قطع كل الدول الإفريقية فيما عدا النظم العنصرية والمستعمرات لعلاقتها مع اسرائيل قبل وبعد حرب أكتوبر هو دليل قاطع على ان هذه الدول لم تعد ترى في اسرائيل نموذجاً للدولة النامية بقدر ما ترى فيها نموذجاً للاستعمار الجديد وهذا يعني ان اعتراض هذه الدول لم ينصب على الحصول على مكاسب من العدوان فقط وانما يتعدى ذلك الى حد التشكيك في الوجود الاسرائيلي ذاته ومدى احييته . . . » مما يوضح الازمة الحقيقية لمن يتصدون لمراجعة موضوعات ليس لديهم دراية بها حتى لا يوجد الملم بالاساسيات ، فكل الدول الإفريقية لم تقطع علاقاتها الدبلوماسية مع اسرائيل كما ان اقلية هذه الدول لم تشكك في الوجود الاسرائيلي ، ولو اطلعت الكاتبة على بيانات قطع هذه الدول لعلاقتها الدبلوماسية مع اسرائيل لعرفت اسباب ذلك القطع ولعرفت انها لا تشكك في الوجود الاسرائيلي . . وبالتالي تقتنع انها لم تكن صالحة للكتابة في مثل هذه الموضوعات ولسم تدرك الكاتبة بديهة يعرفها دارسو العلوم السياسية وهو ان التنبؤ يعتمد على الفروض القائمة واذ تغيرت الفروض تغير التنبؤ ، وفي هذه الحالة تغيرت بعض الفروض ودخلت متغيرات جديدة أدت الى ما حدث في افريقيا قبل وبعد حرب أكتوبر ، ورغم ذلك فان كتاب سياسة اسرائيل في افريقيا قال في ص ٣٦١ واذا حدث بعض التحول في الموقف الإفريقي فهو يقتصر على وضع اسرائيل بالنسبة للمكاسب الاقليمية التي حصلت عليها في حرب يونيو ١٩٦٧ ، وهذا ما حدث بالفعل اذ ان الدول الإفريقية غير العربية ما زالت تؤيد الوجود الاسرائيلي ، اما المتغيرات الجديدة فأوجدت عزلة سياسية لاسرائيل في افريقيا ، وكان على الكاتبة ان تأخذ في الاعتبار ان ما حدث هو قطع العلاقات الدبلوماسية وما زال هناك انواع اخرى من العلاقات السياسية بين اسرائيل و افريقيا يمكن الكاتبة ان تعرفها اذا رجعت للمنشورات التي تصدر في افريقيا او الدوريات المتخصصة بالاضافة الى ان النشاط الاقتصادي الاسرائيلي ما زال قائماً بالاضافة وان التأثير الصهيوني على كثير من اجزة الاعلام في افريقيا ما زال موجوداً . . . الخ .

يمثل وجهة النظر الماركسية السوفيتية الا ان التقييم كان مختصراً .

وفيما يتعلق بعرض كتاب سياسة اسرائيل الخارجية في افريقيا فقد اتسم بالتحيز وعدم الدقة فمثلاً تقول الكاتبة معبرة عن رأيها في ص ١٧٤ ان اسرائيل قامت بتأييد من الدول الغربية بزعماء الولايات المتحدة في مايو ١٩٤٨ متناسية ان دولاً اخرى ساهمت في هذا التأييد ، وتحدث الكاتبة عن رأي يقول ان العامل الاقتصادي ظل مؤثراً على سياسة اسرائيل مع افريقيا وغالباً على العوامل السياسية حتى بداية السبعينات ، حيث بدأ النفوذ الإفريقي يتبلور من خلال مشروع القرار السذي واغنت عليه الجمعية العامة ١٩٧١ « وهذا بدأ التحول في سياسة اسرائيل تجاه افريقيا . . . » أنظر ص ١٧٥ من كتاب حرب أكتوبر محل هذه المراجعة . وهذا يؤكد ان كاتبة المراجعة لم تقرأ كتاب سياسة اسرائيل الخارجية في افريقيا بدقة . ولو قرأت الكتاب لوضع لها الحجم الضئيل الذي تستحوذ عليه افريقيا في تجارتها الخارجية مع اسرائيل ، والقروض الضئيلة التي كانت تقدمها اسرائيل بالاضافة الى اتفاقيات التمازج الفني والمشروعات الاقتصادية . . الخ مما يوضح عدم صحة الرأي الذي يظلم العوامل الاقتصادية على العوامل السياسية مع الاخذ في الاعتبار ان اسرائيل تعتمد على الخارج لتدعيم وضعها الاقتصادي ثم تقوم ببعض الجوانب الاقتصادية في افريقيا خدمة للهدف السياسي . واذا كان هذا الرأي يظلم العوامل الاقتصادية على العوامل السياسية حتى بداية السبعينات فلم يوضح ادلة كافية على ذلك ، وبالرجوع الى كتاب سياسة اسرائيل في افريقيا يمكن معرفة عدم صحة ذلك ، وتقول كاتبة المراجعة في ص ١٧٧ ان مقياس القرارات ليس قاطعاً ولا كافياً ونقول لها ان الكتاب لم يقل ان هذا المقياس قاطع وكاف وبالكاد لا يعد ذلك انتقاداً ، ونسيت كاتبة المراجعة ان هناك مقاييس اخرى موجودة في الكتاب ولو قرأت الكتاب بدقة لتبينت ذلك ، وتستثنى الكاتبة قرارات الامم المتحدة من قرارات المنظمات الاخرى اذ ترى ان بعض قرارات الامم المتحدة لها بعض صفة الإلزام . . . ولا تعري من أين أتت بهذا الكلام ؟ اذ ان اي طالب مبتدئ في دراسة التنظيم الدولي

١٩٦٧ ، وإذا كانت هذه الوقائع قد تغيرت مع حرب أكتوبر ، إلا أن حرب أكتوبر جاءت بعد هزيمة ١٩٦٧ ، مما يوضح الى انه لو جاءت حرب أكتوبر ولم تحدث هزيمة ١٩٦٧ لكانت الوقائع مختلفة ، وهذا يوضح أهمية دراسة هذا الموضوع .

أن الكتابات العربية في كثير من الدوريات أصبحت غالبيتها تعاني من أزمة حقيقية ، وهي الابتعاد عن الابتكار والخلق ، وعدم التركيز على قضايا المنطق ، واللجوء الى الكم والعدد وعدم التركيز على الكيف ، بمعنى أن نشر بحث جديد في موضوع معين قد يفيد أكثر من عدة بحوث تنفكر الى التجديد أو الخلق ، كما يلاحظ الانتصار في كثير من الأحيان على الترجمة الى العربية ، على أن ينسب ذلك الى من قام بهذا العمل ، وهو في الواقع لم يقوم بأكثر من الترجمة مع بعض التصرف ، بالإضافة الى الانتصار في كثير من الأحيان على نقل المعلومات من مصادر مختلفة كأرشيف بعض المؤسسات ، على أن يطلق على ذلك اسم بحث أو دراسة أو مقال ... الخ ، وفي هذا الصدد يمكن لموظف الأرشيف أن يقوم بهذا العمل ، ويؤخذ في الاعتبار ظاهرة احتكار الكتابة واقتصارها على أسماء معينة بغض النظر عما يكتب .

كل ذلك يبين أهمية مراعاة قضايانا ومشاكلنا وأن تكون منشوراتنا سمة خاصة بها كالمنشورات الغربية ولا تكون مجرد ناقلين ، وأن نستفيد من الكفاءات العربية المتوفرة ولا نقصر على من احتكروا مثل هذه الأنشطة لاسباب لا تتعلق بالكفاءة العلمية ، الأمر الذي يجب النظر اليه بعين الجد لصالح العرب وقضاياهم في عالم متغير وتتصارعه العديد من القوى ، ويقوم فيه البحث العلمي في مختلف التخصصات بدور يتزايد باضطراد .

محمد علي العويني

ويمكن للكاتب أن تجد دراسة باللغة الانجليزية عن افريقيا والحرب العربية الاسرائيلية الرابعة في العدد الخامس من مجلة معهد البحوث والدراسات العربية ، كما قد يساعدهما في تصحيح هذه المفاهيم .

وتلاحظ الكتابة على الكتابات التي صدرت عن اسرائيل منذ نكسة ١٩٦٧ في « ذكر ايجابيات اسرائيل وعدم ذكر سلبياتها » وهذا الحكم يؤكد ما سبق ذكره ان الكتابة لم تقرأ الكتاب بدقة في كثير من المواضيع ويبدو انها اقتصرت في كثير من الأحيان على قراءة العناوين ، فلو قرأت الكتاب بدقة لوجدت الايجابيات والسلبيات التي تبين سلبيات العمل الاسرائيلي ، كما تحدثت عن المنهج والترابط ولم تأت بأدلة على ذلك ، كما تميز عرض بعض الكتب بالجاهلات مثل عرض الاستاذ سيد عبد العال لكتاب تجسيد الوهم .

✱

وفي النهاية ان الهدف من العرض السابق هو تقديم ملاحظات سعيًا وراء خدمة الحقيقة العلمية ، ولا يظل ذلك من المجهودات التي بذلت في اعداد هذا الكتاب ، وإذا كنا قد ركزنا على السلبيات فهذا لا يعني ان هناك ايجابيات يمكن الاستفادة منها ، وأن التركيز على السلبيات يعكس سعيًا الى ان يراعى ذلك في الدراسات القادمة لتكون أكثر شمولًا ودقة وعلمية .

وملاحظة اخيرة اننا في حاجة الى دراسات تفيد بشكل واضح صانعي القرار السياسي بالتعرض للقضايا الملحة والبدائل المتاحة وما لها وما عليها وليس مجرد الحديث عما حدث ، وهذا يثير مسائل خاصة بعلاقة السياسة الخارجية بالواقع ، فإذا كانت وقائع الصراع العربي الاسرائيلي بعد ١٩٦٧ هي امتداد للوقائع التي ترقبت على حرب يونيو

المقدم الهيثم الايوبي وهشام عبدالله ميزان القوى العربي - الاسرائيلي - ١٩٧٤ (بيروت ، مركز الابحاث م . ت . ف . ، ١٩٧٤)

الحساب تاركالة امكن ادخال المعطيات الموضوعية الجديدة في لحظة اجراء المقارنة والحساب . وهو علمي لانه يقدم المعطيات التي تم الحصول عليها بعد العودة الى مراجع عديدة رصينة ، وتدقيقها ، ومقارنتها ، للوصول الى اقرب ما يمكن من الحقيقة في هذا المجال الشائك من مجالات النشاط الانساني ، مجال التسليح والقوة العسكرية .

وأول ما يلفت نظر القارئ في هذا الكتاب ، نظرتة الشمولية الى الحرب ، اذ انه لم يكف باعطاء المعلومات العسكرية فقط عن البلدان المذكورة فيه ، بل قدم ايضا مجموعة من المعلومات الديموغرافية والاقتصادية والثقافية ، مؤكدا ارتباط حساب ميزان القوى بكل هذه العوامل . ومؤكد ايضا تأثير هذه العوامل بشكل ملموس على القوة العسكرية لاي بلد . خاصة وان ميزان القوى العسكرية هو ، في النهاية ، علاقة بين مجمل القوى المادية والحضارية والمعنوية لقوتين متصارعتين . وهناك عوامل عديدة لا تذكرها الجداول والارقام ، رغم اهميتها الكبيرة في حساب علاقات القوى ، ومن هذه العوامل القوى المعنوية ، ومستوى التدريب ، والمستوى الثقافي للمقاتلين والملاكات (الكوادر) ، والمستوى التكنولوجي العام في الجيش ، والخبرة القتالية ، ومستوى صيانة المعدات الحربية والقدرة على تشغيلها ... الخ . ولقد جاء الكتاب على ذكر هذه العوامل بالتفصيل ، عندما قدم تحليلا كاملا ، للجيش الاسرائيلي ولكل جيش من الجيوش العربية الكبيرة على حدة ، معطيا بذلك صورة عن هذه العوامل ومدى تأثيرها .

ولقد انتبه الكتاب الى مسألة اسلحة التفوق ، ومدى تأثير هذه الاسلحة على ميزان القوى خلال المعركة ، اذ ان من المؤكد ان وجود طائرات تفوق لدى طرف من الاطراف يحد من حرية عمل طيران الطرف الاخر ، حتى ولو كان عدد طائراته اكبر ، كما ان وجود دبابة متفوقة يجعل القتال التصادفي للقطعات المدرعة غير متكافئ حتى ولو

يعتبر ميزان القوى بين الاطراف المتحاربة اهم العوامل التي تدخل في تقدير الموقف على صعيد الاستراتيجية أو العمليات او التكتيك . وبناء على هذا التقدير الذي تقوم به هيئات الاركاب على مختلف الانساق يتخذ القائد قراره في الهجوم والدفاع . ويكون القرار في هذه الحالة مبنيا على أرضية موضوعية (مادية ومعنوية) قريبة من الحقيقة . ومن المؤكد ان دقة معلومات الاستخبارات ، الموضوعية بتصرف هيئة الاركاب ، تساعد كثيرا على تصحيح الاخطاء الكابنة في أي ميزان للقوى محدد مسبقا ، وتساعد بالتالي على الوصول الى تقدير موقف افضل وقرار اصح . من هنا تتبع أهمية الكتب العسكرية التي تتحدث عن موازين القوى في منطقة ما .

ولقد صدر عن مركز الابحاث في مطلع هذا العام كتاب **ميزان القوى العربي - الاسرائيلي ١٩٧٤** . وهو أول كتاب عسكري عربي في هذا المجال ، رغم مضي ستة وعشرين عاما على اندلاع الصراع العربي - الاسرائيلي . ولكن عدم صدور كتاب من هذا النوع طوال هذه الفترة لا يعني ان هيئات الاركاب العربية لم تكن تملك المعطيات اللازمة لتحديد ميزان القوى ، ولكنه يعني ان القارئ العربي ، الذي لم يكن قادرا على الاطلاع على نشرات مؤسسات الدراسات الاستراتيجية العالمية ، كان يجهل حقيقة ميزان القوى مع العدو الاسرائيلي ، ويقيم الوضع التسليحي في المنطقة تقييما ذاتيا لا يستند الى حقائق ثابتة ، ويستنتج من ذلك استنتاجات مغلوطة تتناسب مع حالته النفسية ، وتراوح بين وجود تفوق عسكري عربي لا يتم استخداه ، او وجود تفوق عسكري اسرائيلي غامض لا يمكن تهره .

ويأتي كتاب **ميزان القوى العربي - الاسرائيلي ١٩٧٤** لبضع الامور في نصابها ، ويعمم المعرفة العسكرية على اوسع نطاق بين المثقفين العرب . وهو في نظري دليل علمي لحساب ميزان القوى ؛ فهو دليل ، لانه يقدم المعطيات اللازمة لاجاد العلاقة النسبية بين توتين متجابهين او مؤهلين للمجابهة في المستقبل ، دون أن يقوم محل القارئ بعملية

الحربية من ترسانات الدول الصناعية المتقدمة ، قد جعل ميزان القوى المحلي يتأثر بالدعم العسكري الظاهر والخفي الذي تقدمه الدول العظمى . ولقد التفت المؤلفان الى هذه النقطة ، وحددا في الفصل الاول ، الدعم الخفي الذي تقدمه الدول العظمى لدول المنطقة ، باعتبار ان الدعم الظاهر واضح من طبيعة الاسلحة والمعدات والذخائر المتطورة الموجودة في جيوشها .

وكان الطبيعي ان لا يدرس كتاب ميزان القوى العربي - الاسرائيلي مجمل القوى العسكرية العربية ، بل القوى العسكرية التي يمكن ان تشترك في الصدام . ولا تدخل في هذا الحساب جيوش الدول العربية المجاورة لاسرائيل (دول المواجهة) فحسب ، بل تدخل أيضا جيوش الدول البعيدة عن بؤرة الصراع ، والمعنية بالصراع بشكل مباشر . ولقد دأب الاسرائيليون في الماضي على تجاهل هذه النقطة ، واجراء جمع رقمي لكل الجيوش العربية ، ومقارنة الرقم الناتج مع حجم القوات الاسرائيلية ، والخروج من هذا الحساب المغلوط باستنتاجات بعيدة عن الصحة ، والاستناد الى هذه الاستنتاجات في حملتهم الاعلامية المضادة للعرب . ولقد كشف الكتاب هذه المغالطة ، وحدد جيوش دول المواجهة المعنية بالصراع والمؤهلة لدخوله منذ بدايته ، والدول التي ينبغي اسقاط جيوشها من الحساب بسبب موافقها من الصراع ، وعدم استعدادها لخصومة ، كما حدد حجم القوات التي يمكن لدول المساعدة تقديمها الى مسارح العمليات ، والزمن اللازم لرجعها في المعركة ، والصعوبات التكنولوجية والجغرافية التي تعترض هذه العملية ، ومسدى تأثير كل ذلك على سير الحرب وادارتها في الحالة التي تكون فيها الحرب قصيرة سريعة ، او غسي الحالة التي تسمح فيها لطبيعة العمليات والظروف الدولية الضاغطة باطالة امد الحرب الى الحدود الميكنة في هذه المنطقة الحساسة من العالم . الامر الذي يجعل القارئ قادرا على تقييم التوضع نسبي حالة لموسم معينة ، وتحديد القوات المسلحة العربية التي تدخل القتال في كل مرحلة من مراحلها ، وهي بالطبع اقل بكثير من المجموع الرقمي للجيوش العربية .

وعكذا يجمع كتاب ميزان القوى بين المعلومات

كان عدد الدبابات المشيكة في القتال متافلا لدى الجانبين .

ثم تأتي مسألة المميزات التكنولوجية لكل سلاح ، واثرها على نتائج القتال . فالطائرات القادرة على حمل حمولات حربية كبيرة مثلا ، تستطيع القيام ، في طلعة جوية واحدة ، بعمليات تصف تفوق ما تقوم به طائرات تحمل حمولات حربية اقل ، واذا كان لدى طرف من الاطراف طائرة تحمل اربعة اضعاف ما تحمله طائرة الطرف الاخر من القنابل والقذائف الصاروخية ، نجم عن ذلك تفوق الطرف الاول في عمليات التصف بنسبة اربعة الى واحد ، في حالة تساوي عدد الطائرات لدى الطرفين ، وتساوي مستوى التدريب ، والقوة المعنوية ، والخدمات الارضية . . السخ لدى الجانبين ، واذا كان مدى عمل الطائرة اطول ، وقدرتها على البقاء في الجو اكبر ، كانت الطلعة الجوية التي تقوم بها تعادل اكثر من طلعة جوية تقوم بها طائرات ذات مدى عمل اقصر . ويلعب العيار ومدى الرمي والقدرة على الحركة دورا هاما في حساب موازين القوى النارية في المدفعية ، كما يلعب عيار رمي المدفع في الدبابة ومدى رميه المجدي على الدروع وقدرة الدبابة على الحركة ، وسرعتها ، والمسافة ، التي تستطيع قطعها دون التهور بالمرحقات ومستوى اجهزة التسديد والرؤية الليلية والنهارية ، وعدد القنابل التي تحملها في داخلها ، دورا في حساب موازين القوى المدرعة في القتالين الليلي والنهاري . واخيرا فان القدرة الحركية للقطعات بصورة عامة ، وارتفاع مستوى الاتصالات ، يؤثران على مسائل الحشد ، والمناورة ، والمفاجأة ، كما يؤثران على المسائل اللوجستية ومسائل الاتصال خلال المعركة . ولقد جاء الكتاب على ذكر هذه الامور ، وتقدم ، في النهاية ، مجموعة من الملاحق التي تحدد الصفات التكنولوجية لكل سلاح موجود في جيوش الشرق الاوسط ، او يحتل وجوده في هذا العام ، حتى لا يضطر القائم بحساب موازين القوى الى مراجعة المصادر المتعددة بحثا عن هذه المعلومات الدقيقة اللازمة .

ومن الملاحظ ان طبيعة الصراع العربي - الاسرائيلي ، وكونه منذ عام ١٩٥٥ نقطة ساخنة في التنافس العالمي بين العسكريين العمليين ، وحصول الطرفين المتنازعين على احدث الاسلحة والمعدات

« نحو القوة المادية او القوة المعنوية ، وعلى الاعتماد على استراتيجية الانهيار (الحرب القصيرة الخاطفة) او استراتيجية الاجهاد (الحرب الطويلة الامد) ، وعلى الجيوش التقليدية او الجيوش الشعبية . »

وبالرغم من اهمية الكتاب ، والخدمة التي يقدمها للقارئ العربي ، عسكريا كان أم مدنيا ، فانه يبقى من الكتب التي لا تعطي ثمارها دفعة واحدة ، ولا تقدم الفائدة المرجوة منها الا اذا حققت الاستمرارية ، وظهرت بشكل سنوي لان تسليح الدول وتحالفاتها واوضاعها ومواقفها تتبدل من عام الى عام ، وتتبدل معها موازين القوى وطرق استخدامها واساليب حسابها .

المقدم ياسين سويد

والتحليل ، نحو لا يقدم الارقام المجردة بشكلها البارد ، لكنه يعطيها الحياة ، ويحولها من دبابات وطائرات ومدافع ، الى اسراب وغسرق وألوية تتحرك في الزمان والمكان ، وتأخذ حجمها الحقيقي الكامن في نوعية تسليحها ومستوى تدريبها ، وطبيعة قياداتها ، وقدراتها الفعلية على القتال في الحرب الحديثة ، وهو لا يكتفي بذلك بل يقدم ، في الفصل الثاني ، منهج حساب ميزان القوى العربي - الاسرائيلي ، وهو منهج ذو خصوصية معينة نابعة من خصوصيات الصراع العربي - الاسرائيلي . ثم يشير في نهاية المطاف الى ان الحساب سيعتمد اولا واخيرا على المعائد الحربية والاستراتيجيات العسكرية التي يحتل ان يطبقها الطرفان المتنازمان في الصدام . لان هذه المعائد وتلك الاستراتيجيات تؤثر بشكل جذري على اساليب استخدام القوى ، وعلى التوجه أساسا

صدر حديثا عن مركز الأبحاث كتاب

الحرب العربية الاسرائيلية الرابعة (وقائع وتفاعلات)

والكتاب عرض مفصل وشامل لتطورات حرب اكتوبر من جميع جوانبها : العسكرية ، السياسية ، الاعلامية والاقتصادية ، أعدها مجموعة من الباحثين كل حسب اختصاصه باشراف الدكتور أسعد عبد الرحمن .

٥٦٤ صفحة من القطع الكبير

سعر النسخة ١٢ ل.ل. يضاف اليها بدل اجور البريد انجوي : ١ ل.ل. في العالم

العربي ، ٢٥٠ ق.ل. في أوروبا ، ٥ ل.ل. في سائر الدول .

اطلب نسختك من : قسم التوزيع في مركز الأبحاث

ص.ب ١٦٩١ - بيروت .

ثقافة

الياس خوري

الايقاع الشعبي
داخل الحلم

يتكء الحلم على الحلم ، فينفجر الواقع منبسطة
ومأساوية . يمتد شاسعا في الارض ، يحفر فيها
قنوات ماء ولا ينكسر الماء بحد السيف . فالماء حين
يجري ، يحيط الارض ، يتراجع ولا يجف ، لانه
ينبع منها ويتراجع اليها . من الحلم ينهمر الواقع
كحلم لكنه يبقى في أصلاته رديف مستقبل بركاني
القسيمات . وإذا كانت البساطة الشعبية تغلب ،
أو توجي بذلك ، فان الغبى هو السيف الذي
ستكسره ملايين حبات الرمال ، حين تكتشف
اشجارها التي نبتت على ضفاف آلاف القنوات التي
حفرتها الارادة وقد لبست شعبا بأكمله . في رواية
أميل حبيبي الثانية ، هذا الانق وقد اهتل بالدماء
وأصبح بلون خبرة الذاكرة .

تخرج الالاف وقد حملت ليلا لتعود به . فالذين
شردوا ليل ١٩٤٨ يعودون أو يحاولون العودة ،
ليكتشفوا اربابا متقرضا يجلدوم . وهم يستطيلون .
تفرغ المدن والقرى ، وتكبر السواهد . فالمتشائل
البسيط حين يعود وعلى رأسه « كيس خيش » ،
يظهره الكيس ويسحقه ذله مرة ثانية . فيلجأ الى
النكتة السوداء ، ويختبئ خلف ذاكرته المغفودة ،
لكنها تعود مع ابنه ومع ابن حبيته على شكل
فدائي يفجر وينفجر . فتتحنى الرواية : تتنوس
وتتمهل . تنثر في الفضاء ترابا بركانيا اسود اللون ،

* أميل حبيبي : **الوقائع الغربية في اختفاء سعيد
أبي النحس المتشائل - ثلاثة - في الجديد**
شباط ٧٢ وكانون الاول ٧٢ ونيسان - أيار
١٩٧٤ . ويكن مراجعة الكتاب الثالث في شؤون
فلسطينية - ٣٨ - .

مسائل الحياة اليومية : تتمحور الرواية حول
شخصية شعبية مركزية ، وتلتقط همومها في ثلاث
دوائر متتالية . الاساسي هنا هو أن هذه الشخصية
تجمل معنى مثلث الدلالات : فهي تجريد للشعب ،
كما تحمل هموم ومعاناة المتعاون مع الاحتلال تحايلا ،
وتحمل أخيرا صوت المؤلف الذي يكشف الغطاء
عن عناصر تعددها . تبدأ ببطل الرواية يقدم
نفسه : « أوصى الي سعيد أبو النحس المتشائل
قال : بلغ غني أعجب ما وقع لأنسان منذ عصا
موسى وقيامه عيسى وانتخاب زوج اللبدي بيرد
رئيسا على الولايات المتحدة الاميركية » . يقسم
الكتاب الاول **يعاد** الى عشرين مقطعا تبدأ بـ « سعيد
يدعي التقاء مخلوقات من الفضاء السحيق » لتنتهي
بـ « الجرح المفتوح » . وبين هذين الحدين بروي
لنا المتشائل حكايته منذ ولادة دولة « اسرائيل » .
يتعلق الكتاب الاول حول مسألة أساسية : تقديم

٣ - الإشارة الى بذرة الرمز الاساسي الذي سيوقع احداث الرواية . فالكنز الذي تبحث عنه عائلة المتشائل يأخذ حجبا مختلفا مع زوجته باقيه وابنه ولاء ، ليصبح اشياء الارض وقد استنحلت سلاحا وقتالا .

نتابع في الكتاب الثاني « باقية » مغامرات سعيد المتشائل . لكن هذا الكتاب أقل انسيابا من الكتاب الاول ، لانه يتمحور حول مسألة واحدة - الزواج من باقية الطنطورية والبحث عن كثرها الضائع - فتأتي جميع العناصر التفصيلية التي يحسن حبيبي صياغتها بحس نادر يمزج الفكاهة بالمأساة لترعد هذا الجانب الاساسي . « في الربيع التقيت الطنطورية ، وفي الخريف سمعت ابنها ، وحياتي بينهما خلصة من الزمان » . ثم تأتي العناصر الثقافية - كنديدو اخوان الصفاء ، ... لترفسد العمق التاريخي للاحداث ، ولتتعرس المستوى المباشر بامتداد تاريخي . نبدأ بالبحر والمصيد حيث تم اللقاء بباقية ، لنعتقل أكثر اللحظات مأساوية في حياة حرب « اسرائيل » : « فكلما تكاثرت ليالي جزيران على العرب ، تكاثرت صيادو السمك الهواة منهم ، فقتيل يهريون من هموم أزواجهم » . لقاء المتشائل بالطنطورية ومن ثم زواجهما ، يفجر لحظة السر - الكنز في الرواية على شكل من الممارسة السياسية . فبعد محاولات سعيد الفاشلة للعثور على كنز زوجته وتركيز المؤلف الشديد على موضوع الكنز ، حين يقذف بنا الى ما بعد ١٩٦٧ مباشرة لثروي قصة ثريا عبد القادر مقبول التي عادت الى بيتها ووجدت كنزا مطمورا سرقتة منها الحكومة لقاء وصل . ويصل التوتر ذروته حين يتمرد ولاء ويكتشف الكنز الذي هو عبارة عن بنادق وينضم الى الفدائيين . ويطوق في المغارة . فيذهب اليه والداه لاقتناعه بتسليم نفسه . هنا يقيم المؤلف لأول مرة في روايته هذه ، حوارا مأساويا بالغ التوتر والدلالات ، ينقل هموم المواطن البسيط واحساسه الثوري الحاد . ثم تلحق به أمه . هنا تفاجأ بخاتمة تشبه خاتمة الحكاية الشعبية . اذ يتمكن الولد وأمّه من الهرب عبر البحر . وينضمان الى المقاومة .

الكتاب الثالث - يعاد الثانية ، هو أكثر اجزاء هذه الثلاثية طرافة ودلالات . فهو الدائرة الثالثة التي تستوعب الدائرتين الاولتين ، لتقوم بالغاء الحدود بين الخيال والواقع ، بين الجنون وعدمه ،

الشخصية الرئيسية . فنعرف ان سعيدا ينتسب الى مسبية قبرصية من حلب ، من سبانيا تيمورلنك ، سبأها جده الاكبر أبجر بن أبجر . ويفسر كنية العائلة : المتشائل على انها ادغام للكلمتين المتفائل والمتشائم . يبدأ الكتاب بأسلوبية تشابه رواية السير البطولية ، لنكتشف بعد قليل ان البطل ليس بطلا ، بل هو انسان عادي يقوده حس التكيف . هذا الحس هو الذي يحبل البعد الشعبي الخاص في الرواية بأسرها . يحاول المتشائل بعد هجرته الاجبارية من فلسطين العودة اليها . فتبدأ رواية المأساة الجماعية في ظل اقطاع فكاكي : « فأنا أول انسان على ما أعهد ، أنقذه حمار محرن لا يسابق ربحا » . يذهب بحثا عن سفنارشيك المسؤول الصهيوني الذي أوصاه والده بالبحث عنه . ثم يتقاد الى عكا لينام في المسجد . هنا نكتشف مأساة العائدين - المبعدين . ونستمع الى قصص القرى العربية التي دمرت . يأخذ التداعي مجراه الاساسي باعتباره سياتقا ، فيتذكر سعيد قصة حبه ليعاد عندما كان طالبا ، ثم يخرج الى شوارع عكا ، فيتذكر محاولته الفاشلة للذهاب الى بيروت مع اصدقائه لجلب الاسلحة عام ١٩٢٩ . ثم يروي اسرار عائلته واصرارها على البحث عن الكنز . في دياميس عكا، يعود الحس الشعبي الى الارتفاع ، فنعيش في أجواء حكاية شعبية من حكايات الخوارق تروي لقاءه برجل الفضاء الذي يلقي عليه درسا في النضال . غير ان ضرورات التكيف تفرض عليه تعامله مع العدو في اتحاد عمال فلسطين . ويسوقنا تطور الاحداث الى مجيء يعاد الى منزله في حيفا بحثا عن والدها الذي سلمه المتشائل او والده وهو يضع على رأسه كيسا من الخيش حتى لا يعرف . فبأني البوليس ويطردها وراء الحدود . يريد هذا التلخيص السريع والمختصر للكتاب الاول التأكيد على ثلاث مسائل :

١ - تقديم الشخصية الشعبية بوصفها تمتلك احساسا هائلا بالتكيف ، هذا النوع من التكيف التعاملي مع المحتل ، سوف يكشف تناقضاته الداخلية واستنحاله ، ليحل مكانه تكيف آخر من طبيعة متاومة .

٢ - التداعي المكاني الذي يفرض منطقته على زمن الرواية . فالامكنة هي مستودع الذاكرة الجماعية التي تعيد تاريخ نفسها انطلاقا من هنا .

ولترسم خيطا دمويا يقود الى البدايات الحقيقية .
تتوتر علاقة سعيد برؤسائه يعقوب والرجل القصير
القامة . فيجلس على خازوق لا يستطيع النزول
عنه الا مناضلا . يرفع البطل علما ابيض عندما
يسمع المذبح يدعو العرب الى رفع الاعلام البيضاء
بعد حرب حزيران . فيتهم بأنه لا يعترف بسيادة
اسرائيل على حيفا ويقاد من سجن الى آخر .
هنا تعود الرواية الى التوتر حين يلتقي في سجن
شقة الرهيب بغدادي يحمل اسم سعيد مثله ،
يلقي عليه بشكل غير مباشر درسا في الوطنية
والنضال ، ثم يلتقي بشكل مفاجيء يعاد الثانية
شقيقة هذا الفدائي التي أتت تبحث عن شقيقتها .
بعد ذلك يذهبان الى قرية السلكة — حيث نتعرف
على مآسي التطويق ومآسي العمل في الكيبوتس
والوجود غير الشرعي . لتنتهي الرواية بعودة
سعيد ويعاد الى حيفا حيث تطرد كما طردت يعاد
الاولى ، بعد أن شكلت مؤشرا نضاليا جديدا .
وتتوي الرواية باعترافات من المؤلف بأن هذه
الرواية هي رسائل وصلته من مجنون في مستشفى
عكا للأمراض العقلية .

١ — **الراوي** : الراوي هنا ليس المؤلف كما في
سداسية الأيام الستة . لكنه البطل نفسه . لذلك
تنساب الرواية بلغة المخاطبة التي تسمح بمسرحة
هذا العمل . ولكن الرواية على لسان البطل ، لا
تعني اندماجية درامية . فحبيبي يحافظ على خطه
« البرشقي » لكنه يستميض عن تدخله بالعلاقات ،
وباستغلال أوسع لجميع امكانيات شخصية البطل .
فتبقى المسافة العقلية قائمة ، وتسمح بالاستدلال .
خلف شخصية البطل — الراوي ، وتداعياته
وعلاقاته ، تقع المسألة الاساسية التي تطرحها هذه
الرواية ، **البنية الاستدلالية** التي تؤطر علاقات
واسعة ، فتفتتها لتعيد تركيبها من جديد ، من خلال
البطل — المرأة .

٢ — **الجناس** : يلعب الجناس دورا هاما ، فهو
يبسط اللغة ، ويقيم لها ايقاعات موسيقية ،
تتحاشى الابتذال بتحايشها للسجع . « فعدا معلمي
وانكا حيث كنت مكنكا على المزولة وقد زاولني
التلق » . وقد تصل الامور الى حد استتباط كلمات
جديدة : « استترغني الفراغ » ، رغم انها تأتي
هنا مقطعة . لكنها تصل في أماكن أخرى العديد من
الدلالات ، لانها تلخص سلسلة احداث مأساوية ،
بلفظة واحدة ، « قرية برطعمة » ، في المثلث ،
مقطعة » .

٣ — **التكرار** : التكرار هو ميزة كل قصة
شعبية ، لانه يقيم من جهة أولى ايقاعا خاصا رثيبا
ومألوما ، فيترسب في ذاكرة السامع او القارئ ،
ويقدم اشارات تصل مداليل مختلفة لا تتحد الا في
السياق : « فلما نزلت عن الحمار ، رايتني أطول
من الحاكم العسكري ، فاطمأنت نفسي حين وجدفتني
أطول منه بدون قوائم الحمار » . هنا تأتي الفكاهة
لنظمي عجزا من جهة ولتؤشر الى امكانية مستقبلية
من الجهة الثانية . او قد تحمل معنى مأساويا
مباشرا : « جاءت النهاية حين استيعظت في ليلة
بلا نهاية » .

٤ — **الكلمات العامية** : يجري داخل هذا
السياق ، استخدام كلمات عامية ، تختصر حركة
كاملة : « هذا يهش وذاك يكش » . أو تسترجم

في الكتاب الثالث ، يمتد الاحساس الشعبي دون
انسياب ، فهو موقع حول موضوعة مركزية :
استحالة استمرار علاقة سعيد بالاجهزة
الاسرائيلية . ترسم هذه الاستحالة خطها البياني
عبر تبسيط لشخصية البطل — حيث يبدو كرجل
لا حول له بشكل كامل — وتعقيد العلاقات التي
تدفعه الى بداية فصح علاقته هذه . لكن الخط
الاساسي ، خط الانسياب من خلال التداعي ، يبقى
الهيكل الاساسي لبنية الرواية ، حتى يقوم المؤلف
بتدخله الذي يوقف الانسياب ويقودنا الى نقطة
البداية . ان النقطة التي يجب الاشارة اليها هنا ،
هي التركيز حول مسائل الحياة اليومية ، التي
تأخذ حجمها الكبير من خلال شبكة العلاقات
والتداعيات التي ترسمها الرواية بعناية .

الإيقاع الروائي الجديد . في توسطها بين السيرة
والحكاية الشعبية ، ترسم رواية اميل حبيبي خطا
بيانيا جديدا ، يعتمد أساسا على الإيقاع الروائي .
يستمد هذا الإيقاع عناصره الاساسية من الاصرار
على **الدلالة** . لكن الدلالة هنا ليست مباشرة او
مسطحة . انها دلالة سياسية — ثقافية ، تنطلق
من المباشر الى العام ، وتبعد عن الوعظية ،

مجيء يعاد الاولى .

تتداخل هذه العناصر الايقاعية ، في بنية موحدة تتشكل في مستويين :

أ - **دائرية النص** التي تحيل الرتبة الى حركة تتقدم . فهذه الدائرية التي تؤكد على التكرار : استعادة لحظة ماضية لتقوم انطلاقا منها بالتقدم : الانطلاق في سبيل كشف حدثي جديد . هكذا يتقدم النص في دائريته ، دون ان يتوقف عند ذروة مركزية توحد . فالعامل الموحد هو شخصية البطل .

ب - **الرمز الشامل** الذي ينطلق من وقائع عينية ليقيم باعطائها بعدا يمتد على مساحة الرواية . - **المكسر** الذي يتحول من مجرد حلم شعبي الى واقع سياسي . أو **انتظار يعاد** الذي يصبح انتظارا للوطن .

هكذا يأتي الإيقاع الروائي لغويا وقادرا على الامتداد في حيز يعتقل أزمنة متعددة في توال شخصي ، يهيم عليه الحلم المأساوي .

الرؤية وإطارات الواقع : تنطلق هذه الرواية من إطارات محددة ، حيث يلعب التراث ، والحكمة الشعبية ، دورا متزايدا ، في مواجهة تمع قومي عنيف . لذلك فهي حين تقترب من السيرة ، تقترب كذلك من شروطها التاريخية . فغدت نضات السيرة - سيرة عنقرة تحديدا - زمن الغزو الصليبي . وهي حين تلتقط من الحكاية الشعبية الكثير من عناصرها ، فانها تقترب من التراث الشعبي الذي يلعب دورا تقديما في مكان محدد . لكنها في اقترابها من هاتين الصيغتين تحافظ على استقلالية فنية واسعة . تلتعللها لتصبها في قالب من الرؤية الاستدلالية الواقعية وتوظفها في خدمة مقرب سياسي . هكذا تأتي الإبعاد المتعددة في شخصية سعيد أبي النحس المتشائل ، وأنماط علاقاتها ، وذكرياتها لتقدم نمطا يجعب المكر الشعبي - على نمط جحا - الى السذاجة الكاملة . لكن هذه الشخصية حين تتقلب وتبر بتجارب متعددة ، فانها تنفني بالافاق التي يطرحها الواقع . تصبح علامة فنية تسمح للمستوى التشكيلي للرواية بالتقدم ، كما تقدم إمكانات تعليمية سياسية ، لا تتوقف عند الحد الانفعالي بل تعقلنه : « ولكن الامر لم يقف عند هذا الحد . فقد رحلت أنتعجب من جهل العامل اليهودي باللغة العبرية ، حتى أنتعنت نفسي ان

مثلا شعيبيا : « كل شيء في وقته يعسل » .

٥ - **إيقاع الجملة** : تتداخل هذه العناصر الايقاعية ، لتشكل ايقاعا خاصا بالجملة النثرية . فيجري ادغام الجناس والتكرار والكلمات العامية داخل بنية جملة **متوازية** : « فذلك حين أفرطت في الولاء حتى أصبح في عرفهم تفریطا » . أو يجري التركيز على عنصر ايقاعي واحد - حرف يتكرر - ليستخرج من عناصره نكتة سوداء . نقرأ في الكتاب الاول هذا المقطع :

« - نحن من الكويكات التي هدموها وشردوا أهلها ، فهل التقيت أحدا من الكويكات .

فأعجبني ترديد الكاف في الكويكات . فعاجلت ضحكتي قبل أن تنطلق لولا صوت امرأة جاء من وراء الموزلة غربا :

- البنت ليست نائمة يا شكرية ، البنت ميتة يا شكرية » .

الكاف التي كادت تمنحك المتشائل وتضحكننا تتحول في « شكرية » الى كاف مأساوية .

٦ - **الصورة - الحركة** : حين تقترب الرواية من السيرة ، فانها تأخذ بعض عناصر السيرة لتقوم بتأطيرها بشكل جديد . وتلعب الصورة - الحركة في هذه الرواية دورا تشكليا هاما ، لانها تمد الواقع في مساحة كبيرة ثم ترفعه الى مستوى الرمز . ففي لقاء الحاكم العسكري بالمرأة التي تحاول العودة الى قريتها - البروة - تصبح الصورة الشاملة ، مدخلا تشكليا مليئا بالرموز : « نكلما ابتعدت المرأة وولدها عن مكاننا ، الحاكم على الارض وأنا في الجيب ، ازدادا طولا حتى اختلطا بظليلها في الشمس الغاربة . وصارا أطول من سهل عكا . فظل الحاكم واقفا ينتظر اختفاءها وظللت أنا قاعدا انكمش . حتى تصاعل مذهولا : متى يغيبان ؟ »

٧ - **الحركة - الكاريكاتورية** : تستعين الرواية كثيرا بالاشارات الكاريكاتورية ، تضخم ، ثم تعود الاشياء الى حجبها الطبيعي ، « فمئذ ان أصبح سر باقية سري ، أصبحت الحذر مجسما يمشي على اثنتين . فلما أدركت ان الحذر هو من ذوات الاربع ، رحلت أمشي على أربع » . ثم تتسرح هذه الحركة كما في رقصة العلم والمكنسة . أو تصبح مشهدا سينمائيا يشبه الافلام الصامتة كما في مشهد

على اكتشاف نقطة ارتكازها والانطلاق منها الى أقصى الأبعاد . انها اشارات من الومض في غشاء الثقافة ، تقدم أدبا للتحدي ، يحمل مستقبله الخاص ولغته الجديدة . فهو حين يجدد ويبحث ، يصبح ممارسة جماهيرية حقيقية ، تنطلق من الواقع الى ما يتجاوزه ، وتلتقط من الحكمة الشعبية ما تضيف عليها . فالعناصر الديمقراطية في الثقافة الشعبية ، هي سلاح في لحظات المواجهة التاريخية .

هذه الدولة ليست بنت ميثية . فلماذا لا أحفظ خط الرجعة » . وتقدم للممارسة السياسية بعدها الرمزي التاريخي : « أدركت سر كم ، يا استاذ ، نكل واحد منكم اذن لديه صندوق حديدي في طنطوره ، حيث أخفى والده كنزه الذهبي » .

ثلاثية اميل حبيبي ، هي أدب سياسي خاص ، يتجاوز السياسة الى الانسان . يلتقطه في ملامحه الخاصة جدا ، ويقيم لهذه الملامح صورة مستقبلية . هذه الرواية مثال آخر على قدرة القوى الحية

النقد والنقطة

المحددة

أو يمزج بينهما ، وهذا ما حاوله هاني الراهب في ملاحظته التفصيلية والمتهمة لموضوعه واحدة تخترق فترة زمنية طويلة نسبيا .

من الوصف الى التحليل : يقدم هذا الكتاب لوحة بيانية شاملة للرواية باللغة الانكليزية في تعاملها مع نقطة ايدولوجية محددة . **الشخصية الصهيونية .** نبدا من البدايات الحديثة ، ١٨١٧ ، التي حاولت قلب معادلة شايوك الشكسبيرية ، ليصل الى شخصيات اسرائيلية معاصرة كما تقدمها روايات يائيل دايمان . ان تعامل مراجعة نقدية ، مع نص بهذه السعة ، يبقى ناقصا . لذلك سنحاول ان نقدم رؤوس اقلام تصلح كتمهيد لقراءة هذا الكتاب ، مع ابداء بعض الملاحظات المنهجية .

يقسم الكتاب الى ثمانية فصول ، تبدأ بمقدمة نظرية تحاول تحليل الظاهرة الصهيونية بشكل سريع جدا ، لكنه يلتقط مفاصلها الأساسية ، باعتبارها حركة استعمارية ، وهي « طلقة أوروبية أكثر منها يهودية » . والواقع ان الكتاب بأسره يحاول ان يبرهن على هذه النقطة الأساسية . فالصهيونية هي حركة استعمارية أوروبية تلبس ثيابا ثيوقراطية .

يشير الفصل الثاني : **اليهودي الطيب ،** الى بدايات تحول الوصي الايدولوجي عن الثابت الشايوكي ، الى محاولة اكتشاف « اليهودي الطيب » ويظهر هذا في روايتين : الاولى لماريا ادجورث **هارنغتون** (١٨١٧) والثانية هي رواية

بعد ان نشر ترجمته لرواية يائيل دايمان « غبار » (الموقف الادبي ، ايار ، ١٩٧٤) ، يقدم هاني الراهب دراسة نقدية عن تطور الشخصية الصهيونية في الرواية الانكليزية . والموضوع ، كاختيار ، يشكّل امتدادا هاما للدراسات « الاسرائيلية » التي تحاول اكتشاف أليات تحرك الواقع الاسرائيلي في فلسطين المحتلة ، وفي الفروع والمراكز الصهيونية المنتشرة في العالم . وأهمية هذا الكتاب ، هي في اضاءته جانباً هاما من المستوى الايدولوجي : الادب . فالصلة غير المباشرة التي للادب بالواقع ، تعطي دراسته بعدا غير وظيفي — بالمعنى المحدد — لانها تسمح بدراسة الايدولوجيا في احدى أكثر مناطقها تعقيدا ، حيث تبرز التناقضات الحقيقية التي يحاول المستوى السياسي حجبها دائما . ان النقطة الايدولوجية التي يتوقف عندها المؤلف في كتابه بأسره ، تسمح بأن تكون مؤسرا حقيقيا لتطور الايدولوجيا الصهيونية في بريطانيا بشكل خاص . فالرواية حين تعكس الايدولوجيا لا تقوم بذلك بشكل مباشر ، انها تضمها داخل حقل علاقات اجتماعية ، تسمح باضاءة الكثير من جوانبها الغامضة . هنا ينتقل النقد من نقد ايدولوجي الى نقد سوسولوجي ،

✻ هاني الراهب : الشخصية الصهيونية في الرواية الانكليزية . مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية ، ووزارة التعليم العالي في سوريا ، تموز ١٩٧٤ .

تقديم العرب بصورة حيوانية . « لم يكن ثمة بيت هنا ، كانت صحراء ومستنقع تنن وفلاصون مسفلسون . كنتم كلاب الشرق الشاردة .. انهم (اليهود) لم يسلبوكم بوصة واحدة من ارضكم ، لكنهم سلبوا منكم الملايا والتراخوما . !1 . » أما الفصل السادس : **الصهيوني صابراً** غاته ينطلق من عدة روايات تغلب عليها السبة الدعائية . **الخروج** يوري يوريس ، **والينبوع** لمتشزو و**نجة** في **الريح** الخ... للوصول الى ثلاث نتائج : — أ — تربية الصابرا على ازدياد العاطفة واعتبارها عرضاً من اعراض الضعف .

ب — التركيز على الارض ورفض الدين : هناك الحاج على اهمية الارض والتوراة من اجل التاكيد على الاستمرارية التاريخية للصلات العرقية والروحية بين الصابرا والعبريين .

ج — التأكيد على جبدأ القوة الاسطورية ، من خلال اسقاطات ايدولوجية على بطولات خارقة لم تحدث .

يناقش الفصل السابع : **الصهيوني اسرائيليا** روايات باينل دايان الاربع : **وجه جديد في المرأة** ، **اغبط الخائمين** ، **غبار و ولدان للموت** من خلال مسألتين اساسيتين : —

١ — التربية الاسرائيلية الاسبارطية ، وانهارها الانساني بشكل مخيف .

٢ — الموت . الذي يصبح عالماً واسعاً من الدلالات الاجتماعية والسياسية ، حيث نكتشف اتجاها للنقد الذاتي .

تلخص الخاتمة الاتجاهات الرئيسية للشخصية الصهيونية بأربع صفات :

— الصهيوني هو مثال وليس واقعا .

— للنور من الحياة اليهودية .

— احساس نفاذ بالعزلة عن بقية البشر .

— **الصابرا والاسرائيلي هو اليهودي العصامي**

الذي يعان في نفس الوقت من استحالة قدرته على اقامة علاقات سوية (لبني في غبار) .

تقدم هذه الفصول ، لوحة عامة لتطور نقطة محددة من خلال معادلة نقدية لها طرفان : الوصف ، الذي يقوم بملاحظة الموضوع الرئيسية للكاتب ووضعها في اطارها الروائي . والتحليل ، الذي يدمج المستويات المختلفة للمعالجة النقدية عبر

والترسكوت الشهيرة **ايفانهو** (١٨١٩) . « الحالة اليهودية في هارنفتون واينهو تقريبا واحدة . فمن ناحية ، ثمة المجتمع المسيحي المعادي ، باستثناء قلة متزايدة من المتسامحين من نوع بطلي الروايتين . ومن ناحية اخرى ، ثمة اليهود الباحثين عن قبول لائق في المجتمع » . المؤثر الاساسي الذي يطبع هاتين الروايتين هو رغبة اليهودي في **الاندماج** . يقوم الفصل الثالث : **ما قبل الصهيوني** بمراجعة مستفيضة لروايات دزرائيلي مع تشديد على حياته الشخصية ، على اعتبار وجود تطابق بينها وبين شخصيات رواياته . في سبيل الوصول الى بدايات تحول اليهودي الى صهيوني . في الفصل الرابع : **الصهيوني مكتشفا للذات** تقدم شخصيات رواية جورج اليوت **دانييل ديروندا** مثالا على محاولات تاسيس نوع من اكتشاف الذات ، يكون مقدمة لاستعمار فلسطين . فهي تتكء على مبدأ دانييل كاريزي في الاتصال والانفصال ، لتؤكد على مسألتين : أ — اليهود هم عرق ولكن كبقية العروق ، مختلف ولكن ليس اسماً ولا أدنى . ب — ان مكونات التومية اليهودية هي الصدق والدين والتقاليد . وتصل مع المؤلف الى استنتاج رئيسي : « يهودها مستمدون من وعيها الاخلاقي المظمم بالعاطف والغيبية » . تبدأ مع الفصل الخامس : **الصهيوني رائداً ومستعمرا** التعرف على الصهيوني في بدايات تكون هذا المفهوم عمليا مع رواية اسرائيل زانغويل : **ابناء القيتو** (١٨٩٤) حيث نتعرف من خلال انقسام يهود لندن في ناحيتين الشرقية والغربية الى وجهي الهجرة والاندماج من خلال شخصيات محسوسة . ويصل الروائي الى استنتاج اساسي : العرق والدين والتقاليد هي مقومات التومية . ثم يصف جوزف باراتز في روايته **قرية عند الأردن** حياة الرواد ، من خلال مستعمرة داغانيا وبتولاتها الاسطورية المسرحية ؛ ضرورة اعادة بناء الذات في سبيل استعمار فلسطين حيث الاطار الجغرافي « كان مكانا موحشا ومن أسوأ مستنقعات الملايا في البلاد . كان العرب كلهم مرضى ، وقد عانت النساء اكثر من غيرهن . وفي الليل كان البعوض يهجم والحمى ترتفع » . ويصل مع رواية آرثر كوستلر : **لصوص في الليل** الى احدى السذرى العنصرية للايديولوجية الصهيونية ، مبرجري التشديد على العرق بدل الدين ، ويستعمل الوصف لغاية سياسية هي

حول قضية « البيان العاجل »

كان للبيان المشترك الذي أصدره أدباء عرب ويهود في الأرض المحتلة - الاتحاد ٧ - ٦ - ٧٤ ، والذي يفهم منه مساواة للإرهاب الصهيوني بالمقاومة الفلسطينية ، صدى كبير . إذ أنه فتح أبواب النقاش واسعة في موضوع الأدب الفلسطيني . ثم كان لتراجع أدباء الأرض المحتلة عن هذا البيان ، بعض الترحيب . غير أن الشكل الذي بدأ يأخذه النقاش بعد مقال محمود درويش السياسي « أدباء المقاومة ضد المقاومة » - المحرر ٢٥ - ٧ - ٧٤ - والذي حاول فيه طرح المسألة بشكل سياسي وموضوعي هادئ ، قد تحول من نقاش سياسي إلى نقاش بلا هدف ، وخاصة في الرد الشخصي الذي كتبه أحد الموقعين على البيان في الأرض المحتلة في جريدة « النجر » . ومن موقع العرص على أدبنا الفلسطيني ، وثقافتنا الثورية ، فإننا نشير إلى ثلاث ملاحظات :

أولاً : لقد كان للادب القادم من ظلام الاحتلال الإسرائيلي ، إيقاع البشارة بالنسبة لنا . فهذا الجزء من شعبنا ، الذي يعيش داخل الغيتو القمعي الإسرائيلي ، ينتفض ، ويرفع صوته ، ويقاوم . وكان ترحيبنا ، بينهم ظروف هذا الأدب ومبلغ معاناته . لذلك ، لم تكن لنتاليه قنينا وسياسيا بأكثر مما يستطيعه ، أو بأكثر مما يسمح له الواقع الموضوعي الذي يعيش في ظلاله . ويبقى هذا الأدب ، جزءاً من تراثنا النضالي ، الذي يجب أن نحافظ عليه وندعمه ونهيبه له أفضل الظروف التي نستطيعها . إن هذا الموضوع البيدي ، لا يمكن أن يخضع لأي نقاش . لكن هذا لا يعني حصانة مطلقة ، لا نخال احدا يطلبها . فهذا الأدب هو جزء من كل ، ويحق للأجزاء والأفراد ، النقاش سياسيا حول مسائل قد تبدو خاطئة ، أو قد تكون خاطئة فعلا ، كما في البيان الأول الذي نشرته - الاتحاد - . إن البقاء داخل الأرض المحتلة ، رغم العسف والاضطهاد ، هو أمر مشرف ونضالي . لكن الإقامة خارجها ، ليست عارا ولا

عبئا . فلقد فرضت هذه الإقامة على أكثرية شعبنا ، وفورتنا تنطلق من الخارج . لا حصانة لاحد - لأسباب جغرافية - ولكن للجميع حصانة شرف الكلمة التي تناضل في الخارج وفي الداخل معا . إن جدارة الأدب الفلسطيني تحدد بالتزامه بحركة الشعب الفلسطيني وثورته .

ثانياً : إن الحوار الديمقراطي ، هو ميزة المناضل بالبنديكية والكلمة . فالتعدد لا يعني تبعضاً ، بل يعني أننا أعضاء في جسد سليم ، تدور فيه فصول الحياة ، وتشرق عليه شمسها . لذلك يستطيع هذا الجسد تقويم أخطائه . غير أن للحوار الديمقراطي ، شروطاً لا يمكن التخلي عنها . فيجب أن تتجاوز الإتاينات الفردية لتصل فعلاً إلى قدرة على المخاطبة والرجوع عن الخطأ . لكن هذا الحوار ، لا يمكن أن يجري ، إلا بلغة حملت دماء شعبنا طويلاً ولا تزال تحمله . فاللغة الثورية المناضلة ، لا تتخلى عن الدماء وتلهي بحبر مسموم وسطحي . ومن هذه الزاوية نرى من الواجب أن نستنكر الأسلوب الذي رد به أحد شعراء الأرض المحتلة على زملائه في الخارج ، فنزل بالنقاش من المستوى الفكري إلى المستوى الشخصي .

ثالثاً : إن للكلمة إيقاعاً نضالياً لا يمكن أن نتخلى عنه أو نفرط به . الكلمة سلاح من أجل المستقبل ، وليست في أيدي ثقافتنا الفلسطينية سوطاً قمعياً . لذلك فإن للنقاش بالكلمة شروطاً أولها التواضع الذي نتلقاه درساً ، من أبناء شعبنا ، الذين يسجلون أروع لحظات تاريخنا في عرس دموي ومجاني ، وبلا شروط سوى الوصول إلى جسد الوطن .

إن النقاش السياسي والثقافي ، ضروري وفعال . شرط أن لا ينزلق إلى مواقع السائد القمعي .

لا تريد هذه الملاحظات سوى أن ترفع صوتاً ، يؤكد الحقائق التي اصطحنا عليها بالممارسة . فتثقافتنا الثورية هي رؤيا ومستقبل : رؤيا لسلام تصنعه الجماهير الثورية المقاتلة ، ومستقبل ثقافي نصل فيه إلى القدرة على التعبير عن أنفسنا بلغة جديدة . تفصل بقع الظلام عن الأفق .

الصهيونية ، وما هي عناصره ؟ في كتاب الراهب لا نعثر على اجابة محددة على تساؤلنا . هنا تأتي ملاحظتنا الثانية على الفصول الاخرى من الكتاب ، حيث يحرص النموذج الإسرائيلي بروايات دايان (لسبب منهجي طبعا ، باعتبارها تكتب بالانكليزية) . لكن من اجل ايضاح اكبر لهذا الموضوع كان لا بد من عقد مقارنات مع روايتين اسرائيليين آخرين . ولو ادى هذا الى خلطة جزئية للمعادلة المنهجية — شكلا — من اجل الوصول الى صورة اكثر وضوحا ، والى احكام اكثر شمولية ودقة .

رغم هاتين الملاحظتين ، يبقى كتاب « الشخصية الصهيونية في الرواية الانكليزية » ، عملا نقديا بالغ الاهمية ، ليس فقط لانه يقدم لنا دراسة نفي ميدان لا يزال مغلقا ، ولكن لانه يؤشر الى قدرة النقد التحليلي الذي ينطلق من علاقات الشخصيات في الرواية ، على الكشف عن حقل واسع من العلاقات . فالنقد هو اساسا تعامل مع النص انطلاقا منه . فالموضوعية المحددة التي انطلق منها الكتاب لم تحجب ضرورات النقد الاساسية ، ولم تورطه في تعامل ايديولوجي دعائي . بل بقي النقد ممارسة ايديولوجية تكشف وتؤكد وتتمذج .

عقد المقارنات والدراسة السوسولوجية السياسية الاولية واضفاء طابع موحد تسلسلي من خلال التقاط نقاط ارتباطه الاساسية . بين طرفي هذه المعادلة تتحدد الرؤية النقدية التي تضبط الكتاب بانسه ، وتجعله سياتا موحدا في سبيل الاطلال على ناحية بالغة الاهمية وشبه مهملة في الكتابات الفلسطينية .

المستوى الايديولوجي . يحاول الكتاب ، في منهجيته ربط مستويات التحليل المختلفة . لكن ملاحظتنا الاولى تأتي على الطابع الاكاديمي الصارم الذي منع ربط تطور النظرة الى الشخصية الصهيونية في الرواية مع تطور الايديولوجية السائدة في اوروبا . ومع تطور الايديولوجيا الصهيونية . فرغم محاولة الكتاب في بعض الاحيان اكتشاف هذه العلاقة ، فانها بقيت شبه مهملة ، ولم يجر تركيبها بشكل متداخل . ربما كان هذا الغياب يعود في المقابل الى تصور نقدي محدد . لكن غياب المقدمة المنهجية يبقيني هذه النقطة معلقة . تكتسب هذه المسألة اهمية بالغة في النموذج الاخرى ، حيث تصبح الحاجة ماسة اليها . فهل تعبسر روايات دايان عن منحى عام في الايديولوجيا

رياح

عز الدين القسام

« عيني ابعث من هذي التعاسات

نبيا

بين عينيه البشارة » .

في مجموعته الشعرية الثالثة : رياح عز الدين القسام . يخفت الصوت النبوي وترتفع المأساة ، لكن الفجيمة التي تحترق داخل نار ايلول والاحراش لا تزال اولية ، بالغة السخونة . لذلك يأتي الشعر ليسلبها لا ليضيف اليها . فاللغة الشعرية هي حيز بنائي يوتر اللحظات داخله . اي انه ليس صدى ، بل هي اللحظات المتوترة في داخله اصداء قدرته على الصور والتشكيل . لذلك لا تأتي القصيدة تنويعا على الواقع — بالمعنى المباشر للكلمة — بل يأتي لون الواقع كخلفية للوصول الى مصطلح متكامل . هكذا يصبح الانفعال عنصرا ، ولا يعود مركز القصيدة ، لكننا هنا ، امام نجاعة

كيف تأتي البشارة ، بعد الوعد بها ؟ . في مجموعته الشعرية السابقة خماسية الموت والحياة ، حمل محمد القيسي الصوت الشعري على ايقاع الممارسة المباشرة . وقف بين لحظة الشعر ولحظة الموت يقرب البدايات ، يدخل المعاناة الشعرية كصوت محمول على مرجعه النضالي . حمل « قبر الثورة » مع الفقراء ، وسقط وجهه بين التعاسات معلنا بشارة الولادة . لذلك كان لهجته طعما رومانسيا بطيئا ، ينتقل بين اللحظات ، دون ان يوحدنا . يبشر ولا ينفجر . وعندما تصل بشارته لحظة توهج ، يرفع الشعر الى تخوم الوعد بالنبوءة :

* محمد القيسي : رياح عز الدين القسام ، منشورات وزارة الاعلام ، الجمهورية العراقية ، ١٩٧٤ ، ديوان الشعر العربي الحديث (٤٢) .

« الرهزي » المفترض مرسوم سلفا . اي ان الحركة الدرامية لا تتبجح ، تبقى في خط سيرها العادي ، لذلك فهي مليئة بالفتوب التي تحتاج الى الشسر كي يملأ فراغاتها ، اي ان الحركة الدرامية في القصيدة ليست بنية . انها مجرد اطار . هكذا يحصل التفاوت بين الشعر وبين اطاره ، عوضا عن ارتفاع صوت الشعر في سبيل تفجير اطار جابد ، فانه يتأقلم داخل اطاره هذا ، ويبقى مجرد اشارات مليئة بالانفعال . الانفعال المباشر والحاد هو السمة الرئيسية لهذه القصيدة ، لذلك نعثر على الدلالة فيها نفتقد الإشارة ، اي نصل الى النتائج بوصفها معطى : « فلتفتتح يا سيدتي أبواب السجن ، طفح الحزن !! » .

وفي القصيدة الثانية « عز الدين القسام جزء من حديث ذات ليلة باردة » . نعثر على محاولة تخطي هذا الاطار المطابق . يأتي الشعر هنا اكثر حرارة ، لكن المقرب الشعري هو مقرب يعيش في الذاكرة . اي ان القسام لا يحضر ، يستحضر كي يعيد جسده حرارة الاشياء . فينسب الشعر مبسوطا ، رومانسيا ، وحنيني الاقناع . يدور داخل الصدى ، دون ان يستطيع اختراق الذاكرة . مرة ثانية نعود الى اطار ثابت ، لا يستهد حركته من توتر درامي . بل يستهدا من خط مستقيم يبدأ حيث ينتهي ، مشعلا بعض مناطق الذاكرة الشعبية دون ان يفجرها :

« احبل تذكارات الامس

مواويل الجبل وصورا للاطفال الباكين

فانا منذ قتلت

هاجرت الى مملكة الاعشاب » .

المرجع الواضح : بتوكأ الشعر هنا على مرجع سياسي واضح . فهو يلتقط بعض صور الحياة اليومية ، لكنه يكتفي بتسجيلها ، تاركا اياها تنساب خارج القصيدة . فالمرجع الواضح حين يصبح مجرد امتداد عار لتصور محدد ، فانه لا يضيف على القصيدة الا التماعات لا تخترق بنيتها الدرامية . لكنها لا تستطيع الوصول الى رمز حقيقي حين تستوعب الاسطورة الشعبية في ثناياها . فتضمين الشعر العامي في قصيدة « القسام » ، ينقل الذاكرة الشعبية الى الواقع اليومي . غير ان الملاحظة الاساسية على المرجع الواضح هو في

تسحق ولا تسبح للشعر بحيز أكبر . وعد النبوة يتراجع امام وعد الحزن الاتي بوصفه « شمارة المذبحة » . حول اشارة المذبحة يتعلق الشعر ، يصيغ مرات للزمن عندما يخون ، يستلهم التراث والحكاية الشعبية ، ثم يمتد في مخاطبة واضحة ومباشرة تزج الصراخ بالبكاء . هنا لا مكان سوى لايبصال يجلس في مكنم الذكريات ، يوقظها ، ويقيم حولها عرسا شعريا له ايقاع جنائزي . رتابة الايقاع هي رتابة ايبصال مباشر يحاول اختراق كثافة اللحظات دون ان يوحداه ، يأتي الشعر تنوعيا ، ويصيح الصوت الفلسطيني رجح الدماء والحلم حين يمتزجان على ارضية الموت .

الحزن الفلسطيني : تلقي تجربة ايلول

والاحراش ، بثقلها على النتاج الفلسطيني الجديد ، ففي القصة القصيرة والشعر ، يرتفع الحزن المزوج بطعم رماد الحرائق ، ليغطي حيزا واسعا من المساحة الفنية . يحرق الشعر ويصل الى الكتابة . هكذا يعود الصوت الفلسطيني ، او اجزاء واسعة منه على الاقل ، الى رومانسية البدايات ، وقد امتلا ثقوبا فجيعة ، وتراجعا امام الهزيمة . فيدور حول نفسه في نقطة ايدولوجية محدودة ، مستصرخا البدايات :

« واستطلمي وجهي المحنى بالتراب

وما كتبت عن الذي يأتي

فما سمعوا

وها انذا تضج بين البلاد ويكبر الوجع » .

امام الحزن الفلسطيني السابع ، يصبح جسد الشعر ، بحثا عن مصطلحاته وعن لغته . اي لا وجود لنقطة محددة يجري البحث عنها ، بل هناك سبل من الانفعالات المتبوعة تبحث لنفسها عن وعاء .

المصطلح الشعري : في بحثه عن مصطلحه

الشعري ، يقع محمد القيسي على ثلاثة اطارات : **القصيدة الدرامية** التي تظهر في الحوار ، وفي التطور المفترض لبطلها الرئيسي . يظهر هذا الاصطلاح في قصيدتين : « حين قسال سامرلا في مواجهة الاولى » : حيث تقع على المباشرة الصارخة التي تحيل الصورة الشعرية الى صدى ، وتشل الحركة المسداخلية للحوار . فالتطسور

أي لحظات داخل القصيدة . فلا وجود هنا ،
للصورة الشاملة التي تعيد بناء القصيدة بوصفها
جزءاً منها .

الفجعية والبنية الشعرية . لا تزال التجارب
الشعرية الجديدة عاجزة عن اختراق المصطلح
الشعري الذي جرت صياغته من قبل « الرواد » .
فلا يزال هذا الشعر في اقلبه ينوع على موضوعات
سابقة ، بلغة شعرية تفترض امامها نموذجاً .
والقيسي عندما يحاول الوصول الى فجيعةتنا ،
لا يقيم لهذه الفجعة لغتها الخاصة . ينوع داخل
حقل المدى الفلسطيني الذي اعطى الكثير منى
ثقافتنا المعاصرة . لكن الشعر حين يريد ان لا يكون
مجرد صدى ، لا يستطيع التخطي الا عبر لغة
جديدة ، تبررها بل تفرضها ممارسة مختلفة هي
ممارستنا الفلسطينية في السنوات العشر الاخيرة .

سهولته المفترضة : فهذه السهولة توحى بالقدرة
على امتيعها مع ان هذا الاستيعاب هو احد
اعتد الامور في بنية الشعر ، لانه ينقل هذه البنية
الى التعدد ، والتعدد لا يمكن ان يكون وحيد
الجانب . من هنا فهي تستدعي تعدداً آخر وبنية
مختلفة . هي بنية القصيدة التي تمتزج فيهما
الاصوات ، ولا تتكئ على شكل من اشكال
المخاطبة . اما الاطار الثالث للمصطلح الشعري
في هذه المجموعة فهو **الصورة الشعرية** . طبعاً
يمكن دراسة الصورة الشعرية بشكل مستقل ،
لكننا سناخذها هنا بوصفها جزءاً من كل . فلنأخذ
ثلاثة امثلة على الصورة الشعرية في المجموعة :
(شرفة الحلم) (طفق الحزن) (حقول البكاء) .
تنتهي هذه الصور الى نسق واحد . هو النسق
المباشر . تفترض علاقة بين اشياء لا علاقة لهما
ببعضها مبدئياً . لكنها تبقى صوراً مستقيمة .

حول القصة الجديدة

داخل حقل شاسع ، يسمح للانفعالات بالوصول
الى اقصى درجاتها . ويدخل ايقاع العناصر —
المطر بشكل خاص — بوصفه حلقة من توازيات
الفعل البشري . يمتد لفتح للبداية مداخلاً عدة
لشكل التطور في الرواية . ثم يبدأ المدى يضيق .
يتحول المسرح الى حالة ، والسيناريو الى اطار
وصفي ، حتى نصل الى حلقة ضيقة يجتمع فيها
رجلان وحولهما المأساة والموت . تصبح المداخل
مجرد كوى يمكن الاطلاع منها ، لكن الحالة تتوحد
في سياق محدد بخط مستقيم يوحد الرجلان في محاولة
بسيطة وواضحة هو البطل . وتبدأ الدلالات
بالتراجع لتحصن نفسها ضمن **اشكالته واحدة**
للقراءة . فالرواية لا تتعدد . ونضيق حتى العودة
الى بداية جبيلة موعبة . اذا اردنا تبسيط الرواية
نستطيع ان نقول انها تحاول ان ترسم حالة الخائن
وحالة « البطل » حين يتوحدان امام الموت . هنا
حيث لا مكان سوى لهذا النوع من المواجهة ،
تنحل العلاقات ، وتعود بسيطة او مبسطة . لذلك
ياخذ الشكل الجديد في هذه الرواية بعداً شكلياً —
ولا نقول مجانياً — لان شكله ليس صفة لشكله .
بل هي الشكل نفسه ، وقد حاول فتح منفذ للرؤية

تطرح رواية الشاعر يوسف الصائغ « المسافة »
مسألة الشكل الروائي بشكل حاد وحاسم . فهي
ليست استكمالاً لمحاولة دمج الرواية بالشعر ،
او ليست محاولة لاستعارة بنية القصيدة داخل
الرواية . انها تدمر الشكل الروائي بشكل وحشي
ولا شاعري فعشوائية العناصر التي تقوم بدمجها
— المسرح . السينما ، السرد ، المونولوج ،
الحجم — تفرض شعوراً حاداً بالغرابة . هنا نعثر
على محاولة جدية للانتماء الى الرواية الجديدة .
لكن قراءة ثانية لهذا العهل ، تجعل من العشوائية
المفترضة ضوابط صارمة لتجربة حقيقية تبعثر
الشكل وتضغظ اللحظة السيكولوجية الى اقصى
الدرجات . فيتمشج « البطل » لحظة الخطيئة
الاولى ، ويسدل الستار على تداع من نوع خاص
تفرضه شهوة الحياة وقد لبست ثوب الجلال .

تبدأ الرواية بيمرئة هائلة . مجموعة من العناصر
(من ضمنها البطلان : هو والبطل) تائلف وتتمايز

* يوسف الصائغ : **المسافة** . منشورات اتحاد
الكتاب العرب ، دمشق ١٩٧٤ .

التشكيكية المختلفة ويشلها أمام حدث واحد ، لا يفتح العالم الداخلي ، بل يقوم باغلاقه . غياب العالم الداخلي — الحلم — لا يعني ان الاشياء تحتل الجزء الاساسي في الرواية ، كما في الرواية الجديدة . فالاشياء هنا وظيفية بشكل كامل . ليست عالما ، بل هي عناصر خارجية لعالم التوتير السيكولوجي الحاد الذي يطبع الرواية . هكذا تتحل تعقيدات الخيط الروائي تصبح خطأ واضحا ومستقيما . وحين تعيد قراءة الرواية ، لا نكتشف من جديد سوى وضوح المقدمات وبساطتها .

من السرد الى الحجم : العناصر الكلاسيكية التي نتوتعها في بنية أية رواية موجودة هنا . لكنها تفقد دلالتها القديمة ، لتأخذ دلالة مختلفة . **فالحوار** هو حوار مسرحي كامل . حتى الاضاءة موجودة . يتخلل هذا الحوار **مونولوج** مسرحي . (هو) يخاطب الجمهور ثم يخاطب زميله على المسرح . ثم يبرز المونولوج الداخلي على شكل نتوء مسرحي . أي انه نتوء يحاكي السرد القصصي دون ان يندمج فيه ، اذ يبقى على صيغة المخاطبة : « شعرت لأول مرة باليقظة . انني كنت مخدوعا وفقدت كل طائفة على الغضب والخوف والحزن . شيء واحد يبقى ، الهرب . كان الهرب معقولا ومبررا » . أو قد يأخذ صيغة الغائب : « خيل اليه ان قنينة الغاز في الحديقة جسم حي » . ثم يدخل **السرد العادي** ، وكأننا في قصة عادية . فهو سرد بصيغة الماضي . يؤدي معنى اضافيا محددا : « ولم يعد القتل يستطيع كبح جراح حاجته الى التبول » . ثم يدخل عنصر **السيناريو السينمائي** . يأتي هذا العنصر كاشارات ممكنة لإخراج مقاطع من العمل سينمائيا : « المنظر يرى من سطح الدار ، يبدو ان من الأعلى أصغر حجبا ، جركتهما مرتبكة (هو) الى الامام وهي وراءه ... والمطر » . اشارات السيناريو هذه تتحول في مشهد لاحق الى مشهد سينمائي حقيقي يؤدي وظيفة **الذاكرة** . حتى تصل الى **مباشرة** مسرحية عادية جدا . هنا يرتفع صوت البطل كما في المسرح التعليمي ، يستخلص منطقه او منطق علاقات المسرحية بشكل علني وأمام الجمهور : « يا أيها الناس هل أنتم واثقون أنكم لو خضتم تجربتي ، وعانيتم عذابي وضعفي ... وقوتي ، لكتتم مؤهلين للخروج من كل ذلك بالبطولة ؟ ها ؟ أجيبوني » . لكن العناصر

الاساسية التي تضبط حركة الرواية وتمطيها بعدها الروائية العربية ، التي تحتاج الى الكثير من المنافذ .

العناصر والشخصيات : نبدأ أمام مسرح تحتله ثلاث شخصيات . انا وهو والقتيل (البطل) . وهناك جمهور واسع يعلق على الحوار ، وذكريات تخترق جدران المسرح لتفتنا الى البدايات . بداية الهرب وبداية الخيانة . (هو) : خائن قتل البطل بوصفه سجانا . و (انا) هي شخصية المؤلف التي تعلق . الرواية باسرها تدور حول محاولة (هو) تبرير عمله . يقفز رجل من الجمهور على المسرح ويعاد تمثيل الجريمة . (هو) سجين يريد من البطل الخيانة ليصبح خائنا مثله . يأخذ مهلة خمسة ايام ليجمعه يتعاون مع السلطنة . هنا يبدأ أكثر فصول الرواية توترا و (تقليدية) ، ثم يقوم الخائن بقتل البطل كي ينقذه . حول هذا الخط الواضح والبسيط تأخذ لعبة الشكل في الرواية مدلولاتها الكاملة . ثم تأتي العناصر — المطر ، التبول ، التغوط ، البرد — لتلعب دورا مساعدا للشخصيات الثلاث . تقوم بوظيفة الخلفية التي تشحن الحركة بمدى القدرة على التبلور .

انا هو القاتل الجمهور، المرأة، المطر، السجن

أقدم	يروى	ميدان الفعل
أعلق	يسرد	انفعالات
		صدى الحركة
	يفعل	مباشرة
		وبسيطة

يستطيع هذا الشكل ان يحدد العلاقات داخل الرواية . فالراوي (انا) هو المؤلف الذي يكتفي بدور التقديم ، دور الحكواتي على المسرح ، ثم يعلق بشكل سريع ومختصر . (هو) اساس الحركة في الرواية ، نقطة التقاطع . يروي الحدث ، ثم يسرده بشكل مسرحي (مونولوج) أو بشكل روائي (سرد بصيغة المفرد) ثم يقوم بالفعل الاساسي : القتل . (القاتل) هو ميدان الفعل ، يتنقل بين الشخصية الحقيقية والصورة . أما بقية الشخصيات فهي مجرد صدى لعلاقة (هو) (بالقتيل) . بقية العلاقات هذه التي تتمحور على شخصيتين فقط ، تسمح للشكل بأن يأخذ مداه الكامل . لكن الاطار المحدد — القتل — الذي يفرض على الرواية بوصفه اطارا وحيد الجانب ، يعمق تحرك العناصر

٤ — **الحجم**؛ ربما كان الحجم هو المبرر الأساسي لهذه اللمبة التشكيلية . فنحن نصل الى التجسيم الذي يقترب من محاولات التصيدة المعاصرة . اذ يحتل الحجم حيز السرد في بعض الاحيان، او يسمح للقراءة بان تأخذ شكل الحالة السيكولوجية دون ان يقوم الكاتب بوصف هذه الحالة : « هو : (ينظر اليها لا يجد كلاما يقوله ... ما تزال به حاجة الى الهرب) .

المطر : يزداد

الحديقة : تلتهم » .

الرواية بأسرها هي محاولة لقراءة النص بوصفه شكلا أو حجبا . لذلك تقوم العين المباشرة بدور المخيلة . وتأتي العناصر المختلفة لتقوم بتعدد لا تسمح به رتابة المواجهة بين (هو) والقتيل .

الرواية ومسافة التجديد : تأتي رواية يوسف الصائغ ، لتنتقل هبا عاما ، بضرورة تجاوز الاطارات الثابتة من ضمن خروج الرؤية الروائية من قوتمة الحدث والسرد ، لتشددك في صياغة الشكل الجديد، الذي يجيب على طموحات فنية مشروعة . لكنها لم تسمح لنفسها بالامتداد داخل عالمها : الحلم ، والأشياء . لامستهما في بنية تتحكم بها ضوابط بالغة الاتقان ، واستطاعت رغم هذا ان تكشف عالما خاصا ، عالم السجن ، دون رومانسية مفتعلة او وعظمية عبثية ، بل حاولت ان تحافظ على الحدود بين الموت وشهوة الحياة . وتقدمت لحظات بالغة التوتر : « كنت أضغط على رقبته ... وكان مطر يسقط في مكان من روجي . مطر ولذة تعدل السقوط والخيبة واليأس ... كانت الحياة تنخر في صدري آه ... اه ... كنا بدائيين مثل الخطيئة الاولى ... وصوته ... اع ... خ ... وعندما انتهى كل شيء ... أحسست بالراحة ... وبدأ مطر كثير بالسقوط » .

هذه الرواية هي اشارة نحو روايات لا تنفذ من قراءة اولى ، بل تتسع لعالم يمتد ليحضر تجربتنا الحقيقية التي لم تكتب سوى أحرفها الاولى .

التشكيلي الجديد ، هي عناصر جديدة ، لم تستعمل قبلا او لم تستعمل الى جانب بعضها في البنية الروائية السابقة هي :

١ — **الإيقاع الثابت** الذي يبدو وكأنه الصوت الخارج من الرواية . انه الثابت الأساسي الذي يوقع الحالة السيكولوجية ضمن مدلولاتها . فالحالة السيكولوجية ليست وليدة مجانية في العلاقات . انها وليدة توتر حقيقي ، تعود عناصره الى التذكير الدائم بنفسها . منضبط حركة العلاقات بشكل ثابت ، ولا تسمح لها بالجروح التخيلي :

« آلة تسجيل تعيد المقطع

— أفعل ما تريدون ...

— تخون ؟

— أجل ...

— قلها ...

— ماذا أقول ؟

— قل أخون ... » .

٢ — **الصورة** : لا تدخل الصورة هنا بوصفها عنصرا خاصا ، انها جزء من المونولوج . لكنه جزء يحمل حس المفاجأة والقرع الداخلي . فهي اما ان تكون تشبيها حسيا : « يبدو كم المسترة مثل يد مشنوق » ، او تتوتر في تشبيه حاد وفاعل « بدائيين مثل الخطيئة الاولى » ، لكنها تبقى اضافة تقم توازنا داخل التجدد الروائي .

٣ — **التعدد** الذي لا يأخذ مداه ، ضمن بنية مضغوطة الى هذا الحد ، الا في لحظات قصيرة . فيفتح نافذة ، كانت تستطيع الرواية لو وسعت مداها الوصول الى ما بعد الانبي — السيكولوجي . فهي حين نصف علاقة (هو) بالمرأة ، تصل الى ذروة لا تتخطاها : « وفي غبرة من حباستي تذكرت ان الفجر سيكون مخيفا وصعبا ... وقتلا . فأغضت عيني ... وسقطت ... وظل الهواء يحملني ساعة كاملة . ورحت أنتظر بحماسة اللحظة التي أحس بها الأرض ... (نجاة يسمع صوت جسم يسقط ... يضاء المكان ...) » .

عيون في الحلم

« وتناقلت الافواه والأذان همسات سرية أخذت تقصمه وتقطعه اوصالا ثم تنشر اشلاءه على جبل طويل ». لكنه يكتشف استحالة الثأر لشرفه أو حتى ترك زوجته . فيبقى الى جانبها مستمسكا وراضيا بدور القواد التي تعصف في رأسه ذكريات النضال . وحين يأتي السرد القصصي ليتعامل معه بشكل نهائي ، فانه يحيل الحس المتساوي الى سخرية مريرة : « وعندما هز رأسه شعر به ثقيلًا كرخامة كبيرة . وامتدت يده لتحتسسه فاصطدمت بقرنين صفيين » . لكن هذه السخرية هي التعبير الاساسي عن الحس المتساوي الثاني ، حيث تأتي استسلاما أمام أوجاع لا تحصى لا تتوقف أمام الوجود ، بل تتركه ينساب على مساحة العلاقات الانسانية . ففي قصة « صفحات منكسرة من تاريخ المدن التي انتصرت » . نتعرف على شخصية « طاهر عبدالله العيسى » في موقف الهرب والتشرد . لكن هذا الموقف ليس حالة خاصة أو متعذرة . لذلك يتعامل معه المؤلف بحنان وقسوة . فالاختفاء عن أعين السلطة هو في الوقت نفسه تحد للزمن والاشياء . لذلك يأتي السرد القصصي ليخلص : « انعطف في زقاق جانبي لم يسلكه من قبل ، وعندما وصل الى نهايته وجدته مسدودا . كان الزقاق غارفا تماما . وعندما تلفت لم تسقط عيناه على وجه أو نافذة فتتحقق ازرار بنطاله وأخذ يتبول على الجدار » . وفي قصة « الوقعة » تتوقف طويلا أمام شخصية عباس النذاف . فهو نموذج عادي ويومي للرجل الذي تسحقه علاقاته ، حتى زواجه من فاطمة يتحول الى مدخل لانقاذ حياته اليومية من قمعها له .

قد تكون هذه النماذج الثلاثة مثلا واضحا على الحس المتساوي الذي يستقطب القصة دون ان يلقي بظلاله عليها . يأتي هذا الاستقطاب في حركتين أساسيتين : الحوار العادي جدا والذي يرسم اطارات العلاقة الاجتماعية . والسرد الختامي التدخلّي ، الذي يرغم هذا الاستقطاب الى مستوى الحلم اليومي . يتدخل الكاتب في السرد لرسم النهاية ، او يستطلق أحد أبطاله هذه النهاية

في مجموعة عبد الرحمن الربيعي القصصية ، اصرار على الحب المجاني ، فهو حين ينتقل بين مآسي وهبوم أبطاله ، ويتعامل معها ببساطة وواقعية لا يدوم الى شيء سوى الى الحب . يدفع القارئ الى الابتسام بحنان شفاف أمام أبطال يعيشون أوجه المأساة دون ان يجعلوا من مآساتهم حيزا تراجيديا صراغيا . فالمأساة التي تدفع الى السخرية هي الوجه الآخر للواقع ، وهي ايضا المقرب الآخر للقصة القصيرة او للرواية . نتعرف على نماذج لا تطلب شيئا منا ، لانها لا تطلب الحياة بأكثر من خيبتها . الانسان كما هو ، حين تأخذه تفاصيل حياته اليومية ، ولا تدع له مجالاً للتفكير بمصيره . وحين يطرح مأساة هذا المصير ، فانه يطرحها بشكل مبسط وهادئ ، يتعامل مع « ترويه » بحنان ، وتخرج ابتسامته لتغطي حيزا تراجيديا فقد قدرته على قتال الحياة ، فرضي بها كما هي دون تفلسف مفتعل ، وابتداء ينسج علاقاتها من جديد .

الحس المتساوي الثاني : خلف البسطة التي ترسم على المستوى الاول لهذه القصص . يقع حس متساوي مرهف وبالغ الحساسية . لا يأخذ من المأساة حجبها المباشر ، ولكنه يتوقف عند قدرتها على رسم شخصيات عادية لا تنسى . هنا تقع قيبة هذه القصص في مرحلتنا التأسيسية هذه ، حيث نفاجا بأبطال يبقون في الذاكرة بوصفهم يحملون احساسا عابا ، ثم ينتشرون على مساحة علاقاتنا اليومية . تتوقف امامهم وتبدأ من خلال علاقاتك اليومية بهم اكتشاف المأساة الحقيقية التي تلف حياتهم . يظهر هذا جليا منذ النصة الاولى « مملكة الوعول » ، حيث لا يزال الحس المتساوي في المقدمة ولم يخفف بعد خلف النكتة السوداء بشكل كامل . نسعدني السجين ، يخرج من السجن ليكتشف ان زوجته التي يحبها قد أصبحت مومسا :

✽ عبد الرحمن مجيد الربيعي : عيون في الحلم ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق

مجانية ، لا هدف لها سوى الوصول الى جزء من لوحة تصور أشياء الواقع . كذلك تبقى بعيدة عن القدرة على الوصول الى لحظة توتر تعيد خلق الشخصيات ضمن اطارات متعددة . فضغط الأطار الذي وضعه المؤلف بشكل مسبق ، لا يسمح سوى لنهاية مفاجئة تقطع حبل القصة وتركها معلقة في فراغ رسم شخصيات طريفة وموحية : « يشق رجال الشرطة طريقتهم صوب المدرسة . وجوه مقننة على حقد وتنن . الطلاب مصطفون . نحن أشبال صغار . نحن جند للبلاد . وان سقطت شهيدا . اقرأ أنت . لا تتعاس . أريد حنجرة صلبة . يتوقف النشيد .

— نريد المعلم سالم عباس درويش .

الرؤية والنفاذ : تؤطر هذه المجموعة القصصية الرؤية الفنية داخل حقل التقاط هوم مباشرة . تلتقطها وترمنها الى جانب بعضها في محاولة للوصول الى شخصيات طريفة وموحية . شخصيات تعلق بالذاكرة دون ان تطالبها بمعاناة جديدة . فالمعاناة هي معاناة أبطال القمص الذين يرسمون مسافة لا يستطيع الغارئ اجتيازها . فكأننا أمنام مسرح تعليمي فيه مجانية اللحظة ومأساتها في أن معا . غير ان اطار هذه الرؤية يعجز عن النفاذ نحو خلفيتها ، او هو يضع حدودا صارمة بين القصة القصيرة والشعر . فتبقى القصة زاوية لرؤية محددة الاطارات ، لا يخترقها سوى حس مأساوي يقبع خلف علاقاتها . وتتحرك الشخصيات في محاولة للبقاء ضمن ايقاع يتلون بانقطاعات الحركة وبالمفاجأة الاخيرة . هنا تفتح القصة منفاذا للشعر ، لكنه منفذ ضيق يحافظ على الحدود الصارمة ، ويؤشر الى امكانية تحول القصة القصيرة باتجاه الرؤية المباشرة التي تطلق لحظة ثم يغبرها توالي الاحداث اليومية .

العادية التي تعيد انتاج القصة بوصفها مأساة .

الشخصيات : في قصته الاخيرة « عيون في الحلم » ، نتعرف على ثلاث شخصيات رئيسية : سالم ، رشيد ونوري ، في علاقتهم ، دون ان نتعرف على ملامحهم خارج اطار شبكة محددة رسمها المؤلف بدقة . لذلك نبقى في حيز القصة القصيرة ولا ننتقل الى الرواية . الاساسي في هذه القصة هو القدرة على رسم الشخصيات بشكل دقيق . سالم ينتقل مدرسا الى احدى القرى النائية . ورشيد مجرد سكير ، ونوري رسام يبحث عن شخصيته الفنية . العلاقة بين هؤلاء ليست علاقة توتر ، انها علاقة يومية تتعامل مع المشاكل بشكل واقعي . لكن المأساة تقع هنا خلف واقعيتهما المفترضة . بمعاناة سالم التي تتوتر بين ليلي ومنى ، هي معاناة سياسية في الدرجة الاولى . انه داخل بحثه عن شخصيته يبحث عن شعبه في وجوه تلاميذه القراء . « أنتم لا تختلفون اليوم عن حيوانات الحقل بشيء ... ان لم تدركوا هذا اليوم فستدركونه غدا ... أسمعتم ما أقول » . غير ان هذه المعاناة السياسية ، لا تبقى معزولة عن اطار علاقة الثلاثة ببعضهم . فهذه العلاقة هي صدى الهم السياسي وان لم يأخذ هذا الهم حجما كبيرا في داخلها ، فهي تعبر عن معاناة حقيقية ، حيث العزلة والبأس والخبرة . غير ان روح الدعابة تصل هنا الى حد خلق شخصية كاريكاتورية هي شخصية عبد الجبار . ورغم ان هذه الشخصية تستند الى بعض عناصر نموذج الامتياز الريفي لكنها تأتي هنا وكأنها تنويح مبالغ فيه للحس الفكاهي في هذه المجموعة : « بلا مؤاخذة ولو أنا تصير الباع قليل الاطلاع في مثل هذه الامور لكنني لا أشرب الخمره نهي رجس من عمل الشيطان » . تنساب الشخصيات في علاقات

(١) المقاومة الفلسطينية

البيان الثلاثي

شير من الارض يتم تحريره وانتزاعه من الاحتلال»، كذلك أكد الاخ ياسر عبد ربه ، رئيس دائرة الاعلام والتوجيه القومي في منظمة التحرير ، عضو الوفد الفلسطيني الى الاجتماع الثلاثي « ان الاسس التي اتفق عليها تجعل أي حديث عن فك الارتباط من خلال الأردن او غيره او أي حديث عن ادعاء تمثيل جزء من الشعب الفلسطيني حديثا لاغيا ، حيث أن الجميع قد اتفقوا على ان الشعب الفلسطيني وحدة واحدة لا تتجزأ بقيادة منظمة التحرير الفلسطينية الممثلة الشرعية والوحيدة لهذا الشعب » (المصدر نفسه) .

وهكذا بالبيان الثلاثي اختتمت مرحلة ابتدأت بالبيان المصري - الاردني المشترك الصادر في الاسكندرية في ١٨ تموز الماضي اثر محادثات الملك حسين والرئيس السادات والذي « أشرك » الاردن في مسألة تمثيل الشعب الفلسطيني وأعطى الضوء الأخضر للنظام الاردني لتجربة حظه في « فك الارتباط » على الجبهة الاردنية . وإذا كان هذا التراجع في الموقف المصري يعزى في أحسن أسبابه إلى النضال السياسي الذي خاضته منظمة التحرير في أعقاب صدور بيان الاسكندرية للمحافظة على حقها المشروع في تمثيل الشعب الفلسطيني ولأن يكون لها الحق كذلك في تقرير مصير الارض الفلسطينية المحررة مستقبلا ، فإن ما يجب الاشارة اليه هو ان التبدل في الموقف المصري كان انعكاسا ونتيجة ، في جزء منه كذلك ، للمضغرات الدولية التي حدثت بعد صدور بيان الاسكندرية والتي نلم بها كما يلي :

لقد حققت منظمة التحرير الفلسطينية أكبر

عقد في القاهرة يومي ٢٠ و ٢١ ايلول الماضي اجتماع ضم وفودا مصرية وسورية وفلسطينية برئاسة اسماعيل فهمي وعبد الحليم خدام وفاروق القدومي على التوالي وفي نهاية الاجتماع صدر بيان اتطلق من مقررات مؤتمر القمة العربي السادس واتفق فيه المجتمعون على ما يلي :

« ١ - الاستمرار في العمل لتحقيق هدف النضال العربي في الانسحاب من جميع الاراضي العربية المحتلة واستعادة الحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني . ٢ - عدم قبول أية محاولة لتحقيق أية تسوية سياسية جزئية انطلاقا من وحدة القضية الفلسطينية . ٤ - تأكيد اقامة السلطة الوطنية الفلسطينية المستقلة على الارض الفلسطينية التي يتم تحريرها سياسيا وعسكريا ٥٠ - الاستمرار في تقديم الدعم لمنظمة التحرير الفلسطينية بوصفها الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني ومساعدتها من أجل ضمان الصمود داخل المناطق المحتلة . ٦ - تم الاتفاق على التنسيق كما يلي :

أ - التنسيق الدوري بين مصر وسوريا شهريا .
ب - التنسيق الدوري بين مصر وسوريا ومنظمة التحرير الفلسطينية . ج - التنسيق والاتصال مع الدول العربية الاخرى ... » . وقد عقب الاخ فاروق القدومي ، رئيس الدائرة السياسية في منظمة التحرير على هذا البيان (في حديث لاذاعة صوت فلسطين من القاهرة ، وما ١٢/٩) بقوله « لقد سويت مسألة تمثيل الشعب الفلسطيني تماما لصالح منظمة التحرير الفلسطينية ، كما سويت أيضا مسألة فك الارتباط على الجبهة الاردنية لصالح اقامة السلطة الوطنية فوق كل

الشيوع الاميركي تبني تعديلا قدمه السناتور الاميركي والتر مونديل يقضي بزيادة المساعدة الاقتصادية الى اسرائيل بمعدل ٢٥٠ مليون دولار في السنة بدلا من ٥٠ مليون دولار وبتحويل ١٠٠٠ مليون دولار من أصل ٣٠٠ مليون في السنة رصدت في شكل قروض لمبيعات عسكرية ، تحويلها الى منحة . وكان لا بد ان تنعكس هذه السياسة الاميركية في الموقف الاسرائيلي من الانسحاب من الاراضي المحتلة انعكاسا متصليا . وكان دليل ذلك ما أعلنه رايبين في ١/١٥ من ان اسرائيل أبلغت مصر بواسطة الولايات المتحدة اقتراحاتها للتوصل الى اتفاق لالغاء حالة العداء بين البلدين كشرط لانسحاب اسرائيلي جديد من سيناء . وذكر رايبين ان عناصر هذا الاتفاق تشمل : * انتهاء حالة العداء على الصعيد العسكري وعلى الصعيدين الاقتصادي والدبلوماسي . * انتهاء المقاطعة العربية . * تعهد مصري بعدم اغلاق مضيق باب المندب مجددا أمام الملاحة الاسرائيلية . * اقامة اتصالات بريدية وهاتفية بين البلدين .

هذه الشروط المستحيلة اظهرت الى أي مدى يمكن السير في الشوط الاميركي الى نهايته . ولكن ما هو تأثير ذلك على الموقف من مسألة التمثيل الفلسطيني ؟

ان التقارب الاميركي المصري كان لا بد ان ينعكس ايجابا على الموقف من الإردن بهدف اشراكه في التسوية واعطائه دورا في تقرير مصير الارض الفلسطينية (فلسطين الوسطى او الضفة الغربية تحديدا) من خلال دفعه الى خوض تجربة فك الارتباط الذي يعني سياسيا عودة النظام الاردني الى التسلط ، ولو مدنيا ، على الارض الفلسطينية . غير ان مصر يمكن ان تكون في حل من امرها تجاه هذه المسألة اذا ثبت بالتحليل ومن خلال المعلومات التي تتداولها اوساط المقاومة ، ان ثمة وقفه مراجعة بالفعل للانجراف المصري باتجاه الرهان على الموقف الاميركي الذي تميزت به المرحلة الماضية . وقد ظهرت بوادر هذه المراجعة بشكل مباشر من خلال البحث عن اعادة العلاقات الى حالتها الطبيعية مع الاتحاد السوفياتي (زيارة وزير خارجية مصر الى موسكو في ١٠/١٤ وما تردد عن توسط الرئيس الاسد بين القاهرة وموسكو) كما تظهر بشكل غير مباشر في عودة مصر عن موقفها

انجازاتها على صعيد عالمي بالنسبة لمسألة التمثيل الفلسطيني عندما اعترف بها الاتحاد السوفياتي ممثلة وحيدة للشعب الفلسطيني وما تبع - هذا الاعتراف من موافق مماثلة من جانب دول المنظمة الاشتراكية جميعا . وقد جاء هذا الاعتراف بعد أيام قلائل من بيان الاسكندرية . وقد أكسب هذا الامر منظمة التحرير وضعاً جعل أي موقف عربي لا يسلم بحق المنظمة في تمثيل جميع الشعب الفلسطيني موقفا متعذرا وغير قابل للتفسير . كذلك جاء تبني جامعة الدول العربية لمسألة طرح القضية الفلسطينية بندا مستقلا في جدول أعمال الجمعية العمومية للأمم المتحدة وما قد يتبع هذا الامر من توجيه دعوة لمنظمة التحرير ، باعتبارها ممثلة الشعب الفلسطيني ، لمناقشة هذه القضية لدى طرحها ، كل ذلك جعل التراجع عن بيان الاسكندرية واعادة التأكيد العربي على الاعتراف بوحداية التمثيل الفلسطيني امرا غير قابل للنقاش .

بالإضافة الى ذلك ينبغي الا يتقل من أهمية عامل بدأت بوادره تظهر مؤخرا وهو ما يمكن ان يوصف بأنه الاحباط المصري تجاه الامل التي علق على السياسة الاميركية ازاء تسوية النزاع في الشرق الاوسط . فقد ظهر منذ ما بعد حرب تشرين الاول ان الرهان المصري على الحصان الاميركي كان رهانا استراتيجيا بأمل ان تقوم الولايات المتحدة بممارسة ضغوط على اسرائيل تجبرها على الانسحاب من الاراضي العربية المحتلة . غير ان عددا من الدلائل بدأت تشير الى ان هذه «الضغوط» التي ترجمتها الوحيدة كبيع مصادر التسليح والتموين عن اسرائيل ، ليست وازدة . وكان من هذه الدلائل ما نقلته وكالات الأنباء (٩/١٥) عن مصادر رسمية في واشنطن من ان الولايات المتحدة ستنتهي من عملية تعويض طائرات الفانتوم الخمسين التي فقدتها اسرائيل في حرب تشرين الاول قبل نهاية الصيف المقبل كذلك ما ذكرته هذه الوكالات عن الاتفاق الذي توصل اليه الرئيس الاميركي مورو ورئيس الحكومة الاسرائيلية اسحاق رايبين في اثناء زيارته الاخيرة الى الولايات المتحدة على ان اسرائيل ستلتقي بين ٢٠٠ و ٢٥٠ دباية باتون أم ٦٠ وعددا غير محدد من طائرات الهليكوبتر (كوبرا) وقنابل سمارت الموجهة بأشعة لايزر خلال فترة لا تتعدى سنة . كما ذكرت انباء لاحقة (١٠/٢) ان مجلس

ودعوته الى حضور مؤتمر جنيف من قبل كل من حكومتي الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة باعتباره دولة احتلت أجزاء من اراضيها في حرب حزيران ١٩٦٧ . غير ان الحكومة الاردنية مع هذا القرار ابقت الباب مواربا للعودة منه الى المناورة فقد اعتبر البيان « ان قرار التجديد يأتي كخطوة مرحلية حتى يتم لقاء القمة العربي المقبل » كذلك « هدد » البيان بـ « ان الأردن الذي ينتظر انعقاد مؤتمر القمة العربي المقبل ليقرر مسبقا ان تبني البيان المذكور [الثلاثي] سيعني اعفائه من كل مسؤولية سياسية وعلاقة مباشرة خاصة بالقضية وستتحمل مسؤولية هذا القرار ونتائجها والتبعات المترتبة عليه مجموعة الدول العربية الشقيقة كافة » .

بالنسبة لفك الارتباط على الجبهة الاردنية وتسليمها بحق منظمة التحرير في تقرير مصير الارض الفلسطينية التي تنسحب منها اسرائيل دون ان يشاركها هذا الحق النظام الاردني ، الامر الذي يستتبع تأكيد الاعتراف بأن منظمة التحرير تمثل جميع الفلسطينيين بمن فيهم فلسطينيو الاردن .

لقد جاءت ردة الفعل الاردنية تجاه البيان الثلاثي حادة لان البيان أخرج النظام الاردني فعلا من كل ما له علاقة بفلسطين الوسطى ارضا وشعبا . وقد أصدرت الحكومة الاردنية بيانا (٩/٢٢) أعلنت فيه اعتبارا من تاريخه « تجديد كل نشاط او تحرك سياسي اردني جاء انطلاقا من قبول الاردن المشاركة في أعمال مؤتمر جنيف والنشاطات المنبثقة عنه او جاء نتيجة قبول الاردن قرار مجلس الامن الدولي الرقمين ٢٤٢ و٢٣٨

العلاقات الفلسطينية الداخلية

الجهادية وفي اللجان الشعبية للمخيمات » . كذلك أكدت « الهدف » الناطقة باسم الجبهة (١٩٧٤/١٠/٥) « ان انسحابنا من اللجنة التنفيذية والمجلس المركزي لا يعني انسحابنا من منظمة التحرير التي هي الممثل الشرعي للشعب الفلسطيني » .

أما ردود الفعل فكانت كما يلي :

أعلنت جبهة التحرير العربية انها تفهم الخطوة التي اتخذتها الجبهة الشعبية « التي نلتقي واياها على ارضية مشتركة واحدة هي ضرورة مقاومة اطروحات التسوية الهادفة الى تصفية قضيتنا » ، كذلك أعلنت الجبهة الشعبية — القيادة العسامة انها « ترى ان من حق الجبهة الشعبية او أي تنظيم آخر اتخاذ الموقف الذي يراه مناسبا ومتلائما مع رؤياه السياسية في مسألة العلاقة مع منظمة التحرير . اننا نلتقي مع الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين على ارضية سياسية واحدة رافضة للتسوية الاستسلامية ، ولكل ما يتعلق بها ، وندين مع كل التوجيهات المنحرفة فلسطينيا وعربيا... » .

على صعيد اللجنة التنفيذية فقد أصدرت بيانا (٩/٢٦) قالت فيه انها تأسف « للبيان الصادر عن الجبهة الشعبية بشأن انسحابها من عضوية اللجنة في وقت تخوض فيه منظمة التحرير الفلسطينية أضخم معاركها السياسية والعسكرية

شهدت الساحة الفلسطينية خلال الشهر الماضي توترا في العلاقات الداخلية تمثل في انسحاب الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين من اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية . ولم يكن هذا الحدث غير ختام مرحلة من الحوار الفلسطيني الذي شهدته حركة المقاومة بشكل كثيف بعد حرب تشرين والذي دار أساسا حول نتائج الحرب وما يمكن ان تسفر عنه التحركات السياسية الفلسطينية والعربية والدولية التي أعقبها . ففي ٩/٢٦ عقد الاخ ابو ماهر ، عضو قيادة الجبهة ورئيس دائرة التنظيم الشعبي في منظمة التحرير مؤتمرا صحافيا في مقر الجبهة في مخيم شاتيلا تلا فيه بيانا صحافيا أعلن فيه هذا الاجراء الذي اتخذته قيادة الجبهة مبينا في شماني نقاط التبريرات التي رأتها الجبهة أسبابا لانسحابها من اللجنة التنفيذية دارت في معظمها حول موقف الجبهة من التسوية ومؤتمر جنيف العنيد وهو موقف كررته ادبيات الجبهة منذ ما بعد حرب تشرين .

قبل الانتقال الى ردود الفعل تجدر الإشارة الى ان البيان لم يعلن انسحاب الجبهة من منظمة التحرير الفلسطينية فقد جاء فيه « اننا اذ ننسحب من اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير فاننا سنبقى في المجلس الوطني الفلسطيني وفي الاتحادات والمنظمات

غير ان الجبهة كما يبدو من خلال بياناتها السياسية ومواقفها وتحركاتها مصممة على موقفها الذي أعلنته في بيانها الاول عن الانسحاب . فقد أصدرت بياناً - رداً على قرارات المجلس المركزي (الهدف ١٠/٥) قالت فيه « ان بيان المناشدة الذي صدر عن المجلس المركزي هو محاولة لتجنب معالجة القضايا السياسية المركزية التي شكلت حيثيات قرار الانسحاب من اللجنة التنفيذية ... ان تصميماً وتأكيدنا على صحة موقفنا لا تثنيه تحذيرات او مساومات ، والجبهة على أشد ما تكون من الاستعداد لتحمل النتائج ... » ، ومن التحركات السياسية التي قامت بها الجبهة لتدعيم موقفها اشتراكها بوفد ضم أعضاء من أربع منظمات هي بالإضافة الى الجبهة الشعبية ، الجبهة الشعبية - القيادة العامة ، جبهة التحرير العربية ، جبهة النضال الشعبي ، قام بزيارة الى العراق انتهت يوم ١٠/١٣ . وقد جاء البيان الذي اورده وكالة الأنباء العراقية (الرسمية) عن هذه الزيارة عاماً لم يشر الى خصوصية المناسبة التي تمت فيها الزيارة . فقد جاء في هذا البيان ان الوفد أجرى « مباحثات سادها جو من التفاهم مع وفد من حزب البعث العربي الاشتراكي برئاسة السيد علي غنام ، عضو القيادة القومية للحزب ، وجرى خلالها استعراض عام وتبادل في وجهات النظر حول الاوضاع الفلسطينية والعربية والدولية » .

عصام سخيني

ضد قوى الاعداء وتحقق انتصارات على الصعيدين العربي والدولي وتكرس وحدة الشعب الفلسطيني حول قيادته الموحدة . ان اللجنة التنفيذية وهي تؤكد حرصها على وحدة الموقف الفلسطيني بما يخدم اهداف الثورة الفلسطينية وتتمسك بمقررات المجالس الوطنية وتواصي المجلس المركزي في دورته الاخيرة ، تدعو الجبهة الشعبية الى تقدير مسؤولية المرحلة ومهماتها والعودة عن موقفها الذي اتخذته . ان البيان الصادر عن الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين يستند الى معلومات غير صحيحة وقد عرضت في المجلس المركزي وجرى دحضها وتنفيدها وهي لا تستحق الالتفات اليها » . كذلك أصدر المجلس المركزي للمنظمة بياناً في ١٠/١ عقب اجتماع عقده في اليوم السابق « لمناقشة قرار الجبهة بالانسحاب من اللجنة التنفيذية والمجلس المركزي » وقد ذكر هذا البيان انه « تبين للمجلس بأن الوقائع التي أتى على ذكرها بيان قيادة الجبهة الشعبية في تبرير الانسحاب قد ثبت انها وقائع غير صحيحة ولا تتسجم مع المنطق ، وانها ليست أكثر من معلومات دستها على قيادة الجبهة الشعبية جهات مشبوهة وغير بريئة ، وانها لا يمكن ان تشكل تهمة ضد أحد » . وقد أكد المجلس في بيانه على ضرورة محاوره الجبهة الشعبية ، و « كلف لجنة خاصة من امضائه للقيام بهذه المهمة من أجل عودة الجبهة الشعبية الى الصف الوطني الموحد داخل منظمة التحرير الفلسطينية » .

(٢) القضية الفلسطينية دوليا

على ما يبدو ان المناقشات تناولت موضوع ما اذا كان يجب اعطاء الاولوية في التحرك الاسرائيلي المباشر الى مسألة اجراء مفاوضات ثنائية مع مصر أم الى التوصل الى اتفاق « لك الارتباط » مع الاردن قبل أي تحرك آخر . ويبدو ان النقاش جرى على أساس الجمع بين وجهة نظر رابين القائلة بأن تحقيق التفاهم مع الاردن سيكون أسهل بكثير اذا تمت مفاوضات ناجحة مع مصر أولا ، وبين الميل الامريكي الى ارضاء مطالب الملك حسين بصورة من الصور في المرحلة الحالية بتحقيق فك ارتباط ما على الجبهة الأردنية وذلك وفقا الى ما ألمح اليه البيان المشترك الامريكي الاردني الذي صدر عقب زيارة الملك حسين الى واشنطن في شهر آب المنصرم . أما بالنسبة للمساعدات العسكرية فلم يخف رابين بأن اسرائيل تريد الحصول عليها بأسرع ما يمكن لتمكين « من التحرك نحو السلام من مركز قوة » على حد قوله . وذكرت مصادر مطلعة ان رابين يريد الحصول على مساعدات عسكرية تقدر قيمتها بـ ١٠٠ مليون دولار سنويا . ومن المسلم به ان رابين قد بحث خلال زيارته في موضوع امكانيات الحصول على منظية التحرير الفلسطينية على اعتراف من الجمعية العمومية للأمم المتحدة بمفقتها كحركة تحرر وطني . وعلى أثر اجتماع رابين بالرئيس فوردي أوضح ناطق باسم البيت الابيض ان طبيعة المرحلة المقبلة من المفاوضات ستحدد خلال جولة كيسينجر المقبلة في الشرق الاوسط على اعتبار ان زيارة رابين هي استكمال لسلسلة الزيارات التي مر ذكرها معنا . كذلك ذكر الناطق بأن الرئيس فوردي أكد مجددا الصداقة القائمة بين الولايات المتحدة واسرائيل وتأييدها الكلي لانهما ورحاها . وبعد عودة رابين الى تل ابيب لم يكن قد اتضح بعد ما اذا كانت زيارته قد توصلت الى أية نتائج حاسمة بعد أم لا . مع ذلك فقد أعلن رابين في مؤتمر صحافي عقده لدى عودته بأنه توصل الى اتفاق مع الولايات المتحدة « حول الشريك المقبل في مفاوضات السلام » . ثم أضاف بأن « اسم هذا الشريك لن يعلن الا بعد أسابيع » . وقد فسر المرابطون تصريحه على انه اشارة الى اتفاته مع المسؤولين الامريكيين على التوجه نحو مفاوضات جديدة مع مصر تتبعها

يمكننا تلخيص التطورات التي طرأت على السياسة الدولية بالنسبة للقضية الفلسطينية في الشهر الماضي بالنقاط التالية : (١) الزيارة الاولى التي قام بها اسحق رابين الى واشنطن بعد توليه رئاسة الوزارة في اسرائيل . (٢) افتتاح الدورة الحالية لهيئة الامم المتحدة وما جرى خلالها من تطورات تتعلق بادراج القضية الفلسطينية على جدول أعمال الجمعية العمومية ودعوة منظية التحرير للمشاركة في مناقشتها بالاضافة الى التهديدات التي اطلقتها الولايات المتحدة ضد الدول العربية المنتجة للبتترول من على منبر الجمعية العمومية . (٣) الجولة الجديدة التي قام بها كيسينجر في المنطقة . وستتناول كل واحدة من هذه النقاط على حدة .

● في الاسبوع الثاني من شهر ايلول قام رابين بزيارته الاولى كرئيس للوزراء الى واشنطن . وجاءت زيارته هذه استكمالاً لسلسلة من الزيارات المشابهة التي قامت بها بعض الزعامات العربية ووزير خارجية اسرائيل الى واشنطن خلال شهر آب . ومن جملة من شاركوا في هذه السلسلة الملك حسين . ورئيس وزرائه ، وعبد الحليم خدام وزير خارجية سوريا ، واسماعيل مهدي وزير خارجية مصر ، وعمر السقايف المسؤول عن الشؤون الخارجية في المملكة العربية السعودية . وكان الهدف المعلن لهذه الزيارات اجراء مشاورات ومباحثات مع الرئيس الامريكي ووزير خارجيته بصدد المرحلة المقبلة من مساعي التسوية السلمية للنزاع العربي الاسرائيلي . وبالنسبة لرابين فقد ادلى بتصريح قبل سفره الى الولايات المتحدة ذكر فيه بأنه سيقابل الرئيس فوردي وكيسينجر ووزير الدفاع الامريكي ووليم سايهون وزير الخزائنة بالاضافة الى عدد من الشخصيات النافذة في هرم السلطة الامريكية . وأوضح رابين بأنه سيبحث في اجتماعاته في واشنطن في كل ما تحتاج اليه اسرائيل من الدعم الامريكي . وفي واشنطن شدد رابين في التصريحات التي ادلى بها بعد اجتماعاته المطولة بالزعامات الامريكية على طبيعة الخطوة المقبلة في المسيرة نحو تسوية الازمة وعلى مسألة المساعدات العسكرية الامريكية الى اسرائيل . وهذا يعني

الإسرائيلية شملت : (أ) إنهاء حالة العداء على الأصعدة العسكرية والاقتصادية والدبلوماسية .
 (ب) إنهاء المقاطعة العربية . (ج) تعهد مصري بعدم إغلاق مضيق باب المندب مجدداً في وجه الملاحة الإسرائيلية . (د) إقامة اتصالات بردية وهاتفية بين البلدين . وفي مقابل تحقيق هذا الاتفاق ستقدم إسرائيل على انسحاب جديد من سيناء بدون أي تحديد حالي لدى هذا الانسحاب . وفي أواخر شهر أيلول أكد وزير الإعلام الإسرائيلي آمارون ياريف في تصريح له ما كان قد تردد حول تفاهم رابين والزعماء الأمريكية على أن تكون الخطوة المقبلة في المفاوضات مع مصر وليس مع الأردن واعتبر أن المفاوضات من أجل تحقيق هذه الخطوة الجزئية قد بدأت فعلاً مع الزيارات التي قامت بها للزعامة العربية والشخصيات القيادية الإسرائيلية إلى واشنطن في الشهرين الأخيرين . وفي الأسبوع الثاني من شهر تشرين الأول أعلن رابين في الكنيست أن إسرائيل مستعدة لتقديم تنازلات في الأراضي المحتلة كمنه للسلام مع الدول العربية شرط ألا يطلب منها العودة إلى خطوط ٤ حزيران ١٩٦٧ . كما أكد أن حكومته مستعدة للتقدم نحو السلام على مراحل وليس في مرحلة كبيرة واحدة وأنها ستواصل إجراء المفاوضات مع الأردن بهذا الصدد ولكنها لن تتخذ أية إجراءات انسحابية فعلية من الضفة الغربية قبل إجراء انتخابات عامة حول هذا الموضوع .

● في هيئة الأمم أصبحت جهود الوفود العربية (باستثناء الوفد الأردني) بالتعاون مع ممثلي عدد من الدول الاشتراكية والاسيوية والافريقية الصديقة على كسب التأييد من أجل إدراج القضية الفلسطينية كبنء مستقل في جدول أعمال الجمعية العمومية مما سيعني حلول مناقشة القضية الفلسطينية في هذه الدورة محل « مشكلة الشرق الأوسط » التي كانت تناقش في السنوات الأخيرة . وبناء على ذلك فقد تقدمت ٤٣ دولة عربية وغير عربية بطلب إلى مالدهايم لأدراج القضية الفلسطينية « كمادة مهمة وعاجلة » في جدول أعمال الجمعية العمومية . ومن المتوقع أن تبدأ مناقشة هذا البند بعد انتهاء المناقشة العامة في الجمعية العمومية بفترة قصيرة مما يعني أن الدعوة ستوجه إلى منظمة التحرير لحضور المناقشة بصفتها كمراتب . وفي ما يلي نثبت لائحة بالدول غير العربية التي وقعت على هذا الطلب بالإضافة إلى نص المذكرة

مفاوضات مع الأردن . كذلك أوضح في مؤتمره أن المرحلة المقبلة من المفاوضات العربية الإسرائيلية لن تعقد في جنيف وأن كيمينجر لن يعود في المستقبل القريب إلى ممارسة الدبلوماسية المتقطعة التي قام بها لتحقيق اتفاقيات فك الارتباط . وشدد على أنه قبل تحديد موعد انعقاد مؤتمر جنيف يجب إجراء مفاوضات تحضيرية تشكل الأساس الذي ستجري دعوة المؤتمر استناداً إليه . وبالنسبة لمسألة مناقشة القضية الفلسطينية في الجمعية العمومية قال رابين أنه شرح للزعامة الأمريكية بأن القضية الفلسطينية يجب أن تحل ضمن إطار المفاوضات مع الأردن إذ لا مكان لدولة ثالثة بين الأردن وإسرائيل ، وأن منظمة التحرير الفلسطينية لا يمكن أن تكون محاوراً مقبولاً أو شريكاً معترفاً به في المفاوضات بالنسبة لإسرائيل . وأكد أن الحكومة الأمريكية فهمت تماماً وجهة النظر الإسرائيلية هذه . في الواقع ذهب رابين إلى أبعد من ذلك في تأكيدات هذه حيث قال إنه عاد من واشنطن وهو مقتنع بأن الأمريكيين يتفقون مع إسرائيل على أن حل المشكلة الفلسطينية يجب أن يتم عن طريق مفاوضات بين الأردن وإسرائيل . وبالنسبة لمسألة إثارة القضية الفلسطينية في الجمعية العمومية قال بأنه يجب على إسرائيل أن تفعل كل ما في وسعها « لتثبت للعالم أن منظمة التحرير تعمل للقضاء على دولة إسرائيل وأن المنظمة هي العنصر المتطرف في العالم العربي مما يعني أن كل من يرغب في التحدث عن السلام عليه عدم الاعتراف بالمنظمة أو منحها حق التمثيل الذي تدعيه لنفسها » . إلا أنه اعترف بأن إسرائيل لا تستطيع أن تمنع مناقشة القضية في الجمعية العمومية . وفيما يتعلق بالنشاط الدوائي أكد رابين أن إسرائيل ستواصل نشاطها للقضاء عليه في كل وقت عن طريق حرب قواعده في لبنان « بكل الوسائل وبلا كلل حينما وحيثما يبدو لنا ذلك مناسباً » . أما بالنسبة لموضوع التسليح فقد أوضح أن الولايات المتحدة استجابت لطلبات إسرائيل للحصول على معدات حربية جديدة وخاصة في مجال الأسلحة المتطورة . وبهذا الصدد ذكرت مصادر صحافية مطلعة أن رابين أبلغ مصر بواسطة الولايات المتحدة اقتراحات إسرائيل حول التوصل إلى اتفاق يتم بموجبها إلغاء حالة العداء بين البلدين وذلك كشرط لانسحاب إسرائيل من سيناء . وذكرت هذه المصادر أن الاقتراحات

التوضيحية المرفقة به وذلك بسبب الأهمية التاريخية لهذا الحدث :

افغانستان وبلغاريا وبوروندي وتشاد والكونغو وكوبا والمانيا الشرقية وغينيا الاستوائية وغينيا والهند ومدغشقر وماليزيا ومالي ومنتغوليا والنيجر وباكستان ورومانيا والسنغال وسيراليون وتانزانيا وأوغندا ويوغوسلافيا وزيمر .

لقد عرضت القضية الفلسطينية على الجمعية العمومية منذ نيسان ١٩٤٧ . ونتيجة لبعض القرارات الأولى التي أصدرتها الجمعية العمومية والمتعلقة بهذه القضية فإن عددا كبيرا من الفلسطينيين نقلوا من أرضهم واضطروا الى معاناة وضع اللاجئين . كما ان الشعب الفلسطيني منع من ممارسة حقوقه الثابتة بما فيها حقه في تقرير المصير وفقا لميثاق الأمم المتحدة والقواعد المعترف بها من القانون الدولي . لكن يبقى انه خلال أكثر من عشرين سنة غابت المسألة الفلسطينية وغابت مسألة وضع الشعب الفلسطيني وحقه عن جدول أعمال كل دورات الجمعية العمومية ، وذلك رغم ان الجمعية العمومية وسواها من أجهزة الأمم المتحدة عالجت مختلف جوانب القضية الفلسطينية وتشعباتها ونائجها خلال هذه الفترة . ومنذ ١٩٤٨ اعترفت الجمعية العمومية وأكدت حق اللاجئين الفلسطينيين بالعودة الى أراضيهم ، ومنذ ١٩٧٠ اعترفت وأكدت الحقوق الثابتة لشعب فلسطين ومن ضمنها حقه في تقرير المصير . كما اعترفت المجتمع الدولي ، خارج إطار الأمم المتحدة ، في السنوات الماضية بهذه الحقوق في أشكال مختلفة .

... وحيث ان الأمم المتحدة تحل منذ انشائها مسؤولية تاريخية سياسية وقانونية تجاه القضية الفلسطينية ، فعلى الجمعية العمومية ان تبحث في القضية الفلسطينية كقضية فلسطينية شكلا ومضمونا ، وان تدرج بالتالي في جدول أعمالها مسألة عنوانها « القضية الفلسطينية » .

وقد أدت موافقة الجمعية العمومية على هذا الطلب الى ردة فعل عنيفة من جانب اسرائيل عبر عنها المندوب الإسرائيلي بقوله ان حكومته « لن تنفق مكدومة اليدين لان في ذلك (أي قرار الجمعية العمومية) تهديدا لصلحتها الحيوية وحيياة مواطنيها » . كما صرح المندوب الإسرائيلي ان

الولايات المتحدة أكدت لحكومته بأنها لا تعتبر منظمة التحرير الممثل الشرعي للشعب الفلسطيني وانها ما زالت تعترض على انشاء دولة فلسطينية بين اسرائيل والاردن وبهذه المناسبة أكد الزعيم السوفياتي ليونيد بريجنيف في رسالة بعثها الى رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير ان بلاده ستؤيد تأييدا كاملا الموقف الفلسطيني عند مناقشة القضية الفلسطينية في الجمعية العمومية . وذكرت مصادر صحافية مطلعة ان رسالة بريجنيف أكدت مجددا نظرة الاتحاد السوفياتي الى القضية الفلسطينية باعتبارها كقضية وطنية تحريرية وكمسألة حق تقرير مصر ، وان الدبلوماسية السوفياتية ستضع كل ثقلها لدعم الموقف الفلسطيني في الأمم المتحدة . وفي الواقع تقدمت ٧١ دولة عربية وأجنبية بمشروع قرار الى الجمعية العمومية لدعوة منظمة التحرير لارسال وفد لها للمشاركة في مناقشة القضية الفلسطينية . وفيما يلي نص مشروع هذا القرار الهام :

« ان الجمعية العمومية ، اذ تعتبر ان الشعب الفلسطيني هو الفريق الرئيسي المعني في مسألة فلسطين ، تدعو منظمة التحرير الفلسطينية ، وهي ممثلة الشعب الفلسطيني ، للمشاركة في مناقشات الجمعية العمومية حول مسألة فلسطين في الجلسات العامة » . وقد حاز هذا القرار تأييدا ساحقا من الدول الاعضاء اذ تم اقراره بأكثرية ١٠٥ أصوات شملت دول اوروبية رئيسية ومهمة مثل فرنسا وابطاليا والنرويج وايرلندا ولم تصوت ضده سوى دول هي الولايات المتحدة واسرائيل وبوليفيا وجمهورية الدومينيك كما امتنعت ٢٠ دولة عن التصويت بما فيها بريطانيا والمانيا الغربية . وبناء على هذا القرار وجه رئيس الجمعية العمومية عبد العزيز بوتفليقة برقية الى منظمة التحرير دعاها فيها الى المشاركة في مناقشة القضية الفلسطينية في مطلع شهر تشرين الثاني (توفمبر) . وواضح ان لهذا القرار أهمية كبرى لانه يعترف رسميا للمرة الأولى منذ ١٩٤٧ بكون الشعب الفلسطيني هو الطرف الرئيسي في قضية فلسطين باعتبارها كقضية دولية ، كما يعترف بمنظمة التحرير كممثل شرعي لهذا الشعب ، مما يعني ضمنا الاقرار بأن السلام والاستقرار في الشرق الاوسط مستحيلان بدون ضمان الحقوق الوطنية

تهدف الى تجسيد الموقف مجددا . وأكد غروميكو ان انسب منبر للنظر في مشكلة المنطقة ولتقديم الحلول المرضية لها هو مؤتمر جنيف . كما دعا الى اشراك ممثلي الشعب الفلسطيني في المؤتمر وأعلن ان بلاده تساند المطالب العربية الشرعية المتعلقة بانسحاب اسرائيل من كل الاراضي المحتلة عام ١٩٦٧ . وجدير بالاشارة الى ان تأكيد غروميكو على الضرورة العاجلة والمحة لاستئناف انعقاد مؤتمر جنيف جاء في وقت ظهر فيه تحول مفاجيء في موقف فالدهايم من المؤتمر وفائدته بالنسبة للتسوية في المنطقة . فبعدها كان فالدهايم يصر على ضرورة عقد المؤتمر في أسرع وقت ممكن ويعتبر تأجيله الى أبعد من نهاية ١٩٧٤ نكسة لجهود التسوية السلمية في المنطقة أخذ يدعو الان الى تأجيل انعقاده وتكرار ما يقوله الجانب الاميركي - الاسرائيلي حول « ضرورة الاعداد بعناية للمؤتمر وتنسيق مواقف الأطراف المعنية مسبقا » لضمان نجاحه . ولا شك ان هذا التحول في موقف فالدهايم ناتج عن الاصرار الاميركي على الا يكون مؤتمر جنيف سوى اطار علني وشكلي للتصديق على اتفاقيات يتم التوصل اليها في مفاوضات سرية ثنائية تحت الاشراف الاميركي . أما اسمايل فهمي وزير خارجية مصر فقد أكد في خطابه (أ) ان مصر لا تقبل حالة لاحرب ولاسلم جديدة لانها تريد سلاما عادلا ودائما . (ب) ان مصر ما زالت تعتقد ان مؤتمر جنيف هو المكان المناسب للبحث في كل نواحي ازمة الشرق الاوسط والوصول الى حل شامل ودائم لها . (ج) ان بلاده ترحب « بالتغيير السياسي في الموقف الاميركي نتيجة حرب تشرين » . (د) ان مصر تواتة الى اعطاء السياسة الاميركية « كل الفرص لتصبح منسجمة مع الحق والمبادئ والقانون » . أما وزير خارجية اسرائيل فقد أكد في خطابه رفض حكومته الاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية واصرارها على ضرورة حل مسألة الهوية الفلسطينية ضمن نطاق المفاوضات بين اسرائيل والاردن باعتباره يشكل الوطن القومي للفلسطينيين . وبلغ الجمعية العمومية بأن أي حل يعترف بطلبات منظمة التحرير ستعتبره اسرائيل « غير شرعي وغير ملزم بأي شكل من الاشكال » . وعلى صعيد آخر استخدمت الولايات المتحدة منبر الجمعية العمومية لتوجيه تهديدات شديدة للجهة الى الدول العربية عامة والدول المنتجة

لشعب الفلسطيني وفي مقدمتها حقه في تقرير مصيره . كذلك يشق هذا القرار أهميته التاريخية من كون دعوة منظمة التحرير الى حضور اجتماعات الجمعية العمومية هي الاولى من نوعها في تاريخ الامم المتحدة اذ لم يحصل حتى اليوم ان تكلم أمام الجمعية العمومية سوى ممثلي الدول والحكومات أما ممثلو حركات التحرير الوطنية وممثلو الشعوب المستعمرة فكانوا دائما يخاطبون لجان الجمعية . بعبارة أخرى لقد منحت الجمعية العمومية لأول مرة حركات التحرير حق مخاطبتها . يضاف الى ذلك انه ليس من المستبعد ان يسهل هذا القرار الى حد ما مهمة الأطراف المرة على دعوة منظمة التحرير الى مؤتمر جنيف - هذا اذا جرى عقده ، وان يسهل كذلك عملية الاعتراف بالحكومة الفلسطينية في المنى عندما يجري تشكيلها . ومن الواضح ايضا ان قرار الجمعية العمومية سيعطي المنظمة قوة جديدة في مؤتمر القمة العربي المقبل في الرباط وفي أية محادثات قد تتم بين الولايات المتحدة والقيادة الفلسطينية كما سيؤدي الى تمثيل المنظمة في المستقبل بصورة دائمة في الامم المتحدة بانتظار قيام الحكومة الفلسطينية . وليس من المستبعد ان يخلق هذا القرار شيئا من الاحراج لموقف الاردن والولايات المتحدة في رفضها الاعتراف بمنظمة التحرير كممثلة للشعب الفلسطيني وعلى اثر صدور هذا القرار صرح كورت فالدهايم ان قرار الجمعية العمومية يشكل : « نقطة تحول في تاريخ المنظمة الدولية لانها المرة الاولى التي تقر فيها هذه الجمعية الاستماع الى مندوبين لا يمثلون دولة او حكومة » . وشدد الامين العام لهيئة الامم على ان القرار يشكل خطوة مهمة « لان الجمعية العمومية اعترفت بان الموضوع الفلسطيني ضروري ليجاد أي حل لازمة الشرق الاوسط » . كما عبر عن امله في ان يساهم هذا القرار في تسوية الازمة في المنطقة .

في الكلمات الافتتاحية التي القيت أمام الجمعية العمومية تطرق عدد من الخطباء للكبار الى موضوع التسوية السلمية في المنطقة ومستقبل مؤتمر جنيف . دعا وزير الخارجية السوفياتي بقوة الى استئناف مؤتمر السلام هذا واتهم اسرائيل بأنها لا تعتبر اتفاقات فصل القوات في سيناء والجولان كخطوة اولى نحو التسوية الشاملة بل تنظر اليها كمناوره

الاعتبار تصاعد لهجة التهديد الأمريكية ضد الدول العربية والتصلب الذي أخذت تبديه إسرائيل بوضوح متزايد بالنسبة لموضوع الانسحاب من الأراضي العربية المحتلة بالإضافة الى تهيئة نفسها عسكريا لمواجهة الجانب العربي . لذلك أعلن مسؤول امريكي . رفيع عشية سفر كيسينجر الى المنطقة بأنه يجب عدم توقع تحقيق تقدم كبير باتجاه التسوية السلمية خلال الجولة الحالية للوزير الامريكي . ووصف المسؤول هذه الجولة بأنها تهدف الى اجراء محادثات تعتبر خطوة نحو المفاوضات لا أكثر . كانت اول عاصمة عربية يزورها كيسينجر هي القاهرة حيث أجرى محادثات مع الرئيس السادات ووزير خارجيته اسماعيل فهمي . وحدد الجانب الامريكي الهدف الرسمي للجولة بأنه البحث في خطط المرحلة المقبلة للسلام وتجنب تأزم الوضع في المنطقة وتعزيز العلاقات الامريكية مع الدول المعنية . وجدير بالذكر هنا ان كيسينجر أعلن في المطار قبل مغادرته للولايات المتحدة بأنه لا يفكر في الاجتماع الى ياسر عرفات او أي مسؤول فلسطيني خلال هذه الجولة . كما عاد الى تأكيد ما كان قد صرح به المسؤول الامريكي الرفيع اثناء اعداد المناقح المناسب للجولة بقوله انه يجب عدم توقع سفور هذه الجولة عن « نتائج ملموسة » او امور مثيرة وانه لا يحمل معه الى الشرق الاوسط أية أفكار جاهزة عن المراحل المقبلة للتسوية بل ان هدفة من الزيارة هو تعجيل عملية المفاوضات وتحديد برنامج زمني مع المسؤولين العرب والاسرائيليين لراحل التفاوض المقبلة . وأصر الوزير الامريكي على عدم تحديد تصوره للمرحلة المقبلة لمفاوضات السلام . كذلك عاد الى طرح موضوع النفط مجددا بقوله ان العنصر الوحيد الذي يمكن ان يدخل تغيرا هائلا على معطيات « أزمة النفط » هو ترابط أكبر بين الدول المستهلكة للكرى ، أي شدد كيسينجر مجددا على تكثيل الدول الصناعية الراسمالية في مواجهة الدول المنتجة للبتترول . وبطبيعة الحال لم ينف ان محادثاته الشرق اوسطية ستتناول موضوع البترول مع انه أشار الى ان المناقشات السياسية المتعلقة بالتسوية السلمية « يجب ان تجري الى حد ما في معزل عن المناقشات حول أسعار النفط وشحناته » . كذلك أكد كيسينجر الانباء التي ترددت حول العقبات التي اصطدمت بها المفاوضات الامريكية مع مصر واسرائيل حول

النفط بصورة خاصة . ففي الخطاب الذي القاه الرئيس فورد في هيئة الامم أعلن بصورة غير مألوفة دعمه الكامل لكيسينجر وأكد ثقته التامة به وذلك في تحرك من قبله للرد على الحملة التي أخذ يتعرض لها وزير خارجيته في الولايات المتحدة على اثر انكشاف الدور الذي قام به كيسينجر شخصيا (من خلال وكالة الاستخبارات المركزية) في عملية الاطاحة بالنظام اليساري السابق في التشيلي ، هذا بالإضافة الى التفاعلات السلبية التي أسفرت عنها السياسة الامريكية في ضرب نظام مكاربوس في قبرص . وبعد ان أخذ كيسينجر هذا التأييد المطلق من رئيسه اعطى منصة الجمعية العمومية ليوجه تهديداته الى الدول المنتجة للنفط . حيث قال ان العالم لا يستطيع ان يتحمل مستوى السعر الحالي للبتترول او الزيادات التي ستطرأ عليه مؤكدا انه كما جرى رفع سعر النفط بقرار سياسي يجب خفضه الان بقرار سياسي مماثل . كذلك اعتبر رفع أسعار النفط من قبل الدول المنتجة مقدمة محتملة لازمة اقتصادية عالمية كبيرة شبيهة بتلك التي حدثت في العام ١٩٣٠ . ملقيا بذلك مسؤولية وقوع مثل هذه الازمة في المستقبل على ماتب الدول النفطية . واتضحت مرامي هذه الجواتب من خطاب كيسينجر في الامم المتحدة عندما القى فورد في اليوم نفسه خطابا شديد ال لهجة حول موضوع البترول وأسعاره مثال فيه انه حصل في السابق ان خاضت الامم حروبا حول أشياء حيوية مثل المواد الخام والماء والغذاء والمرات البرية والمائية الخ . وحذر بنفس ال لهجة الدول النفطية بأن الدول ذات السيادة لا يمكن ان تسمح لقوى خارجية بأن تفرض عليهما سياساتها . ولم تكف السلطات الامريكية بعبارات التهديد وحدها بل أخذت خطوات هامة على طريق تكثيل الدول الراسمالية الصناعية الكبرى في جبهة متماسكة بهدف مواجهة الدول المنتجة للبتترول . أما فيما يتعلق بأزمة الشرق الاوسط فقد ذكر كيسينجر في خطابه ان الطريق الى السلام ما زالت طويلة .

● قبل انطلاق كيسينجر في جولته الشرق اوسطية الجديدة جرى اعداد الجو الاعلامي المناسب من قبل المسؤولين الامريكيين بحيث لا تبس أية توقعات كبيرة على النتائج التي ستؤدي اليها الجولة . وكان هذا الاعداد متوقعا عند الاخذ بعين

تزويد البلدين بالمفاعلات النووية حيث ذكر كيسينجر ان مصر واسرائيل رفضتا على السواء الاقتراحات الامريكية الداعية الى تقديم ضمانات اضافية حول الاستعمالات التي ستوضع هذه المفاعلات في خدمتها . وعند وصوله الى القاهرة ادلى كيسينجر بتصريح قال فيه ان بلاده تواصل مساهمتها في سبيل التقدم نحو السلام في الشرق الاوسط . وعلى اثر اجتماعه بالرئيس المصري ووزير خارجيته وصف كيسينجر المحادثات بأنها « كانت جيدة جدا وتناولت الوضع بأكمله » . كذلك ادلى الرئيس السادات بتصريح قال فيه ان المحادثات تناولت كامل الموقف بما في ذلك مؤتمر جنيف وان زيارته المقبلة الى واشنطن غير مرتبطة بمؤتمر جنيف . وعلى الرغم من التصريحات الملئية المتنازلة حول محادثات كيسينجر في القاهرة اُنادت الانباء التي تسربت حول الموقف الامريكي بما يلي : (ا) ان أحد الاهداف الرئيسية لجولة كيسينجر هو اقتناع الرئيس السادات بعدم الالحاح على عقد مؤتمر جنيف بسرعة والاستعانة عنه باجراء اتصالات عربية اسرائيلية تحت الاشراف الامريكي . ومن شأن مثل هذه الخطوة ان تبقى الاتحاد السوفييتي خارج اطار مفاوضات التسوية السلمية على غرار ما جرى بالنسبة لاتفاقيات فك الارتباط . (ب) ان كيسينجر اقترح ثلاث احتمالات لتحل محل مؤتمر جنيف في الوقت الحاضر وهي : اما ان يعقد وزراء خارضة الدول المعنية (مصر وسوريا والاردن واسرائيل) اجتماعات في واشنطن ، او ان يبقى جوزيف سيبكو في المنطقة ليفتقل بين العواصم المعنية على طرفة كيسينجر المشهورة ، او ان يتم اجراء محادثات بين ممثلين عن الدول العربية المعنية واسرائيل دون مستوى وزراء الخارجية (مثلا رؤساء البعثات في هيئة الأمم) . (ج) ان الرئيس السادات عرض على كيسينجر حله لتفضية فك الارتباط في الجبهة الاردنية والذي يقضى بأن تتولى القيادة العسكرية المصرية بشكل رئيسي التفاوض حول الانسحاب الاسرائيلي من الضفة الغربية على ان تجري هذه المفاوضات بواسطة امريكا وتحت اشرافها مما يضع الاتفاق الاردني الاسرائيلي على مستوى الاتفاقات السورية والمصرية المشابهة . (د) ان السادات يعتبر التوصل الى مثل هذا الاتفاق شرطاً لاستئناف مؤتمر جنيف وانه

طلب من كيسينجر نقل هذا الاقتراح الى السلطات الاسرائيلية وممارسة الضغط اللازم عليها كي تقبله . (هـ) ان الرئيس السادات لم يقبل بوجهة نظر كيسينجر بالنسبة لمؤتمر جنيف معتبراً ان عدم الاسراع في عقد المؤتمر يعني العودة بالمنطقة الى حالة الاحرب واللاسلم التي ترفضها مصر ولذلك أصر أمام كيسينجر على ضرورة انعقاد المؤتمر قبل نهاية هذا العام على ان تشارك فيه منظمة التحرير الفلسطينية . (و) ان الرئيس السادات وافق على تجديد مهمة القوات الدولية في سيناء واعطاء الاولوية في المفاوضات المقبلة للجبهة المصرية باعتبار ان وضعها أسهل من وضع الجبهتين السورية والاردنية . (ز) ان كيسينجر وعد الرئيس السادات بأن يعود الى القاهرة بعد زيارة تل ابيب وهو يحمل « الاقتراحات الاسرائيلية حول الانسحاب من سيناء مدعومة بخرائط تبين طبيعة هذا الانسحاب ومداه » . (ح) ان الرئيس السادات طمان الوزير الامريكي حول رغبة مصر وسوريا بتجنب اندلاع القتال وان كيسينجر أكد للرئيس المصري ان بلاده تادرة على منع اسرائيل من بدء الاشتباكات . (ط) ان الموقنين المصري والامريكي بشأن الفلسطينيين واحتمالات استئناف مؤتمر جنيف ظللا متباعدين .

وجدير بالملاحظة ان اسماعيل فهمي ادلى بتصريحات مبها على هامش زيارة كيسينجر لمصر كان أهم ما فيها قوله بالنسبة لتأكيد منظمة التحرير انها الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني بأن عبارتي « شرعي ووحيد » ما هي الا « عبارات تدخل في نطاق الصياغات والمراوغات » مدعماً وجهة نظره بالاشارة الى ان قرار هيئة الأمم لا يصف منظمة التحرير بهتين الصفتين . كذلك أكد فهمي ان مصر مصممة على اشتراك الفلسطينيين في مؤتمر جنيف « في الوقت المناسب » لان لهم دورهم في حل المشكلة ولكنه أكد في الوقت نفسه ان مصر لا تستطيع ان تتجاهل دور الاردن كدولة عربية وانها تحاول حل الاشكالات بين الاردن والمنظمة . ثم بين ان سياسة مصر تحاول تحييد امريكا ، الامر الذي يحتاج الى وقت طويل كما عبر عن اعتقاده بأن « أمريكا عندما ستكتشف ان الضغط الصهيوني — اليهودي قد تجاوز حدوده ستتخذ قرارها في الوقت المناسب فتضع مصلحتها القومية في الصدارة وتكتشف ان موقف الانحياز لاسرائيل هو موقف

في المنطقة . ورد كيسينجر على ذلك بقوله بأنه متأكد بأنه سيتوصل الى اتفاق مع المسؤولين الاسرائيليين « يكون في مصلحة كل شعوب هذه المنطقة ، وقبل كل شيء في مصلحة اصدقائنا هنا في اسرائيل » . وحتى الان لم تتسرب أية انباء حول مجرى محادثات كيسينجر مع رايبين وبقية المسؤولين الاسرائيليين باستثناء القول ، اولا بأن هناك اتجاها داخل الحكومة الاسرائيلية يرى بأن المرحلة المقبلة من المفاوضات يجب ان تكون مع الاردن بدلا من مصر وذلك تخوفا من تزايد قوة مركز منظمة التحرير بشكل عام ، وثانيا بأن الحكومة الاسرائيلية طلبت من كيسينجر اثارة موضوع الهجرة اليهودية من الاتحاد السوفياتي اثناء زيارته المقبلة لموسكو . وقبل مغادرته تل ابيب الى المملكة العربية السعودية صرح الوزير الامريكى « بأنه اتفق مع المسؤولين الاسرائيليين على المبادئ والاجراءات المتعلقة بالمرحلة المقبلة من محادثات السلام » وانه وجد اسرائيل مستعدة للعمل من أجل السلام بثبات واخلاص .

في الرياض قابل كيسينجر الملك فيصل وتباحث معه لمدة زادت على الساعتين في موضوعات النفط والتسوية السلمية في المنطقة . وقبل مغادرته السعودية باتجاه القاهرة مرة اخرى أعلن الوزير الامريكى « بأنه وجد الملك فيصل متفهما بالنسبة الى خطوات التسوية السلمية وارتفاع أسعار النفط » وانه اتفق مع الملك على متابعة تقوية العلاقات بين البلدين خاصة بعد ان قام بشرح وجهة النظر الامريكية حول التأثير السلبي الكبير الذي تتركه أسعار النفط الحالية على بنين الاقتصاد العالمي بكامله وعلى استقرار النظام الدولي بأسره . وعاد كيسينجر الى التأكيد بأن « موقف جلالته كان بناء ومتفهما » وانه يغادر الرياض وهو مقتنع بأنه كان بين اصدقاء . وذكرت المصادر الامريكية بأن كيسينجر اعتبر زيارته لجددة « نقطة تحول في جولته الحاضرة » وذلك بسبب تلقيه وعدا من الملك فيصل بالعمل على اقناع الدول-النفطية بخفض أسعار البترول . وستتركز جهود فيصل في المرحلة الاولى على تجميد الأسعار حيث هي الان على ان توازي هذه الجهود نشاط كيسينجر في التوصل الى تحقيق انسحاب اسرائيل من الاراضي العربية المحتلة . وأكدت هذه المصادر ايضا انه على الرغم من دعوات الوزير اليماني السابقة لتخفيض أسعار

خاطيء يتعارض مع مصلحة امريكا القومية » . كما أكد ان مصر تتفاوض حائليا مع امريكا لانه ليس هناك اسلوب آخر اذا ان امريكا هي الدولة الوحيدة التي تستطيع الضغط على اسرائيل سياسيا . وأشار بهذا المعرض الى « التحرك الكبير مع امريكا الذي ارجو ان يتطور الى ما يحقق مصالح الامة العربية » .

بعد القاهرة زار كيسينجر دمشق حيث قابل الرئيس حافظ الأسد ووزير خارجيته عبد الحليم خدام . وعلى أثر انتهاء اجتماعاته ذكر كيسينجر بأن المحادثات تناولت العلاقات الثنائية « التي تتحسن بسرعة » بين البلدين وفرص السلام في الشرق الاوسط . وذكرت مصادر مطلعة ان المحادثات تناولت في الواقع مؤتمر جنيف ومسألة التهديد لقوة المراقبة الدولية في الجولان خاصة وان الجانب السوري يرى انه لا يمكن التفاهم حول هاتين النقطتين ما لم تظهر دلائل ملموسة على حدوث تقدم نحو الوصول الى الهدفين الاساسيين اللذين تعمل سوريا من أجل تحقيقهما وهما : انسحاب اسرائيل من كل الاراضي المحتلة وضمان الحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني . كذلك أشارت الانباء الصحافية ان الرئيس الأسد ابلغ كيسينجر بهذا الموقف وعن استياء سوريا من موقف الولايات المتحدة بالنسبة لمناقشة القضية الفلسطينية غنى الدورة الحالية للامم المتحدة .

في الاردن تناولت محادثات كيسينجر مع الملك حسين خاصة مستقبل الضفة الغربية بصورة خاصة والموقف العام من القضية الفلسطينية . وذكرت مصادر الوفد الامريكى انه من غير المتوقع ان تجري أية تحركات على صعيد المفاوضات بين الاردن واسرائيل قبل انعقاد مؤتمر القمة العربي في الرباط . وان الاردن وافق من جديد على المشاركة في جهود التسوية السلمية شرط ان يكون بتأكدا من استمرار الدعم الامريكى لموقفه . وان كيسينجر اراد ان يعرف رأي الملك حسين حول ما اذا كانت قمة الرباط ستسفر عن أية تغيرات مهمة في الموقف العربي .

بعد الاردن وصل كيسينجر الى تل ابيب حيث أعلن وزير الخارجية الاسرائيلية آلون ان حكومته ستتعاون تعاوننا كليا مع كيسينجر على تحقيق السلام

المنطقة « التي تشير في اتجاه السلام والتسوية النهائية » وان المشكلة الآن تكمن في وضع هذه الامور موضع التنفيذ . وجدير بالإشارة الى ان مصادر صحفية عربية ذكرت انه على الرغم من التصريحات المتفائلة الواقعة هو ان مهمة كيسينجر واجهت صعوبات في القاهرة ودمشق حيث لم تلق مقترحاته كثيرا من الترحيب . على سبيل المثال اصرار كيسينجر على استبعاد مؤتمر جنيف واصرار كل من الرئيسين السادات والاسد على ضرورة انعقاده بحضور الاتحاد السوفياتي وممثلي الشعب الفلسطيني . كذلك ذكرت هذه المصادر (أ) ان كيسينجر اقترح انسحابا جزئيا من الجولان لمسافة ٦ كيلومترات لا أكثر وهو أمر لا يمكن ان تقبل به القيادة السورية . (ب) الانسحاب من سيناء بعدد ٥٠ كيلومترا شريطة موافقة سوريا على الانسحاب الجزئي المذكور في الجولان وموافقة كل من الدولتين على اعلان انتهاء حالة العداء مع اسرائيل . (ج) ان كيسينجر رفض المطالبة العربية بمشاركة ممثلي الشعب الفلسطيني في مؤتمر جنيف مؤكدا معارضة حكومته لهذه الخطوة وتأييدها لمشروع فك الارتباط على الجبهة الاردنية . أما المصادر الامريكية فقد أكدت من جانبها ان كيسينجر مرتاح لجولته لانه اولا ، وجد ان جميع الذين التقى بهم يعترفون بأن الولايات المتحدة وحدها قادرة على تسهيل ايجاد حل تدريجي للنزاع ، ثانيا ، ان أحدا من هؤلاء لم يعترض على صيغة المفاوضات المرحلة مع اسرائيل وهي الصيغة التي أعدها كيسينجر خلال جولته والتي سيرفضها السادات على مؤتمر القمة وفقا لما تقوله هذه المصادر ، ثالثا ، ان احتمالات امتناع الدول النفطية عن رفع اسعار البترول هي أفضل الآن من أي وقت مضى .

وقد أنهى كيسينجر جولته بزيارة الجزائر والرباط وقد كشف الرئيس بومدين في حديث صحفي له انه أبلغ كيسينجر بأنه على الولايات المتحدة تحديد موقفها من تقطين اساسيتين من دون ابطاء هما : موعد طابع لانسحاب اسرائيل من الاراضي العربية المحتلة والموقف العملي من القرار الفلسطيني باتامة السلطة الوطنية المستقلة في الضفة الغربية وغزة . أما المصادر الامريكية فقد أكدت ان زيارة الجزائر كانت « أكثر الزيارات ايجابية » في هذه الجولة .

النفط كانت هذه هي المرة الاولى التي يتعهد بها الملك فيصل بنفسه ببذل جهوده الشخصية في هذا الاتجاه . وقد اشارت صحيفة واشنطن بوست في منتصف شهر تشرين الاول الى انعقاد محادثات سرية بين العربية السعودية وايران من أجل الوصول الى موقف موحد حول خفض أسعار النفط .

ووفقا لما كان قد صرح به كيسينجر عاد الى القاهرة حيث اجتمع مجددا بالرئيس السادات ووزير خارجيته بينما انطلق سيسكو الى عمان في مهمة مماثلة حيث اجتمع بالملك حسين . ومن المعتقد ان هدف هاتين الزيارتين من اطلاق الرئيس السادات والملك حسين على نتائج محادثات كيسينجر في اسرائيل . وقبل مغادرته القاهرة الى دمشق ادلى كيسينجر بتصريح قال فيه : (أ) بأن هدف عودته الى القاهرة هو احاطة الرئيس السادات بنتائج محادثاته مع الزعماء الذين اجتمع بهم في المنطقة وبانه تحدث معه حول الاستفناج الذي توصل اليه بوجود دلائل ايجابية تشير الى حدوث تقدم نحو سلام عادل في المنطقة . (ب) بأنه سيعود الى المنطقة في الاسبوع الاول من شهر تشرين الثاني (نوفمبر) للعمل على تحقيق تقدم نحو السلام على أسس متينة وثابتة . (ج) ان المحادثات لم تتناول أية خرائط حول الانسحاب الاسرائيلي المتوقع من سيناء على اعتبار ان مناقشاته في هذه المرحلة لم تتخل في التفاصيل بل اقتصر على البحث في الإطار العام لتحرك نحو السلام واحتمالاته . (د) ان حكومته تعتبر ان المفاوضات حول مستقبل الضفة الغربية يمكن ان تجري على أفضل وجه بين الاردن واسرائيل . (هـ) ان الرئيس السادات سيزور الولايات المتحدة في مطلع ١٩٧٥ . وفي دمشق عاد كيسينجر الى مقابلة الرئيس الاسد ووزير خارجيته وذكرت مصادر صحفية ان المباحثات تناولت المرحلة المقبلة من انسحاب اسرائيل من الجولان وبالتخصيص جلاءها عن التلال الاستراتيجية الثلاثة المحيطة بمدينة القنيطرة وهو موضوع اصرت سوريا على ضرورة انجازه . وقبل مغادرته دمشق شكر كيسينجر السلطات السورية على استقبالها له وبين انه عرض مع الرئيس الاسد التطورات في

(٣) المناطق المحطية

بعيشة ائذ في الخيام وانه لن يرفع رأسه » . واستشهدت الصحيفة بتصريحات عدد من الزعماء الاسرائيليين الذين اعتقدوا ذلك وبنوا مواقفهم السياسية وفق ذلك الاعتقاد . ثم تستتبع « الشعب » تائلا : « واليوم ، ها هي اسرائيل تصرخ وتناشد حلفاءها وأسيادها من خطورة الخطوة البارة التي اقدمت عليها منظمة التحرير الفلسطينية ، ممثلة هذا الشعب ، بعرض القضية الفلسطينية التي أصبحت ملك شعبها على دورة الجمعية العامة للامم المتحدة . ها هو الشعب الفلسطيني اليوم ، الذي انكرتم وجوده ، وتآمرتم عليه ، يخطو خطوة جبارة من خطوات تحركه السياسي جنبا الى جنب مع استمرار المسيرة . ها هو شعبنا الفلسطيني يفتأ عيون كل اعدائه معلنا ومتمسكا بأن له المقومات السياسية والادارية والعسكرية ، وان محاولات طمس شخصيته حتما فاشلة » (الشعب ١٠/٩/٧٤) .

وخصصت « الشعب » في عدد اخر لها ، افتتاحيتها الرئيسية للتعليق على هذا الحدث البارز . فكتبت تحت عنوان « الامم المتحدة ومسؤولية السلام العالي » . تقول : انه كان من واجب المسؤولين العرب ادراج هذه القضية كقضية سياسية تقوم على أساس سياسي لشعب ووطن قبل هذا التاريخ . ثم اضافت قائلة : « غير اننا على يقين من ان الامر لم تكن اثاره ممكنة في ظل الاوضاع التي كانت تسود المنطقة قبل انطلاق الثورة الفلسطينية كأنبول وأشرف ظاهرة بزرت بعد هزيمة حزيران في العالم العربي ، وقبل وقوع زلزال تشرين العظيم الذي غير من دول العالم مفاهيمها القديمة وأطاز والتي الابد الاساطير العتيقة بن القوة التي لا تقهر وما ران على المنطقة من جهود ظنه الخصوم على كثرتهم انه مخلد وليس امام العرب من سبيل الا الركوع والاستسلام » . وتطرقت الصحيفة الى صلب الموضوع قائلة : « وقد لا نعدو الصواب ان قلنا ان الطلب واقاره سيفوز بأغلبية ساحقة ، وذلك ان هذا الطلب الشرعي كان المجتمع الدولي قد وافق عليه في أكثر من قرار ، منذ ان عرضت عليه قضية فلسطين على الامم المتحدة قبل عام ١٩٤٧ وبعده ، وليس فيه من جديد على المنظمة

بنتيجة النضال على صعيديه ، العسكري والسياسي ، استطاع الشعب الفلسطيني ان يحقق المزيد من الانتصارات الباهرة . فخلال الفترة القصيرة الماضية ، تحقق بجهود حثيثة وكفاح سياسي ضلب ، إعادة الالتزام العربي الجماعي بمنظمة التحرير الفلسطينية كمشل شرعي وحيد للشعب الفلسطيني كما نصت على ذلك قرارات قمة مؤتمر الجزائر في شهر تشرين الثاني (نوفمبر) الماضي . وبادارة دفة التحالفات الفلسطينية - العربية ، والصدقات الفلسطينية - الدولية ، على أفضل وجه ، خلقت القضية الفلسطينية عبر الجمعية العامة لهيئة الامم المتحدة خطوة ، اعتبرها العدو قبل الصديق ، نقلة ذات دلالات هامة على طريق نيل الشعب الفلسطيني لكامل حقوقه الوطنية والتاريخية على ترابه الوطني . وخلال ذلك كله كان النضال والكفاح البطولي الذي تخوضه الجماهير الفلسطينية في الوطن المحتل ، يرغد الشرعية الفلسطينية بدم جديد ، ويبلور الهوية الوطنية المستقلة للشعب الفلسطيني ويذفع بحقه في اقامة كيانه الوطني المستقل خطوات هامة على الطريق . ولم تحد من اشراق الصورة النضالية الفلسطينية هذه ، اجراءات العدو وتمعه ضد الجماهير الفلسطينية ، بل كانت على العكس ، تزيد من اشراق هذه الصورة وتعزز من حضورها .

عرض القضية على الامم المتحدة

بعد ان تقدمت منظمة التحرير الفلسطينية الى الجامعة العربية ، بطلب ادراج القضية الفلسطينية كبنء مستقل في الدورة التاسعة والمشرين لهيئة الامم المتحدة ، تبنت الجامعة العربية - على مستوى وزراء الخارجية - طلب المنظمة هذا ، بتحفظ واحد من قبل الحكومة الاردنية . وقد عكس هذا الطلب واقاره من قبل الجامعة ارتياحا فلسطينيا داخل الارض المحتلة ، وفي الضفة الغربية على وجه التحديد . فقالت جريدة الشعب في تعليق لها : « كثيرون هم الذين أنكروا وجود الشعب الفلسطيني . صعب ومخاطر وأشواك تعرضت لها مسيرة هذا الشعب لانائه عن مسيرته وعدوله عن تطلعاته وأمانه . حكام قامروا على هذا الشعب واعتقدوا انه يرشى

فلسطينا وعربيا ودوليا هو الخط السليم الذي منح شعبنا فيها مضي من حق ممارسته كحق من حقوقه ومطلب قومي تاريخي لامته « (الشعب ١٢/٩/٧٤) .

أما صحيفة « البشير » التي تصدر في بيت لحم، فقد وصفت الدورة الجديدة للجمعية العامة، بأضخم معركة سياسية، وقالت ان هذه الدورة « سوف تشهد معركة سياسية دبلوماسية عربية اخرى هي استمرار للمعارك التي خاضها العرب في ساحة الامم المتحدة وفي طلب جمعيتها العامة سنة بعد سنة منذ عام ١٩٤٧ . غير ان المعركة الجديدة في الجمعية العامة يدخلها العرب في ظروف جديدة مواتية صنعها العرب انفسهم في الشرق الاوسط وفي الميدان الدولي . فحين نطرح قضية الشرق الاوسط هذه المرة في الجمعية العمومية لا يكون طرحها خاضعا للروتينية التي خيبت على بحث القضية نسي السنوات السابقة لتشرين ١٩٧٢ ، بل ان القضية سوف تثار الان بعد ان اكتسبت حيوية دائمة ، وبعد ان تحركت وبعد ان دفعها العرب الى خارج حالة اللاحرب واللاسلم » . وأضافت « البشير » قائلة ان القضية سوف تثار هذه المرة « بعد ان وضعتها حرب تشرين في اطارها الشرعي السليم . وبعد ان جعلت العالم كله يحس الى اعق اعماق حياته اليومية السياسية والاقتصادية مدى خطورة هذه القضية ومدى تأثيرها على السلام والامن الدوليين . فالعالم كله يذكر مقاومة العرب للاحتلال وللعُدوان واللاشرعية بعد العدوان الذي حدث في الشرق الاوسط والذي هز العالم سياسيا واقتصاديا وأمنيا ، وكيف استنفرت القوات العظيمة قواتهما نسي لحظات احس فيها العالم كله ، انه على حافة البركان » . وختمت الصحيفة تعليقها بالقول :

« والى جانب القضية العربية الكفنية ، فانه سوف تطرح على الجمعية العامة للامم المتحدة ، قضية فلسطين كبنء مستقل كقضية شعب له حقوقه الشرعية . وتشير الدلائل الى ان غالبية الدول في العالم سوف تؤيد طرح قضية فلسطين على هذا النحو » (البشير ٢١/٩/٧٤) .

أما صحيفة « الفجر » التي غدت تصدر يوميا في القدس ، فقد وصفت قرار جامعة الدول العربية بادراج القضية الفلسطينية على الامم المتحدة ، بأنه « امتداد طبيعي لما انجزته الحركة الفلسطينية على مدى خمسة وعشرين عاما من العبل ، وهو امتداد لقرارات مؤتمر القمة الذي عقد في الجزائر،

الدولية وعلى الدول المنتظمة فيها ، والتي عاشت القضية وما زالت تعيشها وتحسها على اساس انها اخطر القضايا الدولية التي تتحتم فيها الامم المتحدة منذ تأسيسها وحتى اليوم ، بوصفها القضية الوحيدة الباقية التي ما زالت تعرض السلام العالمي الى الخطر المحقق الكبير » . وفي معرض تقييمها للخطوة الفلسطينية هذه قالت الصحيفة : « ونحسب انها مناسبة فلسطينية وعربية تتكشف فيها اوراق المجتمع الدولي لكي يعرف العرب ومن مركز القوة والتبكن والقدرة ، من هي تلك الدول التي معها في الحق والعدل ومن هي تلك التي تناصبها العداء في اكبر وأهم واعظم قضاياها المصرية ، حتى اذا وقعت الواقعة ولا بد انها قادمة ، تكون قد فرزنا العدو من الصديق . فما زلنا لا ننسى بعض الدول التي صرخت لتوقيف البترول عن مصانمها وبيوتها في حين انها نسيت هي وعلى مدار ربع قرن وجود مظلومين يعيشون في الكهوف ويلتحفون خيام الذل والهوان . وعندئذ تكون هذه الدول بما كسبت رهينة » (الشعب ١٦/٩/٧٤) .

وكانت « الشعب » قد تناولت موضوع ادراج القضية الفلسطينية على الدورة الحالية لهيئة الامم المتحدة ، في افتتاحية رئيسية اخرى قائلة ، ان قرار منظمة التحرير بذلك جاء وفق ظروف مواتية ، وان المنظمة لم تقدم على هذه الخطوة « الا بعد التأكد من عوامل النجاح فيها ، وان الثورة الفلسطينية تسمى لاقامة السلطة الوطنية فوق الارض المحتلة » . وقالت ان تصريحات ياسر عرفات حول هذا الموضوع « ليس الا تأكيدا جديدا للاصرار الفلسطيني الذي لم يتوقف رغم كل العرائيل التي قامت في وجهه من كافة القوى الحاقدة والمضادة ، ورغم كل المحاولات التصفية التي بذلت على كل المستويات . فقد جاءت النتيجة لاسقاط وافشال جميع هذه المحاولات ليجد المتآمرون في النهاية ان ارادة الفلسطينية بقيت أقوى من كل هذه القوى وان ارادة الشعوب هي دوما ميثاق الحق والعدل » . وتناولت ردود الفعل ازاء هذه الخطوة في العواصم المعادية للشعب الفلسطيني فقالت :

« اما الاصوات التي بدأت تولول في تل أبيب فتجاوب معها بالعويل واشنطن وبعض الانظمة الرجعية في المنطقة ، غليست الا الدليل على صحة وعقب الرؤية الفلسطينية ، وان خط السير الفلسطيني بعد قيام ثورته وبعد ان اثبتت وجودها

الواحد ضد كل من يحاول العبث أو الاعتداء على مقدرات وخيرات الشعوب العربية ونهبها . ويعني ايضا الارتباط العضوي والتلاحم الكامل مع كل حركات التحرير الوطني ومعسكر الشعوب في شتى ارجاء الارض . ان قرار شرعية الحركة الفلسطينية رغم انه جاء متأخرا هو في النهاية اثبات الدور الاصيل الواعي الذي سارته القضية الفلسطينية بثبات وصبر وطول النفس لتصل الى هذا الانجاز الدولي في النهاية ، وبعد ان استطاعت ان تجمع حولها كل ابناء الشعب الفلسطيني والشعوب العربية كلها ، وبعد ان استطاعت اقامة جسر صداقة وفهم مشترك مع كل قوى العالم المتحررة « (الفجر ١٩٧٤/٩/٢٠) .

الاعتقالات والمحاكمات

شهدت المناطق المحتلة في الفترة الماضية ، تصاعدا ملحوظا في النضال العسكري شمل مختلف مناطق الوطن المحتل . والى جانب ذلك تواصل النضال الجماهيري ضد الاحتلال فشمّل مختلف طبقات الشعب الفلسطيني وفئاته الوطنية . وانعكس ذلك في جملة المحاكمات وحملة الاعتقالات التي شهدتها المناطق المحتلة ، والتي لم يكن اعتقال المطران ايلاريون كيجوي والفتاتان الهولنديتان ، هي آخر فصول حيلة الاعتقالات والمحاكمات هذه . والشئ البارز من النضال السياسي في الارض المحتلة خلال الفترة الماضية ، الاضرابات التي قام بها المعتقلون الفلسطينيون في مختلف سجون ومعتقلات الاحتلال . وقد نشرت صحف الضفة الغربية وصحف اسرائيلية وغيرها اخبارا متتالية عن مظاهر نشاطات القمع الاسرائيلية والنشاطات الوطنية الفلسطينية بالمقابل .

١ - اضراب السجناء

كتبت صحيفة « الفجر » حول الاتباء المتكرزة عن حالات اضراب المعتقلين الفلسطينيين في سجون الاحتلال تقول : « ان المعاملة التي يلقيها السجناء العرب في السجون الاسرائيلية دعتهم الى اعلان الاضراب عن الطعام في محاولة لتحسين اوضاعهم ومعاملتهم معاملة حسنة ترضى بها انسانياتهم . وقضية الاضراب تفضي والصحافة الاسرائيلية لا تعيرها اي انتباه ، وكأن الامر يحدث في بلاد الواق واق ، لا تحت أنف وأذن وبصر الصحافة الاسرائيلية .

ومؤثر الشعوب الاسلامية في لاهور ، وامتداد مكمل للبيانات المشتركة التي كانت تصدرها اطراف دولية متعددة مؤيدة الحق الفلسطيني . وهذا الامتداد يأتي ليضع في النهاية قرارا دوليا بشرعية الحركة الفلسطينية وشرعية منظمة التحرير الفلسطينية . ومثل هذا القرار سيرتك اثرا بعيدة على كافة المستويات الدولية ، وستكون له نتائج بعيدة الاثر ، تتأثر بها بلدان كثيرة » . وقالت الصحيفة ان قرار الامم المتحدة لن يحل المشكلة ، غير انه سيكون « قرارا شرعيا » . وقالت ان قرارا كهذا « سيعطي الحركة الفلسطينية طاقة ومقدرة على التحرك الدولي . وهو من ناحية ثانية لن يلزم اسرائيل او الدول الامبريالية ، ولكنه سيوجه انظار العالم نحو القضية الفلسطينية بشكل جيد وبندولات جديدة من خلال اطار الشرعية في العمل والتحرك السياسي » . وازادت « الفجر » قائلة بان قرارا من الامم المتحدة « بشرعية الحركة الفلسطينية ومنظمة التحرير الفلسطينية ممثلة لها ، من شأنه ان يفشل دوليا كل ادعاءات اسرائيل في عدم وجود حقوق للشعب الفلسطيني في هذه الارض ، ويفشل نظريا كل مخططات التسويتين والاسكان والتهجير ، كما انه يلزم اسرائيل - نظريا ايضا - بحق عودة اللاجئين الفلسطينيين الى ديارهم » . وتبأت الصحيفة بهوقف الولايات المتحدة الاميركية في الجمعية العامة فقالت ، ان الولايات المتحدة « ستعمل جاهدة على عدم اقرار اي شيء من شأنه ان يخدم القضية الفلسطينية ويساعد على ابراز شرعيتها . لذلك فانها ستقف بكل قواها وأتباعها ضد القرار وهي ستعمل على افراغ القرار في النهاية من مضمونه وتحاول تطويقه بشكل يتلاءم مع مصالحها وأطماعها في المنطقة » .

وفي ختام تعليقها قالت « الفجر » ان دخول الفلسطينيين الى الامم المتحدة يعني أشياء كثيرة وجديدة . فهو « يعني انهم اصحاب حق لا يمكن لاحد ان يتجاهله ، ويعني ان اصحاب هذا الحق هم الان مستقلون برأيهم ويتحركون ويعملون من خلاله ، وان وصاية او ولاية الدول العربية او بعضها او محاولة فرض هذه الوصاية او الولاية لا يمكن ان يتم او يستمر ، وان علاقة الفلسطينيين بالدول العربية هي علاقة الاخوة والتلاحم والعمل

تد أعلنت نأ اضراب السجناء العرب في سجن الرملة وقالت ، ان السجناء « رفضوا التوجه الى الورش للعمل . ويحتج السجناء على تمرار السلطات الاسرائيلية الاخيرة الخاص بالغناء الوجبات الغذائية التي كان يسمح للسجناء ان يلقوها من الخارج » . وكانت السلطات الاسرائيلية قد قررت هذا الاجراء بزعم « النقص في العاملين في مراقبة الوارد من الوجبات » . وتشير السلطات في زعمها ايضا « ان مراقبي الوارد من الوجبات الغذائية قد اكتشفوا في الاشهر القليلة الماضية وجود حشيش واغيون وسكاكين وآلات حادة بل ومسدس ايضا داخل الاواني التي كانت تحتوي على الوجبات الغذائية المرسله الى السجناء » (القدس ١٠/٩/١٩٧٤) .

من ناحية اخرى ، كان اهالي السجناء والمعتقلين في سجن الرملة المركزي تد يعثوا الى قيادة الحكم العسكري الاسرائيلي ، بذكرة يحتجون فيها على تمرار السلطات الاسرائيلية ذلك ، وما نجم عنه من تردي احوال المعتقلين في السجن المذكور . وطالب الاهالي في مذكرتهم هذه بتحسين اوضاع ابنائهم المعيشية ومعاملة سلطات السجن لهم . واضافت صحيفة الفجر التي نقلت تلك الاتباء « ان السجناء الفلسطينيين في سجن الرملة ما زالوا مضربين عن الطعام ، وامتنعوا في الاسبوع الماضي عن مقابلة اهاليهم الذين حضروا لمساعدتهم ، مما دفع بالاھالي الى الاحتجاج ووقوع اشتباكات بالايدي مع رجال الشرطة الاسرائيليين » (الفجر ٧/٩/١٩٧٤) .

ب - المحاكمات والاعتقالات

ذكر مستشار وزير الشرطة الاسرائيلي للشؤون العربية في الاول من شهر ايلول (سبتمبر) الماضي ، انه تم « اطلاق سراح جميع الموقوفين الاداريين العرب من سكان اسرائيل ، وانه بقي الان في الاعتقال الاداري ٥٠ شخصا فقط من سكان المناطق ومن القدس القديبة » . ونبى ما كانت قد ذكرته في وقت سابق صحيفة نيويورك تايمز الامريكية من ان اسرائيل تعتقل ١٢٠٠ من سكان المناطق المحتلة . وقال انه في اوج النشاط الغدائي عام ١٩٧٠ وصل عدد المعتقلين فقط الى اكثر من الف شخص (يدعوت احرؤنوت ١/٩/١٩٧٤) . غير ان صحيفة يدعوت احرؤنوت نفسها عادت فذكرت ان عدد المعتقلين الامنيين في سجون اسرائيل بلغ ٢٤٣٤ معتقلا منهم ٢٤٧٤ من المناطق المحتلة والباقي من

والادهى من ذلك ان تأتي واحدة من هذه الصحف لتغر من مضمون الاضراب وتبرزه بشكل يتصف معه انقارء ان الاضراب لا يخرج عن التشبث بمطلب غير معقول وهو اشتراط الا تفتح الطرود التي يلقونها من الاهل » . وقالت الصحيفة ان مسألة الطرود هي بالفعل واحدة من مطالب السجناء ، ولكنها ليست هي المسألة الوحيدة كما ذكرت ذلك صحيفة اسرائيلية . وقالت ان المعتقلين « يطالبون بالمساواة في كيفية ونوعية استلام الطرود كالسجناء الاسرائيليين تماما » . واضافت : اما المطالب الاخرى للسجناء فهي حول « الطعام وتنظيم الزيارات وزيادة وقت الفسحة اليومية . لقد حاول السجناء التوصل الى مطالبهم هذه بكل الوسائل الممكنة قبل ان يعلنوا اضرابهم ، ونحن نذكر القضية التي اقامها المهندس كمال المنري حول تحسين اوضاع السجناء عن طريق القضاء » (الفجر ١٤/٩/١٩٧٤) .

وكانت « الفجر » قد ذكرت في وقت سابق ، ان ثمانية عشر معتقلا سياسيا وموقوفين في سجن بيت ليد ، قد اضرَبوا لمدة اربعة ايام احتجاجا على سوء احوالهم الصحية ومعاملتهم من قبل سلطات السجن . وقالت : « ان معظم هؤلاء السجناء من الشيوعيين من المناطق العربية المحتلة او اصحاب آراء يسارية » . وقالت ان السبب المباشر للاضراب هو تعرض المعتقل حسين ابو غربية لمضايقات واهانات من قبل سلطات السجن ، كما ان السلطات هذه قدمت أغذية للسجناء المضربين بالقوة « وذلك باستخدام انابيب من البلاستيك وادخالهسا في اجوانهم » . ونقلت الحامية فيلتيسيا لانجر عن السجناء قولهم لها بعد زيارتهم ، انهم ماضون « في نضالهم داخل السجن ضد الاعتقال التعسفي ورفضهم لمعاملة سلطات السجن لهم ، ومواصلة تصديهم لها محافظين بذلك على كرامتهم ووحدة صفيهم » (الفجر ٥/٩/١٩٧٤) .

وذكرت صحيفة الشعب من جانبها ان المساجين العرب في سجن الدامون قد اعلنوا الاضراب « احتجاجا على تمرار سلطة السجون منع اقرباء المسجونين من ادخال رزم الهدايا والامتعة التي أحضروها لهم وابقوها في الخارج . وكان قد جرى اضراب مماثل في سجن الرملة في اوائل شهر ايلول (سبتمبر) الماضي » (الشعب ١١/٩/١٩٧٤) . وفي عددها في اليوم السابق كانت جريدة « القدس »

بتهمة الانتهاك الى المنظمات الفدائية بالسجن المؤبد ،
وهما محمود شحادة وجليل مصطفى ذياب (الشعب)
١٠/٩/١٩٧٤) .

وفي غزة حكمت المحكمة العسكرية بالسجن لمدة
مختلفة على اربعة اشخاص بتهمة الاتصال بالمنظمات
الفدائية وحيازة أسلحة وتوزيع منشورات ، وهؤلاء
المعتقلون هم : كارم زكي العطار ، يحيى محمد
البهنساوي ، عبدالله محمد شحادة وشحدة أحمد
ناصر (الشعب) ٩/٩/١٩٧٤) . وحكمت المحكمة
العليا على حسن الصمد من القدس بالسجن مدة
عشر سنوات منها ثلاث سنوات مع وقف التنفيذ
وعلى مروان خضر من جنين بالسجن سبع سنوات
منها سنتين مع وقف التنفيذ . وكانت محكمة العدل
العليا قد قبلت الاستئناف الذي قدمته النيابة العامة
على الحكم الذي أصدرته المحكمة المركزية بحق
الشابين بتهمة طعن أحد الجنود الاسرائيليين وأخذ
سلاحه (الشعب) ٩/٩/١٩٧٤) .

وفي اللد ايضا أصدرت المحكمة العسكرية
أحكامها بحق الدفعة الثانية من الشبان المتهمين
بالانتماء الى « الجيش الجمهوري الفلسطيني »
الذين اعتقلوا في الثامن عشر من شهر شباط
(فبراير) الماضي . وهم : فايز الدميري ، فتوح
السكافي . وتأجل اصدار الحكم بحق كمال فقيت
وواصف دندويس . أما سرين ازحيان ومحمد المراج
فقد تأجلت محاكمتها الى شهر تشرين الاول
(اكتوبر) . وكانت التهم قد تضمنت توزيع منشورات
تدعو الى عدم دفع الضرائب وتحذير العمال من
المعمل في مصانع اسرائيل والتحريض ضد الانتخابات
والدعوة الى محاكمة التعاونيين مع السلطات
الاسرائيلية . وكانت المحكمة قد أصدرت أحكامها في
الاول من ايلول (سبتمبر) بحق الدفعة الاولى من
المتهمين في هذه القضية وهم ، محمود صلاح
المشرف ، ابراهيم عبد الرحيم المشرف ، طلال
حماد ، محمد نجيب صندوقة ، محمد المونس ،
مروان سنقرط ومهيوب ابو سريه (الشعب) ٩/٩/
١٩٧٤) .

وصادقت محكمة الاستئناف العليا في القدس
على الحكم الصادر من المحكمة المركزية في بئر
السبع بتاريخ ١٩٧١/٥/٢١ ، الصادر ضد المتهمين
الستة الذين القي القبض عليهم بتهمة دخول
« المياه الاقليمية وحيازة أسلحة في قارب بالبحر » .

عرب عام ١٩٤٨ . وقالت ان من بين المعتقلين
حوالي ٦٠ امرأة وفتاة ، ١٧ منهن من المناطق
المحتلة والباقي من عرب عام ١٩٤٨ . وقالت
المحكمة ايضا ان هذا الرقم « يعتبر قياسيا فكان
حتى نهاية عام ١٩٧٢ فقط ١٨٢٥ معتقلا . ويفسر
ذلك ازدياد عدد رجال المنظمات في المناطق ويانه
جاء نتيجة التغيير الذي طرأ على موقف الشيوعيين
في المنطقة ، فقد تركوا طريق العمل السياسي
ودخلوا طريق الكفاح المسلح » (الشعب) ٥/٩/٧٤ ،
نقلا عن صحيفة يدعوت أحروروت الاسرائيلية) .

ولم يتوقف عدد المعتقلين الفلسطينيين عند هذا
الرقم . ففي كل يوم كانت الارض المحتلة تشهد
مزيدا من الاعتقالات والمحاكمات . فقد ذكرت
« يدعوت أحروروت » في عددها يوم ٩/٩/١٩٧٤
انه تم اعتقال اربعة مشبوهين بالثناء قبلة يدوية
على مقهى في شارع يفت بيانما في اواخر شهر
آب (أغسطس) الماضي . وفي ٦/٩/١٩٧٤ ذكرت
جريدة الفجر ان المحكمة العسكرية في رام الله
قد حكمت بالسجن لمدة ١٨ عاما على شاب من
سكان قرية بيت اوامر بمنطقة الخليل ، بتهمة ان
الشاب غابجر الضفة الى احدى الدول العربية
حيث تدرب على استخدام السلاح والمواد المتفجرة
ثم تسلل الى اسرائيل . واتهمته المحكمة باطلاق
بذخائر بازوكا على كثر عمييون . ووضع متفجرات
قرب قناة للمياه وعبود كهرباء في نفس المنطقة
(الفجر) ٦/٩/١٩٧٤) . وفي طولكرم حكمت المحكمة
العسكرية بالسجن مددا تتراوح بين سنتين وتسعة
اشهر على خمسة من شباب قرية كفر الديك بتهمة
مقاومة الاحتلال . والشباب الخمسة هم جمال
جواد الديك ، نادر علي أحمد ، نواز علي أحمد ،
احسان الديك وعبد الرحمن الديك . وزعمت
المحكمة ان الشباب اعترفوا بالتهمة الموجهة اليهم
وهي الانتهاك الى الجبهة الوطنية الفلسطينية
والحزب الشيوعي الاردني . ومن ناحية اخرى فقد
حكمت المحكمة نفسها بالسجن على عمر موسى
الصوص لمدة سنة واجلت محاكمة أسامة طاهر
حشيمة واكتبال طه وسمر بهائي قطينة الى
اواخر شهر تشرين الاول (اكتوبر) ، نظرا لعدم
اعترافهم بالتهمة الموجهة اليهم وهي الانتهاك الى
الجبهة الوطنية الفلسطينية (الفجر) ٩/٩/١٩٧٤) .
وحكمت المحكمة العسكرية في اللد على رجلين

عفاف حرب ، عفاف حمدان ، محفوظة رشباري ،
نجلاء حداد ، أمه فراح ، نائلة السرياني ،
سيرة حجازي ، حفيظة أبو غربية ، نعم أبو
غربية ، أمه شقرات ، نفوذ البياع وزينب
الجيلاني .

وكانت مجموعة مكونة من ٥٠ شخصا قد قامت ،
بدعوة من اللجنة « ضد الاعتقالات الادارية في
المناطق المحتلة » بمحاولة لتسليم ممثل الامم المتحدة
ولجنة حقوق الانسان والمواطن ، كتاب تضامن
مع عائلات واقارب المعتقلين الاداريين في المناطق
المحتلة . ولدى وصول الجماعة هذه الى جبل
المكبر حيث مقر الامم المتحدة ، حالت قوة من
الشرطة بالقوة والتهديد بالاعتقال من وصولها .
وكان الكتاب قد تضمن احتجاج موعمه ضد الاعتقال
الاداري لتسعين مواطنا من سكان القدس العربية
والمناطق المحتلة . كما تضمن المطالبة بلجنة تحقيق
دولية (الشعب ١٩٧٤/٩/٦) .

من ناحية اخرى ، وجهت زوجة المعتقل بشير
البرغوتي كتابا مفتوحا لموزير الشرطة من صلبى
صفحات جريدة الشعب جاء فيه : « لقد اعتقل
زوجي بشير البرغوتي ولم يمض على وجودنا وطفلتنا
في الضفة الغربية سوى أربعة أشهر . وكان ذلك
بتاريخ ١٩٧٤/٧/٢١ ، حيث اعتقل اثناء مودته
الى البيت ومن وسط الشارع الرئيسي برام الله
وفي وضح النهار . ولم أعرف مكان وجوده ولا
التهمة التي وجهت اليه برغم الجهود التي بذلت
بهذا الخصوص » . واضافت زوجة السيد
البرغوتي في كتابها ، انها بعد الاتصالات العديدة ،
حدد لها يوم ١٩٧٤/٨/١٨ لمقابلته . كما ان الحماية
فيليسيا لانجر قد قابلته يوم ٨/١٢ واثناء مقابلة
لانجر له وضع لها ان بشير « لم يبلغ ببدء توقيع
او حكم او اية تهمة تبرر اعتقاله ، وانما وجهت
اليه أسئلة عادية حول رسالة يطالب فيها بالتضامن
مع الطبقة العاملة الاسرائيلية وذوي النوايا الطيبة
والراغبين في سلام عادل) . فهل هذه جريئة
يعتقل من أجلها بشر او أي انسان يرغب في العيش
على ارضه في ظل سلام عادل » (الشعب ،
١٩٧٤/٩/١٥) .

عيسى الشعيبي

والاشخاص هم : مهدي علي بيسيسو ، صلاح محيد
الرفي ، محمود هاشم شراب ، علي فارس بصلية ،
صبري محمد العبد البيباري ومحمد رياض صافي
(جريدة الانباء الاسرائيلية ١٩٧٤/٩/١١) .

وفي اللد ايضا حكمت المحكمة العسكرية على
حسن حسن علي بالسجن مدة خمس سنوات
بتهمة الانتماء الى منظمة فتح . وحسن هذا يبلغ
من العمر ١٩ سنة وهو من حيفا وكان قد عبر الى
لبنان قبل اربع سنوات ثم عاد الى حيفا مع اربعة
أشخاص آخرين ، واتهمته السلطات الاسرائيلية
انه حضر للقيام بأعمال مسلحة في كرمئيل واحتجاز
رهائن في احدى دور السينما بغية الافراج عن
عدد من المعتقلين (الشعب ١٩٧٤/٩/١٢) .

وفي نابلس قدم خمسة أشخاص للمحاكمة هم :
صالح عبد الرحمن ، عبد العال محمود ، عادل
سعيد ، نبيل هاشم عبدالله وغسان عبد الوهاب
بتهمة القيام بعمليات عسكرية في منطقة نابلس
(الفجر ١٩٧٤/٩/٢٠) .

ج - المذكرات والاحتجاجات

ذكرت جريدة الشعب ان إمهات وزوجات المعتقلين
الاداريين حاولن الاعتصام في مقر الامم المتحدة على
جبل المكبر قرب القدس ، الا ان الشرطة حالت
دون ذلك بالقوة وطاردت المعتصبات . غير ان
هؤلاء وجهن مذكرة الى مدير مكتب الامم المتحدة
جاء فيها ، اننا نستنكر الاعتقالات الادارية التي
شملت المواطنين والمثقفين والاطباء والتقنيين
والمعمال ورجال الدين . وأوردت المذكرة أسماء
بعض المعتقلين وهم : سليمان النجاب ، خليل
حجازي ، خلدون عبد الحق ، جمال فريخ ،
عباس عبد الحق ، حسين أبو غربية ، بشير
البرغوتي ، يعقوب فراح ، فاروق السلفيتي ،
جسني حداد ، عبد المجيد حمدان ، عادل البرغوتي ،
غسان حرب ، المطران كبوشي ، تيسر العاروري ،
ابراهيم الجولاني وعبدالله البياع . وطالبت المذكرة
بتقديم الموقوفين الى المحاكمة ومعرفة التهم الموجهة
اليهم . وقد وجهت نسخ من المذكرة الى كل من
هيئة الامم المتحدة والصليب الاحمر والصحف المحلية
في الضفة الغربية . وقد وقعت المذكرة كل من :
بهية ابو غربية ، وداد ابو غربية ، ليلى النجاب ،

(٤) اسرانيليات

[١]

زيارة كيسنجر الى المنظمة وموقف اسرائيل من مساعي التسوية

بان علينا العمل وبذل كل شيء دون أية علاقة لا يسمع من الجانب الآخر ، لدراسة الاحتمالات والامكانات لاحتلال السلام » (ر.أ.أ. ، ١٠/٩ / ١٩٧٤) . واضاف « ليس من الواجب رفض أي اقتراح ، كما لا حاجة لظهور أنفسنا تجاه الداخل والخارج كرافضين لاية فكرة . انني أرى ان من واجب الحكومة في الدرجة الاولى ، البحث عن أية وسيلة معقولة ، وأرى ذلك لكوني أو من باننا حتى اذا لم نحز السلام ، فان من واجب هذا الشعب ان يكون مقتنعا ، بأن قيادته طرقت جميع السبل للتقدم نحو السلام ، وبحثت عن جميع الطرق لمنع الحرب » (المصدر نفسه) . غير انه يبدو ان هذه ليست هي الاعتبارات الوحيدة التي تكمن وراء تصريحات المسؤولين الاسرائيليين الاخيرة ، اذ ان هناك عوامل أخرى ، منها ما يتعلق بالوضع الدولي والوضع في المنطقة ومنها ما يتعلق بالوضع الاسرائيلية الداخلية ، تدفعهم الى السير في هذا الاتجاه .

التأثير الأمريكي

يبدو أن احد العوامل التي دفعت المسؤولين الاسرائيليين الى الاعلان عن سياستهم « الجديدة » هذه هو الموقف الأمريكي من التسوية في المنطقة ، الذي كان رابين وآلون قد اطلعا عليها عن كثب اثناء زيارتهم الاخيرة للولايات المتحدة ، التي تمت خلال الشهر الماضي والشهر الحالي . وكان أكثر من معلق اسرائيلي قد لفت النظر الى تغير لهجة رابين بعد عودته من زيارته لاميركا في منتصف الشهر الماضي ، وفي هذا الصدد كتب ، مثلا ، متيهاو بيليد (معارف ، ١٠/٤ / ١٩٧٤) . يقول : « كان لدى الكثيرين منا أمل بأن تكون حكومة يتسحاق رابين قادرة على معالجة عملية لامكانية التوجه نحو طريق ، تؤدي في نهاية الامر الى تعايش بيننا وبين الدول العربية ، الى سلام على المدى البعيد وايضا حالة الحرب على المدى

مع اقتراب موعد زيارة وزير الخارجية الاميركي ، هنري كيسنجر ، للمنطقة خلال الاسبوع الماضي ، وهي الزيارة التي وصفها أكثر من مصدر مسؤول في اسرائيل بأنها جس نبض واستطلاع رأي دول المنطقة بشأن المرحلة المقبلة من التسوية او من محادثات جنيف ، كثرت في اسرائيل التصريحات التي يبدو منها وكأن الحكومة الاسرائيلية قد غيرت مواقفها السابقة نوعا ما او انها على أبواب سياسة جديدة تجاه حل ازمة المنطقة . وكان من أبرز تلك التصريحات ، التي تبارى كبار المسؤولين الاسرائيليين في اطلاقها ، خاصة رئيس وزراء اسرائيل يتسحاق رابين ووزير خارجيتها يغال آلون ، الاعلان عن ان لدى اسرائيل خرائط مفصلة للانسحاب من المناطق المحتلة ، ستعرض في أية مفاوضات للسلام مع الدول العربية ، وان اسرائيل مستعدة ايضا للانسحاب من تلك المناطق او بعضها ، بما في ذلك الضفة الغربية ، لقاء اعلان العرب عن انتهاء حالة الحرب معها ، دون التوقيع على اتفاقيات سلام شاملة . وهذه التصريحات ، وان كانت جميعها مشروطة برفض اسرائيل العودة الى حدود ٤ حزيران ١٩٦٧ ، فانها على الرغم من ذلك تشير الى موقف يختلف عن المواقف الاسرائيلية المعلنة التي عهدناها حتى الان .

لقد اثارت التصريحات ردود فعل عديدة في اسرائيل ، كان من بينها ، كما هو متوقع ، ازدياد هجوم المعارضة على الحكومة . ولكن رابين عاد وأكد موقف حكومته هذا في معرض رده على اقتراح لجدول الاعمال قدمته كتلة ليكود الى الكنيست طالبة بحث تلك التصريحات ، بقوله ان سياسة حكومته « تدمج اليهوديين ، اعداد الدولة لاحتمال وقوع حرب جديدة ، والاستعداد والتأهب والسعي لاحتلال السلام سواء عن طريق التحول مرة واحدة من حالة الحرب الى حالة السلام ، أم عن طريق التقدم على مراحل ، معتمدة في ذلك على الإبهان

القصر . وقد قوى هذا الامل بشكل خاص بعد عودة رئيس الحكومة من الولايات المتحدة، وازداد قوة بعد ان أعلن رئيس الحكومة صراحة ان لديه خرائط مفصلة ، بالنسبة لحالة السلام او لحلول مرحلية على الطريق نحو السلام . واستطرد بيليد وامتدح تصريحات رابين بأن لديه خرائط لليتسوية لان موقف اسرائيل السابق بشأن عدم وجود خرائط لديها ، الذي كان القصد من ورائه زرع الفوضى في معسكر العدو قد عاد بالضرر عليها . أما دان مرغليت ، مراسل هارتسيس (١٩٧٤/١٠/٩) في واشنطن فيضيف ان ألون حاول اقتناع كيسنجر خلال زيارته الاخيرة لامريكا بوجهة النظر الاسرائيلية ، ولكنه لم ينجح في ذلك ، وهذا على الرغم من ان مركز كيسنجر قد تضعف ، بحسب رأيه ، بسبب التغييرات التي طرأت على الحكم في امريكا ، بحيث يمكن الضغط عليه اكثر من السابق . بينما يضيف اوري دان ، المراسل العسكري لصحيفة معاريف (١٠/٧/١٩٧٤) « غالدولتان الكبيرتان تخشيان حاليا خطر حرب جديدة في المنطقة ، ولذلك فان الائتئين مهتمتان بمنع الجمود السياسي والتوجه نحو عقد مؤتمر جنيف ، باشتراك مصر والاردن على الاقل ، حتى قبل نهاية العام » ، بينما يسعى العرب « من خلال استعداد كامل للحرب لاستنفاد المرحلة السياسية حتى نهايتها » . ويستطرد دان معلقا على موقف اسرائيل بقوله : « ان احدا لا يتنازل عن سلام حقيقي ، ولكن من « السلام » انتقلنا الى « فصل للقوات » ومن « فصل القوات » الى « انهاء حالة الحرب » ، وبما انه ليس هناك من هو على استعداد ... لمخنا « انهاء حالة الحرب » ، من الممكن ان نبدأ بسرعة الحديث عن « هدنة طويلة » . . . ان الحديث اذن ليس عن « قسم » او « انزلاق » طرأ على الموقف الاسرائيلي ، وانما على انهياره . والعرب يعرفون ذلك ... ولهذا من الواضح اذن ان العرب معنيون بعقد مؤتمر جنيف — وبأقرب فرصة ممكنة — لكي يحاولوا الحصول هناك على كل ما تستطيع اسرائيل منحه ، مقابل اقل من الحد الادني الذي تطالب به بكثير » (المصدر نفسه) .

مواجهة التحرك الفلسطيني

أما المعامل الثاني الكامن وراء التصريحات

الاسرائيلية « المتساهلة » هذه فيهدف الى مجابهة التحرك الفلسطيني ومحاولة احتوائه بواسطة الاعلان عن تقديم الفنازلات للدول العربية لضعاف تأييدها للفلسطينيين ومحاولة دق اسفين بينهم . « غقوة الفلسطينيين العسكرية محدودة حقا ولا تمكنهم من مجابهة الاردن ، ولا اسرائيل بالطبع . ولكنهم ، على الصعيد السياسي ، يسرون — انتصار الى انتصار . ان بيان الفسيق الثلاثي (مصر — سوريا — م.ت.ف.) الذي صدر في القاهرة جعل من منظمة التحرير الفلسطينية الابن العزيز على العالم العربي . كما ان المركز الرسمي الذي منح ل — م.ت.ف. في اليونسكو ومنظمة الطيران الدولية والامم المتحدة وكل مؤسسات المجموعة الدولية يوسع التعاطف ويعمق الولاء للؤسسة الفلسطينية بين السكان في المناطق التي تحكمها اسرائيل وربما في الاردن ايضا » (دانييل روبنشتاين — دافار ، ١٩٧٤/١٠/٩) . وفي الوقت نفسه يضيف معلق اخر (يهوشاع تدمور — دافار ، ١٩٧٤/١٠/٧) « اننا بالمعارضة والسلبية فقط، دون سياسة بديلة حقيقية لن نحل اية (مشكلة) . كذلك لن يكفي هذا لصد ضغط م.ت.ف. المتزايد ، التي حصلت على الشرعية من قبل اكثرية ساحقة من الاعضاء في الامم المتحدة . وعندما ستصل الامور الى التصويت في الجمعية العمومية سيوضح لنا انه بالرغم من ان م.ت.ف. لن تحظى باعتراف كممثلة وحيدة للفلسطينيين ، فان معظم دول العالم ستؤيدها شرط الا يذهب مشروع الاقتراح بعيدا . وهكذا ستخلق اذن حقيقة سياسية جديدة : اعتراف دولي ب — م.ت.ف. « ويضيف تدمور : « في مثل هذه الظروف — ومن لا يعترف بها يعيش في حلم — تحاول حكومة رابين ... بلورة سياسة حقيقية . وهناك دلائل واضحة للحركة والمرونة والتغيير » لانه اذ اتضح ، كما تأمل اسرائيل ، ان مصر قادرة على التحرك نحو التسوية السلمية لوحدها دون ارتباطا بسوريا وم.ت.ف. « فسيكون هذا اختراقا عظيما » (المصدر نفسه) . والواضح ان هذا « الاختراق العظيم » هو أحد الاهداف التي تسعى اليها اسرائيل من وراء موقفها الاخير ، ذلك « ان حجر العثرة الرئيسي » — كما يشير شموئيل سيجف ، مراسل معاريف (١٩٧٤/١٠/٧) في واشنطن — « على الطريق لتجديد محادثات السلام كان ، ولا يزال ، الفلسطينيين . وعلى الرغم من

ويمستطرد حاريف : « ان المقربين لاحظوا ان «صبر ساير يكاد يصل الى نهايته » ... ، وهو لا يعتقد ان الحكومة « تستطيع الاستمرار في اللعب » بهذا الشأن لوقت طويل . ومن المعقول ان نفترض ان ساير طرح شيئا من هذه الاراء على مسامع رئيس الحكومة . اننا لا نقول ان كل تصريحات رئيس الحكومة الاخيرة ، منذ ٢٢ ايلول ... هي ثمرة « املاء » ساير ... ولكن لن نكون مبالغين ، كما يبدو ، اذا افترضنا ان بعض صيغ يتسحاق راين الاخيرة جاءت لتهدئة اولئك الذين يفكرون مثل ساير ... (وان مثل هذا الخط) يحظى دون شك برضى معسكر الحمايم الذي يتجمع اليوم بأكثرية غسي الحكومة » (المصدر نفسه) .

أما مراسل يديعوت احرونوت (٧/١٠/١٩٧٤) اريبه تسيموكي ، فقد تطرق الى هذا الموضوع من ناحية اخرى قائلا « ان رئيس الحكومة اعلن ، حقا ، انه « رسم » خرائط لنفسه وانه على استعداد لعرضها على أي زعيم عربي يريسد التفاوض معه في محادثات سلام ، ولكن الحكومة لم تجر بحثا وهي تجلس الى طاولة نشرت عليها الخرائط . ان الرأي المسيطر في الحكومة يلزم ابداء استعداد من قبل اسرائيل لتسويات اقليمية، في اطار اتفاقيات سلام مع الدول المجاورة . ان الرأي هو أنه من المفضل السعي الى اتفاق سلام شامل ، ولكنهم يقبلون عمليا بالخط الامركي القائل بأنه ، نظرا لعدم وجود امكانية للقلب على الفجوة الكبيرة في مواقف الاطراف من اتفاق السلام ، من المفضل الدخول في مفاوضات للوصول الى اتفاقيات جزئية . ان الرأي السائد في الحكومة هو انه لا ينبغي الاكتفاء بالتصريحات « الجوفاء » بشأن استعداد اسرائيل للمفاوضات دون شروط مسبقة ، لان مثل هذا الاعلان لا ينم عن شيء . ان تصريحات رئيس الحكومة ووزير الخارجية والاعلام ، بشأن استعداد اسرائيل لتسويات جزئية على اساس تنازلات ، تناسب مع جوهر ما قاله معظم اعضاء الحكومة » . ويختتم تسيموكي مقالته بقوله : « من الواضح اذن ان الصراع سيدور من الان لا على سياسة الحكومة تجاه المرحلة الثانية من المفاوضات فقط ، وانما على مصر هذه الحكومة ايضا » .

ان ضعف الحكومة الاسرائيلية ، على الصعيد الداخلي ، وخوفها من أن يؤدي اي تنازل للعرب

ان كل الاطراف يؤجلون اتخاذ خطواتهم الى ما بعد التصويت في الامم المتحدة ... وبعد مؤتمر القبة العربي في الرباط ، من الواضح الان ان تغييرا كبيرا طرأ على موقف مصر بشأن اشراك م.ت.ف. في مؤتمر السلام في جنيف . ويضيف سيجف « ان السادات يطلب حاليا باصرار بدعوة الفلسطينيين ، ولكي يزيل شكوك الامركيين تجاه م.ت.ف. يحاول « بيع » الفكرة (القائلة) بأن الفلسطينيين موالون للامركيين بنفس مدى موالاتهم للروس » . بينما يعلن زميله اوري دان (المصدر نفسه) « ان مشكلة كيسنجر في سلسلة زيارته الحالية هي ايجاد صيغة لاشراك ممثلين فلسطينيين في الوفد الاردني ، وصيغة نزم حكومة اسرائيل بالبحث في جنيف عن تسوية جزئية غسي غور الاردن ، ولو تم ذلك بالنسبة لمدنية اريحا فقط » .

« حمايم » اسرائيل يتحركون

اضافة الى العوامل الخارجية الكالمة وراء المواقف الاسرائيلية الاخيرة ، التي اشرنا لها، هناك ايضا عوامل داخلية تدفع في الاتجاه نفسه . وتشير الانباء الى أن معسكر « الحمايم » في اسرائيل ، بزعامة « الرجل القوي » في الجهاز الحزبي المباني ، بنحاس ساير ، الذي يشغل حاليا أيضا منصب رئيس الوكالة اليهودية ورئيس الادارة الصهيونية ، يتحرك للضغط على حكومة اسرائيل وحملها على تغيير موقفها . ويتحدث يوسف حاريف ، القرب من الدوائر الحاكمة في اسرائيل ، عن نشاط « الحمايم » هناك (معاريف ، ٤/١٠/١٩٧٤) قائلا « ان ... بنحاس ساير قد اجتمع الى يتسحاق راين ... يوم ٢٢ ايلول واسمعه آرائه السياسية حول الشؤون الخارجية وشؤون الحزب . هذه المرة دعا ساير نفسه لزيارة راين من اجل الهدف الواضح . ومن السهل ان نقدر النتيجة المترتبة على اراء ساير الشخصية في الشؤون السياسية . انه ذلك الخط الحمايمي الذي اتبعه في الماضي ايضا - التنازل كثيرا (لمنع الخطر السكاني) - ويتأكد متزايد (هذه المرة) تستلزمه ، بحسب رأي ساير ، دروس حرب يوم الغفران . ان ساير ليس مستعدا ، بحسب رأيه ، لحرب جديدة - « هل أنا بحاجة الى الالف الضحايا الاخرى ؟! » .

جيرانها ، لقاء المطالبة (بتنازلات) معقولة من كل واحدة منهم . وان كان انتهاء حالة الحرب ينبغي ان يكون صيغة الافتتاح ، او ان هذا يجب ان يكون النتيجة النهائية لمجرى المفاوضات ، فان هذه مسألة هامة ولكنها ليست حاسمة . ان ما يقرر هو طابع الاتفاق الذي يراد التوصل اليه : يجب ان يكون ويظهر كتسوية يرضي بها كل طرف بجزء من الممتلكات التي في حوزته والتي يرغب بها الطرف المضاد ضمن صفقة التبادل . وعلى اسرائيل الا تكتفي بأقل من ذلك . (ابراهام شفابتسر — هآرتس ، ٧٤/١٠/١١) .

غير انه على الرغم من الوضع الذي وصفناه ، كان هناك من تطرق الى بعض التفاصيل . ففي دافار (١٠/٤/١٩٧٤) طالب احد معلمي الصحيفة ، حفاي ايشد ، اسرائيل بعدم التنازل عن ابار النفط في ابو رديس ، داعيا اياها الى التفاوض على اتفاق نفط اسرائيلي — مصري ، يؤمن لاسرائيل تزويدا منتظما من نفط ابو رديس ، مرفقا بترتيب مالي ملائم بين اسرائيل ومصر . ويجب ان يبقى هذا الاتفاق ساري المفعول خلال كل الفترة التي تستمر بها حرب النفط العالمية ، وهو ما يتطلب « ايجاد ترتيبات سياسية وعسكرية ومالية ، تؤمن مصالح اسرائيل الحيوية والسيادة المصرية » . بينما أشار ماتى غولان ، مراسل هآرتس (١٠/٧/١٩٧٤) للشؤون السياسية ان اسرائيل لن تقترح الانسحاب من ابو رديس في المرحلة المقبلة .

أما شموئيل سيچف (معارف ، ١٠/٧/١٩٧٤) فقد تطرق الى مفهوم اسرائيل لانتهاء حالة الحرب ، بقوله ان اسرائيل تتوقع من وراء طلبها هذا نزع السلاح في سيناء وفي كل منطقة اخرى ينسحب منها الجيش الاسرائيلي . « وكذلك تعهدا من جانب مصر بعدم تأييد النشاط الارهابي ضد اسرائيل . وفي المجال الاقتصادي تتوقع اسرائيل انتهاء المقاطعة الاقتصادية رسميا ، التعهد بالسماح للبطائح الاسرائيلية بالمرور في قناة السويس ، التعهد بعدم التعرض للمواصلات الجوية والبحرية في مضائق باب المندب ، واعلام كل المؤسسات الدولية رسميا انه لم تعد هناك حالة حرب اقتصادية بين اسرائيل وبين جيرانها العرب » .

سبري جريس

بالانسحاب من المناطق المحتلة ، وخاصة من الضفة الغربية ، الى اجراء انتخابات جديدة تطيح بها كان من بين الاسباب الرئيسية ، بحسب رأي المعديدين من المعلقين الاسرائيليين ، الذي دفع حكومة رابين الي التشبث بالمواقف الاسرائيلية التقليدية المتصلبة ، حرما على مستقبلها . ولكن يبدو ان ثقة رابين بحكومته قد ازدادت في الاونة الاخيرة ، بعد أن استطاع استمالة غولدا مئير الى جانبه ، بينما يظهر له ، من ناحية ثانية ، انه « كلما تمر الايام ، يزول الخوف من موشي ديان ، المنهك بكتابة مذكراته ، دون ان يكون واضحا بماذا يستطيع ان ينجيء (الحكومة) » (يوسف حاريف — معارف ، ١٠/٤/١٩٧٤) . كذلك فان ضم الحزب الديني القومي (الغدال) الى الحكومة ، الذي يبدو انه شبه مؤكد ، وهو ما وعد سابير رابين بتحقيقه لتقوية مركز الحكومة في مواجهة أية معارضة من الداخل ، يزيد من ثقة الحكومة بنفسها وبمنحها حرية المناورة في أية مفاوضات سياسة قد تتم في المستقبل . فسابير يعتقد « انه ينبغي على الحكومة ان تتوجه الى تسويات اقليمية جديدة » . وحول سابير يلتف اليوم اولئك الذين « من بين ذوي التأثير في زعامة مهاي سابقا ، الذين يريدون ارجاع «مهاي التاريخي» الى مجده السابق ، واحد خصائمه الواضحة هو ذلك الخط الحثامي الصريح ، الذي يريدون استنادا اليه خوض انتخابات جديدة » (المصدر نفسه) .

الموقف الاسرائيلي من التسوية

لوحظ ان النقاش داخل اسرائيل حول ماهية المرحلة المقبلة من التسوية كان هذه المرة خافتا للغاية ، وذلك — كما يبدو — نتيجة لاعلان عدد من المسؤولين الاسرائيليين ان جولة كيسنجر الحالية ليست الا خطوة لاستطلاع آراء الاطراف المعنية ، تهيئا لمرحلة مقبلة . وقد تركزت معظم ردود الفعل والتعليقات ، عدا عن الهجوم التقليدي الذي تشنه ، عادة ، المعارضة على الحكومة في مثل هذه الاحوال ، على الدعوة الى اتباع «سياسة عملية» وعدم التشبث بمواقف مسبقة ، تجنباً لنشوب حرب جديدة ، « والسبب الاساسي لذلك هو أن حربا جديدة ، حتى اذا انتهت مثل حرب ١٩٦٧ ، لن تساهم في حل الخلاف ... وستحسن اسرائيل صنعا اذا اقتترحت مفاوضات مع كل

نقاش أسرائيلي حول دروس حرب تشرين

الاسرائيلية الداخلية والخارجية ، وبشكل فاق تأثير اي حادث اخر في اسرائيل منذ انشائها . غير أن الاختلاف في وجهات النظر يظهر في ردود الفعل ، التي تنقسم — عامة — الى تيارين ، يبدو أن الاول منهما قد اتمعت بنتائج الحرب وراح يدعو الى اتباع سياسة اسرائيلية أكثر واقعية تجنباً لوقوع حرب أخرى ، في حين يركز التيار الآخر اهتمامه على الدعوة الى صقل القوة الاسرائيلية وتلافي الاخطاء التي وقعت في الحرب السابقة ، استعداداً للحرب القادمة التي ينبغي ان يدفع العرب خلالها ثمن ما حققوه باسرائيل من خسائر ، مادية ومعنوية ، خلال الحرب الأخيرة .

ان الدروس التي استخلصها الاسرائيليون من الحرب عديدة ، اولها ذلك الذي فتح اعينهم على واقع جديد ، كادوا ينسونه عقب انتصار ١٩٦٧ . « فحتى يوم الغفران ، او على الاصح حتى الساعة الثانية من ظهر ذلك اليوم... اعتاد (الاسرائيليون) على النظر من فترة لآخرى في المرأة لكي يشبعوا ترجسيتهم القومية . والصورة التي انعكست هناك كانت جبيلة ، ذات شرايين وملامح نكية . لقد نظروا الاسرائيليون في المرأة ثم حدثوا انفسهم بان وضعهم لم يكن مرة احسن مما هو عليه ... ولكن منذ الحرب بدا غير واضح لهم ما اذا كانت المرأة موهجة — او أنهم لم يكونوا جبيلين ومحققين وحكامه واقوياء الى الحد الذي تصوره . ان عدم التأكد هذا يزعجهم الآن اكثر من أي مسألة اخرى ... بعضهم يلقي بالمسؤولية على المرأة ، وهو متأكد من صحة تشخيصه ، لدرجة انه يحاول احياناً الهجوم عليها لتحطيمها ... ولكن عدد اولئك الذين راحوا يصلون الى النتيجة ، صعبة القبول ، بأن المرأة بحالة جيدة ، آخذ في الازدياد — وهي النتيجة التي تترك في انفسهم الحساسية ندبا صعبة ... ويظهر لهم المستقبل ، في ضوء هذا الاكتشاف ، فتاحياً ومحفوفاً بالمخاطر » (اهرن بيخاز — ملحق يديعوت احرونوت ، ١٩٧٤/٩/٢٠) . اما الاسباب الكامنة وراء هذا الشعور فانها عديدة ، منها — كما يشير احد اطباء النفسانيين الاسرائيليين ، البروفسور رفائيل موزس (معازيف ، ١٩٧٤/٩/١٢) — اكتشاف الجندي الاسرائيلي بأنه

مع مرور عام على حرب تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٣ ، تجدد النقاش في اسرائيل حول نتائج تلك الحرب وتأثيرها على الأوضاع الاسرائيلية ، داخليا وخارجيا ، وكذلك ابعادها المحلية والدولية ، ثم الدروس المستخلصة منها بالنسبة للمستقبل . والنقاش الاسرائيلي حول حرب تشرين ، الذي بدأ مباشرة بعد موافقة الاطراف المتحاربة على ايقاف اطلاق النار ، لم يتوقف ، مبلتيا ، منذ ذلك التاريخ ، وان كان قد مر في « مراحل » مختلفة . فخلال الاشهر الاولى التي تلت الحرب مباشرة ، كانت ردود الفعل الاسرائيلية عبارة عن انتقادات لاذعة موجهة الى النظام الاسرائيلي بأكمله ، حكومة وجيشا واحزابا ومؤسسات وقيما ، بل ان هذه الانتقادات لم تترك ناحية من نواحي الحياة ، العامة او الخاصة ، في اسرائيل الا وتعرضت لها ، فيها ظهر وكأنه كثف بالمسلمات واعادة نظر شبه شاملة في المواقف السابقة ، وذلك نتيجة لما اسماه بعض الاسرائيليين « الطوفسان » . او « الزلزال » الذي حل بهم خلال الحرب . غير انه مع مرور الوقت ، ومع عودة الهدوء الى المنطقة بعد توقف القتال اثر توقيع اتفاقيات فصل القوات ، على الجبهتين المصرية والسورية ، ثم التركيز على النشاط السياسي ، راحت تلك الלהجة تتغير وحلت بدلا منها نغمة اخرى ، اكثر « اتزاناً » و« هدوءاً » ، تتجه الى تقييم النتائج والأوضاع من خلال وجهة نظر اكثر « عمقا » و« شمولاً » ، بينما ازداد ، في الوقت نفسه ، الاهتمام بالدروس المستخلصة من الحرب وتأثيرها على استراتيجية اسرائيل ومواقفها في المستقبل . ومستقدم فيما يلي عرضا للراء التي طرحت خلال هذه المرحلة الثانية ، «مرحلة الهدوء» ، وخاصة تلك المتعلقة منها بالدروس « النهائية » التي تم استخلاصها ، وابعادها المستقبلية وتأثيرها على الصراع العربي — الاسرائيلي .

« المرأة غير موهجة ... ونحن لسنا جبيلين »

يكاد لا يختلف اسرائيليان فيما بينهما ، كما يتضح من مجمل المناقشات التي دارت حصول حرب تشرين منذ انتهائها وحتى اليوم ، ان تلك الحرب قد أثرت بصورة واضحة ، على الأوضاع

الإسرائيليين . فالكتاب بوعز عفرون ، أحد محرري صحيفة يديعوت اخرونوت (١٩٧٤/٩/١٦) يرى ان هناك شعورا « بالكآبة والحزن » في إسرائيل ، ناجما عن حقيقتين « احدهما وهمية : لقد اعتاد هذا الشعب ، منذ ١٩٦٧ ، على الشعور بأننا نعمل في فراغ من القوة ، واننا نستطيع ... ان نفعل ما نشاء . حتى انه كان هناك حديث عن كوننا الدولة الكبرى الثالثة في العالم » . اما الحقيقة الثانية ، الموضوعية ، فهي « انه اتضح لنا في تشرين ١٩٧٣ اننا لا نعيش في فراغ من القوة ، وان هناك مقاومة ، عسكرية ايضا ، تحظى بتأييد الدول الكبرى ... وتيارا تاريخيا — سياسيا في الاتجاه المعاكس . ان هذين الاكتشافين هما سبب الشعور بالكآبة ... وهذا ، بحسب رأي ، مصدر الصدمة » . اما البروفيسور ميخائيل فيلدمان ، الاستاذ في معهد وايزمان ، فيرى ان هناك أزمة لا تزال تتفاعل في إسرائيل ، سببها ان الاسرائيليين عاشوا في شعور « من الثقة بالنفس مبالغ به ، استند على الاعتقاد بأن الفجوة بيننا وبين العرب كبيرة وانها ستصبح اكبر . ولكن اتضح للكثيرين ان الفجوة بيننا وبين العرب ليست كبيرة ، بل انها صغيرة . عشنا مع شعور ان بقاء الوضع الراهن ، ان احببناه ، متعلق بنا ، ولكن اتضح لنا فجأة ، ان بقاء الوضع الراهن غير متعلق بنا . اعتقدنا ... ان الوضع الراهن هذا يؤدي الى الاستقرار ، واتضح لنا عكس ذلك . لهذا فاننا نقف اليوم امام خيارات سياسية جديدة كل واحدة منها حبلى بالمخاطر ... » كذلك يضيف فيلدمان سببا آخر للآزمة التي تعاني منها إسرائيل الان ، بحسب رأيه ، وهو ان الجيل الحالي ، على عكس جيل الاباء — المؤسسين من قدامى الصهيونيين ، لا يعرف ماذا يريد ومن الصعب عليه اتخاذ القرارات بشأن تصرفاته ، ثم ان إسرائيل ليست الا دولة جديدة ، معظم سكانها من المهاجرين ، وتنقصها التقاليد العريقة التي تستطيع ان تساعدنا في التغلب على مثل هذه الازمات (من ندوة في معاريف ، ١٩٧٤/٩/١٦) . غير أن الأهم من ذلك كله هو « الشعور السائد بأن كل حل سياسي يحبل في طياته امكانية كبيرة جدا بأن يؤدي بنا الى حرب او حروب اخرى ، الا اذا تغير الواقع السياسي حولنا ... ولكن لا وصفا عادية لدي يمكن بواسطتها

عرضة للاصابة ، بعد ان كان في السابق يذهب للحرب « مقتنعا بأن شيئا لن يحدث له » ، ثم « الشعور بالحداد على تلك المساحات من الاراضي التي اخذت او ستأخذ منا » ، وكذلك « تجاهلنا علينا لعدة حقائق اساسية ، وللخطر الذي يحيط بنا ... ولكن حدث شيء ما اجبرنا على النظر الى الامور على حقيقتها والتوقف عن تجاهلها ... » وقد أدى هذا كله حدوث تغيير في العقيدة ، بحيث « اصبحت الصهيونية كلمة سائفة . ومع الحرب فتحتنا عيننا مرة واحدة ، وكان هناك من سأل نفسه ما حاجتي لكل هذا ، لماذا يجب ان اقتل ؟ اريد ان اهاجر » . ولكن موزس يضيف في نهاية حديثه : « اعتقد على العموم اننا بداننا نستعيد توازننا » . اما زميل موزس ، البروفيسور نواح ميلغرام ، فيشير الى اسباب اخرى : « كان من المسلم به بالنسبة لنا اننا اقوى قوة عسكرية في المنطقة ، وان توفنا الرادعة ستمنح العرب من شن الحرب ، وانهم اذا ما تجرأوا على ذلك — فسنكسر عظامهم . كان واضحا بالنسبة لنا اننا نتمتع بالتفوق في كل المجالات ، واعتقدنا بأن العرب لن يتحدوا ابدا ، ولكثهم في مسألة النفط بالذات توحدوا واصبح ذلك عاملا حاسما . كذلك فان رجال الاستخبارات ، الذين كانوا ملزمين بتقييم نوايا العرب ، قد خدموا لانهم عاشوا في تلك المسلمات . وكان من بين ما اتضح لنا ، ان حقيقة تعرضنا للهجوم لا تكسبنا حقا اخلاقيا » (المصدر نفسه) . كذلك يضيف ميلغرام عوامل اخرى تقف وراء ذلك الشعور ، اذ « اتضح ان الحياة الطبيعية في إسرائيل هي حياة تجنيد دائم وخوف مستمر من الحرب » ، خاصة « بعد ان سببت لنا الحرب صدمة ، لم ننجح حتى الان في التغلب عليها » . والأهم من هذا كله « انه اتضح للعديد من بعد الحرب ان الجيش الإسرائيلي ليس اكثر كفاءة من شركة « ايجد » (شركة احتكارية للمواصلات) ، ناولئك هم الأشخاص أنفسهم ، ولا يمكن الفصل والتمييز بين كفاءتهم عندما يلبسون الملابس المدنية او العسكرية ... »

« تيار تاريخي — سياسي في الاتجاه المعاكس »

مع ازدياد عدد المشتركين في النقاش حول حرب تشرين ونتائجها ، وتنوع خلفياتهم ، تنوع ايضا الآراء التي يدلون بها لجهة تأثير تلك الحرب على

امنون كابلديوك ، مراسل صحيفة عل هشمبار (٧٤/٩/٢٥) للشؤون العربية يرى ، مثلا ، أن العوامل الثلاثة « العسكري والسياسي والاقتصادي قد عملت بشكل فعال ومنسق في حرب تشرين » ضد مصلحة اسرائيل . « فالعامل العسكري معروف ولا حاجة للحديث عنه كثيرا . هذه المرة كانت هناك استعدادات دقيقة وتنسيق عربي . اما بالنسبة للعامل السياسي ، فإن المصريين قد ربحوا الحرب لدى الرأي المسام باكثرته بعد اطلاق الرصاص الاولي . فقد عرضوا الحرب وكأنها معركة لتحرير اراضيهم المحتلة وكثيرون قبلوا هذا الادعاء ... كذلك فإن « سلاح النفط » كان فعلا ، لأن استعماله تم بصورة حذرة ووجه للمس بنواح معينة ومحدودة ولأنه كان ، الى حد ما ، ذا قيمة دعائية هائلة » . اما العميد (احتياط) يشعياهو غافيش ، احد الضباط القدامى الذين دعوا الى الاشتراك في حرب تشرين بعد ان اشتدت معاركها ، فيعلن انه « علي ان اعترف بان العرب حققوا جزءا كبيرا (من اهدافهم) . لقد اثبتوا ان باستطاعتهم التغلب على عنصر الخوف وشن الحرب ثم القتال . اثبتوا انهم قادرين على عبور القناة والدخول الى هضبة الجولان ، وقيادة قوة كبيرة جدا مع تنسيق عسكري على الجبهات ، بمستوى تخطيط استراتيجي معقول ومن خلال تنسيق سياسي عجيب . كذلك نجحوا باسترجاع جزء من المناطق بواسطة احتلالها ... ولاسفنا الشديد ، استولوا على القناة بقوة السلاح ... ان التحرك العسكري لم يكن الا مرحلة اولى ، والمراحل التالية منتبهم ... اعتقدنا انه باستطاعتنا أن نردع الطرف الاخر من شن الحرب ... ولكننا لم نردعهم » (من ندوة في يدعيوت احرونوت ، ٧٤/٩/١٦) . كذلك يتفق العميد (احتياط) مئير عيميت ، رئيس « الموساد » ، المؤسسة المركزية للخبرات والمهمات الخاصة سابقا (١٩٦٣ - ١٩٦٨) ومدير شركة كور الهستدروتية حاليا ، مع زميله غافيش في رأيه ، ولكنه يحذر في الوقت نفسه من قوة العرب الاقتصادية وامكانيات استعمالها في المستقبل بشكل اكثر فعالية ضد اسرائيل . غير ان عيميت يذهب ابعد من زملائه الاخرين ، اذ يعرب عن اعتقاده بان العرب احسنوا صنعا ، بالنسبة لاسرائيل ، بعدم تأجيل حربهم ضدها بضعة سنوات اخرى ، « لان لو نسـم

تغيير هذا الواقع بمبادرة منا » (معاريف ، ٩/٢٥/١٩٧٤) . اما زميل فيلدمان ، البروفسور اليعيزر شفايد ، استاذ الفلسفة اليهودية في الجامعة العبرية بالقدس ، فيرى « اننا نجابه اليوم شعورا واضحا جدا لدى الجمهور بأنه يقف امام مشاكل اقتصادية واجتماعية وسياسية وعسكرية ، وهو غير مستعد لمواجهةها على الاطلاق . اننا ، ببساطة ، لا نعرف ماذا ينبغي عليه ان يفعل وكيف يجب ان يستعد . بل على العكس ، ان الشعور هو ان الجمهور مستعد للعيش في وضع يختلف كثيرا عن الوضع الذي يمر فيه حاليا ... ان الشعور بالخطر اكبر اليوم لان الجمهور غير مستعد لمواجهة هذه المشكلة » (معاريف ، ٧٤/٩/١٦) . وفي الوقت نفسه يعلن زميل ثالث لفيلدمان وشفايد ، البروفسور زئيف ليف ، استاذ العلوم الطبيعية في الجامعة العبرية ، بأنه يعيش مع بعض زملائه من رجال العلم ، مع شعور باننا نقف امام حالة طوارئ ك تلك التي كانت قائمة في دنكيرك . ونعتقد ، دون الدخول الى التفاصيل ، اننا لسنا محاطين بالاعداء فقط ، مثل السنوات الماضية ، وانما يوجد هنا ايضا ازمتهن اخريان اضافة الى ازمة الثقة الداخلية . الاولي ناجمة من وجود قوة اقتصادية كبيرة تحيط ، حاليا ، باسرائيل وعلى استعداد لخنتها . والثانية تكمن في خطر (حدوث) ازمة مالية عالية ... « ويضيف ليف : « اعتقد ان شيئا ما حدث بعد حرب يوم الغفران ، ليس بسبب التقصير ، وانما نتيجة للقوة التي يتمتع بها عالم المال العربي حاليا . ارى ان هذه هي المشكلة الكبرى . باستطاعة العرب شراء كل شيء . وتكمن هنا مشكلة دولية صعبة بالنسبة لدولة اسرائيل وللشعب اليهودي بأكمله ... ولكن لا الحكومة ولا الجمهور ولا المجتمع مستعدون لمواجهة هذه المخاطر » .

انهيار عامل الردع الاسرائيلي ، وافتلاس مفهوم الحدود الامنة .

اضافة الى الاراء التي اشرفنا لها ، التي نتحدث بمعظمها عن الازمة داخل اسرائيل ، هناك ايضا اتجاه اخر يركز على الانجازات التي حققها العرب خلال حرب تشرين او بسببها ومساهمتها في ضعفة اوضاع اسرائيل واستراتيجيتها . فالدكتور

منع الحرب ، تبدو الآن كالمساق المكسورة . لا يزال الاسرائيليون يؤمنون بقدرتهم على التغلب على العرب في اي صراع اخر معهم — ولكن ثقتهم بقدره جيشهم على منع صراع كهذا قد تضعفت . لقد سقطت ضربة يوم الغفران على رؤوسهم بالذات في اللحظة التي بدا لها فيها وكأن العرب قد تنازلوا مسبقا من كل محاولة لتغيير الوضع الراهن ، الطيب ، بحيث آمن اسرائيليون عديدون ... بأن سنوات هدوء طويلة في انتظارهم . ويضيف بيخار : « على خلفية نتائج هذه الحرب ، تسير الحياة في البلد في ظل شعور ثقيل بان الحرب القادمة على الابواب . لقد رافق فرحة الانتصار بعد الايام الستة شعور واضح بان عهد حروب اسرائيل قد انتهى ، وان ميزان القوى الجديد في المنطقة هو الضمان المثالي لسلام ابدى ودائم . ان هذا الاعتقاد الذي اضاف بعدا جديدا الى فرحة النصر ، استبدل الآن بشعور عدم — مقدرة معتم . يصعب على اسرائيل الآن ان تهرب من الاستنتاج وكأنه كتب عليها ان تعيش من حرب لخرى — وحكم الصير هذا يفهم عليها طابعا حزينا » (المصدر نفسه) .

ان معظم اصحاب الراء التي تقدمها يكتفون عادة بالحديث عن الداء دون الاشارة الى الدواء ، ويصفون المشاكل التي تعاني منها اسرائيل دون تقديم الحلول لها . غير ان واحدا منهم على الاقل ، هو « المنظر » الصهيوني يهودا غوتهيلف ، قد شد عن هذه القاعدة . وتحت عنوان « لا بديل عن السلام » كتب غوتهيلف في دانار (٧٤/٧/١) : « اننا لا نستطيع تغيير الزمان والمكان ، اللذين انشئت وتبنى هيها دولة اسرائيل ، وعلينا استخراج الحل من المر ... ينبغي الا نكتفي بسياسة الوضع الراهن والسكوت على الاتزلاق نحو الحرب ، او الحروب القادمة ، التي قد تستعمل فيها اسلحة فتاكة للغاية — الا اذا تبيننا كهدف نهائي الفكرة الحلوة (القائلة) : « علي وعلى الفلسطينيين والشعوب العربية الأخرى » . ويضيف غوتهيلف : « علينا ان نميز بين تنازلات اجبارية وبين تنازلات اخرى ينبغي تقديمها لمصلحتنا وعن طيبة خاطر ... تنازلات توغر علينا ضم مليون عربي اخر وتنفذ طابع الدولة اليهودية — الصهيوني ... ان ازدهار امة ما ثقافيا واقتصاديا لا يتوقف على عدد

مثل هذا الامر بعد بضعة سنين لكان تجميعهم لتواهم اكبر بكثير مما هو عليه الآن ، ولكان سببنا اكثر عمقا . كنت منذ مدة متيقظا للحقيقة ، التي رآها الان اناس كثيرون ، باننا كنا خلال ست سنوات (منذ نهاية حرب الايام الستة وحتى حرب يوم الغفران) غارقين في احلام وردية » (من مقابلة مع حوتام ، ٧٤/٩/٢٠) .

وليسست هذه هي الانجازات الوحيدة التي حققتها العرب خلال حرب تشرين ، فالبروفسور شمعون شامير ، مدير معهد شيلواح للدراسات الشرقية في جامعة تل ابيب يرى (مقابلة مع يديعوت احرونوت) ان العرب حققوا خمسة انجازات رئيسية بسبب الحرب ، اولها انهم استطاعوا احداث تغيير ، غير مريح لاسرائيل ، في سياسة الولايات المتحدة ، وثانيها انهم جعلوا الخيسار العسكري حقيقة واقعة ، وهو ما يلزم اسرائيل ببذل مجهود اكبر في استغلال طاقاتها ، وثالثها انهم استطاعوا الوصول الى مستوى عال من التعاون العربي ، على الصعيدين العسكري والاقتصادي ، وان كانوا قد لجأوا خلال الحرب الماضية الى استعمال سلاح النفط ، فقد يلجأون في المستقبل الى استعمال سلاح المال ، ورابعها ان مصر استعادت لنفسها حرية الحركة بين الدول الكبرى ، التي فقدتها قبل نحو عشر سنوات ، وخامسها ان العرب تحرروا من صدمة الهزيمة سنة ١٩٦٧ واصبحوا اكثر « فعالية » . وفي سياق حديثه يتطرق شامير الى المفهوم الاسرائيلي للحدود الامنة ، الذي كان سائدا حتى الحرب ، فيشير الى ان « الحدود الامنة مفهوم جدي للغاية ، خاصة بالنسبة لدولة مثل اسرائيل . ولكن كان هناك مفهوم مبسط للحدود الامنة يقول ... ان حدود وتسف اطلاق النار آمنة لحد لا حاجة معه للتعرب كثيرا لكي نؤمن مستقبلا . ان هذا المفهوم قد افلس . ان حدودا آمنة مجردة ، لا تأخذ بالحسبان الطرف الثاني والتفاعلات التي تثيرها لديه ، يمكن ان تصبح حدود حرب دائمة ، وهو ما حدث بين ١٩٦٧ و ١٩٧٣ ، ولم ينته حتى اليوم » (المصدر نفسه) . اما هرون بيخار (ملحق يديعوت احرونوت) ، (٧٤/٩/٢٠) فيشير الى فقدان ثقة الاسرائيليين بقوة جيشهم الرادعة بقوله : « ان (نظرية) رعاية الطاقة العسكرية باعتبارها عنصرا رادعا يستطيع

علاقات حسنة مع دول العالم والخروج من العزلة السياسية التي اشتدت بعد حرب ١٩٦٧ ، « وذلك الجسور ، التي ستبقى مفتوحة ان اتبعت اسرائيل سياسة خارجية واقعية ومعتمدة ، ستجعل منا قلعة حقيقية . ان القلعة العسكرية لا تعني اسوارا محصنة وانما قوة روع عسكرية . وينبغي ان تكون هذه القوة ذات ابعاد تزيد كثيرا عن مدى خسلان حدود محلي . على اسرائيل ان تفتزن قوة ، تصل ابعادها ونوعيتها الى حد يصبح معه التغلب عليها مرهونا بزلزال شامل . وبكلمات اخرى : علينا ان نخلق وضعا يكون معه من المصلحة العالمية ومن مصلحة الدول الكبرى ، منع التغلب على اسرائيل . وهكذا فقط يمكن ان ينجم تناسق بيننا وبين الدول العربية . هكذا فقط يمكن ان نخلق ضمانا معينا يمنع امكانية سقوطنا ، وذلك السى جانب الضمانات القائمة عمليا ضد سقوط عربي . ان اسرائيل القلعة تعني بانه يتوجب تركيز قوة جبارة على كل قطعة ارض صغيرة ، تستطيع في الايام العاصفة وعند الامتحان ان توضح للعالم بأن اسرائيل لن تسقط ، دون ان تسبب هزات عنيفة ذات ابعاد دولية . علينا ان نخلق وضعا يكون معه من مصلحة كل الدول الكبرى ، وعلى رأسها الاتحاد السوفيتي ، منع مجرد المحاولة لفتح اسرائيل عنوة » (هارتس ، ٧٤/٧/٤) .

قد يكون روبنشتاين متشائما اكثر من غيره ، وربما كانت الحرب قد أثرت فيه اكثر من تأثيرها في غيره . غير ان هذه ليست حال باقي مؤيديه في الرأي . فاليعيزر ليفنه ، رجل حركة ارض - اسرائيل الكاملة ، التي تضم غلاة التوسعيين والمتطرفين الاسرائيليين يرى (هارتس ، ٧/١٠/٧٤) ان اهداف الصهيونية الراهنة تنحصر في ست نقاط : الهجرة ، استيعاب الهجرة ، الطلاعية بمفهومها الانتاجي ، « الاستيطان في كل انحاء ارض - اسرائيل » ، اليقظة الامنية والتماثل مع التقاليد اليهودية ، وهي النقاط التي « تتوى المجتمع الاسرائيلي وتصله » . وليفنه لا يترك مجالا كبيرا للشك في ان الحرب تساعد الصهيونية على تحقيق تلك الاهداف ، « لانه في اللحظة التي نتوقف فيها عن الشعور بالتوتر الامني نبدأ بالتفكك من الداخل والاهتزاز من الخارج . بل ان شعور التوتر هذا ساري المفعول بالنسبة للمهجر ايضا ،

الكيلومترات المربعة التي تسيطر عليها ، وانما بمستوى ثقافتها وعصمتها الاخلاقية وقدرتها على الانتاج » . ويختتم غوتيهلف مقالته بقوله انه حتى لو اتجه العرب الى شن الحروب ضدنا ، فلا ينبغي « ان نجيب على الجنون بالجنون . علينا ابداء القوة والمقدرة في اية حرب تفرض علينا ، ولكن بين حرب واخرى علينا ان نتصرف بطريقة ذكية ، بالاشارة الى مخاطر الحرب وامكانات السلام - وعدم صب الزيت على نار هذا النزاع اللاسعقلاني » (المصدر نفسه) .

« تحويل اسرائيل الى ... قلعة عسكرية »

اذا كانت معظم الاراء السابقة ذات طابع « حائمي » ، او ان اصحابها اقتربوا من وجهة النظر « المعتدلة » ، فان هناك - كما اشرنا - تيارا اخر من الاراء ، تأثر حاملوه مثل سابقهم بحرب تشرين وما نجم عنها ، ولكنهم وصلوا السى نتائج مغايرة لتلك التي وصل غيرهم اليها . واحد اولئك هو ايمون روبنشتاين ، عميد كلية الحقوق في جامعة تل ابيب . وروبنشتاين ايضا لا يختلف عن سابقه في تقييمه للمجتمع الاسرائيلي الذي ساد ، بحسب رايه ، الوهن والعودة السى الروتين واللامبالاة والتذمر والشكاوى والانتهاكات نتيجة للحرب (هارتس ، ٧٤/٦/٢٨) . بل ان الاخطر من ذلك كله هو « تلك التصريحات الواضحة التي تثر الشك وتنبئ التفكير بالكفر في حقنا في الوجود ، وبرسالتنا اليهودية والصهيونية » ، وهي تصريحات سببها « خطر النزاع المسلح الدائم بين شعب صغير وبين محيط من الكره (العربي) يحيط به » (هارتس ، ٧٤/٧/٢) . ولهذا يرى روبنشتاين انه لا مناص لاسرائيل الا « الاستعداد للحرب ضد التحالف الروسي - العربي ، رغم مصادره التي لا تنضب من الاموال والاعددة والقوى البشرية . ان مصادر تمويل الحرب ضد اسرائيل تمتد من آياز الكويت حتى ... مصارع زوريخ ، ومخازن اجهزة وتسليح الجيوش العربية موجودة في شرق اوروبا وغربها . والقوى البشرية التي تجابهنا تتجدد من المغرب حتى كوبا وشمال فيتنام » (هارتس ، ٧٤/٧/٣) . ويضيف : « ان الجواب الوحيد للتهديد العسكري المتجدد ضد اسرائيل - هو تقويتها خلال السنين القادمة وتحويلها الى قلعة عسكرية » وذلك بالاضافة الى الحفاظ على

وبجوب الفئال من المناطق مقابل السلام ، معلنا : « ان رأيي معاكس لذلك ، لانه كلما عظمت القوة العربية ، يقترب الامتحان ... ولن تكون المجابهة عدوية ، ولهذا نجد انفسنا في وضع يصبح معه عامل الارض احد العوامل الجدية في ميزان القوى . اذا تنازلت عن عامل الارض نستحصل ربما على سلام معين ، لمدة سنة او سنتين ، او ثلاث سنوات ونبقى في رفح ورام الله . ولكن بعد ذلك ، سيطرحون امامنا مشروع التقسيم لسنة ١٩٤٧ . ولا اعرف الى اين سنصل ... اعتقد انه يتوجب علينا ان نحفظ بكل المناطق (المحطة) » (يدعوت احرانوت ، ٧٤/٩/١٦) . وهذا ايضا هو رأي زميل غانيش ، عضو الكنيست من قائمة الكتلة (ليكود) اليهيني ، العميد (احتياط) ابراهيم ياغيه ، رجل ما يسمى « حركة العمل من اجل ارض - اسرائيل الكبرى » (المصدر نفسه) . اما زميلها ، العقيد (احتياط) الدكتور اهران تفيدي ، احد القادة العسكريين الذين اغرقتهم العمليات الاسرائيلية الانتقامية ضد الدول العربية في مطلع الخمسينات ، فلا يرى اية عاقبة « بين الناحية العسكرية من الحرب وبين الانجازات السياسية ... لان مشلنا السياسي يعود الى تعاطف قوة العرب ، ولانه اصبح من غير المفيد للدول الكبرى ان تؤيد اسرائيل ... ولخجلي الشديد ، فان جزءا من الشعب اليهودي الذي يقطن هنا قد انهار . ويجد هذا الانهيار تعبيرا عنه في طرق مختلفة ، (منها) الركض وراء سلام وهمي ... » (المصدر نفسه) . بينما يعن ضابط سابق اخر ، وزير الاعلام اهران ياريف ، « انني اومن بمستقبلنا شرط ان تكون على استعداد لصراع دائم ... انني ايضا على استعداد لتحمل مخاطر عدم الاستقرار في المستقبل . انني مستعد لتحمل مخاطرة حروب اخرى . انني مستعد للمخاطرة شخصيا ، ما دمت بتادرا على ذلك ، على الاشتراك في تلك الحروب ، وان يشترك ابني ايضا في حروب كهذه » (معاريف ، ٧٤/٩/٢٥) . اما الطريق الوعدي المفتوح امام الاسرائيليين لمواجهة تحديات المستقبل ، بحسب رأي ياريف ، فهي « استغلال كل طاقاتهم » (المصدر نفسه) . اما العقيد (احتياط) اوري بن - اري فيحذر من النظر الى « الحرب القادمة استنادا الى « عبر » الحرب الماضية فقط ، وانما في ضوء الاهداف الاستراتيجية والعسكرية للدولة

وعليه فان الحرب ، بحسب رأيه ، لم تتعارض تماما مع المصالح والاهداف الاسرائيلية .

واذا كان ليفته يتردد ، الى حد ما ، في الدعوة صراحة الى الحرب فان صديقه ، الكاتب المعروف موشي شامير ، صاحب الآراء « غير الحميدة » عن العرب يكاد « يحترق شوقا » اليها . « لاننا اذا فحطنا ميزان قوتنا ونشاطنا » - يقول شامير - « فليس هناك ما نخجل منه . يبدو ان الانتداع الكبير ، الثوري ، الذي دخل حياتنا مع حرب الايام الستة قد اصيب باهتزاز ، ولكنه لم يخرج عن اطاره ... ولا تزال هناك حركة واندفاع نصور التقدم » (معاريف ، ٧٤/٩/٤) . ويستطرد شامير : « ان كل من يهتم بشؤون الامن حاليا له نظرة واحدة لكل نشاطاتنا السياسية : ربح الوقت لكي نكون اكثر استعدادا للحرب القادمة ، التي يبدو انها غير بعيدة » ، ذلك « اننا خرجنا من حرب يوم الغفران مع شعورين عميقين ، لن يحيا من ذاكرة حاملي السلاح بيننا الاول ، ان الحرب على الحدود البعيدة ، الحرب على « المناطق » ، هي حرب على البيت ... والثاني شعور الغضب والعار والانتقام لكرامتنا المهانة ... » (المصدر نفسه) . اما زميل شامير ، الكاتب والشاعر ابا كوفنر ، فيرى - على عكس زملائه الاخرين - « اننا نسير نحو مصر يهودي افضل من ذلك الذي عرفناه ولو مرة واحدة في التاريخ اليهودي . وهناك مؤشرات يمنهائي هذا الاعتقاد ويشهدان على ذلك . لتكن تحديات العصر ما كانت ، فهذه هي المرة الاولى التي تجابه بها تلك التحديات دون ان تنصرف وكأنه لا حول لنا ... والامر الثاني ، بناء على معلوماتي عن التاريخ اليهودي على الاقل ، فانني لا اذكر تضامنا يهوديا كذلك الذي اتضح حاليا ، رغم كل نواقصه » (معاريف ، ٧٤/٩/١٦) . ويضيف كوفنر في مناسبة اخرى : « لقد خلقنا شيئا ما ، وان هدم ، سيهدم معه العالم بأسره ... هذه مسألة لا تتعلق بالشرق الاوسط (فقط) ... هناك اميراطورية الشعب اليهودي » (معاريف ، ٧٤/٩/٢٥) .

يتضح ، من ناحية ثانية ، ان الحرب قد عززت ايضا رأي بعض تلك الفئات التي كانت تدعو سابقا الى عدم الانسحاب من المناطق المحتلة . فالعميد (احتياط) يشعياهو غانيش يناقش الادماء القائل

الاسرائيلية . ولكن النتيجة الواضحة التي تعكسها هذه الآراء ، اذا ما تورنت مع تلك التي كسان يطرحها اولئك الاشخاص انفسهم قبل الحرب ، هي ان « المعتدلين » في اسرائيل ازدادوا — بعد الحرب — اعتدالا ، والمطرفين ازدادوا تطرفا .

ص . ج .

اسرائيل ، وان ... نخلق ونطور مفاهيم عسكرية واساليب قتال تضرب العدو في الحرب القادمة في المكان والزمان — واساسا في الاسلوب » (يديعوت احرونوت ، ٧٤/١٠/٤) .

ان الآراء التي قدمناها لا تشمل ، بالطبع ، كل ما قيل ويقال عن حرب تشرين واثارها في اسرائيل ، ولا تعكس كذلك كل ردود الفعل

[٣]

حكومة رابين بين ديان وسابير

اظهار التشدد ، لحو ما كان معروفا عنه من « اعتدال » قبل واثاء تكليفه تشكيل حكومته الاولى ، ازادات وضوحا مع الاسابيع الاولى من حياة حكومته الى درجة باتت معها مقصودة بحد ذاتها ، لا غطاء لوقف اكثر « اعتدالا » او مجرد محاولة لكسب الوقت ، وتجنب تحدي المتشددين في اسرائيل الى حين تصبح فعالية العراقيل التي قد يضعونها في طريقه قليلة ، يمكنه اجتيازها وتخليها بجهود معتولة .

وفي مطلع شهر ايلول الماضي ونهاية الشهر السابق ، اي عشية سفر رابين الى الولايات المتحدة ، وفي الفترة التي شهدت مناورات عسكرية مكثفة ، تجلى تشدد رابين بشكل مبالغ به ، وصل حد اقتفاله باب التفاوض نهائيا مع سوريا ، واعلانه ما رددته بعده شمعون بيريز وزير الدفاع ومردخاي غور رئيس الاركان من أنه « ليس لدى سوريا ما تبغعه » .

ومع تصاعد اصوات المتشددين ، بدأ المعلقون الاسرائيليون يوردون تواريخ نشوب الحرب المقبلة حسب توقعاتهم ، وحددوا لها احد مواعدين : نهاية فترة الاشهر الستة الاولى لتواجد قوات الطوارئ الدولية في المنطقة المعازلة في الجولان في نهاية شهر تشرين الثاني المقبل ، او في الربيع الذي يليه ، وراح اولئك المعلقون يبحثون ايضا عن أسباب وضرورة اخذ توقعات مسؤوليهم نشوب الحرب بجدية كاملة ، بينما اكد احدهم (يوثيل ماركوس — هارتس ، ١٩٧٤/٩/٦) « ان في اسرائيل عاملا لم يكن قائما من قبل ، وهذا العامل هو وجود رغبة متأججة لدى الضباط الجدد » لحو مثل السادس

شهدت الحياة السياسية في اسرائيل خلال الاشهر الاربعة الاولى من تولي يتسحاق رابين رئاسة الحكومة تطورات جذرية واساسية عكس صعيد العلاقات بين كافة الاطراف ذات العلاقة بالعمل السياسي : من الرأي العام الى الكنيسة الى الوزراء ورئيس الحكومة وحتى مما يمكن تسميته بـ « مراكز القوى » في اسرائيل .

ولعل هذه التطورات على صعيد العلاقات هي الامر الوحيد الذي يفسر التقلبات الملحوظة في مواقف رابين السياسية ، والتي لا ينكرها هو أصلا ، واطلاقه التصريحات التي تتناقض مع بعضها البعض ، خاصة لجهة موقف اسرائيل من التسوية مع الدول العربية .

« ... وفيما يتعلق بسوريا ، فانه ليس هناك مجال لمرحلة متوسطة بعد اتفاقية الفصل بين القوات وتنفيذها نصا وروحا » .

هكذا قتل يتسحاق رابين ، وفي بيانه السوزاري الذي نال عليه ثقة الكنيسة يوم ١٩٧٤/٦/٣ ، باب المفاوضات مع سوريا ، حيث يعني تعبير « المرحلة المتوسطة » في قاموس السياسة الاسرائيلية ، خطوة جديدة على طريق التسوية ، تتسحب فيها اسرائيل جزئيا من الاراضي العربية المحتلة المعنية ، وتكون هذه المرحلة متوسطة لانها تتصل ، او تشكل جزءا من الخطوات التي تفصل بين اتفاقية لمصل القوات الاولى والتسوية النهائية التي لا يتردد مسؤولو اسرائيل في تسميتها السلام .

هذه السياسة الاسرائيلية التي فسرها المراقبون الاسرائيليون على أنها علامة بارزة على حرص رابين

جاءوا وقالوا اننا مستعدون للدخول في مفاوضات سلام ، فانه كان بالإمكان ان نتفاوض ، ولكن بالنسبة لهضبة الجولان فانتني لا أرى امكانية للتنازل عنها . واعتقد انه حتى في اتفاقية سلام يجب ان تظل هضبة الجولان ضمن حدود اسرائيل ، واشدد : هضبة الجولان ... لقد تم الاستيطان في هضبة الجولان على اساس قرارات الحكومة ، انطلاقا من أنها تعبير عن قرار ابقاء هضبة الجولان بحياتنا » .

وفي الجزء الثاني من المقابلة ، لم يجب رابين على سؤال برناع : « هل خرجت بانطباع بأن التقارب الذي تم مؤخرا بين الولايات المتحدة والدول العربية بما في ذلك مصر قد الحق ضررا » بمكانة اسرائيل كـ « حليفة » للولايات المتحدة ؟ » واكتفى في رده على السؤال بالقول : « لقد استهدفت السياسة الامريكية منذ سنين اعادة مكانة اتسوى للولايات المتحدة في الدول العربية . وحتى اثناء اشغالي منصب سفير اسرائيل في واشنطن حاولت اكثر من مرة ان احذر بأن الولايات المتحدة لا ترى أن علاقاتها مع اسرائيل هي سياستها الشرق اوسطية الوحيدة . والى جانب دعم اسرائيل تعززت مكانة الولايات المتحدة في بعض الدول العربية بعد حرب يوم الغفران ، وسيكون غير صحيح ان نتجاهل وجود تفكير امريكي بضرورة ترسيخ مكاسب امريكا في الدول العربية . من هذه الناحية فسان وحدانية الدعم لاسرائيل التي كانت قائمة حتى حرب يوم الغفران قد تغيرت . اننا لم نطالب الولايات المتحدة قط بأن لا توثق علاقاتها بالدول العربية ، طالما ان ذلك لا يتم على حساب مصالح اسرائيل الحيوية » .

كذلك قال رابين ردا على سؤال اخر ما اذا كان هناك جبر للغضب من جراء بعض ما تكشف من علاقات الولايات المتحدة مع الدول العربية : « انني افترض ان اسباب الغضب ، بمقدار ما هي معروفة لدي ، مرتبطة بالاختلاف الذي حصل في شبكة علاقات امريكا بالشرق الاوسط بعد حرب يوم الغفران . حتى الحرب ، كان هناك شعور لدى الجمهور (الاسرائيلي) بأننا نحن « الابن الوحيد » للولايات المتحدة في الشرق الاوسط . والواقع ان ذلك لم يعد صحيحا الان . وربما تكون بعض التعبيرات التي صدرت عن مسؤولين امريكين قد

من أكتوبر » ... وعاملا اخر هو ان وزراء حكومة رابين يعينهم للغاية اثبات انفسهم وقدرتهم على التصدي بقوة للمسائل الخطيرة ، وهم يعملون كالمجائين من اجل عدم العودة والوقوع في اخطاء حكومة مئير » .

غير انه يبدو ان رابين ، استنادا الى تصريحاته الاخيرة ، قد غير رأيه قليلا ، وراح يتحدث حتى عن امكان الوصول الى تسوية سياسية مع سوريا . وفي مقابلة مع معاريف ، (١٩٧٤/٩/٢٥) رد على سؤال وجه اليه حول رأيه بشأن قيام وضع « تحارب سوريا وحدها اسرائيل ، في حين تتركها كل من مصر والاردن منفردة ، وتظان هما بانتظار اتفاقيات سياسة جديدة مع اسرائيل ؟ » بقوله : « اريد أن أمل أولا ان يفهم السوريون بأنه لا يجدر بهم ان يبادروا الى حرب ضد اسرائيل ، ولا الى حرب سورية اسرائيلية بالذات . يصعب علي ان اومن بأن تخرج سوريا الى محاربة اسرائيل دون أن تكون على علم بأن مصر ، وربما دول عربية اخرى ، ستنضم اليها في حربها هذه . ان هناك أهمية للجهد المبذول للتقدم نحو تسويات مع مصر ومع الاردن ، وانا اومن في الوقت ذاته بأن هناك ايضا مجالا لتسوية بين اسرائيل وسوريا » .

كما صرح رابين في المقابلة ذاتها بامور اخرى لم يكن قادة اسرائيل يجروون على التطرق اليها من قبل ، مثل قوله ان لديه خريطة مفصلة وواضحة لحدود اسرائيل في التسوية السلمية التي يسعى اليها ، وخرائط مشابهة للتسويات الجزئية .

والواضح ان هذا التغيير في وجهة نظر رابين ناجم عن دوافع عديدة ، خارجية وداخلية .

والصدر الخارجي الذي له الاثر في اسرائيل هو الولايات المتحدة التي زارها رابين ، ثم عاد منها مباشرة ليغير وجهة نظره .

لقد اجرت جريدة دانغار مقابلة مع رابين على مرحلتين ، اولاهما عشية سفره الى واشنطن ، وثانيتها اجراها جراسل الصحيفة في نيويورك ، ناحوم برناع ، ونشرت الحلقتان يوم ١٦/٩/١٩٧٤ .

وكان من بين ما قاله رابين في الجزء الاول من المقابلة « ان السلام على مراحل مع مصر ، ومع الاردن ممكن ، اما مع سوريا فلا . ولو ان السوريين

تاعدتها الائتلافية في الكنيست ، الى متابعة كل عضو وعضو والاهتمام به .

٥ - انتقال عدد من زعماء الاحزاب من مقاعد الحكومة الى مقاعد اعضاء الكنيست ، ومن أبرز هؤلاء سابير ، الموهي ، بورغ ، رفائيل ، جزاني وغيرهم .

وما يصح على الكنيست ، ينطبق على الوضع داخل الحكومة نفسها ، وان يكن بمقاييس عديدة أقل .

ولقد لاحظ اربيه تسيموكي (يديعوت احرونوت) ، ١٢/٩/١٩٧٤) « ان ١٤ وزيرا شارك في النقاش السياسي في جلسة الحكومة التي عقدت عشية سفر رايبين الى واشنطن ، الامر الذي يشهد ... على التطور الذي طرأ على شكل وطبيعة حكومة رايبين بالمقارنة مع حكومة مئير . وفي النقاش السياسي هذا الاسبوع اظهر الوزراء جرأة في الاعتراض على مسلمات سياسية ، وفي الانتظار بدون رحمة لاقوال رئيس الحكومة ووزراء آخرين ، وفي اقتراح بدائل سياسية جديدة ، وفي محاولة تشكيل موقف متسق عليه بشأن الخطوات السياسية المقبلة » .

ويتابع تسيموكي : « لا يجوز ان ننسى ان رئيس الحكومة ليس هو الشخصية المقررة في الحكومة ، والذي يقلل الآخرون من الاعتراض على موافقه . وكلماته هي من نوع « انظر وبارك » . ان رئيس الحكومة لا يخفي كذلك تردده ولا يخشى الاعتراف بأنه اخطأ في تقديره السابق ، وانه يغير رأيه على ضوء المعرفة الجديدة . ولقد انضم السيد رايبين في جلسة هذا الاسبوع الى وجهة النظر التي رفضت التصريحات الغائلة بأنه ليس هناك ما يمكن التحدث بشأنه مع سوريا ، علما بأن رئيس الحكومة نفسه هو الذي طرح قبل نحو شهرين بأن ليس هناك ما يمكن التحدث بشأنه مع سوريا ... »

واضافة الى شخصية رايبين ، المتردد وغير الواثق بنفسه ، وتزايد نشاط الكنيست وعضائها وكذلك علامات تجرؤ وزراء حكومته عليه ، فان رايبين المعني للغاية بتأجيل موعد الانتخابات المقبلة ، ريثما يكون قد بذل الجهود لترسيخ نفسه في الموقع الاول في حزبه (حزب العمل) ، فانه دون شك لا يجرؤ على مواجهة مراكز القوى داخل حزبه ، وأبرزها حتى الآن بنحاس سابير رجل مباني القوى

ساعدت على تناسي هذا الغضب لدى الجمهور الاسرائيلي . ان علينا ان نرى الواقع كما هو : ان للولايات المتحدة الان اهتماما حقيقيا أكبر في تنجية علاقاتها مع الدول العربية » .

هل يمكن الاستدلال من ذلك - من قول رايبين ان اسرائيل لم تعد « الابن الوحيد » لامريكا ، ومن حدوث تحول في لهجة رايبين - على أن رئيس حكومة اسرائيل قد سمح في الولايات المتحدة ما لم يكن يرغب في سماحه ؟

قد يكون الامر كذلك ، خاصة وان العديد من المصادر الاسرائيلية ركزت على ان رايبين اخذ وعودا قاطعة مريحة لاسرائيل بشأن تزويدها بالسلاح ودعمها اقتصاديا ، ولكن كانت هناك - وظلت - خلافات في وجهات النظر بشأن السياسة التي يجب اتباعها للتقدم على طريق التصوية ، وهي السياسة التي لا تتقاطع خطوتها مع ما أعلنه رايبين ، وما فسره الاسرائيليون - وكيمسجر - على أنه تشدد واضح (معاريف ، ١٣/٩/١٩٧٤) .

اما المصدر الداخلي للدوافع التي ادت الى تغيير مواقف رايبين المثلثة ، فيبدو انه يعود الى مركز رايبين شخصيا وتأثير القوى المتصارعة داخل النظام الاسرائيلي على تلك المواقف . وقبل الخوض في هذا الموضوع ، لا بد من العودة ، ولو باختصار ، الى ملاحظة ان وزن حكومة رايبين أقل كثيرا من وزن ما سبقها من حكومات في اسرائيل ، الامر الذي ادى - حتى الان - الى ازيد من نسبة اهمية المؤسسات السياسية الأخرى في اسرائيل ومن اهبها الكنيست ، التي رد الدكتور شيفيتش فايس (عل هبشمار ، ١٢/٩/١٩٧٤) ازيد من وزنها الى اسباب عديدة أبرزها :

١ - اهتزاز القيادة التقليدية في بعض الاحزاب الاسرائيلية وخاصة حزبي العمل والاندال .

٢ - اضطراب جميع الاحزاب تقريبا الى الاستعانة بالمؤسسات البرلمانية لترشيح واختيار ورتة لاشخاص تلك القيادة التقليدية .

٣ - عدم خوف من تبقى من اعضاء الكنيست من الزعامة الجديدة التي تنتشر - بمجملها - الى توة الشخصية .

٤ - اضطراب حكومة رايبين ، من جراء ضيق

الحكومة الى اظهار الاعتدال ومنع واضعي الخط السياسي داخل الحكومة من التمرس خلف مواقف « متشددة » ، شيئاً ما لم نشهده طوال كل السنوات السبع الاخيرة بين حرب الایام الستة وبين حرب يوم الغفران ، ومنذ ذلك الحين وحتى الان .

« ان الانتطباع هو أننا نقف على عتبة مواجهة داخلية قوية في الحزب الحاكم ، حيث لن تكون تلك مواجهة بين « مدرسة سابير » وبين « مدرسة رايبين » الذي يشكل اقلية داخل الحكومة اذا وزنا الامور بموجب ما انضح من توجهات متساهلة فيها أثناء جلستها هذا الاسبوع - وانما بين « مدرسة سابير » وبين « مدرسة داين » .

وينتهي حاريف من كل ذلك الى القول ، « ان « معسكر الصائم » الذي كان حتى الان أشبه ما يكون بقطيع بلا راع ، سيجد لنفسه زعيماً ذا تأثير سياسي ، لن يتردد في مواجهة رئيس الحكومة ، خاصة وانه لا يرغب في الاطاحة به ، وهذا الزعيم هو بنحاس سابير ، الذي لا يطالب لنفسه بشيء - اشارة الى رفض سابير ترشيح نفسه لرئاسة الحكومة ، وتقديبه الدعم لرايبين - الا انه يعتقد ان ساعة حسم الحكومة قد حانت ، وانه لم يعد امامها مجال للتركز ، مثل الحكومات السابقة ، خلف قرار عدم اتخاذ القرار . والدافع الايديولوجي ، اذا صح التعبير ، لتشكل « ائتلاف صائمي » هو أنه في الوضع السياسي الذي طرأ يجدر عدم الانتظار الى ان تأتي « جرافة ما » وتخرج اسرائيل بالقوة ، وانما يجب التقدم بضع خطوات الى الامام ، و«تقديم مبادرة كبيرة» كما قال احد المقربين من سابير » .

« هذه هي الان مشكلة رايبين : اراد ان يؤمن نفسه في مواجهة معسكر داين ، وها هو يجد نفسه في مواجهة معسكر سابير ، وهذا المعسكر كبير ومركب ، يمكن ان نرى داخل اطواره شخصيات مثل ارييه ليفاف ، ابراهام عوفر ، ابا ايبن ، يتسحاق بن اهرن ، يوسف سريد ، حايبيم تسادوك ، بل وحتى يغالون بالاضافة الى حزبي ميام والاحرار المستقلين ، وجميع هؤلاء مستعدون لتسوية اقليمية » .

في مقابل هذا الوضع المركب والمعقد الذي

سابقا ، ورجل حزب العمل القوي بالتالي ، والشخص الاساسي الذي يمكن رايبين من الوصول الى كرسي رئاسة الحكومة .

وفي الاسبوعين الماضيين بدأت تظهر في اسرائيل علامات على عودة سابير الى النشاط داخل البلد ، بعد أن قضى اسابيع عديدة في امريكا اللاتينية وغيرها لدرس امكانيات الهجرة من تلك البلدان .

وكان بدء هذا النشاط ، عبر مقابلة مع يوسف شفيط نشرتها يديعوت اخرونوت ، (١٩٧٤/٩/٦) ، وقال فيها « ان كل هذا الكلام عن حرب جديدة ، يشكل عاملاً رادعاً للهجرة » ثم انضحت لملامح حملة سابير بوضوح في مقال كتبه يوسف حاريف (معاريف) ، (١٩٧٤/٩/١٣) ، ونسب فيه الى سابير اقوالاً عديدة ، قال ان المقربين منه يرددونها .

وبعد ان يقول حاريف ان كيسنجر غير مرتاح الى سياسة حكومة رايبين ، يصل الى القول « ان الامر ذاته ينطبق ايضا بالنسبة الى بنحاس سابير ، فهو كذلك على ما يبدو غير مرتاح لـ « الموقف المتشدد » ليتسحاق رايبين ، والذي يبدو وكأنه طبعاً ثانية من موقف غولدا مئير ، وكان سابير يرغب ان يرى حكومة اسرائيل تتقدم على طريق اكثر اعتدالاً ، وهو لن يخفي ذلك عن رئيس الحكومة لدى عودته من الولايات المتحدة » .

ويتابع حاريف « وبعد فترة تأقلم جديد اثر عودة سابير من جولته الطويلة ، فانه يبدو مصراً على أن لا يكتفي بالسماع فقط ، وانما على ان يسمع ضوته كذلك ، او كما قال في مناسبة ما هذا الاسبوع : لن أتمكن طويلاً من الجلوس دون الاعراب عن رأيي .

وعندما يقرر سابير فانه لا ينتظر المناسبات ، وانما يخلقها هو بنفسه ، وينوي ان يدير حديثاً مع رايبين بعد عودته من واشنطن ، ولن يتحدث اليه هذه المرة بصفته رئيساً للإدارة الصهيونية ، وانما بصفته بنحاس سابير السياسي ، رجل الحزب ، صاحب وجهة النظر السياسية المعروفة ، التي تحولت الى « مدرسة » ، سمها « صائمية » او « اعتدال » او مجرد « وجهة نظر سابير » .

ينتهي حاريف ، المقرب من الاوساط الحاكمة في اسرائيل الى القول : « ان هناك شيئاً ما أخذنا في التشكل في اسرائيل ، شيئاً ما هدنه دغسج

بدليل ان وزير العدل حاييم تبادوك ، وهو من ابرز واكبر « الصحائم » وضوحا وصراحة كان اول من دعا وساعد رايبين في جهوده لتوسيع حكومته بادخال وزراء من المفدال اليها .

عماد شقور

بواجهه رايبين ، رأى بعض المعلقين ان محاولات ادخال حزب المفدال الى الائتلاف الحكومي ، بادرة من رايبين لتقوية جناح الصقور داخل حكومته ، الا ان ما لاحظه يشعياهو بن غورات (يديعسوت) احرونوت ، ١٩٧٤/٩/٦) هو ان دخول الوزراء المتدينين « الصقور » لا يخيف حكام حكومة رايبين ،

[٤]

الجيش الاسرائيلي يعيد تنظيم نفسه ويدخل مرحلة جديدة

توات الاحتياط لجيش الدفاع الإسرائيلي» الى التوجه لاجراء الفحوصات الطبية ، تمهيدا للاحاقهم بوحدات معينة في الجيش . كذلك اعلن عن الحاق عدد كبير من المتخلفين لاسباب طبية معينة الى الجيش دون اجراء الفحوص ، وذلك من اجل تعزيز الوحدات . وهناك من بين الالاف الذين يعملون في الدفاع المدني جنود صالحون للخدمة ، يستعد الضابط الصحي الرئيسي لاجراء فحوص شاملة لهم تمهيدا للاحاق من كان منهم يتمتع بصحة جيدة بالخدمة في المعسكرات الداخلية، بينما سيبنى الفتيون من بينهم باصلاح وسائل النقل . كذلك تم في لقاء جرى بين رئيس الاركان ورئيس شعبية القوى البشرية ورئيس مؤسسات التعليم العالي ورئيس اتحاد الطلبة ، الاتفاق على تفاصيل تجنيد طلبة الجامعات لسنة واحدة للخدمة في الجيش الدائم (را ، ١٩٧٤/٩/٢٠) . وتقرر أيضا تأخير تسريح الفتيين من الجيش وتجنيد عدد آخر منهم من بين صفوف الناحال ، بينما طلب من عدد من المصانع والورش الكبيرة المساعدة في اصلاح الانيات ، بعد ان تم تجنيد طلاب المدارس المهنية للعمل في ذلك . وحدد موعد لانتهاء العمل (يديعوت احرونوت ، ١٩٧٤/٨/١٣) . كما ويضع للجيش خطة لتجنيد الالف الاسرائيليين الموجودين خارج البلاد ، الذين يقدر عددهم حاليا بـ ١٥٠ الف اسرائيلي . وبناء على تقديرات شعبية القوة البشرية يمكن تجنيد بضع عشرات الالاف منهم (يديعوت احرونوت ، ١٩٧٤/٩/٢٠) . وهناك مشروع قيد الدرس وهو زيادة مدة خدمة الفتيات في الجيش . وكان رئيس الاركان الاسرائيلي ،

تعمل اسرائيل حاليا على اعادة تنظيم جيشها واعداده لمهام جديدة ، في ضوء التجربة التي مر بها خلال حرب تشرين ، مستغلة فترة الهدوء التي سادت الجبهات منذ بداية حزيران ، بعد توقيع اتفاق فصل القوات على الجبهة السورية . وكان اول عمل قامت به القيادة العسكرية الاسرائيلية اعادة تنظيم الوحدات التي تعرضت لاصابات كبيرة خلال الحرب ، وذلك على مرحلتين « فني المرحلة الاولى لم يجر تشديد على انسجام الوحدات ، ولا حتى على مستوى التدريب ، وكانت هناك حاجة لتنازلات عديدة من الناحية المهنية . ثم بدأت المرحلة الثانية لتحسين المستوى المهني واعطاء الاطر الجديدة مضمونا ، وببذل في هذه المرحلة الكثير لتحسين مستوى القادة وازافة مواضيع كثيرة الى الدورات » (هارتس ، ١٩٧٤/٨/١) .

التجنيد حتى اخر رجل

ان اول ما يلفت النظر في الاجراءات الاسرائيلية الهادفة الى اعادة تنظيم الجيش هو التركيز على استغلال الطاقة البشرية في اسرائيل على احسن وجه . وقد اعلن في هذا الصدد عن خطة لاعادة دراسة اوضاع تلك القطة من الاسرائيليين ، الذين كانوا قد اغفوا من الخدمة في الجيش لاسباب صحية اساسا . وكان العقيد يتسحاق روزن ، رئيس مركز التجنيد في الجيش ، قد اصدر في اوائل ايلول ، أمرا (يديعوت احرونوت ، ١٩٧٤/٩/١٠) يدعو فيه « كل مواطني اسرائيل او السكان الدائمين فيها من الرجال الذين تتراوح اعمارهم بين ١٨ و٥٥ سنة ، من غير التابعين للقوات النظامية او

الاركان ورئيس الاستخبارات وعدد من ضباطه وقائد المنطقة الجنوبية ، واخيرا حرب الجنرالات التي اشتدت بعد انتهاء القتال . وتم في هذا الصدد تعيين العميد طال ، نائب رئيس الاركان السابق الذي كان قد استقال من منصبه بسبب خلافات بين كبار ضباط الجيش الاسرائيلي ، قائدا لتشكيلة احتياط كبرى ، وتجدد النقاش حول تعيين مماثل للعميد شارون ، الذي كان قد «أخرج» من الجيش بعد ان اشترك في الحرب الاخيرة ، لخلافات مع القيادة السياسية الاسرائيلية (داغار ، ١٩٧٤/٨/٢) .

وقد تطرق المراسل العسكري لصحيفة معاريف (١٩٧٤/٩/٢٧) ، اوري دان ، الى هذا الاتجاه الذي يسود الجيش والمسؤولين الاسرائيليين والداعي الى اعادة الضباط القدامى ، الذين اشتركوا في الحروب السابقة ، الى الجيش بقوله « ليست الدبابات والطائرات التي سنتلقاها من الولايات المتحدة هي المشكلة الرئيسية لجيش الدفاع الاسرائيلي ازاء خطر نشوب حرب جديدة ، بل المشكلة هي وضع افضل القادة على رأس الجيش ... ان الذي سيحدد وجه الحرب القادمة هم قادة الفرق وقادة الجبهات بشخصياتهم ، بتجاربهم ، بقيادتهم وبتأثيرهم على تحقيق اهدافنا في الحرب ... يجب ان يكون قادة الفرق وقادة الجبهات من افضل ما اخرجته هذا الشعب » .

وأضاف : « ... اننا لا نستطيع ان نسمح لانفسنا ان نجرب في ساحة المعركة فريتا جديدا من القادة مجا كانوا جيدين ، من أجل تنفيذ مهام الحرب القادمة علينا ان نعيد جميع القادة الجيدين والقدماء الذين « جربناهم » و« امتحناهم » في الحروب السابقة ... » . ويضيف : « لا يمكن القيام بهذا قبل نشوب الحرب بوقت قصير او اثناء مسير المعارك ، فقد لمسنا مقدار الاضرار التي اصابتها من جراء تعيين جنرالات في مناصب غير محددة اثناء الحرب السابقة » .

ولكن اعادة البناء هي واحدة من عدة مجالات يعمل فيها الجيش الاسرائيلي ، فهناك ايضا مشاكل أخرى ، منها التحصين ، وبنساء قوة مدربة ، وتعويض خسائر الحرب ، والتسلح على المدى البعيد ، والحرب اليومية ضد الغدائيين ، والاستعداد للحرب القادمة .

اللواء مردخاي غور ، قد لخص حصيلة هذا النشاط في لقاء مع جنوده ، بقوله « انه منذ حرب يوم الغفران ، الحق جيش الدفاع الاسرائيلي عشرات الالاف من الرجال في وحدات جديدة » .

واضاف انه « اقيم في هذه السنة عدد من التشكيلات الجديدة يفوق ما اقيم في السنوات الاربعة الاخيرة . ويعتبر هذا احد اكبر الجهود التي قام بها الجيش الى جانب الاستصلاح الواسع لالاف مساطق النقل والمعدات الحربية الاخرى » (معاريف ، ١٩٧٤/٨/١٦) .

وبالاضافة الى اعادة تنظيم الجيش يجري العمل على اعادة تنظيم وزارة الدفاع ، نبع دخول بريس الى الوزارة طلب من العميد (احتياط) رجبام زيفي (الذي عين مؤخرا مستشارا لرئيس الحكومة لشؤون الازهاب) وضع خطة عمل لاعادة تنظيم وزارة الدفاع ، فعين موشي نيتسر ، الذي كان رئيسا لشعبة الشببية والناحل في وزارة الدفاع ، في منصب منسق لشؤون الاستيطان الامني بكل فروعه . أما الحنان ياسي ، الذي كان سكرتيرا لبن غوريون والذي شغل مناصب عدة في وزارة الدفاع في السنوات الاخيرة ، فسيعمل على نقل المصانع الحربية الى مستوطنات الحدود لانعاشها . الا ان هذه اجراءات اولية فقط وستعقبها اجراءات اخرى (معاريف ، ١٩٧٤/٧/٢٨) .

وعلى الصعيد التنظيمي ايضا اقيمت شعبة للدراسات الاستراتيجية ، وهي شعبة جديدة (انشئت بعد الحرب) وعين الليروفيسور زوسمان رئيسا لها ، ثم استبدل بالعميد يوشفاط هرخابي . كذلك فقد عرضت لجنة وزارية على الحكومة مشروع القانون الاساسي للجيش الاسرائيلي وذلك لتصحيح الوضع الدستوري الحالي ، الذي لا يحدد بوضوح صلاحيات كبار المسؤولين في الجهاز الامني . ويتألف مشروع القانون هذا من ثلاثة اقسام ، يبحث الاول منها في سيادة السلطة المدنية على السلطة العسكرية ، والثاني بالسلوب انتخاب رئيس الاركان ، بينما يحدد الثالث طرق اقامة تنظيم عسكري بحث (را ، ١٩٧٤/٨/١٥) . هذا وما زالت الجهود تبذل لتعزيز القيادة العليا للجيش ، التي فقدت معظم جنرالاتها قبل واثاء وبعد الحرب ، وذلك بسبب التغيرات الروتينية قبل الحرب ، ثم تقرير لجنة اغرانات الذي أدى الى استقالة رئيس

التحصينات :

التحصينات وتُنجز داخلها ، وطريقة لاختراق حقول الألغام وذلك بدخول الجنود الى الحقل بواسطة الدوس على فراش من الاسفنج ، يقلص وزن الجندي الذي يمشي فوقه بحيث يستطيع وضع المتفجرات فوق حقل الألغام ، ثم تفجيره ، وبهذا يشق طريقا بعرض ٦ أمتار تدخل الدبابات منها . (هارتس ، ٧٤/٨/٨) .

وتحدثت بمحايه (٧٤/٨/١٩) ، مجلة الجيش الاسرائيلي الاسبوعية ، عن خطوط الفصل الجديدة التي اقامها سلاح الهندسة مشيرة « بأنه وضعت في هذه الخطوط كل المعرفة والدروس التي تعلمناها من الخطوط السابقة . فقد حفرنا خنادق مضادة للدبابات ، بعد ان كانت هذه الخنادق قد اثبتت فاعليتها في الايام الاولى من حرب يوم الغفران . كما وضع سياج من الاسلاك من نوع جديد يستخدمها الجيش لأول مرة ، ويجري شراء كميات كبيرة منه من ألمانيا . . اما عن خط الفصل مع سوريا ، فقد ذكرت المجلة نفسها « ان من يحاول عبور هذا الخط سيواجه في البداية سيجا مزدوج الانحدار ، ثم سيجا من الاسلاك الدائرية ، ثم سيجا آخر مزدوج الانحدار وعشرات الامتار المزروعة بالألغام المضادة للدبابات والاشجار ، ثم قطاعا آخر من سياج مزدوج الانحدار ، وحديقتا مضادا للدبابات ، ثم حاجزا ترابيا للحماية من القنص » .

اما مكاريف (٧٤/٩/٣) فقد تحدثت عن خطوط التحصينات الجديدة ، فأشارت الى انه : « أقيم بدلا من خط بارليف خط جديد يعتمد على المدرعات والوحدات المتحركة وعلى خطوط الاسلاك والألغام » . وأضافت الصحيفة : « . . . ان هذا الخط يختلف عن سابقه ، ذلك ان قناة السويس — أكبر خندق مضاد للدبابات في العالم — لم تعد تخدمنا ، كما وان خط المواقع لم يعد يشكل ساترا لغاطلي الخط الاول ، وقد قصرت فترة الانتذار بشكل كبير ، ذلك انه بناء على تقديرات مختلفة ، يستطيع المصريون نقل خمس فرق الى الضفة الشرقية للقناة خلال ساعات معدودة . الا ان هناك ايجابيات ايضا للوضع الجديد في سيناء ، وهي اننا لم نعد ملتزمين بقطاع معين من الصحراء ، فاذا أردنا نستطيع الاستعداد لصد العدو عند الخط الجديد ، او الخروج للامتاحة في منطقة الفصل

بدأت القوات الاسرائيلية في تحصين الخطوط الجديدة التي انسحبت اليها ، على الجبهتين المصرية والسورية ، نتيجة لانشائات فك الارتباط ، وذلك قبل ان تبدأ عمليا في الانسحاب والتراجع الى تلك الخطوط . وقد أعلن قائد سلاح الهندسة العقيد يتسحاق بن دوف : « لقد انتهت التحصينات الاولى في خطوط فصل القوات الجديدة على الجبهات المختلفة ولكنها لم تنته بعد بشكلها الكامل ، ذلك ان هذا العمل يتم على مراحل ، وهناك الكثير الذي يمكن عمله في هذا المجال » (دامار ، ٧٤/٨/٨) .

وأضاف : « اننا نخلق شبكة هندسية فاصلة على طول حدود الدولة » . وهذا يعني حفر خنادق مضادة للدبابات واقامة الاسيجة وزرع الألغام . كذلك أعلن بن — دوف ان فترة ما بعد الحرب هي فترة حرجة جدا لانها تتطلب جهدا كبيرا من رجال سلاح الهندسة ، بحيث سيستدعى رجال الاحتياط للخدمة ٧٠ يوما في هذه السنة (المصدر نفسه) .

الا ان هذه ليست هي المهام الوحيدة لسلاح الهندسة ، فهو يعمل في مجالات عديدة ومتنوعة ، مثل عبور الموانع المائية ، بناء الجسور ، زرع الألغام ، النسف ، شق الطرق ، ازالة القذائف والتمويه بالإضافة الى اقامة التحصينات والعوائق . واستطاع هذا السلاح تطوير عدد من الاجهزة مهمتها التوفير في القوة البشرية ، للاعادة منها في القيام بمهام أخرى . وقد عرضت ، بمناسبة يوم سلاح الهندسة ، بعض الاجهزة امام المراسلين العسكريين والتي يتوقع ان تحتل مكان الصدارة في الجهود الهندسية في الحرب القادمة ، منها مثلا عرض عملية حفر خندق مضاد للدبابات بعرض ٦ امتار وعمق ٣ امتار خلال ثانية واحدة ، وذلك بواسطة تلجير كمية كبيرة من المتفجرات . كذلك شقت طريقا صالحا لعبور الدبابات في منطقة صخرية ، وذلك بعد أن فجرت مجموعة من الجنود ٢٠٠ كغم من المتفجرات ثم مرت جرافة وشقت الطريق خلال زمن قصير . وفي اطار عرض المعدات الجديدة عرضت آلة لزرع الألغام تستطيع القيام بكل عملية زراعة اللغم ، وتزرع ١٦٠٠ لغم يوميا . كذلك عرضت مجموعة أخرى من الوسائل الهندسية ، منها كاسحة ألغام تدفعها دبابة امامها ، وقنبلة خارقة تزن ٢٠٠ كغم من المتفجرات ، تخترق

من رئيس شعبة العمليات العميد هرتسل شفير ، ورئيس شعبة المخابرات العميد شلومو غازيت ، وقائد سلاح البحرية العميد بنيامين تيلم ، وقائد سلاح الطيران العميد بنيامين بيليد . (ر ١١ ، ٧٤/٨/١٨) .

وبعد ان انتهى الجيش من اعادة بناء نفسه تنظيميا واستكمال بناء التحصينات واستخلاص دروس الحرب اخذ يخصص جهدا كبيرا للتدريبات التي تطبق فيها دروس الحرب الاخيرة ، بينما يجري التشديد على شكل المعارك المتوقعة في الحرب القادمة . وتشمل المناورات جزءا كبيرا من التشكيلات الميدانية للجيش الاسرائيلي ، التي سلحت بمعدات حربية جديدة . ففي ٧٤/٨/٢٥ جرت مناورة لاستدعاء الاحتياط ، وبعد ذلك بيومين انتهت في سيناء اكبر مناورة قام بها سلاح المدرعات منذ حرب تشرين ، واستمرت هذه المناورة ٤٨ ساعة ، عبرت الفرقة خلالها حاجزا مائيا عريضا ، مستعملة عدة وسائل ، وذلك بلاضافة الى عبور حواجز اخرى ، منها حقول الغمام وقنوات مياه . وفي ٧٤/٨/٩ اختتمت مجموعة من المظليين مناورة تدريبية بالتعاون مع المدرعات ، جرت في الضفة الغربية ، واعلن رئيس الركان شور على اثرها « اننا مستعدون لاي اختبار في اية لحظة » . وفي ٧٤/٩/٩ جرت مناورة مدرعات ضخمة في هضبة النجولان ، اشتركت فيها وحدات مدرعة ووحدات من المشاة ، تم في اثنتائها تجربة معدات قتالية جديدة في ظل ظروف المنطقة الصعبة (ر ١١ ، ٧٤/٩/١٠) .

ومن المقرر ايضا ان تجري مناورات اخرى ، تشمل جزءا كبيرا من التشكيلات الميدانية للجيش الاسرائيلي ، التي سلحت بمعدات حربية جديدة .

والواضح ان الهدف من تلك المناورات لم يكن عسكريا بحتا ، وهناك ايضا اعتبارات اخرى ، منها رفع المعنويات المتدهورة . وقد علق وزير الدفاع شمعون بيرس ، بعد انتهاء مناورة تجنيد الاحتياط ، على ذلك النشاط بقوله : « لقد انتقلنا من الكآبة الوطنية الى الانتعاش والثقة » (ر ١١ ، ٧٤/٨/٢٧) . بينما ذكرت يديعوت احرونوت (٧٤/٨/٢٨) : « هناك اهمية اخرى للتدريب ، وهي انه يضفي على الجمهور احساسا بالخطر والحرب التي تقترب » . وكانت الصحيفة نفسها قد ذكرت قبل ذلك بيوم واحد « يجب علينا ان نعيد

وجا وراءها . ويمكننا عند الحاجة ترك الخط ونصب الكمائن للجيش المصري داخل الصحراء الواسعة ، وفي أماكن ملائمة جدا لمعارك الدروع » . وكانت الصحيفة نفسها قد ذكرت في عدد سابق (٧/٣١/٧٤) : « ان الخط الجديد يختلف عن سابقه ، فهو لا يعتمد على مجموعة من التحصينات الامامية بل يحاط بدفاع من ، يجمع وسائل متعددة » .

اما خط التحصينات مع لبنان فهو خط مكثف على طول امتداد الحدود ، يهدف الى ضمان أمن المستوطنات في الشمال وحماية العمق الاسرائيلي من عمليات التسلل التي يقوم بها الفدائيون . وشبكة الدفاع هذه هي من احدث الشبكات التي عرفتتها اسرائيل ، واتضح من التجارب التي اجريت عليها ان اجتياز هذا السياج يستغرق فترة زمنية معينة ، بحيث ان استمرار الدوريات العسكرية التي تتحرك على طول هذا الخط بصورة محسوبة تجعل من غير المعقول حدوث تسلل دون ان تكتشفه احدى الدوريات (ولكن على الرغم من ذلك فقد استطاع الفدائيون عبور هذا الخط اكثر من مرة) وبلاضافة لهذا فقد زود ذلك السياج بأجهزة انذار وكشف الكترونية من احدث الاجهزة في العالم . وفي مستوطنات الشمال نفسها يجري شق طرق حول كل مستوطنة ، بعد ان اضيئت المستوطنات اضاءة كاملة ، ووضع حول هذه الطرق سياج امني شبيه بالذي وضع على الحدود نفسها ، واقامت شبكة اتصالات حديثة للغاية ، فخلال دقائق معدودة يستطيع اي حارس ان يبلغ كل مراكز التجمع عن اي حادث . كذلك اقيمت شبكة انذار تمكن اي حارس ان يشغل من المكان الذي يوجد فيه شبكة مكبرات للصوت وضعت في الاماكن العامة ، كما وعين في كل مستوطنة ضابط كبير في الجيش ليقوم بتنسيق عمليات الدفاع او الهجوم اذا اقتضى الامر . (ر ١١ ، ٧٤/٨/٨) .

الإفادة من دروس حرب تشرين :

اعلن في اسرائيل ان عملية استخلاص دروس الحرب قد استكملت ، ويجري العمل على اتمام تطبيقاتها . فقد بدأت الحكومة الاسرائيلية بعد ظهر يوم ٧٤/٨/١٨ البحث في الدروس والعبر المستفادة من حرب تشرين واستمعت الى تقرير قدمه اربعة عداء ، كل في مجال عمله . وقد قدم التقارير كل

للشعب الشعور بالاطمئنان ، وللمغرب شعور الردع » .

التسليح :

ان المشكلة الملحة ، التي لقيت اهتماما شديدا لدى الجيش منذ الأيام الاولى من الحرب ، هي مشكلة الأسلحة التي تحتاجها اسرائيل والتي يفترض ان تشكل حلا للمشاكل التي برزت خلال حرب تشرين . وقد ذكرت معاريف (٧٤/٨/١٩) بهذا الصدد : « اذا كانت مشكلة المشتريات العسكرية ملحة في ضوء ما حصل في حرب يوم الغفران ، فانها أصبحت أكثر خطورة في ضوء حرب قبرص ، ذلك ان إحدى دروس الحرب الواضحة هو انه في المنطقة التي تتفق الدول الكبرى بشأنها على عدم التدخل يكون الحسم غيبا نتيجة لتوازن القوى المحلي . وهذا ما يفسر تشديد اسرائيل في مطالبتها الولايات المتحدة بتنفيذ تعهداتها في مجال الامدادات ، وقبل ان توافق على الذهاب الى جنيف ، او خارج جنيف ، في المرحلة الثانية من التسويات ، سواء مع الأردن او مع مصر ، وذلك كي لا تجد نفسها في وضع شبيه بما حصل في حرب يوم الغفران عندما كان مصرها يتعلق بالجسر الجوي ، ولكي لا تحاول الولايات المتحدة الضغط بواسطة الامدادات للحصول على تنازلات من جانب اسرائيل » . كما دعت الصحيفة الى عدم الذهاب الى جنيف ما لم يكن هناك اثبات قاطع بأن المعدات « مؤمنة في جيب اسرائيل » .

ولا تزال الاسلحة الاميركية تتدفق على اسرائيل منذ حرب تشرين ، وتشمل أنواعا لم تكن اسرائيل تملكها قبل الحرب . ومن بين هذه الاسلحة صواريخ سبارو - ٣ الموجهة بالرادار ، وصواريخ سايدوايندر جو - جو الموجهة بالأشعة تحت الحمراء ، وصواريخ تاو المضادة للدبابات والموجهة سلكيا ، وصواريخ مانريك - جو - ارض موجهة بالتلفزيون ، وهي فعالة ضد الدبابات ، وصواريخ شرايك الموجهة والمعدة لتدمير اجهزة الرادار التي تدير بطاريات الصواريخ المضادة للطائرات . كذلك تحصل اسرائيل على قذائف موجهة بأشعة لايزر ، من نوعي مارك - ٨٢ ومارك - ٨٤ وقذائف ول آي وقذائف روكاي المضادة لجنود المشاة ، التي يمكن اطلاقها من الطائرات او المدافع . وهذه القنابل

تنقسم الى أعداد كبيرة من القنابل الصغيرة عند اطلاقها وتغطي مساحات واسعة . ومن بين ما تحصل عليه اسرائيل ايضا صواريخ ارض - جو من نوع ستاندارد ، واجهزة للتشويش على الرادار ، وطائرات فانتوم وسكايهوك جديدة ومن أنواع متطورة ، و١٥٠ دبابة م - ٦٠ مزودة بأجهزة قياس تعمل بأشعة لايزر ، وصواريخ كوندور جو - ارض وهي من أحدث انواع الصواريخ الموجهة . وقد تم ، نتيجة للامدادات الجديدة هذه ، تعويض اسرائيل عن كل ما فقدته في الحرب ، اذ أعلن وزير التجارة والصناعة ، حاييم بارليف ، في مقابلة مع الاذاعة انه : « اذا غارنا نسبة القوى في حرب ١٩٥٦ وحرب ١٩٦٧ مع نسبة القوى الحالية ، نرى ان نسبة القوى بين الجيش الاسرائيلي والجيش العربية بقيت على حالها من ناحية الكم » (ر ١١ ، ٧٤/٨/٣١) .

وبالرغم من ان اسرائيل عادت الى التوازن الذي كان قائما قبل الحرب ، فانها لم تكف بهذا وواصلت طلب المزيد من السلاح ، وتوالت زيارات المسؤولين الاسرائيليين الى واشنطن لمعقد اتفاقيات للتسلح على المدى القصير والبعيد . فقد تم خلال زيارة رابين الأخيرة لواشنطن الاتفاق على الصفقة لهذه السنة ، والتي تبلغ قيمتها ٢٢ مليار دولار وتمت مصادقة الكونجرس عليها . وبناء عليه فستسلم اسرائيل حتى الصيف القادم ٥٠ طائرة فانتوم و٢٠٠ - ٢٥٠ دبابة باتون م - ٦٠ وعددا من الطائرات العمودية لم يجدد بعد (معاريف ، ٧٤/٩/١٥) . كما ذكر ان اسرائيل ستشتري من بريطانيا ٤٠٠ دبابة سنتوريون ورادارا ومعدات الكترونية أخرى (ر ١١ ، ٧٤/٩/١٥) .

اما بالنسبة للمساعدات العسكرية الاميركية لاسرائيل على المدى البعيد فقد صرح مسؤولون اسرائيليون بأن اسرائيل تحتاج لخطة امدادات على المدى البعيد يتلخص حدها الأدنى بـ ٥٠ مليار دولار سنويا ، وذلك على مدى خمس سنوات . وقد أعلن ان الرئيس الاميركي قد أوضح لرابين بأنه يوافق مبدئيا على ذلك ، ولكنه أشار الى انه لا يستطيع الالتزام باتفاقية طويلة الامد ، لان الكونجرس يصادق على الميزانيات المخصصة للمساعدات الخارجية سنويا (دانار ، ٧٤/٩/١٥) . ولكن غورد وعد بتقديم مشروع ميزانية للكونجرس

ان أبرز المشاكل الفنية هي مشكلة فاعلية اجهزة الدفاع العربية المضادة للطائرات ، وهو ما دفع البنتاغون الى رصد موارد خاصة لاجساد الحلول لعدد من المشاكل الخطيرة التي ظهرت في قدرة الاسلحة الاميركية على مواجهة شبكات الدفاع الجوي العربية . أما نقاط الضعف فهي : انعدام القدرة على تحديد بطاريات الصواريخ بدقة ، والنقص في الصواريخ ذات المدى الذي يمكنها من تدمير بطاريات الصواريخ المضادة عن بعد بفوق مدى هذه الصواريخ ، وبطء الصواريخ الخالية الذي يسمح باكتشافها والعمل على مقاومتها ، وانعدام وجود رؤوس قوية لهذه الصواريخ يمكنها من تدمير محطات الرادار وبطاريات الصواريخ المعادية تدميراً تاماً ، وعدم معرفة نوع رادار التوجيه للصواريخ الروسية وهو ما لم يساعد على تطوير وسائل الكترونية مضادة وملائمة للتشويش على هذه الصواريخ ، وعدم العمل على التقليل من الأشعة تحت الحمراء للطائرات مما يسهل على الصواريخ ذات التوجيه بالأشعة تحت الحمراء اكتشافها .

وعلى الرغم من التحسين المستمر فسي اجهزة التشويش الإلكتروني يبدو ان الاجهزة المتوفرة لدى اسرائيل لا تلك مستوى قدرة مشكوك فيها على اكتشاف اطلاق صواريخ سام - 6 وتحذير الطيار منها . كما لا يعرف عن اجهزة اميركية قادرة على التشويش على رادار الدفاع المضاد للطائرات زد - يو - 23 ذي التوجيه الراداري بشعاع ضيق جداً ، يمنع اكتشافه والتهرب منه .

اما المشكلة الثانية فهي مشكلة الجبهة الداخلية . فقد صرح وزير الشرطة شلومو هيل « ان الملاجئ تكفي لنصف السكان فقط وستكون الجبهة الخلفية اكثر اكتشافاً في الحرب المقبلة » (ر ا ا ، ١٤/٨/٧٤) . وقال في مناسبة اخرى : « يتوجب علينا ان نأخذ بالحسبان الخطر الناجم عن تجدد الحرب ، لان الجبهة الداخلية ستكون مكشوفة امام الصواريخ العربية والاعمال التخريبية على طول الحدود » (ر ا ا ، ٨/٨/٧٤) .

وفيما يتعلق بالطاقة البشرية صرح رئيس الحكومة : « لقد وصلنا الى وضع أصبحت فيه الطاقة البشرية تقيدنا أكثر من أي عامل آخر ،

بقية ٥٤ مليار دولار للمساعدات العسكرية لاسرائيل على مدى ثلاث سنوات ، وذلك بعد ان تجري الانتخابات للكونجرس في تشرين الثاني (نوفمبر) القادم . وستبدأ اسرائيل في استلام هذه المساعدات - اذا أقرها الكونجرس - اعتباراً من تموز ١٩٧٥ (معارف ، ١٥/٩/٧٤) . ومن جهة اخرى ، قلصت الصناعة العسكرية الاسرائيلية انتاج الاسلحة والذخائر المعدة للتصدير ، وذلك لتستطيع تلبية طلبات وزارة الدفاع المتزايدة وتجديد احتياطي الجيش من الذخائر والاسلحة . وتتدر طلبات وزارة الدفاع من الصناعة العسكرية الاسرائيلية لهذه السنة بخمسة مليارات ليرة اسرائيلية (يديعوت احرونوت ، ٤/٩/٧٤) .

وفي اطار استكمال الاستعدادات على الجبهة الداخلية ، انتهى وزير المواصلات جاد يعقوبي من وضع الترتيبات الجديدة في وزارة المواصلات لحالة الطوارئ ، مستنداً الى التجربة التي مرت بها اسرائيل خلال حرب تشرين ، اذ اتضح ان المواصلات البرية تشكل احدى الاسباب الرئيسية التي ادت الى اضرار خطيرة في الاقتصاد ، وذلك بسبب تجنيد السيارات المدنية لفترات طويلة لم تكن متوقعة . كذلك عملت السلطات الاسرائيلية على تنافي ازمة النقل التي جابهتها خلال الحرب الاخيرة وعانى منها الاقتصاد الاسرائيلي فترة غير قصيرة . وقد تم شراء ٢٥٠٠ شاحنة ، زادت قدرة النقل البري بثلاثة اضعاف ونصف الضعف . كما تم الاتفاق مع السلطات العسكرية على ان لا تجند في حالة الطوارئ عدداً كبيراً من السيارات المدنية ، وانما الكمية نفسها التي جندت في حرب تشرين ، بحيث يستطيع الاقتصاد المدني العمل في حالة الطوارئ بـ ٤٥ - ٥٥ ٪ من قدرته في الايام العادية (يديعوت احرونوت ، ٢٥/٨/٧٤) .

النقص في بعض انواع الاسلحة وتضعف الجبهة الداخلية :

بالرغم من كل هذه التدابير وتصريح رئيس الاركان الاسرائيلي (يديعوت احرونوت ، ١٤/٩/٧٤) « بأن الجيش يتغلب على ازمات حرب يوم الغفران » ، فان المؤسسة العسكرية الاسرائيلية لا تزال تعاني من عدد من المشاكل ، منها الفنية ومنها مشاكل اخرى متعلقة بالجبهة الداخلية والطاقة البشرية والجيش الدائم والمعنويات .

المدهورة . وقد أجاب ، مثلا ، حاييم بارليف ، وزير التجارة والصناعة ، على سؤال حول معنوياته بقوله : « انني أحد أفراد الجمهور ايضا ، فمن الواضح ان كل من يفكر يجد اسبابا كافية كي تتدهور معنوياته . فالوضع الاقتصادي رديء بعض الشيء والوضع الأمني السياسي ليس على ما يرام والوضع الاخلاقي لا يشجع كثيرا . واذا نظرنا الى الوضع برمته فمن الطبيعي ان تتدهور المعنويات » (ر ١١ ، ٧٤/٨/٣١) .

الا ان هذا كله لا يعني ان الجيش الاسرائيلي لا يستطيع خوض الحرب اذا نشبت ، ولكنه « سيكون اكثر استعدادا كلما طال الوقت » (هارتس ، ٧٤/٨/٢) .

سببر جريس

سواء في المجال الاقتصادي ام الأمني ، وما لم نترك اهمية استغلال الطائفة البشرية بصورة افضل فلن نكون مستعدين لحالة الطوارئ » (ر ١١ ، ١٩٧٤/٨/٨) ، بينما اعلن في مناسبة اخرى ، بعد اربع جولات قام بها في جميع الجبهات بصحبة وزير الدفاع ورئيس الاركان « ... اود الاشارة خصوصا الى زيادة العنصر الدائم في الجيش ، هذا العنصر الذي يشكل الهيكل القيادي والمهني ، ذلك ان هناك اليوم حاجة اكثر من اي وقت مضى الى المزيد من الرجال ، الرجال الامض لنائخرات في خدمة الجيش الدائم ... ومن الضروري ان نعمل كل ما في وسعنا لزيادة الجيش الدائم ، اليوم وليس غدا » (دانار ، ٧٤/٨/٢٣) .

اما اهم المشاكل التي يعاني منها المجتمع منذ الحروب وحتى اليوم فهي مشكلة المعنويات

[٥]

الاستيطان في المناطق المحتلة

انعكاس للمخططات الاسرائيلية التوسعية تجاهها

بعض المناطق ، ولكن الامور سرعان ما انتظمت بعد ذلك ، مع ادخال بعض التغييرات . وسنحاول هنا تتبع هذا النشاط خلال السنة الاخيرة ، في المناطق المحتلة قديما وحدينا ، ورمصد التغييرات ، ان تبث ، ثم الوقوف على اهداف الاستيطان في كل منطقة .

منذ ان بدأت عمليات الاستيطان في المناطق المحتلة بعد حرب حزيران ١٩٦٧ ، والاختلافات في الرأي بين الاسرائيليين بشأن هذا الموضوع تتصاعد من فترة الى اخرى ، وخاصة على الصعيدين الرسمي والحزبي . ومحور الخلافات لم يكن حول الاماكن التي يجب ان تستوطن ، في نظر الاسرائيليين . فهناك اتفاق شامل في الرأي حول الاستيطان في المناطق المحتلة منذ عام ١٩٤٨ ، وخاصة في النقب والجليل ، بينما لا تزال الخلافات قائمة حول طبيعة الاستيطان في مختلف المناطق المحتلة عام ١٩٦٧ . ورغم هذا الاختلاف ، فان الاستيطان في هذه المناطق ، يبقى انعكاسا لسياسة الحكومة الرسمية ، ولا يتم الا بتصديق

تقوم السلطات الاسرائيلية منذ حرب حزيران ١٩٦٧ ، بنشاط واسع لزرع المستوطنات الاسرائيلية في المناطق المحتلة ، استمرازا لسياسة خلق الحقائق في تلك المناطق ، ووضع العرب في مواجهة الامر الواقع . وقد وضعت عددة مشاريع للاستيطان في عدة مناطق من الاراضي المحتلة ، نجح بعضها ، وفشل او جمد البعض الاخر . وكان الرأي السائد ، ان المستوطنات ، بالاضافة الى كونها دليلا على الوجود الاسرائيلي في المناطق المحتلة ، فانها ستساهم في الحفاظ على أمن اسرائيل ، الى ان جاءت حرب تشرين ١٩٧٣ ، وثار الشكوك في اعتبارها حول الجدوى الأمنية لتلك المستوطنات ، بسبب ما تعرضت له من هجمات وتصف ، وخاصة في هضبة الجولان . وقد ظهر اثناء الحرب ان تلك المستوطنات ليس انها لا تساهم في الحفاظ على أمن اسرائيل فحسب ، بل تشكل عبئا عليها في حال نشوب قتال . وكاد يبدو ، لأول وهلة ، بعد الحرب الاخيرة ، وكأن تغييرا قد ادخل على تلك الخطط الاستيطانية في

ردا على اقتراح لجدول الاعمال قدمه عضو الكنيست ايتان ليفني (ليكود) حول عدم اعادة المستوطنين الى ابو رديس ، يقول : « انه في تاريخ ٦ اكتوبر ١٩٧٣ ، تم اخلاء الخمسين عائلة المستوطنة في شلھيفت ، بموجب امر من السلطات . واذن ان اللجنة الوزارية لشؤون الاستيطان لم تقر قط اقامة مستوطنة في شلھيفت ، والحكومة لا تعترف ابدا بهذه المستوطنة . ان شلھيفت ليست مقدسة . انها ليست جزءا من ارض الوطن » (الياهو عميكام - يديعوت احرونوت ، ٧/٢٥ / ٧٤) .

كما تمنع الحكومة الاسرائيلية ، في هذه الفترة ، بالاستيطان في منطقة السامرة ، في الضفة الغربية من نهر الاردن . وتعمل على احباط كل محاولة للاستيطان هناك ، تقوم بها مجموعات متطرفة . وقد اثار قضية سبسطية ، عندما حاولت مجموعة من اليهود المتدينين بساندهم بعض أعضاء الكنيست من كتلة ليكود والحزب الديني القومي ، الاستيطان بالقوة قرب نابلس ، في ٧/٢٥ / ٧٤ ، ردود فعل عنيفة في اسرائيل . ولكن الحكومة لم ترضخ للمستوطنين ، واتخذت قرارا بالاجماع يقضي بمنع أية محاولة للاستيطان بدون موافقتها (ر.أ.١٠٠ ، ٧/٢٦ / ٧٤) ، وذلك في نفس الوقت الذي تام الجنود الاسرائيليون نيه بنقل المستوطنين عنوة من المكان الذي وصلوا اليه ، دون ان يبدي اولئك أية مقاومة (ر.أ.١٠٠ ، ٧/٢٧ / ٧٤) .

الاستيطان في الضفة الغربية - تنفيذ مشروع ألون

تركز الحكومة سياستها الاستيطانية في الضفة الغربية ، على الغور ، حيث انشئ هناك حتى الان ١٢ مستوطنة ، تسع منها أسسها الناحال ، وقد تحولت خمس من تلك المستوطنات التسع الى مستوطنات مدنية ، بينما لا تزال الاربع الباقية تحت اشراف الناحال (يعكوف ارز - معاريف ، ٧/٢٦ / ٧٤) . كما أعلن مدير قسم الاستيطان في الوكالة اليهودية ، يحييل ادموني ، انه ستقام مستوطنة اخرى في الغور في العام المقبل (دافار ، ٧/١٦ / ٧٤) .

أما في منطقة الخليل فلم تسمح الحكومة الاسرائيلية الا باعادة استيطان غوش عتسيون

منها ، عامة ، رغم النشاط الكبير الذي تقوم به مختلف الاحزاب والتنظيمات بهدف السماح لاضائها بالاستيطان في الامكان التي يرقبون فيها .

الاستيطان انعكاس لسياسة الحكومة تجاه المناطق

يبدو من المشاريع الاستيطانية التي اعلن عنها خلال الفترة الاخيرة ، ان الحكومة بدأت تركز في سياستها الاستيطانية على بعض المناطق ، التي تعلن انها لن تتسحب منها حتى بعد تحقيق تسوية مع العرب ، ومنها هضبة الجولان ، غور الاردن ، مشارف رفح ومنطقة شرم الشيخ . وقد وضعت السلطات الاسرائيلية فعلا خططا استيطانية واسعة ، باشرت بتنفيذها في تلك المناطق ، اذ أعلن رئيس قسم الاستيطان في الوكالة اليهودية ، رعان غايقتس ، امام اجتماع مركز حركة الموشافيم ، عن مشروع لاقامة ١٤ مستوطنة في السنة المقبلة : سبع منها في المناطق المحتلة قديما (اربع في الجليل وثلاث في النقب) وسبع في المناطق المحتلة حديثا (اربع في مشارف رفح واثنان في هضبة الجولان وواحدة في غور الاردن) (دافار ، ٧٤/٩ / ٧٤) .

وذكر اهرن بريئيل ، مراسل معاريف (٩/١٣ / ٧٤) ان اللجنة الوزارية لشؤون الاستيطان صادقت على اقامة تسع من بين تلك المستوطنات الاربعة عشرة . اما في المناطق الاخرى ، مثل السامرة ومنطقة سيناء الداخلية ، فقد ظهر ان الحكومة لا تسمح باقامة مستوطنات جديدة فيها وتعمل على تصفية المستوطنات القائمة ، بقطع المساعدات عن المستوطنين ، وعدم تقديم الخدمات لهم ، كما حدث مع مستوطنة ناكل - يام الواقعة على بحيرة البردويل ، فقد قررت الحكومة والوكالة اليهودية عدم تزويدها بالاموال هذه السنة . ويبدو ان الحكومة قررت منذ اقامة تلك المستوطنة عدم تحويلها الى مستوطنة دائمة . « فقد ورد في قرار اللجنة الوزارية لشؤون الاستيطان ان اعضاء هذه المستوطنة يستطيعون العمل في الصيد ، بشرط ان يعترفوا بالحقيقة ، انه في يوم من الايام سيظنون المكان . وكل مستوطن يقدم الى هنا ، يوقع على وثيقة بهذا المعنى » (اهرن بريئيل - معاريف ، ٧/٢٨ / ٧٤) . ويبدو ايضا ان الحكومة الاسرائيلية تعمل على تصفية الاستيطان في منطقة ابو رديس (مستوطني شلھيفت والطور) . وقد أعلن وزير المالية ، يهوشوع رابينوفيتش في الكنيست ،

الهدف في مشارف رفح - فصل غزة عن سيناء

تعتبر خطة الاستيطان في مشارف رفح ، التي تركز عليها اسرائيل الان ، جزءا من الخطة الاستيطانية الشاملة في ما يسمى قطاع أشكول ، الذي كان يعرف في الماضي بقطاع البيسور ، وهو جزء من المنطقة الشمالية الغربية في النقب . ويضم هذا القطاع حوض وادي شنيق (ناحال بيسور) الذي يكون امتدادا لوادي الخلصة (بيسور) : وهو من اودية النقب الغربية) والمساحات الواقعة جنوب شرق قطاع غزة ، ومنطقة مشارف رفح . وتتبع جميع مستوطنات هذا القطاع مجلسا اقليميا واحدا ، يشمل ١١ كيبوتسا ، وثمانية موشافيم ، ومستوطنتين تعاونيتين (باروخ ادلر - هتسونيه ، ١٣/٩/١٩٧٤) .

ان الاستيطان الجديد في هذه المنطقة موجه الان في الاساس الى مشارف رفح ، حيث بوشر باقامة المركز الاقليمي للمنطقة (مدينة يبيت) . وحسب قرار الحكومة ، هناك ٣٠٠ وحدة سكنية سينتهي بناؤها حتى عام ١٩٧٦ . كما توجد ١٨٥ وحدة سكنية في طور البناء ، سينتهي بناؤها خلال ٨ - ١٠ أشهر . « اما الخطة الموضوعية فتتحدث عن اضافة ٦ مستوطنات زراعية الى مشارف رفح ، وحتى عام ١٩٨٠ سيكون في المنطقة ٥٠٠ وحدة زراعية و ١٥٠ وحدة خدمات للمستوطنات الزراعية . كما أن هناك اقتراحا لاقامة شبكة من المستوطنات الزراعية في منطقة سومري (غديشيم) في قطاع غزة ، تشمل مستوطنتين زراعتين ومركز كتلي لتزويد الخدمات . كما ستتحول مستوطنات الناحال في قطاع غزة ، الى مستوطنات مدنيية » (المصدر نفسه) .

وكما ذكرنا ، فقد أعلن رئيس قسم الاستيطان في الوكالة اليهودية رعان فايدس ، عن اقامة ٤ مستوطنات في مشارف رفح خلال هذا العام ، وذلك ضمن الخطة الاستيطانية الجديدة (معاريف) ، ١٣/٩/١٩٧٤) . هذا بالإضافة الى المستوطنات الثلاث القائمة هناك - سدوت ، تيف هعسراه وديكله . وقبل شهر تقريبا اقيمت في مشارف رفح ٣ نقاط استيطانية للناحال ، هي (ا) سوخوت ، التي اقيمت على تلة جنوب الطريق المؤاي الى يبيت ، وعلى بعد ٣ كم من الطريق الرئيسي الى

والاستيطان المدني في الخليل (كريات اربع) الذي تم بدون اذن من السلطات الاسرائيلية في بدايته (شموئيل شفائيتسر - معاريف ، ٢٨/٧/٧٤) ، وعلم مؤخرا أن الحكم العسكري وافق على منح كريات اربع ادارة مدنية (يديعوت أحرونوت ، ٤/١٠/٧٤) . بينما لم يسمح حتى الان باقامة أي مستوطنة في منطقة السامرة ، رغم المحاولات الكثيرة التي تبذلها الاحزاب والفئات المتطرفة للضغط على الحكومة بهذا الشأن .

أما بالنسبة للمنطقة القريبة من القدس ، فقد علم ان هناك أكثر من مئة وخمسين عائلة تنتظر منذ سنتين السماح لها بانشاء مدينة في معاليه هادوميم ، قرب القدس ، في منطقة وادي القط ، في مكان يبعد ١٠ كم عن اريحا و ١٩ كم عن القدس ، وستسمى المدينة بريحو عيليت (اريحا العليا) (أهرون دولف - معاريف ، ١٩/٧/٧٤) .

ويضيف دولف ان واضع « مشروع الون » ، اعتبر معاليه هادوميم جزءا لا يتجزأ من مفهوم سياسي كامل ، يهدف الى انشاء « مؤخرة » من المستوطنات اليهودية المحيطة بالقدس - بوشر في اقامة جزئين منها : كريات اربع في الخليل ، ومستوطنات غور الاردن . ولكن الحكومة الاسرائيلية أعلنت عن معارضتها لاستيطان المنطقة ، وصرح الوزير غليلي أمام المرشحين للاستيطان هناك ، ان السبب في ممانعة الحكومة ، هو مالي ، وان معاليه هادوميم هي في حضيض سلم الافضليات الذي وضعته الحكومة بالنسبة للاستيطان ، اذ أن التركيز الان على هضبة الجولان ومشارف رفح (المصدر نفسه) .

يعتقد بعض المعلقين الاسرائيليين ، بناء على تصرف الحكومة هذا بالنسبة للاستيطان في الضفة الغربية ، انها ماضية في تنفيذ « مشروع آلون » . « ان الاستيطان يخلق حقائق ، وعدم الاستيطان يخلق حقائق ايضا . ان سياسة الاستيطان التي اتبعتها الحكومة بالنسبة للضفة الغربية ، خلال السنين السبع الاخيرة ، خلقت حقائق في اتجاه واحد فقط - وهو تنفيذ « مشروع آلون » وترك جبل السامرة » (شفائيتسر - معاريف ، ٢٨/٧/١٩٧٤) .

المؤسسات على هذا القطاع ، في الأساس ، بسبب مساحات اراضيه الشاسعة : مليون دوتم مع « امكانية » للتوسع في ملايين الدونمات من الاراضي الصحراوية المجاورة ، التي يمكن تحويلها الى اراضي زراعية ، اذا توغرت الحلول لمشكلة المياه .

« والعامل الاخر ، الذي أخذ بعين الاعتبار ، هو اعتدال الطقس ، بسبب قرب المنطقة مسن البحر ٥٠٠ . فخلانا لوادي عربيه والاغوار — تقع مشارف رفح على منفذ البحر المتوسط » (المصدر نفسه) .

الاستيطان في منطقة شرم الشيخ (منطقة شلومو)
تطلق السلطات الاسرائيلية اسم منطقة شلومو على الجزء الجنوبي من شبه جزيرة سيناء ، وتضم مساحة ما يقارب من ٢٤ الف كم^٢ ، اي أنها تزيد بنحو ٣٠٠٠ كم^٢ عن مساحة اسرائيل ما قبل حرب ١٩٦٧ . ويوجد في المنطقة ثروات طبيعية (ابو زنبعة ، ابو رديس) وتعيش فيها قبائل بدوية ، يبلغ عدد سكانها ١٢ الف نسمة (ابراهام باز — هارتس ، ١٩٧٤/٧/١٩) .

وضعت اسرائيل خطة رئيسية للاستيطان في منطقة شرم الشيخ، تعتمد على استغلالها سياحيا، واحد ركائزها ، هي اقامة مدينة اوفيرا في شرم الشيخ ، واتامة مراكز اصطياف لجذب السواح (نعيموت ، دي زهاف) . وفي سبيل تنفيذ تلك الخطة عين رؤوفين الوثي ، نائب مدير مديرية عقارات اسرائيل سابقا ، مسؤولا عن اعمال التطوير في المنطقة . « فحتى قبل اقل من سنتين ، كانت ادارة المنطقة تابعة لوزير الدفاع ، على غرار جميع المناطق خارج الخط الاخضر . في عام ١٩٧٢ وصل جوشي ديان الى استنتاج ، ان الوقت قد حان لنقل الادارة المدنية — التي كانت خاضعة للجيش حتى ذلك الوقت — الى « وزير مدني » ، وذلك على ضوء المصالح الرسمية التي تتطلب نشاطا تطويريا كبيرا في سبيل توطيين عائلات اسرائيلية كثيرة في المنطقة . وقد رحبت غولدا مئير، رئيسة الحكومة سابقا ، والوزير غليلي الذي كان مسؤولا عن الاستيطان في المناطق ، بالفكرة ، وتسلم حاييم غفاتي (وزير الزراعة اذاك) المسؤولية البرلمانية على هذا المشروع (المصدر نفسه) .

شمال سيناء ، وستتحول في المستقبل الى كيبوتس تابع لاتحاد الكوتسوت والكيوتسيم . (٢) مسوره ، التي اقيمت شمال — شرق مستوطنتي سدوت ونثيف همسراه في مشارف رفح . (٣) اشل ، التي اقيمت على بعد ٤ كم جنوب — شرق مستوطنة سدوت (معاريف ، ١٩٧٤ / ٨/٢٠) .

وهناك تركيز الان على تنفيذ المرحلة الاولى من مدينة يبيت ، وتشمل هذه المرحلة اقامة المركز الاقليمي افشلوم (نظيدا لذكرى افشلوم غابنبرغ) احد اعضاء خلية التجسس نيبي التي عملت لصالح المخابرات البريطانية في فلسطين خلال الحرب العالمية الاولى ، وقتل في تلك المنطقة) وتستعد مجموعة من المهاجرين من الاتحاد السوفياتي للسكن في هذا المركز ، حيث انتقلت الان مؤقتا الى المركز الكتلبي في سدوت ، انتظارا للانتهاء من البناء . ويقوم هؤلاء بالتخطيط للمشاريع التي سيقومونها في مركز افشلوم ، وفق متطلبات منطقة الاستيطان في مشارف رفح . كذلك من المتوقع ان تصل مجموعة من خمسين عائلة من يهود الولايات المتحدة للاستيطان في يبيت . وقد زار اعضاء هذه الذواة المنطقة قبل سنتين ، واظهروا اهتماما بالمشاريع الاستيطانية هناك (اهرن دولف — ملحق معاريف ، ١٩٧٤/٧/١٩) .

تهدف اسرائيل من وراء اقامة هذا العدد من المستوطنات في مشارف رفح ، خلق سلسلة من المستوطنات تمتد بين قطاع غزة وسيناء (باروخ ادلر — هتسوفيه ، ١٩٧٤/٩/١٣) بهدف فصل غزة عن سيناء . ويصف اهرن دولف هذا النشاط بقوله : « اقيمت (مستوطنة) سدوت ، منذ ثلاث سنين تقريبا . وهي طليعة الكتلة الاستيطانية الجديدة في رفح . وقد اعتبرتها المؤسسات العاملة في حقل الاستيطان ، جزءا غير منمهل من استمرارية اقليمية ، تمتد من قطاع اشكول (غي المنطقة المحتلة سنة ١٩٤٨) في الجنوب الشرق ، وتنتشر الى الامام ، الى الشمال الغرب ، حتى التلال الصفراء في ارض الجمال والبدو الرحل » في جنوب قطاع غزة (ملحق معاريف ، ١٩٧٤ / ٧/١٩) .

اما السبب الاخر للتركيز على هذه المنطقة فهي الاراضي الواسعة المتوفرة فيها . « لقد وقع اختيار

ما استثمرته وزارة الاسكان في هذا المشروع الاستيطاني الضخم في الهضبة (حتى نهاية السنة المالية ١٩٧٤ / ١٩٧٥) نحو ٣٢٨ مليون ليرة (مؤثر هرؤوفيني - معاريف ، ١٩٧٤/٧/١٧) .
اتضح لمخططي الاستيطان في الجولان ، ان الهضبة محدودة من ناحية قدرة الاعتماد على الاستيطان الزراعي فقط . كما أن الاستيطان الزراعي محدود من ناحية تأثيره على سرعة اسكان الهضبة . « نكل مستوطنة في الجولان مخططة لاستيعاب ٦٠ عائلة (تضم على الاكثر ، ٣٠٠ - ٤٠٠ شخص) فحتى اذا استفدت جميع الامكانيات الكامنة في الاستيطان الزراعي في الهضبة (وليس هناك امكانيات لانشاء اكثر من ٢٠ مستوطنة) ، ستصل الى ٧٠٠٠ - ٨٠٠٠ نسبة ، على الاكثر . ولكن حتى اذا امتلأت هذه المستوطنات بالسكان اليهود ، سيكون عددهم اقل من عدد السكان الدروز في القرى الدرزية الاربع ، الواقعة في شمال الهضبة » (المصدر نفسه) .

ولذلك ، وفي سبيل حل مشكلة اسكان الهضبة ، وخاصة في القطاع الاوسط منها تقرر اقامة مدينة صناعية ، لجذب السكان اليهود الى المنطقة . ويبرز هرؤوفيني امر اقامة المدينة بقوله : « ان حرب يوم الغفران (ابتداء من مرحلة اندفاع المدرعات السورية الى عقب الهضبة ، وخاصة في القطاع الاوسط والجنوبي ، وحتى مرحلة تنفيذ اتفاقات فصل القوات) ، اظهرت انه لا يمكن تحريك الحدود الى الورا في المكان الذي تقوم عليه مستوطنة ، وزادت من ضرورة وسرعة اقامة مستوطنة مدينية في مركز الجولان .

« واثناء النضال السياسي الذي قام به مهتلو مستوطنات الجولان (قبل اتفاقات الفصل) بهدف التأثير على الحكومة لعدم التنازل عن مناطق للسوريين في الهضبة ، طالبوا بالاسراع في توطين الجزء المركزي من الهضبة . . . وقد حذر اعضاء لجنة الطوارئ التي شكلتها مستوطنات الهضبة ، من أنه طالما ستبقى هذه المنطقة خالية من المستوطنات ، سيسهل على السوريين التقدم بمذروعاتهم ، في حال تجدد المارك . وبالطبع ، سيكون في استطاعتهم المطالبة ، اثناء تجدد المفاوضات ، بانسحاب اسرائيلي كبير في هذه المنطقة ، اذا بقيت خالية من المستوطنات .

من المقرر ، حسب الخطة الرئيسية ، ان يسكن اوغرا حتى سنة ١٩٨٥ نحو ٤٠٠٠ عائلة ، وفي اعتقاد الوني ، ان المدينة مستوعب الف عائلة بعد اربع سنوات . اما اليوم فيعيش بها بصورة دائمة ١٥٠ شخصا فقط . وقد أعلن الوني ان الحكومة ستستثمر نحو ٦٠ مليون ليرة في تطوير المدينة . وبعد سنة ونصف السنة سيكون بها ٥٠٠ وحدة سكنية جاهزة (داغار ، ١٩٧٤/٩/١٢) .

كما تضمنت الخطة الرئيسية لتطوير منطقة شلومو اقامة مناطق سياحية الى جانب المناطق السكنية والصناعية . وفي سبيل ذلك تم تعيين ٣ نقاط : نعيموت (١٦٠ كم شمال شرم الشيخ) ، دي زهاف (٨٠ كم عن شرم الشيخ) وشاطيء نعمة على امتداد ٣ كم على خليج مرسى العيط على الساحل الشرقي من سيناء (حبيب كنعان - هارتس ، ١٩٧٤/٧/٢٢) .

بلغ مجموع ما استثمرته اسرائيل في تطوير واستيطان منطقة شرم الشيخ حتى الان ، ١٨٠ مليون ليرة اسرائيلية . فقد استثمر ٦٥ مليون ليرة في شق الطريق من ايلات حتى اوغرا على امتداد شاطيء البحر (٢٦٠ كم) . واستثمر في اوغرا ونعمة ٨٠ مليون ليرة « ولكن رغم هذا التباطؤ يشعر كثيرون انه ليست هناك دلائل تشير الى ان اسرائيل تفكر في الانطواء في جنوب سيناء » (حبيب كنعان - هارتس ، ١٩٧٤/٧/٢١) .

هضبة الجولان - اقامة مدينة جديدة

تعلن اسرائيل انها لن تتنازل عن هضبة الجولان في المستقبل . وعلى هذا الاساس تخطط سياستها الاستيطانية في هذه المنطقة للمدى القصير والبعيد . ويكي أن نذكر ، مثلاً ، ما أعلن عنه وزير الاسكان ، ابراهم عوفر ، خلال زيارته للهضبة في ١١/٧/١٩٧٤ ، من « أن هذه المنطقة ستبقى جزءاً من دولة اسرائيل ، حتى في اطار اتفاقات سلام مع جاراتها » (معاريف ، ١٩٧٤/٧/١٢) ، لكي ندرك اصرار اسرائيل على تنفيذ خططها الاستيطانية .

اتامت شعبة البناء القروي في وزارة الاسكان ، منذ صيف ١٩٦٧ ، ١٦ مستوطنة (٧ كيبوتسات ، ٧ موشافيم ، ومركزين اقليميين : بنسي يهودا وحسفيت) في هضبة الجولان . وسيبلغ مجموع

بين السكان العرب واليهود في منطقة الناصرة هي ثلثان من العرب مقابل ثلث من اليهود . أما الوضع في اواسط الجليل وشماله ، فهو أسوأ . ويبدو لي ، انه يجب استيطان الجليل لمصلحة جميع سكانه يهودا وعربا » . هذا هو الوضع في الجليل كما وصفه رئيس المجلس المحلي نسي الناصرة العليا ، في مقابلة اجراها معه يوئيل دار في دانار (١٩٧٤/٧/١٦) .

لذلك تركز الحكومة الاسرائيلية ، شأنها شأن الحكومات السابقة ، على قضية تهويد الجليل ، وقد وضعت خططا في الماضي لاتامة مدن الاعمار والمستوطنات اليهودية في انحاء الجليل ، نجح معظمها في زيادة عدد السكان اليهود هنالك بنسبة كبيرة . ولكن رغم ذلك ما زال الوضع غير مرض بالنسبة للسلطات الاسرائيلية نظرا لعدد السكان العرب المتزايد في الجليل . لذلك وضعت خطة واسعة لاسكان ٧٠ الف يهودي اخر في المنطقة : ٥ الاف في مستوطنات قروية ، و ٦٥ الفا في مدن الاعمار : الناصرة العليا ، كرمئيل ، معلوت ، شلومي ، صفد ، حتسور وكريات شموونه .

وقد تحدث يوئيل ادموني ، مدير عام قسم الاستيطان في الوكالة اليهودية ، عن هذه الخطة ، في حديث اجراه معه ارييه افنيري ، ونشر نسي دانار (١٩٧٤/٩/١٦) ، بقوله : « ستقام في السنة المقبلة ، في اطار خطط اسكان الجليل مستوطنتان قرويتان في منطقة تيفن ، ومستوطنتان قرويتان في منطقة سيجف (والمنطقتان تقعان في وسط الجليل) ومركز كتلي ماهول (يختلف عن مركز الخدمات ، الذي لا يسكنه العاملون نسي المكان) في ميرون .

» ان اقامة المستوطنات الخمس في الجليل ، هي جزء من خطة خمسية لاتامة ١٨ مستوطنة قروية في الجليل ، مع سكان اضافيين ، يبلغ عددهم ١٤٠٠ عائلة (٥٠٠٠ نسمة) . حسب التقسيم التالي : ٦٠٠ عائلة في ٤ قرى صناعية ، ومركزين محليين ، ٤٠٠ عائلة لتوسيع مستوطنات قائمة ، و ٤٠٠ عائلة في مراكز محلية » .

وذكر ادموني ان هذه الخطة القروية هي جزء من الخطة الشاملة لاضافة ٧٠ الف يهودي الى الجليل .

وبالاضافة الى المدينة ، طالبت المستوطنات باقامة ٤ - ٥ مستوطنات صغيرة (جديدة) في هذه المنطقة .

» لقد وجدت هذه المطالب اذانا صاغية نسي الحكومة . وكانت النتيجة هي التصديق (مع الاعتماد المالي) على البدء باقامة المركز الديني في الجولان . كما سيقام في تلك المنطقة ٣ قرى صناعية » (معاريف ، ١٩٧٤/٧/١٧) .

عين مكان اقامة المدينة في الجزء الاوسط من هضبة الجولان ، على بعد ١٤ كم من خط فصل القوات ، وأطلق على المكان اسم كاسارين . واعلن المهندس يسرائيل غودوفيش ، المسؤول عن التخطيط القروي في وزارة الاسكان ، ان المدينة ستكون صناعية . « في المرحلة الاولى ستقام مساكن لمتني عائلة . وفي مرحلة متأخرة ... لن يكون بها سوى ٥٠٠٠ عائلة ، او ٢٠ الف نسمة على الاكثر . ومع بناء البيوت الاولى ، ستقام مدرسة ، اذ ان الهدف هو جذب عائلات مع اولادها . وستنشأ في المراحل المقبلة صناعة شمال شرق المدينة ، التي ستضم حسب التخطيط ٥ احياء » (معاريف ، ١٩٧٤/٨/١٣) .

وقد حدد وزير الاسكان ، ابراهم عوفر ، الهدف من اقامة هذه المدينة ، التي تعتبر مركزا اقليميا صناعيا في الهضبة ، بقوله : « انها بمثابة فتح الطريق لاسكان سريع للهضبة ، لا يتم بواسطة مستوطنات زراعية صغيرة ، كذلك فانها تسد الثغرة التي يبلغ عرضها ٣٠ كم في مركز الهضبة ، غير المأهولة ابدا بسبب الظروف غير الملائمة للاستيطان الزراعي . وايضا لاتامة مركز اقليمي يوفر الخدمات الاقتصادية والاجتماعية لسائر المستوطنات في هضبة الجولان . كما انها رد على اعتبارات أمنية وسياسية » (معاريف ، ١٩٧٤/٧/١٢) .

تهويد الجليل

» ينقسم الجليل من ناحية قومية الى ٣ قطاعات : الجزء الجنوبي ، الجزء الاوسط ، والجزء الشمالي . في الجزء الجنوبي ، ومركزه الناصرة ، يعيش ٤٢ ٪ من السكان « غير اليهود » (اي العرب) ، في الجليل ، في الجزء الاوسط ، ومركزه كرمئيل ، يعيش ٣٦ ٪ من هؤلاء السكان ، والباقي - في الجزء الشمالي ، ومركزه معلوت . ان النسبة

شؤونه ، غورن وتيفن . وتقوم وزارة التجارة
والمصناعة بالتخطيط لاقامة هذه المراكز .

ومن الجدير بالذكر ان تنفيذ المشاريع السابقة،
أدى الى مصادرة الكثير من الاراضي العربية في
الجليل . ويحتمل ان يؤدي تنفيذ الخطة الجديدة ،
الى اعادة الوضع السابق ، الذي تمثل بمصادرة
الاف الدونمات من اراضي عرب الجليل .

حنه شاهين

واضاف « انه في سبيل ذلك نتعاون في التخطيط
مع وزارة الاسكان ، التي ستبدأ ببناء ١٠ الاف
وحدة سكنية في الجليل (وهي ٢٥ ٪ من مجموع
الوحدات السكنية التي ستباشر وزارة الاسكان
ببنائها في السنة المقبلة) . وبلاضافة الى ذلك،
يجري التخطيط لاقامة ٣ مراكز صناعية اقليمية في
الجليل : الاول في الجليل الغربي يخدم معلوت ،
شلومي ونهاريا ، الثاني في منطقة كرميئيل ،
والثالث شرقي روش بينا ، الذي سيخدم صنف
وحتسور . كما ستقام مراكز اصغر في كريات

دار ((الآداب)) تقدم :

محمود درويش

في قصائده الجديدة :

محاولة رقم ٧

(٥) القضية الفلسطينية عسكريا

١ - حول الصناعة الحربية الاسرائيلية

لقد برهنت حرب تشرين الاول على أمور كثيرة تتعلق بالصناعة الحربية المحلية ، وكشفت أهميتها بالنسبة الى تحرير الارادة السياسية والعسكرية للدول الصغرى ، ومدى تأثيرها على حجم عمليات النقل الجوي الخارجي التي تتم خلال القتال ، وعلى امكانية استمرار القتال بوتيرة عالية من قبل القطعات الحاربة . وتدل اثناء العدو الاسرائيلي على ان قيادة القوات المسلحة أخذت تبذل منذ انتهاء الحرب جهودا واسعة لتعزيز الصناعة الحربية . ويرجع هذا الاهتمام المتزايد الى الاسباب التالية :

١ - فشل الصناعة الحربية السابقة في تقديم المعدات والذخائر والاسلحة اللازمة لمجاهدة المعضلات التكتيكية والتكنولوجية التي طرحتها معارك تشرين الاول .

٢ - عدم كفاية الانتاج الاسرائيلي لتعويض الخسائر الضخمة التي تعرضت لها قوات العدو على الجبهتين .

٣ - عدم قدرة الانتاج الحربي على امداد القوات الحاربة بالذخائر اللازمة لمتابعة حرب طويلة الالمد نسبيا ، خاصة وان الاسرائيليين استخدموا خلال القتال تكتيكات تعتمد على غزارة الرمي ، فلنا منهم بأن الحرب ستكون قصيرة الالمد ، وان كثافة الرميات قادرة على تحطيم معنويات الجندي العربي .

٤ - اقتناع الاسرائيليين الكامل بعد انتهاء القتال بأن مصرهم غدا مرهونا بالولايات المتحدة بصفتها مصدرهم الوحيد للحصول على الذخائر والاسلحة ، واحساسهم ببدى الضغط التسليحي الذي يمكن لوأشطن ان تمارسه على اسرائيل ، اذا ما استطاعت الاستراتيجية الاقتصادية العربية اتناع الأميركيين عمليا ، بأن مصلحتهم القومية متناقضة في الشرق الاوسط مع مصالح الدولة الصهيونية .

٥ - ارتفاع تكاليف الجسر الجوي الاميركي الذي بدأ في يوم ١٣ تشرين الاول (أكتوبر) ،

ووصلت اولى شحناته الى مطار اللد في الساعة ٢٢٤٠٠ من يوم ١٤/١٠ ، ونقل ٢٢ الف طن من المعدات والذخائر مستخدما طائرات « ستارليفتر C.141 و « غالاسي C.5-A ، وكانت طاقته ٢٤٠ مليون طن/كيلومتر ، على اعتبار ان متوسط مسافة النقل ١١ الف كيلومتر .

٦ - انخفاض احتياطي العملة الصعبة في اسرائيل من ١٤٧ مليار دولار في بداية العام ١٩٧٣ الى أقل من ١٤١ مليار دولار في شهر ايلول (سبتمبر) ١٩٧٤ (يدعيوت أحرنوت ، ٧٤/٩/٨) .

٧ - ازدياد العجز في ميزان المدفوعات . فلقد بلغ هذا العجز في الاشهر السبعة الاولى من العام ١٩٧٤ حوالي ١٣٠٢ مليون دولار مقابل ٨٢٥ مليوناً خلال الفترة المقابلة من العام ١٩٧٣ ، أي بزيادة قدرها ٥٨٪ . وهذا يعني ان معدل العجز الشهري في ميزان المدفوعات خلال النصف الاول من العام ١٩٧٤ يعادل ١٨٥ مليون دولار مقابل ١٥٥ مليون دولار شهريا خلال النصف الاول من العام ١٩٧٣ (داغار ، ٧٤/٩/٣) .

ويبدو من الواضح ان اهتمام اسرائيل بالصناعة الحربية يعكس رغبة الحكومة الصهيونية في تخفيف حجم تبعيتها للتسلحية للولايات المتحدة الى حد ما ، واقلال الوزن العام لاي جسر جوي انتاذي اميركي مقبل ، وتوفير جزء من العملة الصعبة المخصصة لاستيراد الاسلحة ومعدات القتال الذي سيستهلك ١٤٥ مليار دولار من المساعدة الاقتصادية - العسكرية السنوية الاميركية (٢ مليار دولار) ، بالاضافة الى تعديل خلل المدفوعات عن طريق بيع جزء من انتاج المصانع الحربية الى دول اميركا اللاتينية والدول العنصرية في افريقيا .

ومن الجديد بالذكر ان الصناعة الحربية الاسرائيلية تنتج عددا من الصواريخ (صاروخ جو - جو « شغريز » ، وصاروخ سطح - سطح « غبريل » وصاروخ أرض - أرض « جريكو ») ، وتصنع او تعدل عددا من القذائف الصاروخية ، وتصنع الذخائر الخفيفة والثقيلة ، والاسلحة الخفيفة (بنادق ، مسدسات ، قنابل يدوية ، هاونات) ، والعربات المدرعة ، وطائرات من طراز « عرفة » و « باراك » . بالاضافة الى

الى ٨٠٠ مليون ليرة (يديعوت أحرونوت، ٩/٤) .
 بيد أن الاسرائيليين يأملون تعديل ميزان المدفوعات
 عن طريق بيع منتجات صناعة الطائرات . ولقد
 ذكرت معاريف (٩/١٥) أن اسرائيل ستعرض في
 معرض طهران معدات الكترونية وجوية وأجهزة
 حساسة أخرى دون أن تعرض أية طائرة ، وأن
 الاكوادور تنوي شراء طائرتين من طراز بوينغ ٧٢٠
 رمت في إسرائيل بمبلغ ٤٧ ملايين دولار. وستعقد
 مع صناعة الطائرات الاسرائيلية اتفاق صيانة
 وتدريب لمدة ثلاث سنوات . وكانت اسرائيل قد
 اشتركت في معرض لوس انجلوس الجوي ،
 وكشفت بعض التفاصيل التقنية لطائرة « وستويند
 ١١٢٤ » التجارية ، التي تعتبر تطورا لطائرة
 « وستويند ١١٢٣ » (معاريف ٩/٢٤) . وذكرت
 الصحيفة ان شركة افيشن اتلانتيك التي تساعد
 اسرائيل على صنع هذه الطائرة منذ ايلول (سبتمبر)
 ١٩٧٢ ستوسع نشاطها في اسرائيل خلال
 الثمانينات ، وانها ستستلم اولى طائرات
 « وستويند ١١٢٤ » في مطلع عام ١٩٧٦ . ومن
 الجدير بالذكر ان شركة افيشن اتلانتيك التي تملك
 حق توزيع طائرات وستويند في امريكا وكندا
 قد باعت في الولايات المتحدة حتى اليوم ١٨ طائرة ،
 وان ٥ طائرات اخرى بيعت في أماكن اخرى في
 العالم . وان من المنتظر بيع ١٨ طائرة « وستويند
 ١١٢٤ » في عام ١٩٧٦ بسعر ١٤٥ مليون دولار
 للطائرة الواحدة .

وتمثل الصناعات المعدنية والالكترونية أمـل
 اسرائيل الثاني في هذا المضمار ، ومن المحتمل ان
 ترتفع قيمة صادراتها في العام ١٩٧٤ الى ١٧٠
 مليون دولار مقابل ١٣٦،٤٨ مليوناً في العام ١٩٧٣ ،
 و ١١٤،٤٤ مليوناً في العام ١٩٧٢ (معاريف ٩/١٩) .
 ولكن هذه الصناعة نفسها تتعرض لصعوبات كبيرة ،
 تتمثل في نقص الطاقة البشرية المؤهلة ، ونقص
 المواد الخام ، والتضخم المتدي في اسرائيل ،
 وارتفاع الاسعار ، وتقلص شبكة العلاقات
 الاسرائيلية مع دول العالم ، واغلاق اسواق عالمية
 كثيرة في وجه الصناعة الاسرائيلية واحجام رؤوس
 الاموال الاجنبية عن القدوم الى اسرائيل بعد حرب
 ١٩٧٣ .

ان للصناعة الحربية الاسرائيلية اكثر من
 هدف ، فهي تخلق النواة التقنية اللازمة لتطوير

التجهيزات الميدانية ، والمعدات الاليكترونية ،
 وأجهزة الاتصال ، وقطع الغيار ، وعدد من المعدات
 اللازمة للقتال . ويذكر المهندس ميخائيل شور ،
 مدير الصناعة الحربية في اسرائيل ، ان احدى عبر
 الحرب الرابعة كانت « زيادة احتياط الذخيرة على
 أنواعها لحساب الجيش ، وقد بذل منذ انتهاء
 الحرب جهد مركز لهذا الغرض » (داغار ، ٩/٤) .
 ويظهر اهتمام اسرائيل بتدعيم الصناعة الحربية
 من الظواهر الثلاث التالية : (١) استمرار فترة
 الطوارئ في هذه الصناعة حتى الآن ، رغم انتهائها
 في بقية قطاعات ومصالح الجيش (داغار ، ٩/٤) ،
 (٢) ووضع خطة لزيادة عدد العاملين فيها من ١٠
 آلاف شخص في ايلول (سبتمبر) ١٩٧٤ الى ١١
 ألف شخص في نيسان (ابريل) ١٩٧٥ ، (٣) شراء
 عدد من الشركات الاميركية المهتمة بالصناعات
 الحربية الخاصة بالاجهزة الاليكترونية او أجهزة
 الاتصال ، وفتح فروع لعدد من الشركات الاميركية
 في اسرائيل . ونذكر على سبيل المثال ان شركة
 تاديران للصناعة الاليكترونية الاسرائيلية قد
 اشترت مؤخرا شركة الكروسبيس الاميركية التي
 تصنع أجهزة اتصال عسكرية ، بعد ان أعلنت هذه
 الشركة اغلاسها في حزيران (يونيو) ١٩٧٤ .
 وصار يوسعها انتاج الاجهزة التي كانت تنتجها شركة
 الكروسبيس وهي : جهاز الاتصال الميداني الخفيف
 PRC-77 ، وبعض قطع جهاز الاتصال VSC-13
 المستخدم في طائرات الاستطلاع ، وجهاز كزيتون
 للرؤية VSS-R الذي يركب على دبابات الاستطلاع
 وسيارات الجيب وطائرات هليكوبتر ، وجهاز
 الاتصال التكتيكي GRC-10 ، وبعض قطع جهاز
 تلي تايبرايتتر MGC-9 ، وجهاز الهاتف الميداني
 TTC-7 (داغار ٩/٤) .

ورغم تزايد الانتاج الحربي المعادي ، والجهود
 الكبيرة التي تبذلها اسرائيل لتصدير منتجاتها
 الحربية ، فان من غير المتوقع ان تستطيع الصناعة
 الحربية تعديل ميزان المدفوعات الاسرائيلي ، نظرا
 لأن هذه الصناعة تركز على سد حاجات القوات
 المسلحة الاسرائيلية . ولقد ذكر المهندس شور ان
 تيجة الصادرات الحربية كانت قبل حرب ١٩٧٣
 تعادل ١٠٠ مليون ليرة اسرائيلية سنويا ، وأن
 هذا الرقم سينخفض في عام ١٩٧٤ الى ٧٠ مليون
 ليرة فقط ، رغم وصول عائدات الصناعة الحربية

العدو أنفسهم . ووسعت نطاق النزاع وجذبت اليه دولا عربية جديدة ، وزادت ارتباط عدد من الدول العربية مع موسكو . - -

وكان وزير الدفاع شمعون بيريس قد سبق رئيس الوزراء الاسرائيلي الى اميركا وكندا ليهيء له الجو ، وصرح في مونتريال ان على اسرائيل « ان تتبنى جيلا جديدا من القوة الاسرائيلية مدعوما بأحدث الاسلحة العصرية لمواجهة الخطر الكبير والشيك لحرب جديدة » (رويتر ، ٩/٦) .

وفي العاشر من شهر ايلول (سبتمبر) توجه رابين الى الولايات المتحدة بغية الحصول على مزيد من المساعدات الاميركية خلال العام الحالي والاعوام المقبلة ، والحصول على أسلحة جديدة متطورة لموازنة التسليح العربي ، وتوضيح موقف اسرائيل من مؤتمر جنيف والشعب الفلسطيني والمرحلة المقبلة من المفاوضات مع الدول العربية .

ويهنا في هذا المجال الحديث حول البند الثاني : « الحصول على أسلحة جديدة متطورة لموازنة التسليح العربي » . فلقد حاول رابين خلال بحث هذا البند اقتناع المسؤولين الاميركيين بأن « اسرائيل القوية » وحدها قادرة على احلال السلام في الشرق الاوسط ، متجاهلا الحقيقة التاريخية التي تؤكد ان « اسرائيل القوية » عجزت عن تحقيق السلام خلال ٢٦ عاما ، وان انتصاراتها العسكرية في حروب ٤٨ ، ٥٦ و ٦٧ لم تدفعها نحو السلام بل دفعتها على العكس نحو مزيد من التطرف ، وفتحت شهيقها للتوسع وضم الاراضي العربية ، وان الانتاجات الحربية العربية في العام ١٩٧٣ جعلت المنطقة اقرب الى السلام مما كانت عليه بعد حرب ١٩٦٧ .

ورغم ايهان الولايات المتحدة بأن عليها حماية أمن اسرائيل ووجودها ، ورغم ناعاة البيت الابيض بأن « اسرائيل القوية » ضرورية لاحلال السلام في المنطقة ، فقد كان هناك تباين في وجهتي النظر الاميركية والاسرائيلية حول معنى تعبير « اسرائيل القوية » . ذلك لان الاسرائيليين يرون ان هذا التعبير يعني « اسرائيل المسلحة بأحدث الاسلحة الاميركية لموازنة القوة العسكرية للدول العربية مجتمعة ، والمتسعة حتى حدود يمكن الدفاع منها » على حين كان الاميركيون يرون انه يعني « انسحاب اسرائيل من معظم الاراضي العربية المحتلة ،

الانتاج الحربي في المستقبل ، وتؤمن التي حد ما استقلال الارادة السياسية ، وتخفف حجم الدم الاميركي المطلوب ، وتؤمن تعديل الاسلحة والمعدات لتتلاءم مع طبيعة مساح العمليات في الشرق الاوسط ، وتزيد القدرة على اصلاح الاسلحة وصيانتها خلال الحرب ، وتجعل من الممكن الافادة بسرعة من الاسلحة التي يتم الاستيلاء عليها بعد ادخال التعديلات عليها ، وهي بالاضافة الى كل ذلك عامل اقتصادي يمتص ١٠ آلاف يد عاملة تقنية وغير تقنية ، ويوفر جزءا من العملات الصعبة اللازمة لاستيراد الاسلحة والمعدات والذخائر ، ويعدل الخلل في ميزان المدفوعات ، ويفتح الباب أمام التطفل السياسي الاسرائيلي في بلدان العالم الثالث . ولا يمكن رصد تطور هذه الصناعة ونموها بسلبية ، والرد الوحيد العملي على وجودها ، هو خلق صناعة حربية عربية متطورة تتلاءم مع مستوى الخطر المتوقع والمركة الحتمية المنتظرة .

٢ - رحلة رابين الى اميركا

بدأ الاعلام الاسرائيلي ، قبل زيارة رئيس وزراء العدو اسحاق رابين الى الولايات المتحدة ، بشن حملة تركز حول ضخامة الاسلحة التي يحصل عليها العرب من الاتحاد السوفياتي ، وضرورة تعديل موازين القوى بصنقات أسلحة اميركية ، واستعداد الجيش السوري لشن هجوم خاطف على اسرائيل وجر مصر والدول العربية الاخرى الى حرب خامسة ، وضرورة خلق اسرائيل القوية لضمان الاستقرار والسلام في الشرق الاوسط ، مع الحد من تغلغل الاتحاد السوفياتي في المنطقة .

وكان بعض المرابطين يتوقع ان لا تقع واشنطن في « فخ » الاعلام الاسرائيلي ، وان تكون أمينة لتأكيدات الرئيس جيرالد فورد حول « التزامها [الولايات المتحدة] بمساعدة الفرقاء المعنيين لتحقيق سلام عادل ودائم في المنطقة » ، وان تعي بعد حرب تشرين الاول ، ان « اسرائيل القوية » التي كانت تدعي قبل الحرب الرابعة انها قادرة على تأمين السلام ، والحفاظ على المصالح الاميركية ، وابعاد النفوذ السوفياتي، لم تفشل في تهديد العرب وقهر ارادتهم نحسب ، بل حثهم ايضا على خلق قوة عسكرية كبيرة وشن حرب مفاجئة عرضت الامن والوجود الاسرائيليين لخطر ماحق ، باعترااف قادة

الاعداد المطلوبة . وبالنسبة الى سلاح معين فقد زعم الاميريكون اننا طلبنا كمية تماثل ما هو موجود لدى الجيش الاجريكي بأسره « (هارتس ١٩/٢٠) .

وخلاصة القول ان اطباع اسرائيل وفهها لدورها في المنطقة دفعت رابين الى مطالبة واشنطن بأسلحة ومعدات حربية تسمح للدولة الصهيونية ببناء قوة هجومية قادرة على مجابهة قوات دول الطوق ، والقوات المسلحة العربية التي يمكن ان ترغدها ، والحفاظ على السلام عن طريق التهديد بالهجوم والقدرة على تنفيذه ، على حين رأت الولايات المتحدة ان من الضروري تزويد اسرائيل بأسلحة تجعلها قادرة على الدفاع عن نفسها ، شريطة ان تحتفظ واشنطن بحق الرقابة على الجيش الاسرائيلي حتى لا يخرج عن مجال سيطرتهم ، وحتى لا تؤدي تصرفاته الانفعالية الحكومة بنظرة ذاتية ضيقة الى توريث الولايات المتحدة في اوضاع سياسية او عسكرية تتعارض مع السياسة الاميركية العليا . « وبكلمات اخرى تريد الولايات المتحدة ان تكون اسرائيل قوية بما فيه الكفاية ، كي تستطيع الذهاب الى المفاوضات مع الدول العربية ، وتقدم تنازلات اقليمية كبيرة من خلال ثققتها بقوتها ، لا ان تأتي الى المفاوضات من موقف قوة يمنحها الاحساس بانها قادرة على السماح لنفسها بخوض حرب اخرى ، على الا تتنازل مقابل تسويات . » واتفاقات لا تشكل سلاما كاملا « (هارتس ١٩/١٩) .

ولقد نجم عن زيارة رابين ، التي استمرت حتى ١٥/٩ ، حصول اسرائيل على مساعدات عسكرية مشروطة بضرورة احراز التقدم على طريق التسوية السياسية . وتذكر صحيفة مغاريف (١٥/٩) ان هذه المساعدات ستشمل ٤٥٠ مليون دولار من الدولارات خلال ثلاث سنوات ، بدلا من الـ ٧٥٠ مليون التي طالبت اسرائيل بالحصول عليها خلال خمس سنوات . وان هذه المساعدات ستخصص لشراء ٢٠٠ - ٢٥٠ دبابة من طراز « م - ٦٠ » ، و ٥٠ طائرة مقاتلة « ف - ٤ اي » ، وقنابل موجهة بالليزر ، وطائرات هليكوبتر « هيكوبيرا » مسلحة بصواريخ « تاو » المضادة للدبابات والتحصينات . وعدد من المدافع والعربات المدرعة والمعدات العسكرية الاخرى .

فاذا أضفنا الى هذه الاسلحة ٤٠٠ دبابة ستوريون اشترتها اسرائيل من واشنطن (صنداي

وذلك بعد تسليحها لموازنة القوة العسكرية لمصر وسورية فقط ، وخلق مناطق حدودية معزولة السلاح ، وضمان أمن اسرائيل وسلامة اراضيها دوليا » .

ويذكر زئيف شيف في هذا المجال « اية اسرائيل تريد واشنطن ان ترى في العالم العربي الذي تعود اليه بانتدفاع ؟ والى أي مدى ترغب في ان تكون لدى اسرائيل قدرة هجومية كبيرة ؟ من الواضح ان هناك خلافات في الرأي بيننا وبين الولايات المتحدة حول معنى « اسرائيل القوية » ، دون ان يقال ذلك بصراحة للقادة الاسرائيليين الذين زاروا واشنطن خلال الاشهر القليلة ، او لمثلي الجيش الاسرائيلي . ويترجم خبراء الجيش الاسرائيلي عبارة « اسرائيل القوية » بصورة الحد الأقصى - وفي رأيهم لا توجد جباله هنا في ضوء عبر حرب يوم الغفران [حرب رمضان] ، والقوة المالية التي تراكمت لدى العرب . ويرى الاميريكون هذه الامور من خلال نظرة اخرى ، ومن خلال مصالحيهم السياسية الاكثر شمولا « (هارتس ١٩/١٩) .

ولقد طالب رابين وخبرائه العسكريون بتغطية نفقات جميع خسائر حرب ١٩٧٣ ، ودم الغمرات التي ظهرت في ميزان القوى العربي - الاسرائيلي خلال هذه الحرب ، وخاصة في مجال المدفعية والاسلحة المضادة للدبابات ، وتحديث الجيش الاسرائيلي الذي لا تزال بعض وحداته (مشاة ، مدرعات ، مدفعية) مزودة بأسلحة من جيل الخمسينات . والتخلص من تنوع الاسلحة في القوات المسلحة الاسرائيلية ، وتوحيد هذه الاسلحة بعد الاستغناء عن الاسلحة الفرنسية والبريطانية والسوفياتية (غنائم) الموجودة فيها ، والاستعاضة عنها بأسلحة امريكية ، والاسراع في تسليم الاسلحة نظرا لاحتمال اندلاع القتال في العام ١٩٧٥ رغم عدم موافقة البنتاغون على هذا التقييم ، وزيادة مخزون اسرائيل من الاسلحة والمعدات والذخائر استعدادا لحرب طويلة نسبييا ، والحصول على الاسلحة وفق خطة تسليحية طويلة الامل .

وكانت الطلبات الاسرائيلية كبيرة جدا . ويذكر زئيف شيف « ... فالكليات بالنسبة الى بعض الانواع ، كبيرة الى درجة ان مثلي الدولة العظمى [الولايات المتحدة] ذهلوا عندها استمعوا الى

في حرب ١٩٧٣ (٤) الاعتماد على طائرات الهليكوبتر المسلحة (٥) الاعتماد على الاحتياط المضاد للدبابات المحمول بطائرات الهليكوبتر ، والقادر على التحرك بسرعة ومرونة في مساح العمليات .

أما على صعيد الطائرات المقاتلة ، فإن حصول إسرائيل على ٥٠ طائرة فانتوم « ف - ٤ اي » ، سيرفع عدد طائراتها المقاتلة (صف اول) الى ٢٠٠ طائرة فانتوم ، و ١٥٠ طائرة سكاي هوك « أ - ٤ اي/هـ » ، بالإضافة الى عدد من طائرات « جراج - ٢ سي » التي كانت إسرائيل تفكر بإخراجها من سلاحها الجوي نظرا لتقص قطع غيارها بسبب تدابير الحظر الفرنسي ، والتي أصبح من الممكن اليوم ابقاؤها في الخدمة بعد رفع الحظر .

وبدل اهتمام الولايات المتحدة بتعويض خسائر إسرائيل من طائرات « الفانتوم » خلال الحرب ، ورفع عددها من ١٠٠ طائرة في عام ١٩٧٣ الى ١٥٠ طائرة في بداية عام ١٩٧٤ ، ووصول هذا العدد الى ٢٠٠ طائرة في نهاية عام ١٩٧٤ ، على ان حرب تشرين الاول (اكتوبر) ، واستخدام الصواريخ المضادة غيها على نطاق واسع ، قد دفع الاسرائيليين الى الاقلال من اعتمادهم على طائرة « مسكاي هوك » في مهمات الدعم الارضي ، وتركيز اهتمامهم على طائرة « فانتوم » القاذفة - المقاتلة ، نظرا لان سرعة هذه الطائرة (٢٤٢ مك مقابل ٨٢٠ مك في « مسكاي هوك ») ، وتقدم اجوزتها التكنولوجية ، يجعلها أقدر من « المسكاي هوك » على تنفيذ مهمات القصف الجوي خلال الدعم التكتيكي والعملياتي ، وأقل منها عرضة للاصابة بالصواريخ الموجهة المضادة للطائرات .

ورغم قلة مجموع عدد الطائرات المقاتلة الاسرائيلية ، بالنسبة الى مجموع عدد الطائرات المقاتلة الحربية والسورية ، فإن التفوق بالحمولة الحربية هو لصالح إسرائيل نظرا لامتلاكها طائرات قاذفة - مقاتلة متعددة المهمات وكبيرة الحمولة وذات قدرة على التحليق مدة طويلة في الجو . ولقد عدلت الجيوش العربية هذا التفوق في حرب ١٩٧٣ بفضل تدعيم شبكات الدفاع الارضي المضاد للطائرات ، والتنسيق الكامل بين شبكات الدفاع الارضي وأسرار الطائرات المعترضة «مبغ - ٢١» . ومن المؤكد ان هذا التعديل سيظهر بشكل أوضح في أي صدام مقبل نظرا لحصول الطيران السوري

تلغراف ١٥/٩/٧٤) وجدنا ان إسرائيل التي عوضت خسارتها في جرب تشرين الاول (اكتوبر) من الدبابات ، ورفعت عدد دباباتها من ١٧٠٠ دبابة قبل الحرب الرابعة الى ١٩٠٠ دبابة (ميزان التسليح العربي الإسرائيلي منذ حرب اكتوبر) ستمتلك عند اتمام الصفقتين الاميركية والبريطانية ٢٥٠٠ - ٢٥٥٠ دبابة معظمها من دبابات «م - ٦٠» الاميركية الصنع و «سنتوريون» البريطانية الصنع . مقابل أكثر من ٢٠٠٠ دبابة مصرية ومغربية وجزائرية وحوالي ١٦٠٠ دبابة سورية ، معظمها من طراز « ت - ٦٢ » و « ت ٥٥ او ٥٤ » . وسيكون عدد العربات المدرعة الاسرائيلية ٢٥٠٠ عربية مقابل ٢٥٠٠ عربية مدرعة مصرية و ١٤٠٠ عربية مدرعة سورية .

ويبدو من مقارنة السلاح المدرع الاسرائيلي مع السلاحين المدرعين المصري والسوري ان الجانب العربي متفوق على الجانب المعادي عدديا . ويدعي الاسرائيليون انهم قادرون على تعديل هذا التفوق بفضل امتياز طواقم دباباتهم ، وامتياز دباباتهم نفسها . ولكن هذه الادعاءات لا تستند الى اساس من الصحة ، فلقد اثبتت الطواقم العربية ارتفاع مستواها في معارك تشرين الاول (اكتوبر) ، كما ناقش الاخ محمود عزمي المسألة التقنية في ميزان القوى المدرع العربي - الاسرائيلي في مجلة شؤون فلسطينية ، عدد رقم ٣١ ، آذار (مارس) ١٩٧٤ ، وعدد رقم ٣٨ ، تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٤ ، وأثبت بطلان الادعاءات الاسرائيلية حول الامتياز التقني للدبابات الاميركية او البريطانية الصنع بالنسبة الى الدبابات السوفياتية .

والحقيقة التي لا جدال فيها ، هي ان الاسرائيليين يسعون الى تعديل ميزان القوى المدرع بفضل خمسة عوامل هي : (١) الاعتماد على الدعم الجوي الكثيف ، (٢) استخدام القنابل الذكية « سبارت بومب » الموجهة بالليزر ، والصواريخ الموجهة تلفزيونيا « مافريك » ، و « وول آي » ، وكلها أسلحة دقيقة الاصابة ، (٣) الاعتماد على الصاروخ الموجه المضاد للدبابات « تاو » ، الذي يمكن استخدامه على قاعدة ثابتة ، او على سيارة جيب او عربية مدرعة او من طائرة هليكوبتر ، ويستطيع ضرب الدبابات بفعالية من مسافة ٢٠٠٠ متر . ولقد حصل الاسرائيليون على هذا السلاح

« تومكات ف - ١٤ » بـ ٣٠ مليون دولار للطائرة الواحدة مع قطع غيارها وأجهزتها التقنية المختلفة .

وهكذا نرى ان زيارة رابين للولايات المتحدة قد حققت جزءا من أغراضها العسكرية ، وامنت لاسرائيل امكانية الحصول على الاسلحة التي تجعلها « قوية » بالمفهوم الاميركي لا الاسرائيلي للكلمة . وعليها الان ان تدفع الثمن السياسي الذي سيطلبها به كيسنجر خلال جولته الشرق اوسطية التي بدأت في يوم ١٠ تشرين الاول (اكتوبر) . فهل ستدفع اسرائيل الثمن ، أم ستتهرب كما تهربت في عام ١٩٦٩ بمد صفقة الفانتوم الاولى ، التي استخدم لأول مرة في كانون الثاني (يناير) ١٩٧٠ خلال حرب الاستنزاف ؟ هذا ما ستكشفه نتائج جولة كيسنجر .

المقدم الهيثم الايوبي

على عدد من طائرات « ميغ - ٢٣ » القسادة على تقليص حرية عمل طسائرات « الفانتوم » الاسرائيلية ، الامر الذي دفع الاسرائيليين الى مطالبة الولايات المتحدة بطائرات « تومكات ف - ١٤ » او « ايغل ف - ١٥ » الحديثة القادرة على مجابهة طائرات « ميغ - ٢٣ » . وتذكر مجلة افيشن ويك (١٠/٧) ان الاسرائيليين سيشترون من ٢٤ الى ٤٨ طائرة من طراز « تومكات ف - ١٤ » ، او « ايغل ف - ١٥ » ، وانهم لم يحددوا بمد النوع الذي يرغبونه رغم ان الطيارين الاسرائيليين جربوا النوعين المذكورين وزاروا مصانع تجميعهما . وتضيف المجلة ان سعر الطائرة « ايغل ف - ١٥ » سيكون أرخص من سعر الطائرة « تومكات ف - ١٤ » بمقدار مليون دولار اذا ما كان عدد الطائرات المشتراة ٤٨ طائرة . ومن الجدير بالذكر ان ايران اشترت في عام ١٩٧٣ ثلاثين طائرة من طراز

صدر عن مركز الابحاث كتاب

اسلحة الجيش الاسرائيلي

اعداد : هشام عبدالله

٩٣ صفحة من القطع الكبير مقرونة بالصور عن جميع انواع الاسلحة التي يستخدمها العدو . سعر النسخة ٥ ل.ل. تضاف اليها اجور البريد الجوي : ١ ل.ل. في العالم العربي ، ٢ ل.ل. في أوروبا ، ٤ ل.ل. في سائر الدول .

اطلب نسختك من مركز الابحاث

ص.ب ١٦٩١ - بيروت

جدول بالمهمات العسكرية لقوات الثورة الفلسطينية من ٩/١٦ - ١٩٧٤/١٠/١٢

الرقم	تاريخ المهمة	الساعة	موقعها	نوع المهمة	السلح	خصائص العدو	خصائص القاربة	المصدر :
	اليوم				المستعمل	البشرية	رقم	البلاغ العسكري
١	٩/١٩	-	تل ابيب/شراع بن يهودا	تفجير	عبوات ناسفة	غير محدد	رقم ٧٤/٢٠٢	٩/٢٠
٢	٩/١٨	-	مستوطنة كركيبا/ شواحي تانانيا	هجوم	ميتلة يدوية	غير محدد	رقم ٧٤/٢٥٣	٩/٢٠
٣	٩/١٥	-	بيت عوا/ قضاء دورا	هجوم	اسلحة رشاشة وقنابل حارقة	-	رقم ٧٤/٢٥٤	٩/٢١
٤	٩/١٥	-	بين بيت عوا ودورا	هجوم	اسلحة رشاشة وقنابل حارقة	غير محدد	رقم ٧٤/٢٥٤	٩/٢١
٥	٩/١٨	-	تل ابيب/منطقة يادياهو	تفجير	عبوات ناسفة	غير محدد	رقم ٧٤/٢٥٥	٩/٢١
٦	٩/٢١	-	جئين	هجوم	اسلحة رشاشة	غير محدد	رقم ٧٤/٢٥٦	٩/٢٢
٧	٩/٢١	-	كنار جمادي/ الجيل الاعلى	تفجير	قنابل حارقة	غير محدد	رقم ٧٤/٢٥٧	٩/٢٢
٨	٩/٢١	-	بيت لهم	تفجير	عبوات ناسفة	غير محدد	رقم ٧٤/٢٥٨	٩/٢٢
٩	٩/٢١	-	تل ابيب	هجوم	اسلحة وخفافة	غير محدد	رقم ٧٤/٢٥٩	٩/٢٢
١٠	٩/٢٢	-	عسقلان	تفجير	عبوات ناسفة	غير محدد	رقم ٧٤/٢٦٠	٩/٢٢

تدمر سيطرة عسكرية والذخيرة
والاصحابة المياني الجائرة
بانغران

الكعب وجبيح محتوياته

اصحابة جزء كبير من مئتين
بناك القومي بانغران

مهاجمة مدرسة اوريم في
منطقة اوريمودا واحراق

محتويات مستودعات
للانيسية العسكرية

تدمر ومئتين اجزاء من محل
تجاري

مهاجمة مئتين افراد العدو
في سوق الكعب بالديونة

تدمر باص لشركة ايجد

تدمر مئتين اجزاء من محل
تجاري

مهاجمة مئتين افراد العدو
في سوق الكعب بالديونة

تدمر باص لشركة ايجد

تدمر مئتين اجزاء من محل
تجاري

مهاجمة مئتين افراد العدو
في سوق الكعب بالديونة

تدمر باص لشركة ايجد

الرقم	تاريخ العملية	الساعة	موقعها	نوع العملية	السلح	خسائر العدو	خسائر العدو	خسائر المقاومة	المصدر :
	اليوم				المستعمل	البشرية	المادية	رقم	البلاغ العسكري تاريخه
١١ - ٩/٢٢	—	—	نابلس	الغاطية	تفيلة يدوية	غير محدد	اعطاب سيارة عسكرية وامامية افرادها	—	٩/٢٢ رقم ٧٤/٢٦١
١٢ - ٩/١٩	—	—	تل ابيب	تفجر	عبوات ناسفة	غير محدد	امامية مفتى بانفزار	—	٩/٢٤ رقم ٧٤/٢٦٢
١٣ - ٩/٢٠	—	—	تل ابيب	تفجر	عبوات ناسفة	—	تفجر جزء من منزل لاهد قباط الخنايات	—	٩/٢٤ رقم ٧٤/٢٦٢
١٤ - ٩/٢٥-٢٤	—	—	تلوث هككار / جنوب البحر الميت	تصف	مزاريح ثقيلة	غير محدد	امامية منشآت ومصانع للعدو	—	٩/٢٦ رقم ٧٤/٢٦٣
١٥ - ٩/٢٣	—	٢١٤٢٠	نابلس	مجوم	قتال يدوية وحارقة	—	تفجر انك وكف العمل الصهيوني والرافة	—	٩/٢٧ رقم ٧٤/٢٦٤
١٦ - ٩/١٥	—	١٨٤٠٠	راس زورم / النقب الشمالي	كمين	اسلحة رشاشة ٢ وقنابل يدوية	—	تفجر سيارة عسكرية والاستيلاء على بعض الاسلحة	—	٩/٢٧ رقم ٧٤/٢٦٥
١٧ - ٩/٢٧	—	—	كبوتهس جعتون / الجليل الاعلى	تفجر	عبوات ناسفة	—	تفجر مستودعات للذخيرة التابعة لمعسكر اللاموية	—	٩/٢٨ رقم ٧٤/٢٦٦
١٨ - ٩/٢٧	—	—	شمال ايلات / النقب	كمين	اسلحة رشاشة وصاروخية	غير محدد	ممرقة واماسة استمرت اكثر من ست ساعات	١	٩/٢٨ رقم ٧٤/٢٦٧
١٩ - ٩/٢٤	—	—	منطقة ديشوم	اشغاك	اسلحة مختلفة	غير محدد	—	—	٩/٢٨ رقم ٧٤/٢٦٨
٢٠ - ٩/١٩	—	٨٤٠٠	محطة حيلون	تفجر	عبوات ناسفة	غير محدد	تفجر جزء كبير من باص لشركة ايجد	—	٩/٢٩ رقم ٧٤/٢٦٩
٢١ - ٩/٢٤	—	—	بيت جاليم / شرع سيداروك	تفجر	عبوات ناسفة	غير محدد	تفجر جزء كبير من محل لبيع التطف وامامية الهلاني الجازرة بانفزار	—	٩/٢٩ رقم ٧٤/٢٧٠

٩/٢٩	رقم ٧٤/٢٧١	— — —	اكتشف المدعو الميوة قبل انفجارها وتم بإبطال مفعولها	—	عبوات ناسفة	تفجير	جبل/ساحة باريس	—	٩/٢٤ — ٢٢
٩/٣٠	رقم ٧٤/٢٧٢	— — —	اكتشف المدعو الميوة داخل باص شركة ايجد وأبطل مفعولها	—	عبوات ناسفة	تفجير	القدس	—	٩/٢٩ — ٢٣
٩/٣٠	رقم ٧٤/٢٧٣	— — —	العمل النيران في مشاغل مؤسسة القنبية الصهيونية وتدعى قسم النجارة وقسم الاكترونات والكعبة	غير محدد	عبوات ناسفة	تفجير	القدس/هي بيت جان (١)	٢٣٤٠٠	٩/٢٩ — ٢٤
٩/٣٠	رقم ٧٤/٢٧٤	— — —	تدعى عربات من قطار بعد تفجير الخط الرئيسي وتوثيق حركة سير القطارات	غير محدد	شبكة ألغام	تفجير	كريات جات/بئر السبع (٢)	—	٩/٣٠ — ٢٥
١٠/١	رقم ٧٤/٢٧٥	— ١ —	تدعى سيارة باور وجن	٨	أسلحة رشاشة وقنابل يدوية	منطقة الرئيسه/سيتاه كمين	—	٩/١٢ — ٢١	
١٠/٢	رقم ٧٤/٢٧٦	— — ١ —	مركبة واسعة لمدة ساعة ونصف بعد اكتشاف المجموعة وهي في طريقها الى هدفها	غير محدد	أسلحة مخفية	اقتياد عين ياهو/البحر الميت	١٤٠٠	٩/٣٠ — ٢٧	
١٠/٤	رقم ٧٤/٢٧٧	— — —	اصابة بعض الحلات التجارية والبانكي بأعمر	غير محدد	مبوات ناسفة	تفجير القدس/سوق محضي يهودا (٣)	٢١٤٢٠	١٠/٣ — ٢٨	
١٠/٥	رقم ٧٤/٢٧٨	— — —	تدعى واشغال النيران في مكتب العمل الصهيوني	—	رشاشات وقنابل حارقة	مجوم دورا	—	٩/٢٩ — ٢٩	
١٠/٧	رقم ٧٤/٢٧٩	— — —	اعطاب سيارة عسكرية واصابة من فيها	غير محدد	قنابل يدوية	غزة/سوق غراس	—	١٠/٦ — ٣٠	

الرقم	تاريخ العملية	الوقت	موقعها	نوع العملية	السلح	البيضية	خسائر العدو	خسائر العدو	المصدر	خسائر القاربة	المصدر ٢	تاريخه
٣١ - ٢١	١٠/٣	٢٠٤٣٠	بالقرب من البرزخ	مجموع	أسلحة رشاشية غير محدد وقنابل يدوية	قتل جريح	تدمر آلية واصحاب سيارة	تدمر آلية واصحاب سيارة	رقم ٧٤/٢٨٠	١٠/٧	المصدر ٢	
٢٢ - ١/٢٤	١٠/٢٤	١٠/٢٤	تل ابيب	تفجير	عبوات ناسفة	غير محدد	اصابة مطعم للعدو بانفجار وقتل وجرح عدد من المساهلة	اصابة مطعم للعدو بانفجار وقتل وجرح عدد من المساهلة	رقم ٧٤/٢٨١	١٠/٨	البلاغ العسكري تاريخه	
٢٣ - ١٠/٧	١٠/٧	١٠/٧	القدس/جفان غابرا (٩)	تفجير	قنبلة حارقة	١	احراق جميع محتويات مكتبة	احراق جميع محتويات مكتبة	رقم ٧٤/٢٨٢	١٠/٨		
٢٤ - ١٠/٣	١٠/٣	١٠/٣	بئر السبع	١	١	١	تنفيذ حكم الاعدام بعميل الماخبرات ابراهام كرويل	تنفيذ حكم الاعدام بعميل الماخبرات ابراهام كرويل	رقم ٧٤/٢٨٣	١٠/٨		
٢٥ - ١٠/٨	١٠/٨	١٠/٨	جينا	تفجير	عبوات ناسفة	١	تدمر الكابلات الرئيسية للهااتف وقطع الاتصال بين جينا ومطعم المدن	تدمر الكابلات الرئيسية للهااتف وقطع الاتصال بين جينا ومطعم المدن	رقم ٧٤/٢٨٤	١٠/٩		
٢٦ - ١٠/٨	١٠/٨	١٠/٨	عكا/ميسر كردانية (٩)	تفجير	عبوات ناسفة	غير محدد	تدمر مستودع للخبرذ حيث تواكث الانبجارات لآلة تلاص ساعات بمزاملة واذى ذلك الى افعال الجزان في المنطقة	تدمر مستودع للخبرذ حيث تواكث الانبجارات لآلة تلاص ساعات بمزاملة واذى ذلك الى افعال الجزان في المنطقة	رقم ٧٤/٢٨٥	١٠/١٠		
٣٧ - ١٠/٨	١٧٤٠٠	١٧٤٠٠	مخيم تانانيا (٩)	تفجير	عبوات ناسفة	غير محدد	الافعال الجزان في مستودع للاخشاب وتدمر المستودع واخذاد النيران الى عدد من ورش التجارة والهاابي المتناعية الجائرة	الافعال الجزان في مستودع للاخشاب وتدمر المستودع واخذاد النيران الى عدد من ورش التجارة والهاابي المتناعية الجائرة	رقم ٧٤/٢٨٦	١٠/١٠		

- ١ - اعترف العدو بأن حريقاً هائلاً قد شب في كريات هفوس (قرية الشبلي) في حي بيت وجان ، وأن النيران قد امتدت الى جميع اجزاء قسم الورشة الذي يضم مطحنة وورشة للاكترونيات ومطبعة . (راجع نشرة رصد اذاعة اسرائيل ، عدد ٦٢٦ ، ص ٦٧٩ ، تاريخ ١٩٧٤/٩/٣٠) .
- ٢ - ادعى العدو بأنه ولمسب عطل قبي ؛ خرجت عن الخط عريضان من مطار سخن ويان الرحلات على هذا الخط قد توقفت (راجع نشرة رصد اذاعة اسرائيل ، عدد ٦٢٦ ، ص ٦٨٩ ، تاريخ ١٩٧٤/٩/٣٠) .
- ٣ - رغم ان العدو قد اعترف بانفجار المونة في نثرته باللثة العبرية المسامة ٢٣ عاد وذكر في نشرته الساعة ٨ من صباح اليوم التالي بين الحادث هو خلائات وتصفية حسابات وليس هناك أية عملية تخريب . (راجع نشرة رصد اذاعة اسرائيل ، عدد ٦٥٠ ، ص ١٠٢ ، تاريخ ١٩٧٤/١٠/٤) .
- ٤ - اعترف العدو بعطل المرفق ابراهم كورنيل بطروف فاحمة (راجع نشرة رصد اذاعة اسرائيل ، عدد ٦٥٢ ، ص ١٢٧ ، تاريخ ١٩٧٤/١٠/٨) .
- ٥ - اعترف العدو بان حريقاً شب في غابة « احي هود » شرقي عكا ويان اربع سجلات اطفاء قد صلت طوال الليل لاجساد النيران (راجع نشرة رصد اذاعة اسرائيل ، عدد ٦٥٤ ، ص ١٩٢ ، تاريخ ١٩٧٤/١٠/٩) .
- ٦ - اعترف العدو بان حريقاً هائلاً قد شب في المنطقة الصناعية في ٤٤٦٦٦٦ وانت النيران على منجنتين وعلى مستودع للاخشاب تابع لنجرة ثالثة . وقد صول رجال الاطفاء طليئة التي عقره ساعة لاجساد النيران (راجع نشرة رصد اذاعة اسرائيل ، عدد ٦٥٤ ، ص ١٩٢ ، تاريخ ١٩٧٤/١٠/٩) .

ملاحظة : تصدر البلاغات العسكرية عن الاعلام العسكري في القيادة العامة لقوات الثورة الفلسطينية .

جدول بالعمليات العسكرية التي اعترف بها العدو الصهيوني من ٩/١٦ - ١٩٧٤/١٠/١٢

الرقم	تاريخ العملية	موقعها	نوع العملية	الاستعمال	خسائر العدو البشرية	خسائر العدو المادية	خسائر المقاومة	المصدر	تاريخه
١	٩/١٦ -	تل ابيب	تفجير	عبوات ناسفة	١	٨٤٠٠	تم اكتشاف حايلي العبوة والقضاء التام عليها	٩/١٦	٤١٧٥ عدد
٢	٩/٢٠ -	تل ابيب/صالح بن يهودا	تفجير	عبوة ناسفة	٢	٠	اصابة الاباني بالفرار	٩/٢٠	٤٨٩ عدد
٣	٩/٢١ -	بيت لحم	تفجير	عبوة ناسفة	٠	٠	انفجار عبوة قرب بنك للوهي حيث لم تقع اصابات	٩/٢٣	٥٥١ عدد
٤	٩/٢٣ -	ثروت حكيكل/ البحر الميت	تصف	غزاف حرون	٠	٠	لم تقع أية اصابات	٩/٢٥	٦٠٥ عدد
٥	٩/٢٨ -	مخافة العربة	٠	٠	٠	٠	تم اكتشاف عملية تسلل لجموعة من العواتيين وامتثال عدائيين	٩/٣٠	٦٧٦ عدد
٦	٩/٢٨ -	شمال فلسطين	المتفبات	غير محدد	١	٠	قتل الملازم اول جاد راف في المتفبات مع اللندانيين	٩/٣٠	٦٨٠ عدد
٧	٩/٢٩ -	حوالون	تفجير	عبوة ناسفة	١	٦٤٢٠	تدمر باص لشركة ايجد	٩/٣٠	٦٨٣ عدد
٨	٩/٢٩ -	القدس	تفجير	عبوة ناسفة	٠	٠	تم اكتشاف العبوة في باص لشركة ايجد وابلت بمغولها	٩/٣٠	٦٨٤ عدد
٩	١٠/١ -	جبل دوف	المتفبات	أسلحة رشاشة	٠	٠	٢	٣٨٥ عدد	١٠/٢

١٠/٢	٢٨ عدد٢٤٩ ص٢٨	١	١	أسلحة رشاشة	العتبات البحرية	عين ياهف / بيت المقدس	١٠/١	١٠
١٠/٤	١٠١ عدد٢٥٠ ص١٠١	١	١	عبوة ناسفة	تفجير	القدس	١٠/٣	١١
١٠/٧	١٦١ عدد٢٥٢ ص١٦١	١	١	عبوة ناسفة	تفجير	نابلس	١٠/٦	١٢
١٠/٨	١٧٤ عدد٢٥٣ ص١٧٤	١	١	عبوة ناسفة	تفجير	القدس	١٠/٧	١٣
١٠/٨	١٧٨ عدد٢٥٣ ص١٧٨	١	١	أسلحة رشاشة	تصف	زريعت	١٠/٧	١٤

ن - نشرة رصد اذاعة اسرائيل التي تضمن يوميا عن مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية .

غاري خورشيد

قضايا اسرائيلية

ملف يعنى بالشؤون الاسرائيلية والصهيونية

يصدر مرة كل اسبوعين ، ابتداء من اول تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٤

« قضايا اسرائيلية » ملف اخباري تحليلي ، يتابع الشؤون الاسرائيلية والصهيونية ، الداخلية والخارجية ، مع امتداداتها وأبعادها داخل اسرائيل ودأخل الحركة الصهيونية ، وفي العلاقات بين اسرائيل ودول العالم ، وتأثير كل ذلك على الصراع العربي الاسرائيلي .

« قضايا اسرائيلية » يقدمه قسم الدراسات الاسرائيلية والصهيونية في مركز الابحاث بمنظمة التحرير الفلسطينية ، من خلال متابعته لكل ما يصدر في اسرائيل من صحف يومية ومجلات ودوريات متخصصة ونشرات وكتب ، باللغة العبرية او بغيرها ، وما تبثه الاذاعة الاسرائيلية من اخبار وبرامج ، وكذلك ما يصدر خارج اسرائيل وله علاقة بالشؤون التي يهتم هذا الملف بمعالجتها .

تقرأ في العدد الاول :

طرح القضية الفلسطينية في الامم المتحدة يغدو المخططات الاسرائيلية - الوضع السياسي في اسرائيل : حكومة رابين بين ديان وسايير - رومانيا وصراع الشرق الاوسط : الدور الحائر بين « الخدمات الحميدة » ونقل المعلومات - مساعي رابين لتوسيع قاعدة حكومته بضم الحزب الديني القومي اليها - اسرائيل تستعد لاستيعاب اعداد كبيرة من المهاجرين الجدد .

وتقرأ في العدد الثاني :

زيارة كيسنجر الى المنطقة وموقف اسرائيل من مساعي التسوية - ردود الفعل الاسرائيلية على طرح القضية الفلسطينية في الامم المتحدة : استهجان التخطي . . . والانتقادات - الجيش الاسرائيلي يعيد تنظيم نفسه ويدخل مرحلة جديدة - الاستيطان في المناطق المحتلة انعكاس للمخططات الاسرائيلية التوسعية تجاهها - نقاش اسرائيلي حول دروس حرب تشرين .

رئيس التحرير : صبري جريس

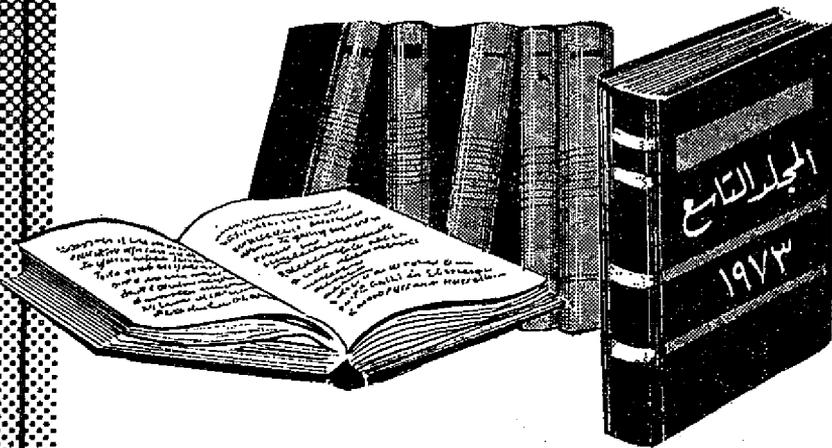
العنوان : ص.ب ١٦٩١ ، بيروت - لبنان ، تلفون ٢٥١٢٦/١

بدل الاشتراك السنوي : للحكومات ٩٠ ل.ل. ، للمؤسسات ٦٠ ل.ل. ، للافراد ٣٠ ل.ل.

صدر المجلد السنوي لعام ١٩٧٣

السياسة الدولية

مَرَجع هَام
للعاملين في
الحقل السياسي
والإعلامي



تطلبية مجلدات السياسة الدولية من قسم الأرشيف أكاديمية مؤسسة الأهرام

١٠٠٠ صفحة
١٠٠ قرش

قضايا عربية

شهرية فكرية مفتوحة لمختلف الاتجاهات العربية والتقدمية ، تعالج الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والتربوية والعلمية في الوطن العربي ، من خلال نظرة مستقبلية وبروح البحث العلمي .

رئيس التحرير : الدكتور عبد الوهاب الكيالي

هيئة التحرير :

د. عبدالله عبد الدايم

د. منيف الرزاز

طارق عزيز

رجاء النقاش

د. احسان عباس

محمد عمارة

د. وليد خدوري

د. عبد العزيز الاهواني

للاشتراكات يرجى مراسلة ادارة المجلة، ص.ب. ٥٤٦٠، بيروت - لبنان

تقرأ في العدد السادس (عدد خاص)

د. عبد الوهاب الكيالي

د. احمد صدقي الدجاني

د. نقولا سرقيس

المقدم الهيثم الايوبي

محمود سويد

منير شفيق

— حرب أكتوبر والمستقبل العربي

— موقع حرب أكتوبر من مجرى الصراع

العربي الاسرائيلي

— أكتوبر والنفط والفوائض المالية العربية

— الوضع الاستراتيجي العام بعد سنة من

عبور الهزيمة

— من أكتوبر الى أكتوبر

هل من جديد على الساحة الاسرائيلية

— توازن القوى بعد حرب أكتوبر

— ٣٥ كتابا عن حرب أكتوبر

— ٥ وثائق عن أكتوبر ،

سعر النسخة ٣ ليرات لبنانية أو ما يعادلها

Palestine Affairs

Published monthly in Arabic by the Palestine Research Center; *Editor*, Dr. Anis Sayegh; *Annual Subscription* (airmail): Lebanon L L 40, Syria S L 50, other Arab countries LL 50 or equivalent, Africa and Europe LL 65, elsewhere LL 90; *Annual Subscription* (surface mail): Countries outside the Arab World LL 50. *Address*: P.O.Box 1691, Beirut, Lebanon; Tel. 351260; Cables: MARABHATH.

السعر: ٣١/٠ ل.ل. في لبنان

٤١/٠ ل.س. في سوريا

٤١/٠ ل.د. في الكويت والعمارة